

ILKKA REMES

إيلكا ريميس

مؤامرة بروكسل

OMERTAN LIITTO

جَمْعِيَّة أومرتا



رواية



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مكتبة الرمحي أحمد ١٠

The Brussels Conspiracy
مؤامرة بروكسل
جَمْعِيَّة أومِرَتَا

أيلغا ريميس

للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

<https://t.me/ktabpdf>

تمهيد

"وضعنا يزداد سوءاً لأن آخر الاستطلاعات أشارت إلى انخفاضٍ كبيرٍ في نسبة المؤيدين له"

نظر بافل آنوسوف إلى عيني الرجل صاحب النظرات الحادة، والجالس إلى جانبه في المقعد الخلفي. كانت السيارات تمرّ بسرعة وهي تنز، من أمام المطعم الراقي الذي ركن أمامه سيارتهما المرسيديس من فئة س. وقف السائق مع الحارس الشخصي خارج السيارة، وبدت أمامهما في البعيد أبراج الكرملين بارزةً وسط الغيوم السوداء، التي تُنذر باقتراب عاصفة شديدة.

أضاف مكسيم إيفانوف بهدوء: "رأينا أن التلاعب الكامل بنتائج استطلاعات الرأي سوف يجذب قدراً كبيراً من الانتباه، ولذلك رفعناها بنسبة 17 بالمئة فقط"

أوماً بافل، وعرف بالتحديد ما يعنيه إيفانوف، لأن النتائج أشارت إلى أنهم جالسون فوق برميل بارود. لقد انخفض الروبل إلى أدنى مستوياته على الإطلاق، كما تدنّت أسعار النفط كثيراً، وحصل جمود كبير في قطاع الاستثمارات. أضف إلى ذلك أن العقوبات الغربية قد أثرت كثيراً على قدرة المواطنين الشرائية منذ أمدٍ ليس بقصير، وهو الأمر الذي انعكس سلباً على نسبة الدعم التي يتمتع بها بوتين عند المواطنين، كما أن تدمر أبناء الطبقة الوسطى في الكرملين وسان بطرسبيرغ زاد بوتيرةٍ سريعة.

لا بد أن شيئاً ما قد حدث، لأن بافل تلقى مهلة يوم واحدٍ فقط لإلغاء كل اجتماعات العمل التي كان يزمع عقدها في فرانكفورت، والعودة إلى موسكو. اشتملت مسؤولية إيفانوف في الاستخبارات الروسية السرية FSB على القيام

بتحويلاتٍ مالية سرية لصالح معارضي الاتحاد الأوروبي في أوروبا الغربية. لقد تزايدت قيمة هذه المساعدات كثيراً بعد الأزمة الأوكرانية، بعد أن فهم الكرملين مدى أهمية زعزعة التماسك الداخلي في الاتحاد الأوروبي، واعتبر أن ذلك أمرٌ ملحٌ وفَعَالٌ.

كان بافل أحد أكبر المساهمين في مصرف أوميغا، وهو المصرف الذي يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالكرملين. استخدم بافل صلاته في الغرب لإجراء تحويلاتٍ تتضمن تسعة ملايين يورو لصالح الجبهة الوطنية في فرنسا، وكذلك إلى جماعتين من الجناح اليميني الألماني، كما أنه بدأ بإجراء اتصالات مع حزب بريطاني يوجّه انتقاداته للاتحاد الأوروبي.

خاطبه إيفانوف قائلاً: "الولايات المتحدة تمارس ضغطاً على أوروبا لتشديد عقوباتها. إننا نمتلك معلوماتٍ استخباريةً عن تحضيراتٍ جاريةٍ لفصل روسيا عن نظام تحويل المدفوعات المصرفية السريعة"

تنهد بافل وقال: "يا للحمقى" يعرف القاصي والداني ما تعنيه تلك العبارة: سينهار الاقتصاد الروسي بعد شلّ أنشطته المصرفية، "ألا يعرفون مدى خطورة هذه اللعبة التي ينغمسون فيها"

لكن الخروقات التي بدأ سلاح الجو الروسي بالقيام بها في الأجواء كانت تحذيراً قوياً يُراد منه الإيحاء بأن الغرب إذا شدد عقوباته، فإن كل الاحتمالات ستصبح مفتوحة، بما في ذلك العمليات العسكرية.

يبدو أن الولايات المتحدة كانت جادةً بشأن إطاحة النخبة التي تتمتع بالنفوذ، لكن موسكو كانت تشكّ بهذه النوايا منذ أحداث باحة مايدن.

"أتعني عملية ريختر..."

أوماً بافل.

"أطلقِ العملية. يتعيّن أن تنجح، وإذا لم تنجح فسنواجه الحرب"

القسم الأول

لمس دافيد كوبر بنعومة بالغة البُصيلات من خلال أكياسها تشبكية عندما كان داخل أحد أكبر المخازن الزراعية الموجودة في جنوب شرق إنكلترا. كانت تلك بُصيلات مونت بريتيما، وزعفران، وعبن ياقوتي، وبصيلات الأزهار البيضاء الصغيرة. بدت البُصيلات الصغيرة على شيء من الصلابة، وبدأت جذورها الدقيقة بالتسلل خارج الأكياس بكثافة. تساءل دافيد عن السبب الذي منع بكسار⁽¹⁾ Pixar من تصوير فيلم يصور حركة بُصيلات هذه النباتات.

ألقي دافيد نظرةً خاطفةً على ساعة تايمكس القديمة التي حمّنها منذ أن تلقّاها في أول يوم له في المدرسة، ثم بحث في جيبه عن هاتفه، وفتح بكل حماسة صفحة بلومبيرغ الرئيسة.

استعجل دافيد نزع ربطة عنقه وانتعال حذائه الطويل، لكن كان عليه الانتظار عدة أيام إضافية قبل أن يتمكن من إبلاغ الإدارة شخصياً عن مغادرته. كان الخبر الرئيس في الصفحة هو تلك المذكرة السرية من برلين إلى ويكيليكس، وهي المذكرة التي كشفت أن الاتحاد الأوروبي كان منقسماً بقوة حول موضوع توسيع العقوبات المفروضة على روسيا. تصفح دافيد بقية العناوين الرئيسة بصبر نافذ إلى أن ثبت نظره على أحدها.

"حسب مفوضية الاتحاد الأوروبي فإن إعادة شراء مسموحات الانبعاثات *emission allowance repurchasing* لن تكون جزءاً من سياسة تول كيت"

(1) شركة أميركية منتجة للأفلام المتحركة ملك لشركة ديزني تستخدم تقنية CGI (الرسومات المولدة عن طريق الحاسوب) ويقع مقرها في إيمرفيل بولاية كاليفورنيا. (المراجع)

شعر دافيد بتوترٍ مفاجئ، وبدأ بتصفح المقالة، لكنه ما لبث أن دسّ الهاتف في جيبه، وبدأ بالسير نحو الباب للخروج.

أيعقل هذا؟ أفادت معلومات كاتي أن مبادرة الاتحاد الأوروبي الجديدة تنصّ على أن خطة إعادة الشراء لمسموحات الانبعاثات تهدف إلى رفع أسعار المسموحات **permit prices**، وبناءً على تلك المعلومات السرية، أقدم دافيد على شراء العقود الآجلة المتعلقة بمسموحات الانبعاثات هذه.

تبيّن الآن أن تلك المعلومات خاطئة، وهو الأمر الذي يعني أن تلك العقود سوف تؤدي إلى خسائر كبيرة عند انتهاء العقود الآجلة في خلال خمسة أيام.

خمدت همهمة أصوات الزبائن وكأنها محجوبة بفاصلٍ غير مرئي. عبر دافيد المرر خارجاً، وشعر بالدوار، كان الهواء الذي تلاعب بشعره دافئاً في الخارج، بالرغم من تلبّد السماء بالغيوم. سار بخطواتٍ متسارعة عبر موقف السيارات على الرغم من أن القطار التالي لن يغادر قبل سبع عشرة دقيقة.

ومع كل خطوة من خطواته، كان هول الموقف ينغرز أكثر فأكثر في أعماقه، وراح يتساءل عن مقدار الخسارة التي سيتكبدها.

لكن مهما كان مقدار خسارته فهي لن تصل إلى خسارة جيروم كيرفيل البالغة 4.9 مليار يورو، بل ربما ستقف عند حدود خمسين مليوناً.

اعتزم دافيد أن يحسب قيمة خسارته بالتحديد في القطار، وهو يعرف أنها عملية معقدة، لكنه يستطيع القيام بأصعب الأمور عندما يقع تحت الضغط.

يُحتمل ألاّ تطول محكوميته كثيراً كما هي محكوميّة كيرفيل. حلّ ربطة عنقه قليلاً، وعندها رأى أمام عينيه، وللحظةٍ من الزمن، وبوضوح، قضبان السجن التي تمنع عنه حريته.

كيف أمكن لتلك المعلومات أن تكون خاطئة، بحق السماء؟

لكنّ أسوأ ما في الأمر، أن كاتي ستكون في خطرٍ كبير إذا انكشفت الحقيقة. توقّف دافيد فجأة، وشعر بغضبٍ شديدٍ تجاه نفسه، لأنه انزلق إلى مرحلة فقدان السيطرة على الموقف، في وقتٍ هو أحوج ما يكون فيه إلى المحافظة على هدوء أعصابه، وعدم الوقوع فريسة الرعب.

لم يبقَ لديه سوى خمسة أيام لتغطية خسارته، لكنه لن يُخبر كاتي، ومن الأفضل له أن يتصرّف وكأن كل شيء على ما يُرام.

رَن هاتفه فجأة. إنها كاتي، وكانت تقوم بزيارة جدّتها في فنلندا. حاول دافيد تهدئة أنفاسه المتسارعة، وانتظرت كاتي إلى أن ردّ دافيد أخيراً على الاتصال.

"مرحباً. أين أنت؟"

"أنا في طريقي إلى محطة تونبريدج ويلز. وأنت؟"

ردّت كاتي بصوت هادئ: "أنا في المستشفى" كانت كاتي تعف في حجرة صغيرة تحتوي على جهاز تحضير القهوة، وعلى بعض المجلات النسائية. "كسرت سالي وركها، ولا نعرف كم ستنتظر قبل إجراء عملية جراحية لها. هل جلبت البصيلات؟"

"أجل. أعني لا... لم أجليها في الواقع... سأنتظرك في المنظر. وأصطحبك إلى المنزل"

أعدت كاتي هاتفها إلى حقيبة كنفها، وعادت إلى الغرفة نيةً بتربعة أسرة مخصّصة للمرضى. كانت جدّتها في السرير المحاذي للنافذة. سرّحت كاتي شعرها القصير المائل إلى اللون الأحمر إلى ما خلف أذنها، ثم قلّمت جدّتها سني كوب قهوة. "أوه. شكراً لك يا عزيزتي. افتحي الثلاجة. هناك بعض فطائر النحم. خذي بعضاً منها لتتناولي في طريقك إلى بروكسل"

أحضرت كاتي سترة الجينز خاصتها الموضوعة بالقرب من النافذة، بينما وقف جدّها فييكو إلى جانبها، محدّقاً إلى التلفاز المثبت بالقرب من سقف الغرفة. كان مذيع نشرة الأخبار يقدّم تقريراً عن حادثةٍ أخرى خرقت فيها إحدى المقاتلات الروسية الأجواء الفنلندية.

قال فييكو: "لحسن الحظ، أنتم بأمانٍ في بلجيكا"

ضحكت كاتي: "لا سبب يدعوكم إلى القلق هنا. فلا يعدو الأمر كونه استعراضاً للعضلات الروسية، وذلك بالنظر إلى ما تشعر به من وهنٍ في مجالاتٍ أخرى"

ودّعت كاتي جدّتها سالمى، ولحق بها فييكو، لكنه كان يسير خلفها مهما حاولت أن تتباطأ في سيرها.

انفتح الباب الذي يؤدي إلى الدرج، وما لبث أن ظهر رجلٌ مألوفٌ لسيدها، ودخل الممر.

لقد كان والدها.

وقف الاثنان أحدهما قبالة الآخر. لم يتغيّر والد كاتي قط منذ آخر مرة رآته فيها، أي منذ سنواتٍ عدة، لكنّ شعره المتموّج بدأ أشعث قليلاً، وكان يرتدي قميصاً بياقةً، وسترةً فضفاضةً ذات لونٍ داكن.

"كاتي..."

حدقت كاتي إلى والدها لثوانٍ عدة قبل أن تتابع سيرها وتعر الباب وتنزل الدرج.

لحق فييكو بكاتي وكانت ملاحمه في غاية الجدّية.

قالت كاتي بهدوء: "لقد دبّرت كل ذلك. خففت سيرك عمداً حتى يتمكن آرتو من الحضور ليراني"

لم يردّ جدّها، بل تابع سيره نحو الباب الخارجي من دون أن تتغيّر نظراته الجادة.

اهمك رجلٌ يرتدي كَنزَةً سوداء بانفعال حذائه العسكري الثقيل داخل مستودعٍ خفيف الإنارة. حمل الرجل بندقيةً رشاشةً ذات سبطانة قصيرة، وقاذفَ صواريخٍ محمولاً على الكتف. خيم الظلام على المكان باستثناء الضوء المنبعث من حاسوبٍ محمول، تعرض شاشته تسجيلاً لبرنامجٍ يتناول الشؤون الراهنة. خفف الضوء المنبعث من الشاشة، من الظلام قليلاً.

سأل رجلٌ يتحدث بالإنكليزية عبر الهاتف: "كيف وصلت إلى السابعة؟"

أجابه صوت رجلٍ آخر: "حملتها فوق ظهري كما قال درمر وضحك الرجلان.

"يمكن أن يقولوا إن الكلفة على دافعي الضرائب عالية جداً، لكن إذا لم تكن عالية جداً في البداية... أعتقد أن لديكم فرصة"

أهني فلوريان زيغلر ربط شريط حذائه، وما لبث أن هض من مقعده. التفت نحو الشاشة التي عرضت صورة مذيعة شقراء من قسم الأخبار.

"إن هذا الشريط المسرّب عن المكالمات الهاتفية التي جرت بين اثنين من كبار المسؤولين التنفيذيين للمصرف الإنكليزي الإيرلندي هو إحدى فضائح الأزمة الأوروبية، إنه يفضح الأكاذيب الصارخة، وعمليات الاحتيال التي يواجهها مسؤولو ذلك المصرف الحكومة الإيرلندية..."

تناول فلوريان مخزن ذخيرة، وأدخله في البندقية الرشاشة، وترافق ذلك مع صوتٍ معدنيٍّ حاد.

"أدانت المستشارة الألمانية أنجيلا ميركل هذه التصريحات..."

ظهرت على الشاشة صورة المستشارة بملاحها الرزينة وهي ترتدي ستره حمراء اللون، بينما كانت تقف أمام ستارة زرقاء ظهرت عليها نجوم صُفر. غطى فلوريان وجهه بالثام، وعلّق بندقيته الرشاشة على كتفه بحزام جلدي.

"ألححت المستشارة ميركل إلى أن كل المصارف تأخذ الموقف المتعجرف ذاته. لكن هل تعلم المسؤولون شيئاً من الأزمة الأخيرة؟ عاد الوضع في أوكرانيا إلى الاشتعال مجدداً، لكن هل يُعقل أن تعتمد المصارف المهتدة إلى الكذب مجدداً على السلطات الحكومية؟ سبق لنا أن طلبنا إجراء مقابلة مع رئيس وزراء المالية في المجموعة الأوروبية، برونو غوسينز، لكنه امتنع عن التعليق على هذا الموضوع" تتمم فلوريان وهو يُطفئ الجهاز: "بالطبع، لقد علّق هذا التافه الصغير" تناول قاذف الصواريخ وتحرك. كان الضوء في الخارج ساطعاً إلى حد أنه أعماه لفترة وجيزة، لكنه سرعان ما تمكّن من تمييز شخصٍ داكنٍ جالسٍ فوق دراجة نارية. كان الرجل ملثماً بالكامل بدوره.

خرجت سيارة بي أم دبليو كبيرة من طريقٍ مقفلٍ، ثم أسرع عبر طريقٍ ضيقٍ كثير المنعطفات من خلال غابة من أشجار الزان. ظهر في المقعد الخلفي للسيارة شكل رجل.

وبشكلٍ مفاجئٍ، ظهرت عربة أطفال في وسط الطريق. توقفت السيارة بعد الضغط على الفرامل بكل قوة.

في اللحظة ذاتها ظهرت عربة مقفلة في خط السير المقابل بشكلٍ يعيق طريق سيارة الـ بي أم دبليو.

خرج سائق السيارة منها حاملاً مسدّسه، وسرعان ما صوّبه نحو الدراجة النارية. فتح سائق الدراجة النارية، المثلّم والذي اعتمر خوذته، النار فوراً في اللحظة ذاتها التي انفتح فيها باب العربة المقفلة على مصراعيه، وما لبث رجل يرتدي قناع المغاوير أن قفز من خلاله، ورفع قاذف صواريخ إلى كتفه، وصوّبه نحو السيارة.

قال الرجل الذي يحمل قاذف الصواريخ على كتفه: "لا، لا، لا أيها الحمقى!"

نزع فلوريان قناعه، وتقدّم نحو سيارة الـ بي أم ديليو والدراجة النارية المتوقفة بالقرب منها، "لا يزال التوقيت خاطئاً بالكامل"

نزع الرجل الجالس على الدراجة النارية قناعه بدوره كاشفاً عن وجهٍ فنيٍّ وملتجح.

"لا تستطيع يا كارل أن تمطر السيارة بالرصاص بهذا الشكل. كنت ستقتل غوسينغز الجالس في المقعد الخلفي. لا يستطيع الرجل أن يقدم لنا أي خدمة وهو ميت"

في هذه اللحظة، انفتح الباب الخلفي لسيارة الـ بي أم ديليو، وما لبث الرجل الرابع في هذه المجموعة أن خرج منها معتمراً قبعة كرة القاعدة لتكون غطاءً لرأسه الأضلع.

قال كارل مازحاً: "ها هو غوسينغز هناك سليماً ومعافى. لكن إذا كانت السيارة مصفّحة..."

"لا يمكننا التأكد من هذا الأمر! لا يمتلك رؤساء دول الاتحاد الأوروبي سيارات مضادة للرصاص. لم تكن سيارة شيلر مصفّحة، لكن حسن حظّه شاء أن لا يُقتل خلال عملية الاختطاف التي تعرّض لها. لكن سيارة هيرهاوزن كانت مصفّحة جيداً، إلا أنّها لم تنقذه"

كان فلوريان يعرف أن مجموعته على علمٍ بكل القضايا التي تحدّث عنها. أقدمت جماعة الجيش الأحمر، التي تُعرف باسم بادر ماينهوف، في العام 1977 على خطف الصناعي الألماني هانز مارتن شيلر عندما هاجمت موكبه. قُتل السائق وثلاثة من رجال الشرطة في تبادل إطلاق النار الذي رافق العملية، كما قُتل رئيس المصرف المركزي الألماني، ألفريد هيرهاوزن، في العام 1989، بتفجير قبلة مزروعة إلى جانب الطريق، وذلك بعد أن دمر الانفجار سيارة المرسيدس بنز المصفّحة تصفيحاً قوياً بحسب مواصفاته.

قال فلوريان: "يجب أن يكون التوقيت دقيقاً إلى أقصى حدّ"

تناهى من الغابة صوت حفيف أوراق الأشجار، وبعد قليلٍ ظهرت امرأة
شقراء في الثلاثينات من عمرها يعلو الرعب وجهها المليء بالتمش.
"هل جننتم يا رجال؟ لا يمكن أن تكونوا جادّين"
ركّز فلوريان عينيه الزرقاوين على رجاله، "سيكون كل شيء على ما يُرام
يا إيريكّا. لا داعي للذعر
"لستُ مذعورةً، لكن هذه المخاطرة ضرب من الجنون. أعتقد أن خطة ريجنتر
كافية، ونحن لا نحتاج...
تقدّم فلوريان بخطى ثابتة نحو إيريكّا: "خطة ريجنتر في منتهى العبقرية وهي
تاريخية، لكنها ليست كافية بحدّ ذاتها"
"يجب علينا الآن أن نتحلّى بالشجاعة، وعلينا أخذ بعض المخاطر"
قرّب فلوريان وجهه نحو إيريكّا، وهمس في أذنها: "لا أريد أن يعمد أحدٌ بهذا،
لا مارتن ريجنتر، ولا أي شخصٍ آخر"

مكتبة الرمحى أحمد ٨٠

عكست الجدران الزجاجية لبرج هيرون في لندن، والتي تبلغ مساحتها 230 متراً مربعاً، الغيوم البنفسجية الداكنة المنتشرة في سماء المنطقة نائية للمدينة. تصارعت الأفكار في رأس دافيد أثناء إسراعه نحو الأبواب الأمامية للمبنى، وترددت في أذنيه أصوات السيارات ووقع خُطى المارة. ثمانية وأربعون مليون يورو. توصل إلى ذلك الرقم بعد احتساب خسارته عندما كان داخل القطار الذي استقله من تنبريدج هيلز. ثمانية وأربعون مليوناً.

كان دافيد متعوداً على الأرقام الكبيرة في عمله، وحتى عمى أرقام أكبر من هذه بكثير، لكن تلك الأرقام لم تكن تعنيه هو، بل كانت عاتمةً كبار المدراء التنفيذيين، والزبائن، والمستثمرين.

أما هذا الرقم فيعود إليه، وهو يمثل الخسارة التي وقع فيها بعد أن وضع نفسه في هذا الموقف. فعل دافيد كل ذلك بعد أن اقترض من صندوق غولدن إيغل فند الاستثماري الذي كان يُشرف على إدارته. ولو سار كل شيء حسب الخطة الموضوعية عند إغلاق العقود في مهلة خمسة أيام، لكان قادراً على إيفاء القرض، والاحتفاظ بمبلغ يتراوح بين سبعة ملايين يورو إلى ثمانية، وهو الذي يمثل حصته من المضاربة بالعقود الآجلة على مسموحات الانبعاثات، لكن تلك المعلومات الخاطئة التي تلقاها سببت له خسارة بمقدار 48 مليوناً.

يُضاف إلى كل ذلك أنه يستحيل إخفاء هذا القرض الذي أخذه من صندوق غولدن إيغل، لكن الآخرين يطلقون صفة أخرى على هذا القرض: الاختلاس. يعني ذلك أنه توجد لديه أسباب كثيرة لتغطية تلك الخسارة.

كانت المضاربة بعقود الانبعاثات بمنزلة منجم ذهب بالنسبة إلى المضاربين وهو الأمر الذي جعله يتحوّل إلى مضارب. كان حبه للأرقام حقيقة واقعة أسفرت عن تمكّنه من جني مكاسب خيالية لأرباب عمله.

لقد خطّط دافيد لإفلاته من هذا الجحيم اليومي، بحيث لا يبقى في الواجهة سوى الجهة المقابلة من تجارة المشتقات المالية، وهي التجارة التي تعاطاها بعض المؤسسات المالية الجشعة، والتي تأخذ مخاطر عدّة لجني المال.

أراد دافيد تفسير بعض بنود النظام المالي لصالحه، ولكن شبح كتاب البجعة السوداء قفز إلى نطاق رؤيته. أجرى دافيد، بصفته مختصاً بالرياضيات، حساباته بكل دقة، لكن العامل الإنساني تدخل في هذه اللعبة.

أبرز دافيد، عندما وصل إلى ردهة ناطحة السحاب، بطاقته التعريفية أمام الحارس، وتوجّه نحو المصعد الذي سينقله إلى الطوابق العليا. كان من المقرر أن يغادر قطار يوروستار إلى بروكسل في غضون ثلاث ساعات، لكن دافيد يحتاج إلى كل ثانية في هذا الوقت. أبلغ مساعده بأنه يعتزم البقاء في مكتبه، وأنه لا يريد أن يتلقّى مكالمات هاتفية ولا أن يستقبل أحداً. كان مضطراً للتفكير في الوضع.

وقف أمام واجهة مكتبه الذي يقع في الطبقة السادسة والثلاثين من المبنى، وحدّق إلى أسطح المباني المنتشرة في الأسفل، وإلى الشوارع التي تفصل بينها مثل الأنهر. في هذه الأثناء سيطر الرعب على دافيد.

تناول دافيد من طاولته لعبة عقدة فراتيشيلي، التي يعود تاريخها إلى نحو قرنٍ من الزمن، وهي لعبة تُعتبر أكثر الألغاز المنطقية الثلاثية الأبعاد إثارةً للتحدي في العالم. في العادة، كانت مدة الثواني الثلاثين من التركيز على تغيير أماكن القطع النحاسية كافيةً لجلب الهدوء إلى ذهنه، وتخفيض معدّل نبضات قلبه المتسارعة.

فما الذي حدث وغيّر حساباته؟

أوردت الوثائق التي أحضرها كاتي إلى المنزل، واحتفظت بها في درجها، أن رئيسها الإيطالي سرّب معلوماتٍ سريةً إلى أحد الأشخاص، ومفادها أن مفوضية الاتحاد الأوروبي تنوي البدء في إعادة شراء مسموحات الانبعاثات. هذه الخطوة تؤدي إلى ارتفاعٍ فوريٍّ في أسعار هذه العقود، ما إن يُعلن عنها. كان ذلك هو

سبب قيام دافيد بشراء عقود مسموحات الانبعاثات الآجلة وهي التي يحين أجلها في شهر كانون الأول.

لكن المفوضية أصدرت اليوم بياناً معاكساً تماماً، وهو الأمر الذي يؤدي إلى خسارة العقود، التي هي بحوزة دافيد، مبلغاً يصل إلى نحو 50 مليون يورو. شعر دافيد بضغطٍ كبيرٍ يُثقل كاهله، وبألمٍ في أحشائه. كان عليه إنهاء المسألة، لأجل كاتي فقط.

سارت إيريكاً نحو إينيسترايب، وكان حرم جامعة داليم منتشرًا من حولها؛ وهي الجامعة التي تُعتبر بمنزلة أو كسفورد برلين. انتشر الطلاب هنا وهناك على العشب مستندين على أذرعهم لتناول طعام الغداء.

ما أشبه اليوم بالبارحة، عندما أُحضر أندرياس بادر من السجن إلى أحد مباني كلية علم الاجتماع، حيث كان من المقرر أن يقوم إيرليك ماينهوف بإجراء مقابلةٍ معه، في اليوم الرابع عشر من شهر أيار من العام 1970. أما الباقي فمعروفٌ لدى الجميع. حينذاك قال بادر: "إن إطلاق النظريات أمام الطلاب لن يوصل إلى أي مكان على الإطلاق"

كان ذلك الزمن هو الذي ثار فيه الناس ضد ديكتاتورية المال والرأسمالية، وهم فعلوا ذلك بنوايا مشكوكٍ فيها، لكنهم مع ذلك ثاروا. إلا أن الطبقة الثرية تمسك الآن بأوروبا من خناقها، وقد تحوّل الناس إلى كتلة واحدة من دون اكتراثٍ أو مبالاة. لكن هذا لا ينطبق على الجميع.

لم تتمكّن إيريكاً في هذا الوقت من نسيان صورة الرجل الملتئم كالمغاور، وهو يصوّب قاذف صواريخ على سيارة بي أم ديبلو.

عزم فلوريان وجميع رفاقه، وهي من ضمنهم، على إكمال المسيرة من حيث تركها بادر وماينهوف. حاربت منظمة الجيش الأحمر في سبعينيات القرن الماضي ضد الإمبريالية الرأسمالية، لكنها فشلت. وتمكّنت العولمة، والاندماج الأوروبي، من إيصال الرأسمالية إلى ذروة تطوُّرها. يعني ذلك أن الوقت قد نضج الآن لتشكيل صيغةٍ جديدةٍ من منظمة الجيش الأحمر.

تواردت في ذهن إيريكما صور القصف لقاعدة رامشتاين الجوية، والجثث المتدلية من السيارات التي نحرها الرصاص، وكذلك عملية خطف الصناعي جيرغين بونتو التي انتهت بقتله بعد أن رفض المغادرة مع حاضفيه. في البداية كان الإفراط في العنف سبب فشل منظمة الجيش الأحمر، وكذلك سبب فشل الألوية الحمراء في إيطاليا.

أرادت إيريكما تهدئة الأفكار المتسارعة في رأسها، فسارت إلى محطة دالسيم - دورف يو بان، ثم جلست على أحد المقاعد المنتشرة بمحاذاة الجدار الذي تكسو نصفه الأخشاب، أما مبنى المحطة نفسها فقد شُيد على الطراز الريفي. فتحت إيريكما متصفح شبكة الإنترنت على هاتفها، وبدأت مراجعة آخر الأخبار عن الأزمة المصرفية الإيطالية.

عثرت إيريكما على ما تبحث عنه. نشر موقع صحيفة كورييه ديلا سيريا مقطعاً صوتياً لقي انتشاراً واسعاً عبر مواقع التواصل الاجتماعي. سُمع في هذا المقطع صوت أحد الموظفين في مصرف يونيكريدت الإيطالي وهو يُبلغ أحد الزبائن، الذي كان يحاول سحب مبلغ كبير من المال لأنه يريد شراء سيارة، بأنه لن يستطيع ترتيب السحب لهذا المبلغ الكبير بهذه السرعة. وبالرغم من أن المصرف شكك في صحة هذا التسجيل، إلا أن انتشار هذا الخبر سبب موجة من عمليات سحب الأموال النقدية من المصرف، وترافق ذلك مع انتشار شائعات عن المصاعب التي تعانيها المصارف الإيطالية.

شعرت إيريكما بموجة من الحيوية والنشوة، فقد كان هذا التسجيل المفبرك من صنعهم. أرادت أن تتصل بمارتن على الفور، لكنها قررت في النهاية عدم إزعاج عشيقها.

وصلت إيريكما إلى مقصدها في نيو كولن بعد أن بدلت عدة قطارات. مشت مسافة بلوكاتٍ قليلة في شارع تحيط به أشجار الزيزفون، وما لبثت أن دخلت إلى طريق فرعي. وأخيراً، وصلت إلى مبنى ضخم كان ذات يوم مستشفى للأطفال. كان ثمة نوافذ كثيرة مكسرة الزجاج، وهو الأمر الذي جعل المكان يبدو وكأنه منزل أشباح وسط الضوء الخافت المنبعث من ذلك الطريق الضيق.

فُتح باب يؤدي إلى قاعة مهجورة نفوح منها رائحة التبغ التي عقلت في الهواء. دخلت إيريكّا إلى ممرّ كان في الماضي جناح الولادات في المستشفى، وما لبثت أن سمعت ضجيج أحاديث وأصوات منبعثة من قيثارة وطبل.

دخلت إيريكّا الغرفة التي كانت في الماضي غرفة ولادة، فرأت أربعة رجال تلقّهم سحابة كثيفة من دخان السجائر. كانت الغرفة مبلّطة من الأرض حتى السقف، وكانت تبعث على الكآبة، إلا أنّها كانت بالاتساع المطلوب، ومزوّدة بالتمديدات الكهربائية المناسبة. رأت إيريكّا طاولة كبيرة في وسط الغرفة وإلى جانبها أريكتان قديمتان. جلس على واحدة منهما آرنو، وهو رجلٌ ضخم الجثّة وأصلع الرأس، تراقصت أصابعه السمينة بخفّة الريش فوق لوحة المفاتيح لحاسوب محمول، وجلس كارل الملّتحى على الأريكة الأخرى، وما لبث أن وضع كتابه جانباً، ثمّ نظر إلى إيريكّا متأمّلاً بينما كان يدخّن سيجارة.

قال فلوريان الذي كان يقف مستنداً إلى الطاولة: "بإمكانك إنجاز ذلك يا جميلتي"

بدا واثقاً من نفسه، لكنه لم يتمكّن من إخفاء التوتر الذي يسيطر عليه. وعكست وجوه الآخرين التوتر ذاته.

سأل فلوريان: "هل كل شيء على ما يرام؟"
جلست إيريكّا في مكانها إلى الطاولة، ولاحظت قدراً من الشك في عيني فلوريان.

ردّت إيريكّا بأكبر قدر ممكن من الإقناع: "بالطبع. ما هي خطتك؟"
أشار فلوريان إلى نقطة حمراء على الخريطة التي بُسطت فوق الطاولة: "سوف ننطلق من هذه النقطة. انطلق يا سباستيان"

أصلح الرجل الذي تغطي عينيه نظارة، والذي كان يجلس قرب فلوريان، جلسته، ثمّ نهض من مكانه. كان يرتدي قميصاً أسود اللون ذا كمين قصيرين، ومعطفاً رياضياً بلونٍ شاحب، ويلف شالاً حول رقبته، لكن مظهره الأكاديمي النحيل كان خادعاً تماماً، لأن إيريكّا سبق أن رأت سباستيان وهو يرمي قنابل مولوتوف على عناصر الشرطة، كما رآته عندما كان يقاوم هراوات مكافحة الشغب في بلوكوبي

فرانكفورت، حين كان يقف مع رفاقه عند تقاطع الطرقات ذاته، لمنع موظفي المصرف المركزي الأوروبي من الدخول إلى مكاتبهم.

قال سباستيان: "تستغرق الرحلة في هذا الوقت من اليوم قرابة ثلاث دقائق وثلاث وعشرين ثانية. لكن توجد إشاراتنا سير على الطريق، وهذا قد يحدث فارقاً كبيراً في التوقيت"

نظرت إيريكّا بتركيزٍ إلى الخريطة التي اشتملت على رسمٍ مكبّرٍ للحيّ الأوروبي European Quarter والذي يحيط بمستديرة شومان في بروكسل. تستضيف هذه المنطقة مقر المفوضية الأوروبية، بالإضافة إلى كونها مركز المجلس الوزاري للاتحاد الأوروبي.

حين حدّقت إيريكّا مجدداً إلى فلوريان رأته يحمل مسدساً. أجمعت إيريكّا، لكنها حاولت إخفاء ردّ فعلها. نظر سباستيان بابتسامة ساخرة وتركيّزٍ إلى إيريكّا من خلال نظارته ذات الإطار الأسود. سألتها فلوريان مجدداً وهو يتأمّلها بعناية: "هل سبق لك أن أطلقت الرصاص من مسدس؟"

"كلا. لكنني أشك بأنها عملية معقّدة مثل علم الصواريخ"

تحولّ التوتر في وجه فلوريان إلى ابتسامة رضا. "لن تحتاجي إلى استخدام هذا المسدس، على الأقلّ أنا لا أعتقد ذلك، لكن يتعيّن عليك قضاء بعض الوقت مع كارل في قاعة الرماية. يتعيّن علينا التأكّد من مهارتك في الرماية"

لكن إيريكّا أحسّت بانزعاج بينما كان فلوريان يناولها المسدس. نظر كارل إليها بعينين تخلوان من أيّ تعبير، وما لبث أن أوماً قليلاً. أشاحت إيريكّا بوجهها بعيداً، لكنها لاحظت وجود وشمٍ لرمزٍ غريبٍ على ذراع كارل البيضاء.

سأل فلوريان إيريكّا: "هل تأكّد برنامج سفر رينختر أم لا؟"

"تقبط طائرة مارتن في روما عند الساعة الخامسة والنصف"

أحسّت إيريكّا بتزايد تأنيب ضميرها مع كل يوم يقرّبها من ساعة الصفر. لم يعرف عشيقها حقيقة فلوريان، وهكذا اعتقد مارتن أنه مجرد قرصان معلوماتية يتميّز بالذكاء.

لكن حين تظهر الحقيقة يوم الثلاثاء في أنحاء أوروبا سيفهم مارتن أن جماعة فلوريان تعمل للأهداف ذاتها التي يعمل لأجلها. وبالرغم من أن مارتن لن يوافق على الوسائل التي تستخدمها الجماعة، إلا أن هذا الهجوم سيساعده.

[@ktabpdf](#) تيليجرام

ركض مارتن ريجنتر نحو أعلى الطريق المنحدر المحاط باخجار، شعر بالرضا من أداء جسمه وهو في الثالثة والخمسين من عمره، كما فكّر بصديقته الشابة. لم يتمكن مارتن، حتى مع لحظة اقتراب الحقيقة، من إبعاد أفكاره عن إيريكّا. توقف مارتن قليلاً للاستراحة وإلقاء نظرة شاملة. تمكن من رؤية نهر الراين وسط أشجار الزان والسنديان، ولاحظ الصخور شبه العمودية التي تحيط به من الجهة الأخرى. كانت هذه المنطقة المليئة ببساتين العنب، وإقلاع، والقري التي تعود إلى العصور الوسطى، مصدر إلهام لسيمفونيات مندلسون، وأشعار هاينه.

كان العرق الذي يتصبّب من غدده كافياً لطرد القلق المتجمّع نتيجة أسابيع من التخطيط والانتظار التي عانى منها جسده المنهك. لكنه لم يعد مضطراً للانتظار بعد الآن، لأن الجنود أصبحوا في حالة جهوزية استعداداً لخوض المعركة، والحرب الخاطفة اقتربت من قدس أقداس العدو. تأهّب مارتن للتحرك، بعد أن رأى شخصاً يسير نزولاً عنى ذلك الطريق. لكن يجب ألا يراه أي شخص هنا.

تابع مارتن التحرك صعوداً، وما لبثت نبضات قلبه أن تسارعت إلى أن وصل إلى بوابة ثقفل الطريق. فتح القفل الكهربائي بعد أن ضغط بإبهامه على طبق معدني ملحق بجهاز التعرف على بصمات الأصابع. بعد ذلك نظر حوله للتأكد من أن أحداً لم يره وهو يمر عبر المدخل.

تتابع الطريق صعوداً عبر حديقة يبدو أنها متروكة، لكنها تلقى عناية في الواقع، وهي تنتهي في باحة قلعة كاملة البناء بأبراجها وفتحات جدرانها. شيد

كونت كاترينيلن بوجين ذات يوم هذا البناء ليكون قلعةً للصيد. لكن أحد أكبر منتجي الألومنيوم في أوروبا حول هذه القلعة منزلاً لقضاء الإجازات. شقّ مارتن طريقه بين سيارتي فيراري وبنتلي مركوتين في الحديقة الأمامية. كان مارتن مولعاً بالسيارات على الدوام، لكن أستاذ علمه لمانية في برلين لا يستطيع أن يحلم إلا بالسيارات الفخمة.

انفتح الباب الشرقي بواسطة القارئ لبصمات الأصابع ذاته ثمذي يتحكّم بالبوابة المعدنية. يبدو أن إيغور بوكوف يهتم كثيراً بالناحية الأمنية ويكلّ جدية. دخل مارتن من خلال الباب الخشبي الضخم، فوصل إلى ممر صغير، وعبر القاعة التي كانت مخصّصة سابقاً للتدخين وهي التي تؤدي إلى قاعة الرئيسة. سأل إيغور الذي تقدّم نحوه حاملاً بيده موزة: "كيف كان الأمر؟ تبدو منهكاً يا رجل"

"لقد مشيتُ كل الطريق"

"يجب أن أتمرّن بدوري. أريد أن أبدأ في وقتٍ قريب. يمكنك أن تجد ما تبقى من طعام الفطور في الخزانة الزجاجية، هذا إذا لم يكن بافل قد أجهز عليه"

"أشكرك. أفضل أن أستحم قبل أي شيء"

أسرع مارتن ليستعرض الواجهة الزجاجية العالية بين شحرتي بلح عاليتين، ونباتات خضّر مورقة ورائحة الأشكال. ظهر من خلال الواجهات الزجاجية الصغيرة التي تتخلّل الصورة، والتي هي بارتفاع ثلاثة طوابق - والتي تلتقي في أعلاها بشكل يشبه تلك الموجودة في الكاتدرائيات - وفي الأسفل، منظر وادي نهر مهيّب يأخذ بالألباب. تلاعبت أشعة الشمس على الزجاج الملوّن والمصفّح وعبرت من خلال النوافذ العلوية.

اهتمك بافل آنوسوف، وهو رجلٌ في العقد السادس من عمره ويميل وجهه إلى الاحمرار، بملء طبقه من واجهة الأطعمة. قال بافل حين رأى مارتن: "لا أفهم لماذا تعذب نفسك هكذا"

يعرف الرجلان أحدهما الآخر منذ أواسط ثمانينيات القرن الماضي. كان مارتن في ذلك الوقت منهمكاً بتحضير أطروحته في جامعة بون، ثم حصل على

أول وظيفة له في وزارة المالية الاتحادية. كانت بون عاصمة ألمانيا الاتحادية، لكن إدارتها كانت تحت أنظار جهاز استخبارات الاتحاد السوفياتي. شغلت والدة مارتن وظيفة سكرتيرة في مكتب المستشارية، لكن جهاز الاستخبارات الروسية الكي جي بي ما لبث أن جندها في ربيع العام 1976.

بعد انهيار ألمانيا الشرقية في عام 1989، انكشف معظم عملاء ستايسي (الشرطة السرية في ألمانيا الشرقية) بينما بقي عملاء الاستخبارات الروسية الكي جي بي يسرحون سراً، وكانت والدة مارتن من بينهم. انتقلت والدة مارتن إلى برلين للعمل في مكتب المستشارية الجديدة، وما لبث مارتن أن تبعها بعد سنواتٍ قليلة. تمكّن مارتن من الحصول على بعض التعويضات من الاستخبارات السرية الروسية FSB مقابل خدماته الاستخباراتية، لكن مساعيه للحصول على مبالغ أكبر باءت بالفشل.

تابع مارتن سيره برشاقة نحو القاعة الرئيسة، وما لبث أن صعد الدرج العريض متجهاً نحو الطابق الثاني حيث تقع غرفته. فتح الستائر التي تغطي النوافذ العالية، فغمرت أشعة الشمس الغرفة.

أدى صوت الرسالة النصية الآتية إلى إعادة مارتن إلى عالم الواقع:
"كيف كان الصباح التالي في نادي الرجل العجوز؟ هل استيقظت متأخراً؟"
"XOXO!"

شعر مارتن بموجةٍ دافئة تغمر كيانه، وأسرع لتجهيز ردٍّ سريع، لكنه لم يتمكن من الردِّ بمرحٍ كما أراد، كما أنه لم يتعلّم استخدام الرسومات التي تعبّر عن المشاعر، وحتى إنه شعر بغرابة استخدام علامة التعجب.

لكن إيريكاً تقبّلت الأمر ما دام لا يعني ذلك الركود. اعتقدت بأنه لن تكون هناك أي مخاطرة بعد هذه العملية.

قال بافل: "اتصلتُ لتويّ بزميلٍ قديمٍ لي في ميلانو، وقال لي إنه برزت تقلياتٌ متزايدةٌ في سوق الأسهم المصرفية في إيطاليا" كان هذا المصرفي الذي تعود ارتداء البذلات التي يوصي بتفصيلها خصيصاً له، من ماركة سافيل رو، يرتدي بنطالاً من المخمل، وقميصاً فضفاضاً مطويّ الكمين. وكان الرجل أكبر

مساهم في مصرف أوميغا، وهو مصرفٌ يحتفظ بصلاتٍ قوية مع الكرملين. وكان مارتن يقدرُ بافل كثيراً، وعلى الأخص لأنه تمكن من كسب ثرواتٍ كبيرةٍ مستعيناً بذكائه، بدلاً من بيع العقارات والثروات الطبيعية في بلده الأم.

أجاب مارتن: "ممتاز" ساهمت هذه المعلومة في زيادة مستوى الطاقة عنده بعد الجهد الذي بذله نتيجة سيره السريع.

أمسك كوب الشاي بيده، وتبع بافل الذي كان متوجّهاً نحو قاعة الرماية في البرج. تبلغ سماكة جدران هذه القاعة الحجرية، الصلبة وانقنطرة، نحو نصف متر، بنوافذها المسدّسة الشكل والمزوّدة بشبكات حديدية. وتبدو فتوحاً مثل فتحاتٍ لرمي السهام. كان هناك قرون غزلان حُمرٌ معلّقة على الجدران. كما أن غريراً محشواً زين زاويةً أخرى، كذلك ظهر جلد دبٍ رماديٍّ فوق مدغاةٍ حجريةٍ كبيرة. كان إيغور يجب أن يطلق على جلد الدب هذا اسم جلد دب زوسي، علماً أن المدفأة كانت موجودة عند شراء الملكية.

قال بافل: "هل نبدأ الآن؟"

يحتفظ بافل، بالإضافة إلى علاقاته مع الكرملين، بعلاقاتٍ متينةٍ مع الجهة التي وظفته سابقاً، أي جهاز الاستخبارات الروسية KGB، وكنتت مع الجهاز الذي خلفه أي FSB الذي عمل معه بصفة محلّلٍ استراتيجيٍّ مع بعض الزملاء السابقين، والتمثل بتسليمه معلومات إلى موسكو بالإضافة إلى رأيه فيها خلال أزمة الديون السابقة التي تعرّضت لها منطقة اليورو، أي عندما تعرّضت وحدة أوروبا لتهديدٍ كبير. أدت أزمة أوكرانيا إلى تقريب دول أوروبا بعضها من بعض، بالرغم من العواقب الاقتصادية السلبية التي تركتها العقوبات على نمو أوروبا. بعد ذلك بدأت موسكو بالتفكير في دعم الأصوات المشكّكة بالوحدة الأوروبية والمعارضة لها.

كانت عملية طروادة من بنات أفكار مارتن، وهو الذي تابع عن كثب أفكار مجموعةٍ من أساتذة الجامعات الألمان، والذين ينظرون بعين الشكِّ إلى فكرة العملة الموحّدة. أدرك مارتن، مثل عددٍ كبيرٍ من الاقتصاديين الآخرين، مدى الهشاشة لسياسة الوحدة المالية التي يعتمدها الاتحاد الأوروبي.

تهدف عملية طروادة إلى إغراق اليورو بانتعاب، وهو الأمر الذي يُضعف سلامة الاتحاد الأوروبي. لقد تمكّن بافل، بمساعدة انكرملين، من تمويل هذا المشروع، وتضمّن ذلك المكافأة المخصصة لمارتن. لكن مارتن لن يتسلم مكافأته إلى حين إتمام العملية بنجاح، لأن حجم المكافأة يتعلّق بنتائج العملية.

كانت إحدى شاشات العرض الموصولة بجهاز فيديو مثبتةً قرب السقف المعقود تعرض بثًا حيًّا لمقابلة مع وزير المالية الإيطالي فابريزيو ساكوماني على القناة الأولى لمحطة راي. وقد أبدى ساكوماني صعوبة في المحافظة على هدوء أعصابه. تزايدت في هذه الأثناء الضغوط القوية على اليورو.

تطلّع مارتن نحو بافل الذي ابتسم ابتسامةً عريضة.

قال بافل: "أعتقد أنني لست الشخص الوحيد الذي لن يقلق عني المال بعد

الآن. أفترض أن صديقتك سوف تحصل على خاتم الخطوبة المرصع بالأمناس أطلق مارتن ضحكةً مصطنعة. قدّمت إيريكا مساعدةً في منتهى الأهمية في تخطيط وتنفيذ هذه العملية، لكنها لم تكن تعلم شيئاً عن تورّط الكرملين فيها، لأن مارتن اكتفى بالحديث عن "زملائه الأساتذة"، وهم الذين يريدون التحلّي عن اليورو لأنه "يهدّد سلامة الاتحاد الأوروبي بأكمله وكذلك مستقبله".

كان من المقرر أن يسافر مارتن إلى العاصمة الإيطالية هذا المساء لإطلاق المرحلة التالية من العملية، أي الحرب الكاملة. ستتعرف إيريكا في نهاية الأمر إلى الأمور التي بمقدورها إنجازها.

قاد دافيد سيارة اللاند روفر القديمة التي يمتلكها، والملوثة بالوحل، متجهاً نحو الموقف المخصص للسيارات المركونة لفترات قصيرة في مطار بروكسل. كانت الحركة ناشطة جداً في مساء يوم الجمعة. ارتعب دافيد لمجرد التفكير بأنه سوف يرى كاتي بعد قليل، لأنه لا يستطيع أن يقول لها أي شيء عما يجري.

استخدم دافيد المعلومات السرية التي كانت واردة في الوثائق التي أحضرها كاتي معها إلى المنزل، لكنها لم تعرف بالأمر، لذلك فإن أحداً لا يستطيع اتهامها بشيء. ولو أخبرها أنه استخدم المعلومات، لكان موقفها تغير كثيراً وعلى الفور. كان عليه ألا يفتح فمه بشيء على الرغم من صعوبة الأمر.

زادت عتمة السماء تحت غطاء من السحب الكثيفة، كما ترددت أصدااء المحركات النفاثة مع قصف الرعد الذي يبعث على الكآبة. أقفل دافيد سيارته التي قادها من شقته الفارغة في إيتربريك، بعد نزوله من قطار يوروستار. بدّل دافيد في الوقت ذاته بذلته وربطة عنقه، اللتين كان يشعر بنفور منهما، وارتدى بدلاً منهما قميصاً من الفانيلا وبنطالاً من المخمل. تعود دافيد على مدى ثلاث سنوات تقريباً التنقل جيئة وذهاباً بين لندن وبروكسل، وكان من بين الأسباب التي تجعله يتوق إلى حياة أكثر هدوءاً، وبحسب ما تقوله كاتي، أن إنجاب طفل يتطلب منه العيش في بروكسل.

توجه دافيد نحو مبنى الركاب. كان قميصه ملتصقاً بظهره، والدماء تتدفق سريعاً في جبهته. وكانت التحذيرات الفكرية مصدر جذب بالنسبة إليه منذ أن كان طفلاً، وها هو الآن يواجه أعظم تحدٍّ في حياته. لكن دافيد بدأ يمارس لعبة الشطرنج منذ أن كان في الرابعة من عمره، كما قرأ، عندما كان تلميذاً في

المدرسة، كل صفحات الكتب التي تحتوي على أَلغاز، والتي تمكّن من الحصول عليها.

تمتّى دافيد، فجأةً، لو أن باستطاعته العودة إلى أيام طفولته في يوركشاير دايلز، كما اشتاق إلى الوقت الذي كانت فيه أكبر مشكلة يواجهها في حياته، هي إطار دراجته الهوائية حين يكون بحاجةٍ إلى نفخ. كانت الرياضيات في أيام المدرسة مجرد لعبة بالنسبة إليه، لكن أحداً لم ينتبه إلى مهاراته الفريدة إلا حين وصل إلى المدرسة الثانوية. يعني ذلك أنه كان شديد الاهتمام بالأرقام بحد ذاتها، لكنّ إمكانية استخدام هذه الأرقام في الحياة كانت الأمر الذي جذبته أكثر من غيره.

يتذكّر دافيد بكل وضوح تلك اللحظة التي أمضاها في غرفته عندما كان في سنته الثانوية الثانية. كان مستلقياً في سريره وقرأ بتلهّف عن سوق المشتقات المالية، وعندها وصل إلى متاهةٍ مزودةٍ بمرايا متحركة. تؤدي أصغر التغييرات إلى التسبّب بتحوّلاتٍ ضخمة. يشبه الأمر قيام شخص ضعيف البنية بتحريك حجر يزن عشرة أطنان مستخدماً عتلة ذات ذراعٍ طويلة بما يكفي. يعني ذلك أن استثماراً صغيراً قد يتمكّن من تحويل مسارات مبالغ ضخمة، أي أن التحركات المناسبة هبوطاً قد تسبّب بتحركاتٍ حادّةٍ صعوداً. لم ينجذب دافيد نحو عالم المصارف من أجل المال، بل توجه نحوه من أجل الأرقام.

كانت قاعة الوصول مزدحمة جداً، وما لبث دافيد أن تفحص وجوه المسافرين. لكن فكرة رؤية كاتي جعلته يشعر بالتوتر. كانت كاتي على قدر كبير من الإدراك والتفهم، وهي التي كانت حياتها العائلية صعبة، وعاشت مع جدّتها منذ أن كانت في السادسة عشرة من عمرها. وهكذا كانت على علاقةٍ وثيقة جداً معهما.

ظهرت كاتي فجأةً بين الحشد، وكانت تجرّ خلفها حقيبة مدولبة كبيرة. بدأت دقات قلب دافيد بالتسارع بشدّة، لكنه أرغم نفسه على الابتسام.

قالت كاتي وهي تقبله: "يا للروعة. وصلت في الوقت المناسب. كيف حالك؟ ما هي تشكيلة البُصيلات التي جلبتها؟"

"آه لا. أدركتُ أخيراً أنّ من الأسهل لنا أن نشتريها من هنا"

تطلعت كاتي نحو دافيد الذي سار أمامها كي يتجنب نظراتها. مرّ الزوجان عبر الأبواب الانزلاقية، وتوجّهوا نحو سيارتهما. فتح دافيد الباب الخلفي، ورفع حقيبة كاتي إلى داخل السيارة، بينما سُمع صوت الرعد من البعيد.

سألت كاتي: "أين هي الأغراض التي تسوّقتها"

صرّ دافيد على أسنانه: "نسيتُ مسألة الذهاب إلى المتجر"

تنهّد بقوة بينما كان يأخذ مكانه خلف عجلة القيادة.

جلست كاتي إلى جواره وقالت: "أعطاني فييكو بعض فطائر لحم السّي كانت في غرفة سالمي. تكفيننا هذه الفطائر حتى الصباح، كما أن حقيبتني مليئة بلحم الرّنة المدخّن، ومرّبي توت العليق..."

شغلّ دافيد محرّك السيارة، وما لبثت أولى قطرات المطر أن سقطت على

الزجاج الأمامي.

سألت كاتي: "ماذا حدث؟"

"أمور العمل صعبة هذه الأيام"

"هل فاتتك صفقة تجارية ضخمة؟"

"يمكنك أن تقولي ذلك؟"

أسرع دافيد بالسيارة على المنحدر متوجّهاً نحو المستديرة.

قالت كاتي: "رأيتُ والدي في المستشفى"

"حقاً؟ ماذا قال آرتو؟"

"قلتُ لك إنني رأيتهُ. لم أقل إنني تحدثت إليه"

حافظ دافيد على صمته، وهو الذي أدرك بعد ست سنوات من العيش معاً

أن زوجته إذا أرادت أن تتكلم عن أي أمر فهي ستفعل ذلك.

"يحاول فييكو إصلاح الأمور بيننا"

"أليس ذلك مفهوماً؟"

سألت كاتي: "هل بحثتَ عن حالة الطقس المتوقع مساء الغد؟"

"أمل أن يتوقّف المطر. لا أعتقد أن أحداً يرغب في الوقوف تحت خيمة وهو

يرتجف من البرد، ولوقتٍ طويل"

فكر دافيد، يا حفلة تدشين البيت الجديد اللعينة. إن إقامة هذه الحفلة تبدو غريبةً مثل ترتيب المرء جنازته.

لكن أفكاره كانت مركزةً بشدة على احتفالات الليلة التالية. فكر بضيف معين. أقدم هذا الرجل، عن قصد أو غير قصد، على تدمير حياة دافيد. لم يكن هذا الشخص غير رئيس كاتي، حوليو باريتو.

لاحظت كاتي أمراً مريباً في تصرفات باريتو. راقبته عن كثب لمدة من الزمن، فاكتشفت أنه نسخ معلومات سرية عن تقلبات أسواق مسموحات الانبعاثات الناتجة عن استهلاك الطاقة، وذلك في مناسبتين على الأقل. أما في المرة الثالثة فقد عمدت كاتي إلى أخذ نسخة لنفسها عن المعلومات ذاتها.

سمح دافيد لنفسه بتفحص تلك الوثائق التي كانت داخل حقيبتها. كانت المعلومات السرية تتسرب على الدوام من داخل أجهزة الاتحاد الأوروبي، وكان من الصعب إثبات القيام بهذا العمل على أي شخص. يُضاف إلى ذلك أن دافيد ركز كثيراً على قضية انكشفت في العام 2003، وهي التي دارت حول قيام أحد مسؤولي الاتحاد الأوروبي بتسريب أرقام المساعدات الزراعية الأسبوعية إلى أسياده، وذلك قبل إذاعتها علناً. كان هذا التسريب الذي سبق الإعلان الرسمي بساعتين يعني أرباحاً كبيرة للمتداولين المخادعين.

سأل دافيد: "ما رأيك؟ هل سيحضر باريتو الحفلة؟"

"أعتقد ذلك. لكن لماذا تسأل؟"

قال دافيد بعد أن شعر بضيق شديد: "كنت أتساءل ما إذا كان يجدر بك مراقبة نشاطاته عن كثب". كان الأجدد به ألا يُقحم كاتي بمتاعب أكبر مما هي فيه، لكن باريتو كان واحداً من أكثر الناس الذين يعول عليهم لإنقاذه من المأزق الذي هو فيه.

"ماذا يمكنني أن أفعل؟ هل أبلغ عنه المسؤولين الأعلى منه؟ شكراً لك. لا

أريد السعي وراء المتاعب"

"يمكنني تفتيش منزله أثناء حضوره الحفلة"

قالت كاتي من دون حماسة: "أوه. إنها فكرة رائعة. هل سيأتي هنري"

"اعتقد ذلك"

"يعني ذلك أنه يتوجب علينا إحضار مزيدٍ من الشراب بحيث يستطيع الجميع تناول بعضه"

انحرف دافيد من الطريق إلى شمال شرق تيرفورين، ودخل طريقاً فرعياً تحيط به التلال المستديرة الشكل. بعد أن ظهرت تلة قليلة الانحدار، ظهرت مجموعة من الحقول التي برزت في وسطها غابة من الأشجار الخضراء. وصلت السيارة إلى بوابة وسط جدارٍ حجري قديم، وما لبثا أن قادا السيارة وسط باحةٍ خضراء مليئة بأشجار الدلب واليزفون. أدى كاشف حركة إلى إضاءة مصابيح الحديقة القائمة فوق أعمدة من الحديد المزخرف، وألوان هذه المصابيح الدافئة تذكّر المرء بالمصابيح القديمة. هبت نسيمات دفعت قطرات المطر المتساقطة وبعثرتها.

نقل دافيد حقائبهما إلى المنزل الريفي الذي يعود بناؤه إلى أواخر القرن الثامن عشر. شيّد القسم السفلي من هذا المنزل بالأحجار الصخرية التي ظهرت من بينها بعض النباتات المعرّشة. وأحاطت أحجار قرميديّة بنوافذ هذا المنزل المزينة بأطرٍ خشبيةٍ متقاطعة، كما أن ألواح خشبٍ داكنة تزين الجدران المطلية باللون الأبيض في الطابق العلوي. يُضاف إلى كل ذلك الفتحات الموجودة في السقف المتعدّد الأسطح، والتي تتيح للضوء الدخول من الأعلى. كان هناك قسم صغير من الحديقة المحيطة بالمنزل مخصّصاً لزراعة الخُضر، وظهر بالقرب منه بناء خارجي قديم ومهمّل.

دخل دافيد غرفة المعيشة ذات السقف العالي التي تبعث على الشعور بالاطمئنان والارتياح بعوارضها الخشبية الداكنة اللون، والمدفأة القديمة والمزخرفة. وما لبث أن توقّف وحدّق إلى الحديقة وإلى الحقول التي تظهر وراءها. زادت السماء الداكنة تجهماً، وسيطر الرعب عليه مجدّداً.

قفز دافيد فجأة من مكانه، وكانت كاتي تسير أمامه. "هناك شيء خطير. يمكنني أن أرى ذلك في عينيك"

أخذ دافيد نفساً عميقاً وقال: "رتبت استثماراً ضخماً، ولهذا يتعيّن عليّ العمل طيلة الإجازة الأسبوعية كي أصلح الأمر

"ماذا تعني؟ هل..."

"لا يمكنني أن أضيف شيئاً الآن بسبب هوية الزبون. انتهى الأمر. أين تريدني وضع هذه القناديل المزخرفة؟"

"إنها تمطر في الخارج..."

سمع الزوجان طرقات قويةً على الباب. سيطر الرعب على وجه كاتي، وسألت: "من عساه يكون؟"

تردّدت أصداء سؤال كاتي الهامس في الصمت المخيم على المكان، وترافق ذلك مع صوت المطر المنهمر في الخارج.

توقّف دافيد في المر حيث انتزعت بعض حجارة الجدران القديمة. فتح الباب، وما لبث أن رأى شكلاً شخصي ضخمٍ وداكن اللون واقفاً في الخارج. كشف لون بشرة الرجل عن جذوره الأفريقية الراسخة بكل وضوح، وكانت قطرات المطر تتساقط من حول رأسه الأضلع وتتعرج بحسب قسّمات وجهه، كما أن قميصه القصير الكميّن الذي كان يرتديه كشف عن عضلات ذراعيه. كان وجه الرجل يشعّ بعلامات التهديد.

تنهّد دافيد ارتياحاً، وقال: "راي" كانت صديقة كاتي، آينو، هي التي نصحتهما بالاستعانة به لطلاء المنزل. برهن راي أنه شخص يُتقن عدة مهن، كما يصلح لحلّ كل مشاكل المنازل المعقّدة.

"ما وراءك الآن؟"

"أتيت بسبب العاصفة، ولأن خيمة الحديقة أعجز من أن تصمد أمام الرياح القوية. يُحتمل أن نضطر إلى انتزاعها ونصبها من جديد غداً"

سار دافيد نحو نافذة المطبخ، وهو الذي كان مشغولاً بمشكلاته الأخرى التي أنسته هذه المشكلة. كانت الرياح تعصف بقوة على هيكل الخيمة وغطائها، وهي التي أعدت استعداداً للحفلة.

اختفى راي من أمام الباب دون أن ينطق بكلمة. جاء الرجل، مثل عددٍ كبير من الذين يقومون بالأعمال الصعبة، من الكونغو، وهي البلاد التي كانت مستعمرةً بلجيكيةً في السابق. يُعتبر راي رجلاً موثوقاً به بالرغم من ملامح وجهه القاسية

وقلة كلامه، وهو رجل يُعتمد عليه. كانت آينو تقدّر في راي الدقة والموثوقية في كل ما يقوم به من أعمال، وهي تعرف أن الآخرين سوف يقدرّونه لأجل ذلك. كان باستطاعة راي أن يقوم بالأعمال الكهربائية بطريقة مهنية، وهكذا تمكّن دافيد من الاعتماد على راي كلياً، وهو الذي بدا أنه قادرٌ على حلّ أي مشكلةٍ عملية.

خرج دافيد لينضم إلى راي في الحديقة.

سأل دافيد: "ألديك خيرة بأجهزة الإنذار؟"

"أمتلكُ بعض الخيرة، لكن أي نوعٍ من الأجهزة تقصد؟"

قال دافيد بعد أن تمكّن من التخفيف من حدّة التوتّر الذي يشعر به: "لا

أقصد هذا، لأنه معقّد قليلاً، لكنني آمل ألاّ تسيء فهمي

وضعت امرأة تبلغ الستين من عمرها، وذات شعرٍ أحمر اللون، مبضعاً جراحياً، وقفازين مطاطيين، وأنبوبة من هالوثاين، ومحقنة بسعة خمسة ميليلترات، في كيسٍ بلاستيكيٍّ صغير.

أدخلت ماجدا نويسكي ثكيس بعد ذلك في حقيبة كبيرة مصنوعة من القماش بلونٍ أسود، كانت تحتوي على زوج من القفازات المطاطية الصُفر وأدوات تنظيف، ومعطفٍ يُستخدم في أعمال التنظيف. كان من بين هذه الأشياء بندقيّة ملفوفة تُستخدم في التخدير، ويمكنها أن تطلق إبرةً مليئةً بمادة البروبوفول سريعة المفعول نحو هدف، وبدقةٍ ممتازةٍ نسبياً.

انتعلت ماجدا حذاءً جلدياً قديماً، وتعوّدت الاعتناء به جيداً، وسبق لإسكافي أن أصلحه مراتٍ عدة. كانت ماجدا تحلم، عندما كانت شابة، بممارسة مهنة التمثيل، وهي ما زالت تستمتع القيام بهذا الدور.

تناولت ماجدا الحقيبة وغادرت غرفة الفندق غير المرتبة التي كانت تقيم فيها، ثم نزلت الدرج إلى أن وصلت إلى ردهةٍ عابقةٍ بدخان السجائر العالق منذ فترةٍ طويلة. أعطت ماجدا المفتاح إلى رجلٍ يرتدي كترّة صوفيةً ويقف وراء طاولة الاستقبال فأوما لها كالعادة. اختارت ماجدا فندق باري الذي يقع في وسط بروكسل. لم يكن هذا الفندق أفخم الفنادق الموجودة في المدينة، لكنه كان يفي تماماً بمتطلباتها في هذا الوقت. كانت ماجدا ترمع العودة بعد وقتٍ قصيرٍ إلى منزلها في سويسرا، حيث شققتها الفسيحة التي تسمح واجهاتها الواسعة بالتمتع بمنظر بحيرة لوغانو والتلال المحيطة بها.

وصلت ماجدا إلى الشارع فتوجّهت مباشرةً إلى محطة مترو أنيسينز، وهي المحطة التي تستطيع منها الوصول إلى ستوكيل.

فوجئت ماجدا عندما سمعت من رؤسائها أنها فنلندية، لكنها اكتفت بالقيام بمهمتها، كما أن ما قامت به آينو جاكولا من أعمالٍ شريرة لم يكن من شأنها.

أفرغت آينو قشر الأفوكادو في الوعاء المخصص للنفايات الخيوية، والذي كاد أن يمتلئ. كانت مسؤولةً شخصياً عن تجميع نفايات المبنى الصاخبة لوضعها في وعاء السماد الطبيعي الذي بدأ باستخدامه عددٌ متزايدٌ من السكان، وما لبثت أن مسحت بعد ذلك طاولة المطبخ التي جاءت بها من مركز إعادة التدوير في ستوكيل، ثم طلتها باللون الأصفر الذي يوحي بالفرح. تطلعت بعد ذلك إلى ساعتها، ثم أسرعرت إلى غرفة الضيوف التي تستخدمها مكتباً لها. جلست آينو إلى حاسوبها من نوع iMac، وتابعت الطباعة عنى الملف الذي سيغيّر حياتها، وكلّ شيء تؤمن به.

شعرت آينو بكرامية كبيرة لكل سطر تكتبه، لكن لم يكن محمّودها أن تفعل أي شيء غير الكتابة. كان لا بدّ للحقيقة أن تظهر حتى لو كانت ستحلب لها الاحتقار بسببها. كانت تعرف أن كل الوسائل سوف تُستخدمه لتكذيب كل ما ستقوله. تعرف أنهم سيقولون عنها خائنة، وسيلفقون الأكاذيب عنها، وحتى أنهم سيحاولون حرقها، لكن لم يكن أمامها أي خيار غير إنهاء ما بدأت.

التزمت آينو بحاربة الاحتباس الحراري منذ أن تخرجت بمادة علوم الحياة في جامعة هلسينكي، كما عملت في مركز للأبحاث والاختراعات في المفوضية الأوروبية في قسم الأبحاث البيئية، وهو العمل الذي كان بمنزلة تحقيق حلمها. لكن آينو المتخصصة في علوم الحياة كانت تعرف أن التداخل بين المؤسسات أمرٌ مضرٌ بالتطور، ولهذا جفلت غريزياً عندما علمت بالارتباطات المالية ما بين الاتحاد الأوروبي والمنظمات الدولية. لكن بدا أن هذا التداخل كان مركزاً على الأخص في المجالات المعنية بحماية البيئة وتغيّرات المناخ.

دفع الاتحاد الأوروبي حوالى نصف ميزانية أصدقاء الأرض الأوروبيين بالكامل. يُضاف إلى ذلك أن الاتحاد الأوروبي يعطي الاتحاد العالمي للحياة البرية

حوالي عشرة ملايين يورو كل سنة، كما أن هذا الاتحاد يمتلك مكتباً متخصصاً بمساعدة الجمعيات في الحصول على دعم من الاتحاد الأوروبي. لكن نادي 1001، وهو صندوقٌ محاطٌ بالسرية، ويعمل ضمن إطار الاتحاد العالمي للحياة البرية، أثار انتباه آينو. إلا أن إلقاء نظرة على قائمة الأعضاء المنتسبين إلى ذلك الصندوق أثار بعض التساؤلات المزعجة لدى داعمي الاتحاد الدولي للحياة البرية العاديين. قدّمت منظمة الاتحاد الأوروبي بالإجمال ما يقرب من مليوني يورو لدراسة التغيرات المناخية التي يتسبّب بها البشر.

فهمت آينو المنظور الإيديولوجي للمنظمات، لكن ماذا يدفع الاتحاد الأوروبي كي ينشط في هذا المجال؟
كلّما تحرّرت آينو عن هذا الموضوع أكثر، عثرت على أسئلة أكثر جديّة، وأكثر خطورة بكثير.

مكتبة الرمحي أحمد

أغلقت آينو الملف وأرسلته إلى حساب البريد الإلكتروني الذي فتحته تحت اسم مستعار لهذه الغاية بالتحديد، وذلك بهدف الاحتفاظ بنسخة احتياطية في مكانٍ آخر غير حاسوبها الخاص. عمدت كذلك، وبعد أن لاحظت أن شخصاً ما يلاحقها في المتنزّه قبل أسبوعٍ من الزمن، إلى إجراء أبحاثٍ عن حالات تتعلّق بموظفي الاتحاد الأوروبي الذين يُشتبه بتخطيطهم لتسريب معلوماتٍ محرّجة عن الهيئة التي يعملون فيها إلى وسائل الإعلام أو السلطات. صُدمت بما عثرت عليه، لكنها لم ترغب في التراجع.

تطلّعت آينو إلى ساعتها مرّةً أخرى، وأسرعت إلى الحمام. اقتربت من المرأة ووضعت مستحضر تجميل بلونٍ داكنٍ فوق أهدابها الشقراء. لم تكن بشرتها الصافية والناعمة بحاجة إلا لقدرٍ قليلٍ من المسحوق وأحمر الشفاه، وهي كلها مستحضرات تجميل طبيعية لم تخضع للاختبار على الحيوانات. بدأت كذلك أولى التعضّضات الخفيفة بالظهور حول زوايا عينيها أو حاجبيها، لذا، فإن كريمات الوجه أصبحت واجبة الاستعمال.

رنّ جرس الباب في القاعة في هذه اللحظة بالذات. لقد وصلت عاملة التنظيف في الوقت المناسب.

قالت عبر هاتف الاتصال الداخلي: "هذا أنا، ماجدا نويسكي

"تعالى. أنا فى الطابق العلوى"

ضغطت آينو على الزر، وأسرعت الخطى من القاعة إلى مطبخ الشقة الكبيرة التي تشتمل على غرفتي نوم، ثم سارعت في نقل الأطباق من حوض الجلي إلى غسالة الأطباق، وأغلقت المزلج في الوقت الذي رن فيه جرس الباب.

"Dobry wieczor! أنا سعيدة بلقائك"

وقفت امرأة في الستينات من عمرها بعينيها الضاحكتين وابتسامتها الخجولة.

صافحت المرأة البولندية يد آينو بجذر، ثم وضعت كيس القماش عنى الأرض.

"تفضلي بالدخول. اعذريني على هذه الفوضى. سأغادر حضور حفلة تدشين منزل أصدقاء لي، ولذلك لم يتوفر عندي وقت لترتيب المنزل"

ابتسمت ماجدا، وما لبثت أن علقت معطفها البني الغامق عنى حاملة الثياب التي قدمتها لها آينو. اصطحبت آينو المرأة في جولة سريعة داخل المنزل حيث توزعت الأقمشة الملونة والحلي التي جمعتها خلال أسفارها، وعلى الأخص في أميركا الجنوبية. لكن غرفة النوم كانت حافلة بالألوان، ويؤدي بها إلى شرفة تشتمل على مكانٍ مخصصٍ لزراعة الخضر، وعلى الأخص الخس، والفلفل الحار، وبعض الأعشاب الطبية، بالإضافة إلى تعريشة وأزهار زرق.

"تجدين المكنسة الكهربائية وأدوات التنظيف في خزانة الغرفة. أتمنى أن تكون مواد التنظيف جيدة لأنني أستخدم منتجاتٍ صديقة للبيئة"

قالت المرأة بعد أن بدأت بملء الدلو بمواد التنظيف وأدواته: "إنها مناسبة. لا

تقلقي

"أريد أن أقول لك شيئاً قبل أن أنسى. أريدك أن تعطيني بطاقة هويتك لكي أدون المعلومات التي تلزمي كي أرفع أجرتك، وكذلك رقم حسابك بطبيعة الحال" نظرت ماجدا مرتبكة إلى آينو: "لم أعلم أن العمل سيكون رسمياً إلى هذا الحد" شعرت آينو ببعض الحرج لأن من المحتمل ألا تكون المرأة مواطنة بولونية، وتقيم في بلجيكا بطريقة غير شرعية، ومن المحتمل أنها لا تمتلك حساباً مصرفياً مثل ما هي الحال مع عدد كبير من اللاجئين.

قالت آينو بأقصى درجة من اللطف: "قلت لك هذا بسبب الوظيفة التي أشغلها، والأهم من هذا بسبب مبادئي التي ألتزم بها، أي إنني لا أريد دعم الاقتصاد غير الشرعي. أعتقد أن هذا مهم جداً لحقوق العمال. أتمنى أن تفهمي ما أقوله"

ترددت ماجدا قليلاً، وما لبثت أن تناولت محفظتها التي تركتها في البهو، وأخرجت بطاقة هويتها منها.

بعد ذلك تابعت عملها، ثم توجهت آينو إلى مكتبها، ووضعت البطاقة على زجاج ناسختها المتعددة الاستخدامات واستخرجت نسخة عنها. بدت النسخة داكنة جداً حتى أنها بالكاد تمكنت من تمييز الأحرف. كانت الطابعة بحاجة إلى صيانة. عمدت بعد ذلك إلى أخذ صورة عنها بواسطة هاتفها من نوع أيفون.

أرجعت كاتي سيارتها الغولف ذات السقف المكشوف إلى موقفٍ خالٍ أمام المبنى الذي تسكن فيه آينو في شارع هينروت الذي يقع في منطقة ولوي سان ييار. بعد ذلك، ركضت فوق العشب قبل أن تصل إلى المبنى الذي يضم شققاً صغيرة، وقبل أن تضغط على زر الجرس لشقة آينو.

"هذا أنا. كم يلزمك من الوقت للنزول؟"

"دقيقة واحدة فقط. يمكنك أن تصعدي"

صعدت كاتي الدرج بسرعة إلى الطابق العلوي، ولاحظت عند دخولها امرأة ذات شعرٍ أحمر اللون في طرف غرفة المعيشة، وقد اهتمكت في تنظيف عتبات النوافذ المواجهة للشارع من الغبار. دندنت المرأة أغنيةً بلغةٍ سلافية، وكانت تدير ظهرها لكاتي، ولهذا لم تلاحظ وصولها. خرجت آينو في هذه اللحظة بالذات من غرفة النوم حاملة معها حقيبة كتفها الصغيرة.

وجهت كاتي دعوةً مجاملة إلى آينو: "نسيت أن أقول لك إن بإمكانك

المكوث عندنا"

"شكراً لك، ربما في مرةٍ أخرى. أنا مشغولة جداً في إجازة هذا الأسبوع"

سألت كاتي وهي تومئ باتجاه غرفة المعيشة: "هل وظفتِ خادمة؟"

"أجل، وهي بولندية اسمها ماجدا"
"لم أعتقد أبداً أنك ستوظفين خادمة في يوم من الأيام"
"سمعت أحد معارفي وهو يقول إنها بحاجة إلى عمل، وهكذا فكّرت في مساعدتها"

تابعت ماجدا عملها في تنظيف النوافذ من الغبار من دون أن تلتفت إلى المرأتين، برغم انتباهها لوجود كاتي.

"سأغادر الآن يا ماجدا. تأكّدي من فضلك من إقفال الباب عند مغادرتك المنزل. اتصل بي إذا أردتِ طرح أي سؤال. أراك مجدداً بعد أسبوعين
"حسناً، شكراً لك"

لم تلتفت المرأة حتى عندما تكلمت معهما، لكن كاتي نحت وجهها في المرأة المعلقة على الحائط. كان وجه امرأة ذكية تحافظ على تسريحة شعر أنيقة وذكية. فكّرت كاتي في هذه المرأة البولندية التي تبدو خجولة، والتي تعطي انطباعاً بأنها مثقفة، وتساءلت كيف انتهت عاملة تنظيف في منزل نتيجة حاجتها إلى المال.

أغلقت آينو الباب، وتوجّهت المرأتان إلى الشارع. لاحظت كاتي علامات الإرهاق على وجه آينو، وهي التي تأخذ عملها بكل جدية، والتي بحثت مؤخراً عن إمكانية تجنّب التغيير المناخي عن طريق الاستثمار في ضاقة لمرحاض.

قالت كاتي ما إن جلستا داخل السيارة: "كان الأحرى بك إحضار زوجك الغامض لنراه، أو كان بإمكانك إخباري شيئاً عنه"

أحكمت آينو ربط حزام الأمان من حولها: "لا يوجد أي شيء للإبلاغ عنه بعد الآن، وحسناً فعلتُ لأنني لم أتحدث كثيراً عن الموضوع. لم أحصل منه على أي شيء. انتهى الأمر

ذهلت كاتي من تعابير وجه آينو ونبرة صوتها، ثم شعّلت محرك السيارة، وأدارت عجلة القيادة الثقيلة.

"إنه أمرٌ في غاية السوء، أو لربما أمرٌ حسن على ما أعتقد. أعني أنك عانيت المشكلات الآتية في وقت مبكر جداً"

حاولت كاتي أن تقول شيئاً مشجعاً لكنها عجزت عن ذلك.

سألتها: "كيف تسير أمور العمل؟"

"سأتوجّه في الأسبوع التالي إلى إيطاليا لحضور مؤتمرٍ عن طاقة الرياح. إن لم أفعل ذلك ستكون الأمور مشوّشة"

لم تضغط كاتي على آينو لتفصح أكثر.

"كنت أتحرّى عن بعض الأمور المتعلقة بالتغيّر المناخي في دول الاتحاد الأوروبي، ومدى علاقة تلك الأمور بالطاقة المتجدّدة. أعتقد أنني أواجه بعض المشكلات الكبيرة، وهي كبيرة فعلاً. سأنشر نتائج أبحاثي في وقتٍ قريب"

"ما هو نوع المشكلات التي تتحدثين عنها؟"

قالت: "أريد القيام ببعض الأبحاث قبل أن أبدأ التحدّث عن التفاصيل. يتعيّن عليّ التأكّد من بعض الأمور وحذف أمورٍ أخرى. لا أريد أن أنشر أي شيء لا تثبت صحته، وأعتقد أنني سأقع على مواضيع مهمة"

شعرت كاتي بالضيق الذي تشعر به صديقتها.

قالت بحذر بعد أن انتقلت إلى خطّ سيرٍ آخر: "هل أنت متأكّدة أن ذلك..."

أمرٌ حكيم؟"

قالت آينو بعد تردّد: "لا يمكننا حجب الحقيقة، ليس بعد الآن. هناك ما هو أكثر من ذلك... ستؤدي بعض المشكلات إلى التأثير على وظائف أشخاصٍ معيّنين"

فوجئت كاتي، وتنهدت ثم قالت: "لا أعرف ماذا أقول..."

كانت كاتي تفضّل أن تتحدّث عن رئيسها الإيطالي. لكن كان عليها الالتزام

بالأقنية الرسمية إذا ما أرادت القيام بعملٍ كهذا.

قالت آينو: "إنني أقرب غداً من شيء يشبه واترلو، لكنني لا أريد قيادة

السيارة نحو المستديرة. تورد الخريطة إمكانية الذهاب إلى هناك باستخدام طرقاتٍ

أصغر إلى الجنوب من فوريه. هل ذهبت كثيراً إلى هناك؟"

وقف دافيد وقد غمره التوتُّر وسط كل الضجيج الناتج عن الأحاديث المتبادلة في غرفة المعيشة في منزله، وراح يتفرَّج على منظر احديقة من خلال النوافذ والباب المفتوح.

كانت الغيوم العالية لا تزال تغطي صفحة السماء، لكنها لم تنزل المطر حتى الآن. ظهرت في الحديقة مائدة طعام أقيمت بين أشجار الدلب وانتوت، وامتلات بالأصناف الفنلندية المميزة، والتي كان أبرزها اللحم المشوي عسى أسياخٍ رفيعة. حاول دافيد جاهداً إخفاء التوتُّر الشديد الذي سيطر عليه أثناء مشاهدته حوالي عشرين مدعواً متحلِّقين في مجموعات صغيرة في الباحة. كان ينتظر الضيف الوحيد الذي يهتم لرؤيته. نظر إلى ساعته، لكنه ندم على الفور خركته هذه. ظلَّ يكرّر بينه وبين نفسه: تصرّف بشكلٍ طبيعي.

رأى أربعة رجال متحلِّقين حول آينو. لكن الأمر لا يدعو إلى الدهشة. تتمتع آينو بنوع من السحر الطبيعي الذي يبدو أنها لا تتبه له تماماً. يبدو كذلك أن الأصالة عامل جذب عند النساء. كان دافيد على استعدادٍ للمنافسة على جذب انتباه آينو بدوره لو لم يكن متزوَّجاً.

أخذ دافيد جرعة من شرابه غير الكحولي الذي سكبه لنفسه سراً. تحسّس قميصه الذي يكاد يلتصق بظهره الذي تصبّب منه العرق، لكنه صدف أن لمح زوجته بين الحضور وقد ارتسمت علامات السعادة والسرور عليها، وهو الأمر الذي دفعه إلى الشعور بوخزة من الذنب في قلبه تجاهها. لكن كاتي لم تمتلك أي فكرة عن هذه الأزمة العميقة التي وقع فيها.

لاحظ دافيد شخصاً إضافياً يدخل من الباب الأمامي الذي كان مفتوحاً. لكن ذلك الشخص لم يكن باريثو، بل كان رجلاً منتصب القامة في الستينات من عمره، ويضع ربطة عنق بأنشوطتين. كانت ملامح الرجل البرونزية تشبه ملامح نجم هوليووديٍّ مخضرم. بدا أن هذا الرجل شغل الحاضرين جميعهم، كما توقف لتبادل كلماتٍ قليلةٍ مع ضيفٍ آخر.

لم يسبق أن التقى دافيد ذلك الرجل من قبل، لذلك لم يعرفه. سبق أن قالت كاتي أمامه إن جان لاگران هو نائب المدير انعام للشؤون الاقتصادية والمالية في الاتحاد الأوروبي، وهو أحد المساهمين الكبار في الاتحاد الأوروبي، كما أنه يمتلك موهبة استثنائية في الاختلاط بالناس.

قالت كاتي لدافيد: "ربما يجدر بنا الترحيب بضيفنا المميز معاً. لم أعتقد مطلقاً أنه قد يحضر..."

وجهت كاتي دعوةً لرئيسها القديم إلى حفلة ت دشين المنزل، وذلك من قبيل التهذيب والاحترام، لكنها لم تعتقد قط أنه سيكلف نفسه عناء حضور حفلٍ في منزل مسؤولةٍ عاديةٍ في الاتحاد الأوروبي. يُضاف إلى ذلك أنه يُعرف عنه حضور أي مناسبةٍ يمكنه أن يعثر فيها على شقراوات إسكندنافية.

تبادل لاگران القبلات الحارةً على الخدين مع كاتي، وصافح دافيد وهو يكيّل الشاء على جاذبية المنزل وموقعه.

قال لاگران: "سمعتُ من كاتي أنك سليل عائلة تعمل في الزراعة. إن هذه الحقول المحيطة بالمنزل هي في غاية الروعة. يمكنك أن تزرع أي شيء هنا، وفي ذلك المنحدر هناك" أضاف لاگران وهو يشير إلى التلال التي تظهر وراء الحقل: "اعذربي إذا اقترحت عليك زراعة الكرمة من أجل صناعة الشراب! هل فكّرت في مولر - ثورغاو؟ إنه مزيجٌ من ريزلينغ وسيلفانر. يمتلك صديقي هواية صغيرة في زراعة بستانٍ عنبٍ في وادي موسيل، وهو جرّب أنواعاً متعدّدة. مولر - ثورغاو هو الأفضل بلا منازع"

قال دافيد: "شكراً لاقتراحك. سأحرص على تذكّره"
سُمع صوت مألوف من الخلف: "اسمع يا دافيد. كيف حالك؟ نعتزم عزف

بعض أغاني البيتلز بعد قليل. أين هي الأجهزة؟ تستطيع كاتي أن تعزف لنا موسيقى مصاحبة"

تقدّم شابٌ من خلال باب المطبخ، وكان خذاه متوردين قليلاً، وهو يحمل كوباً فارغاً. كان هنري جاكوبس صديق دافيد منذ أيام الدراسة الجامعية، وكثيراً ما كان يقوم بزيارات عمل إلى بروكسل. لكن كاتي كانت تنزعج عندما يتّصل بدافيد في أوقات فراغه. أُلّف الرجلان فرقةً، وكانا يعزفان في ليدز في أيام الدراسة، ثم تابعا العزف معاً في بعض المناسبات حتى بعد التخرّج. كان دافيد يعزف على الغيتار العادي والكهربائي، وكان يغني في بعض الأحيان، في حين أن هنري كان يعزف على الطبول.

ردّ دافيد بلباقة أكثر مما كان يقصد: "ليس اليوم" تطلّع من حوله، وأدرك أن الجميع لاحظ أن صديقه كان ثملاً، لكن أصول اللياقة كانت تقضي أن يقوم بتعريف هنري ولاگران أحدهما إلى الآخر.

قال هنري بعينين حمراوين: "هل قلتَ مدير الشؤون المالية؟"

أحسّ دافيد على الفور أن الأمور بدأت بالخروج عن السيطرة.

قال هنري بنبرة توحى بالعظمة: "إذاً أنا مجرد مصرفيّ بسيط، لكن أيمكنكم أن تشرحوا لي أمراً واحداً؟ كيف أمكن لوحدة منع تبيض الأموال التابعة للاتحاد الأوروبي، والتي تسمى مونيغال على ما أعتقد، أن تحقّق مع المصارف القيرصية، وأن تصل إلى نتيجة مفادها أنها لا تُجري أي أعمال غير مشروعة؟"

خيّم جوٌّ من الصمت المخرج على جميع الحاضرين.

تابع هنري حديثه: "هل من الصدفة أن يكون رئيس مونيغال مهندس أتمتة روسيّ الجنسية. دفعني الفضول، والفضول وحده، إلى التدقيق في هويات مجلس إدارة تلك الوحدة. وجدت أنه من حسن الحظ أن يكونوا جميعاً من أقوى الدول التي تتعاطى الشأن المصرفي: رومانيا، مالطا، بولندا، لشتينشتاين، وسان مارينو! لا بد أن تتمتعوا أيها الشباب بروح المرح" قهقه هنري، وحاول أن يأخذ جرعة من كوبه قبل أن يتحقّق من أنه فارغ. واكتفت كاتي من ورائه بأن أغمضت عينها.

قال لاگران بأدب مكبوتٍ: "أقول، ومن دون التعليق على قضية قبرص، أو لجنة مونيفال، إن من الصحيح أننا لاحظنا كل أنواع المخالفات داخل مؤسسات الاتحاد الأوروبي، وحتى وصولاً إلى الفساد المكشوف. لكننا ننوي القضاء على مظاهر الفساد هذه. أنت على حق يا سيد جاكوبس بأن على الاتحاد الأوروبي أن يكون خالياً من الفساد، وإلا سنفقد ثقة مواطنينا، التي هي الأساس الذي يستند إليه الاتحاد"

قال دافيد: "أعتقد يا هنري أننا نحتاج إلى مزيدٍ من الشراب على الطاولة. دعنا نملأ أكوابنا"

أمسك دافيد ذراع هنري بلطف، بينما كان يتحدث إليه ثم بدأ السير أمامه. لاحظ دافيد بعد ذلك وصول ضيفٍ جديد، وهو الرجل الذي كان ينتظر وصوله بفارغ الصبر، أي خوليو باريتو. حان الآن وقت العمل.

عاد إلى كاتي ولاگران ووضع يديه على جبهته، وابتسم ابتسامة تنم عن الألم. "إنني آسف... أعاني من صداع... نظرت كاتي نحو دافيد فشعرت بصدمة. كانت تعرف مدى صعوبة الصداع النصفي الذي يعانيه.

"لماذا يتعيّن علينا الحصول على شراب أحمر..."
"أنا آسف لأن هذا محرّجٌ جداً"

شرحت كاتي الأمر أمام لاگران: "الشراب الأحمر هو سبب الصداع النصفي الذي يعانيه دافيد. هذا هو السبب الذي يمنعنا من زرع الكرم المناسبة للشراب الأحمر"

قال لاگران بتعاطفٍ صادق: "إنني أتفهم الأمر كلياً"

قالت كاتي: "تناول دواءً لتخفيف الألم، واستلقِ بعد إطفاء الأنوار"
"أجل، أعتقد أن هذا هو أفضل ما أفعله"

انطلق دافيد بعد ذلك نحو غرفة النوم واضعاً راحتي يديه على رأسه. كانت الغرفة المجاورة تُستخدم مستودعاً، وكانا يأملان بتحويلها مشتلاً.

لكن دافيد أسرع بعد دخوله إلى غرفة النوم إلى إرسال رسالة إلى راي عن طريق هاتفه الخليوي، ثم أطفأ الأنوار. بعد ذلك، فتح باب الفناء المرصوف وخرج منه. كانت الغيوم الداكنة متجمعة في السماء وبدأت الرياح بالهبوب. سقطت أولى قطرات المطر على وجه دافيد.

بدأ الأدرينالين بالانسياب عبر شرايينه، وتسَلَّل بعد ذلك من خلال فجوة في سياج الشجيرات تؤدي إلى ممرٍ يوصل إلى الطريق. بدأ دافيد بالركض حتى وصل إلى جانب الطريق في الدقيقة ذاتها تقريباً التي ظهر فيها راي في سيارة اللاند روفر. صعد دافيد بسرعة إلى السيارة وقال: "سيرُ بأقصى سرعة يا راي"

دارت زجاجة تحتوي دواء أبيض اللون في يدٍ مغطاةٍ بقفازٍ مطاطي. لم تتمكن ماجدا نويسكي من قراءة الكلمات المكتوبة بالفنندية والمطبوعة على الزجاجة. Puolikas tai yski tabletti nukahtamisvaikeuksiin، لكنها كانت تعرف أنواع الأدوية جيداً. كانت الزجاجة تحتوي حبوباً منومةً من نوع إيموفانين، وعلى العنصر الفعال زوبيكلون. كانت هذه الحبوب من فئة خمسة ميلليغرامات، أي أنها كانت مخففة إلى حدٍ كبير.

لكنها مع ذلك كانت راضية لأن استخدام الدواء ذاته الذي يستخدمه الضحية من شأنه إثارة أسئلةٍ أقل، بل إن ذلك لن يثير أي أسئلةٍ من أي نوع، لكنه سوف يستغرق وقتاً أطول.

أعدت ماجدا الزجاجة إلى خزانة الحمام وتابعت جولتها في أرجاء الشقة. انتهت بعد ذلك من التفتيش في كل الخزائن، وكذلك الرفوف في غرفة المعيشة والمناضد، وذلك كي تتأكد من أن هدفها ما زال سليماً قدر الإمكان. لكنها لم تجد شيئاً، غير الزجاجة التي تحتوي دواءً منوماً، وهو الأمر الذي أدى إلى تغيير في خططها الأساسية.

دخلت ماجدا غرفة الضيوف التي تُستخدم مكتباً، وأسرعت لفتح إحدى الخزائن. كانت هذه هي الغرفة التي اختارتها بعد أن انتهت من تفتيش الشقة. لم يكن لدى هدفها [آينو] أي سبب للبحث في هذه الخزانة بالذات بعد انتهاء الحفلة

ودخولها المنزل، ولذلك أفرغت ماجدا حقيبتين، وورزمةً من المحلات الفنلندية المتعلقة بالطبيعة والمربوطة بشريط.

حشرت ماجدا نفسها كي تختبر ما إذا كانت تستطيع الاختباء في الخزانة، لكنها فعلت ذلك مجددًا عدة مرات متلاحقة للتأكد من قدرتها على الخروج منها بسرعةٍ وهدوء.

رفع دافيد ساقه فوق ظهر راي ثم قفز إلى سطح الجدار الذي أصبح زلقاً بفعل المطر المتساقط.
"أعطني يدك"

أمسك دافيد يد راي الممدودة بقوة أثناء محاولته رفع نفسه. تطلع بعد ذلك إلى المنزل الحجري الذي شيده حديثاً المدير الذي تعمل كاتي تحت إمرته، خوليو باريتو. كان حيّ الأثرياء في شانت دي أوازي قريباً نسبياً من منزلها الذي يقع في جادة بوالو. كان يعرف بأنه يتمسك بقشّة، لكن من الممكن أن يُفتح مخزج ما أمامه.

قفز راي إلى الباحة العشبية المحروزة بكل عناية، وما لبث دافيد أن تبعه. بدا أن ذلك الكونغولي يعرف ما يتعين عليه فعله بالضبط، وهو الأمر الذي جعل دافيد يشعر بالامتنان. تذكر دافيد بريق المفاجأة في عيني راي عندما قال أمامه إنه بحاجة للدخول إلى أحد المنازل خلسة. توقع دافيد بعض الشعور بالصدمة بطبيعة الحال، لكنه خشي، أكثر من كل شيء آخر، أن يشعر راي بالإهانة عند عرض هذا الاقتراح، إذ كيف لأي شخص أن يفترض أنه يعرف كيفية المساعدة في عملية سرقة؟

تردّد راي في البداية، لكن بعد أن سمع أن المنزل المستهدف هو منزل مدير كاتي، حلّ الاهتمام الشديد مكان المفاجأة في عينيّه. قال دافيد إنه يشك بأن باريتو متورط بأعمال فساد، لكنه يحتاج إلى دليل. أضاف بأنه لا يريد إقحام رجال الشرطة في الأمر لأسباب لا يمكنه كشفها أمام راي. وعد دافيد بدفع ألفي يورو مقابل هذه المساعدة، فسارع راي إلى الموافقة، ثم سأل عن العنوان، وبعد ذلك قام باستكشاف المنزل مقدّماً.

سار الرجلان أمام أجمات نباتات وأصص أزهار. تقدّم راي بطريقة مدروسة، وكان واضحاً أنه أنجز عملية الاستكشاف بعناية.

ركّز دافيد عينيه على صندوق حديدي، وعلى لوحة المفاتيح المعلقة قرب الباب. كان ذلك الصندوق قفلاً للباب. رأى دافيد من خلال نافذة القاعة الضيقة صندوقاً آخر يمثل تحدياً أكبر، لأنه كان جهاز إنذار.

لم يمتلك دافيد أدنى فكرة عن كيفية تجنّب أجهزة الإنذار، لكن راي طلب منه أن يترك هذه المهمة له.

تناول راي جهازاً إلكترونياً صغير الحجم من جيبه، ثم وضع الصندوق الأسود فوق لوحة المفاتيح الموضوع على الجدار وانتظر لحظة، وانتظر لحظة أخرى من الزمن، ثم نظر من خلال عدسة تكبير موضوعة على الجانب الذي يشبه عدسة الكاميرا.

هس دافيد: "ما هذا؟"

لم ينبس راي ببنت شفة، لكنه أزاح الصندوق الأسود جانباً، وأسرع بنقر رمز ما.

سُمعت قرعقة من الباب. أمسك راي بقفازه الجلدي مقبض الباب وأداره، فانفتح الباب على وجه السرعة.

حدّق دافيد إلى راي مندهشاً، وبدا له أن فكرة الاستعانة به في اقتحام المنزل كانت الحل المناسب. لكنه لم يتمكّن من طرد تلك الفكرة من ذهنه: ما هو مقدار الجرائم التي يحفل بها ماضي راي؟

قال راي أثناء دخوله، وكأنه كان يرد على أفكار دافيد: "استعرت الجهاز من أحد أصدقائي

أسرع دافيد بعد ذلك إلى جهاز الإنذار الموضوع على جدار الردهة، ثم وضع الجهاز فوق حامله المفاتيح.

سأل دافيد: "إمكانني أن أنظر؟"

تراجع راي نصف خطوة إلى الوراء: "أسرع قليلاً"

حدّق دافيد من خلال العدسة المكبّرة، وفهم على الفور مبدأ العمل: أربعة مفاتيح متوهّجة باللون الأحمر. كشف الجهاز الأزرار التي يُضغط عليها أكثر من غيرها.

قال راي وهو يزيل الصندوق: "لا وقتَ لدينا لنضيّعه"

نقر راي على مجموعةٍ من الأرقام، لكن شيئاً لم يحدث. حاول مجدداً، ولم يحدث شيء. أما في المرة الثالثة فقد جرّب الأرقام الأربعة، لكن بترتيبٍ مختلف، فسمع قرقعة على الفور.

أوما راي نحو دافيد وقال: "أصبح المنزل بتصرفك الآن"
رائع

تقدّم الرجلان عبر قاعةٍ خافتة الأضواء وتوقفاً قليلاً عند غرفة معيشة واسعة. كان ثمة مصباحان لإنارة ما تبقى من المنزل الفارغ، وهكذا تلقّت الأرائك الجلدية الأربع بلونها الأبيض، واللوحات التجريدية، قدراً خافتاً من الإضاءة. توقّف دافيد عند باب المكتب، لكنه لاحظ على الفور أن لا وجود لحاسوب كبير. شتم، وبدأ بفتح الخزائن والرفوف. لم يظهر أي أثرٍ خاسوبٍ محمولٍ كذلك. بعد ذلك سار نحو خزانة الكتب وفتح أحد الملفات، فوجد فيه الفواتير والإيصالات، وأسرع إلى أخذ صور عن أي وثيقة مطبوعة بالنعمة الإيطالية، وذلك على أمل أن تكون مفيدة له في وقتٍ لاحق. كانت كل دقيقة يمضيها الرجلان في هذا المنزل بمنزلة مخاطرة.

قال راي من غرفةٍ أخرى، وبلهجة جعلت دافيد يُسرع اخصى: "تعال إلى هنا"
كان راي واقفاً على الجهة المقابلة لسريرٍ مزدوج حاملاً بيديه رزمة من الأوراق المالية.

قال راي: "كنتَ على حق، يبدو أن الرجل متورطٌ في شيء مشبوه"
تقدّم دافيد كي ينضمّ إليه، فرأى في عتبة النافذة كوةً فتحها راي بالقوة. كانت الفجوة ممتلئة بأوراقٍ ماليةٍ من فئة مئتي يورو.

قال راي: "يبلغ مجموعها ثلاثمئة ألف يورو على الأقل"
أخذ دافيد صوراً للأموال لتكون دليلاً ما، بالرغم من أنه لا يعرف على أي شيء تدل. أعاد راي المال إلى مخبئه، ووضع فوقه العتبة التي سبق له أن نزعها.
لاحظ دافيد وجود آلة تصوير على الطاولة الصغيرة المحاورة للسريير، وما لبث أن ضغط على زرّ التشغيل، وأسرع بتقليب الصور الموجودة في بطاقة

الذاكرة. ظهرت صوراً أفراد العائلة أثناء تحلقهم حول مائدة الطعام، كما ظهرت صوراً لمناظر طبيعية أخذت أثناء نزهة بالسيارة. أظهرت بعض الصور توربينات الهواء.

توقف دافيد ليتفحص إحدى الصور بعناية. وتمكّن أن يلاحظ فيها منظر موقع لمبنى فارغ، أما في الصور التالية، فظهر عدة رجال واقفين قرب آلات ضخمة وقد ارتدوا بذلات. ظهرت وراء الرجال لوحة واضحة. أخذ دافيد صورة عن شاشة الـ LCD بواسطة آلة التصوير التي يحملها.

لم يعثر الرجال على أي شيء آخر ذي أهمية في المنزل، وهكذا عادوا إلى سيارتهما سالكين الطريق ذاته الذي أتيا منه.

كان طريق العودة هادئاً لأن دافيد لم يكن في مزاج يسمح له بالكلام، كما أن راي لم يتلفظ بكلمة واحدة تم عن الفضول.

وصل دافيد إلى حديقة منزله، ودخل عبر الباب الذي يؤدي إلى الفناء المرصوف بين خيمة نُصبت مع مصابيح ملونة والمنزل. تناهت من غرفة المعيشة أصوات ضحكات وأحاديث. توقفت في الباحة الواقعة على الجهة الأخرى من المنزل إحدى سيارات الأجرة. أسرع دافيد إلى تبديل قميصه بآخر جاف، وانتعل خفاً منزلياً، كما جفّف شعره بالقميص الذي نزع عنه.

سُمت في هذه الأثناء طرقاً على الباب قبل دخول كاتي.

همست كاتي ببرودة واضحة: "أين كنت؟"

"خرجتُ لأننشق بعض الهواء النقي علني أتخلص من هذا الصداع. كنتُ

سأتي بعد قليل..."

"غادر بعض الأشخاص، كما أن الجميع يتساءلون عن سبب اختفائك"

"أنا آسف. سأشرح الأمر لهم. هيا بنا نخرج"

عادت آينو من الحفلة بسيارة أجرة، وقد أحسّت بالحرج الذي شعرت به كاتي نتيجة غياب زوجها. وقفت أمام باب شقّتها، وأدخلت المفتاح في القفل، ثم فتحت الباب.

أضاءت الأنوار في الغرفة المعتمة، فالتمعت الأرض وأصبح الطاولات، وفاحت الروائح العطرة من المكان بأكمله. بدا أن هذه المرأة البونندية قد أنجزت عملاً رائعاً.

شربت آينو في المطبخ كوباً من الماء، ثم سارت نحو غرفة النوم، فوجدت غطاء السرير مرتباً كما يجب. توجهت إلى الحمام بعد ذلك، ونظّفت أسنانها بالفرشاة بكل عناية، كما غسلت وجهها ثم باشرت بالاستحمام.

لم تتمكن آينو من التوقّف عن التفكير بزيارة واترلو من ذهنها. هل ستلقي هذه الزيارة بعض الضوء على الأمور التي بدأت بالخروج عن السيطرة؟

شعرت آينو بالانزعاج الشديد. كانت متعبة، لكنها كانت متأكدة من أنها لن تتمكن من الاستسلام للنوم. بحثت في الحقيبة التي تحتوي على أدوات زيتها، والتي تضعها في الخزانة، ثم تناولت من بينها زجاجة تحتوي على حبوب منومة، لكنها توقّفت على الفور. تعودت آينو وضع الزجاجة في المكان ذاته، أي في زاوية الحقيبة، لكن الملقط الصغير كان محشوراً وراءها.

فتحت آينو الزجاجة وتساءلت ما إذا كان من الأفضل لها أن تأخذ نصف حبة. مرّت عدة ساعات على تناولها الشراب، لكنها قررت أن تترك الحبة جانباً إلى وقتٍ آخر، وأن تبقّيها في الطاولة الصغيرة، تحسباً لاحتمال عدم تمكّنها من النوم. ارتاحت آينو بمجرد امتلاكها ذلك الخيار.

زادت في الأسابيع القليلة الماضية حدة الأرق الذي تعاني منه، مع ازدياد الإجهاد النفسي، لكن نوعاً من الحلول بدأ يلوح في الأفق. جلبت لنفسها كوباً من الماء وضعته على الطاولة الصغيرة إلى جانبها، ثم زحفت إلى السرير.

جلست ماجدا على الحقيبة داخل الخزانة وأصغت، لكنها لم تسمع أي أصوات أخرى آتية من الشقة. كان عليها أن تبقى يقظة. كان معظم زبائنها في هذه الأيام من أطرافٍ مستقلين وصنوا إلى مأزقٍ ما. اشتملت لائحة زبائنها على مالك فريق بلغاري لكرة القدم، وهو روسي الجنسية وصاحب نفوذ، كان يريد مراقبة محاميه السويدي. عمل المحامي المُشار إليه بصفته شريكاً صورياً في شركاته المتعددة، لكنه أصبح في الآونة الأخيرة غير مكثرثٍ، ومتناسياً للاتفاقيات المعقودة بينهما بسبب إفراطه في الشراب.

كان واضحاً في هذه المرة وجود عدة أطرافٍ، كانوا في غاية الأهمية، وراء زبونها المزعوم، وأن هذه المرأة الفنلندية أصبحت تهديداً لهم بطريقةٍ أو بأخرى. بناءً على ما عرفته ماجدا عن زبونتها، وما رأته في شقة المرأة، استنتجت أن ذلك التهديد كان مرتبطاً بالجهة الأكثر قتامةً في الاتحاد الأوروبي.

كان الجو دافئاً، وصاحباً، وقائماً في تلك الأمسية المتأخرة من يوم السبت في وسط مدينة روما. حدّق البروفيسور مارتن ريجتر، من مقعده في أحد مقاهي الرصيف، إلى امرأةٍ خرجت لتوها من الباب الرئيس الذي تعلوه قنطرة من المبنى المشيد على الطراز القوطي. عززت الأضواء الكاشفة من آبهة تماثيل الأسود التي تحرس الباب الحديدي، أثناء مرور جينا روجيرو من أمامها مرتديةً بذلةً مع سترةٍ ضيقة، وحاملةً بيدها حقيبة يد. كانت المرأة في أواخر الثلاثينات من عمرها، وتسير بكل ثقة واعتزاز. أحاطت أعمدة مزخرفة بمجران المبنى، وظهرت فوقها نوافذ بأقواسٍ حادة. كذلك أحاطت بالسقف أعمدة برؤوس حادة. نظر مارتن بقلبي إلى هاتفه، وتساءل لماذا لم ترسل جينا أي رسالة إليه.

رمى مارتن ما تبقى من القهوة بالحليب، ثم وضع ورقة مالية من فئة عشرة يورو تحت كوبه أثناء نفوذه، لكنه ركّز نظراته على روجيرو التي شكّلت أنافتها تبايناً مدهشاً مع الهندسة المعمارية القوطية للمبنى. كان هذا المبنى مقراً لأحد أقدم المصارف التي ما زالت مستمرة في العمل حتى الآن في العالم. تأسس مصرف الائتمان الوطني Banca Credito Nazionale في العام 1512 كمؤسسة خيرية مهمتها إقراض الأموال للفقراء بفوائد مخفضة. لكن المصرف نما حتى أصبح إحدى أكبر المؤسسات المالية في إيطاليا.

تجاوز مارتن نادلاً يرتدي مئزراً باللون الأبيض اللامع، بينما كان يناور في طريقه بين الطاولات كي يلحق بروجيرو. لكنه سمع، وبشكل مفاجئ، جلبة حادة آتية من الشارع. تذكّر بأنه عندما وصل إلى المقهى رأى صفّاً طويلاً من الناس أمام آلة سحب النقد التابعة للمصرف، لكنه أيقن الآن أن شيئاً ما تسبّب في تزايد حدة الجلبة.

صاح أحدهم: "غير معقول!" لم يعد الصف منتظماً في هذا الوقت لأنهم تجمّهروا حول آلة سحب النقد، وشكّلوا بذلك جماعة يسودها الارتباك.

استنتج مارتن من الكلمات القليلة الغاضبة التي خرجت من أفواه الناس سبب هذا الهياج: أغلقت آلة سحب النقد هذه بعد نفاذ المال منها. قال أحدهم: "كانت الشائعات التي سمعناها محقة، أي أن السيولة نفذت من المصارف!"

أجاب شخص آخر: "لا تصدّقوا كل شيء تسمعونه! لو تصرّف الجميع بهستيرية، وسارعوا إلى سحب جميع أموالهم، لكانت السيولة ستنفد حتماً من المصارف!"

لم يتصور مارتن قط أنه سوف يشهد مثل هذا الهجوم على سحب الأموال من المصارف. برهن رد فعل الإيطاليين هذا أن المرحلة الأولى من عملية طرودة قد بدأت تؤتي ثمارها، بل إنها أكثر فعالية مما كانوا يأملون.

بالكاد تمكّن مارتن من إبقاء روجيرو تحت أنظاره بين الحشود. بعد ذلك، رآها وهي تصعد إلى سيارة لانسيا حمراء اللون كانت مركونة عند قارعة الطريق.

أسرع مارتن خطاه وسط الارتباك الذي شعر به، فتمكّن من الوصول إلى مكان السيارة بعد جهدٍ جهيد. لكنه لم يتمكّن من الصعود قبل إقلاع سيارة اللانسيا بسرعة كبيرة واختفائها بسرعة بين السيارات المارة.

حدّق مارتن إلى السيارة، وشعر بصدمةٍ لا يتعافى عنها. تساءل عما حدث، لأنه كان من المفترض أن تلتقيه روجيرو، وليس أن تمّرب منه.

تطلّع مارتن حوله بقلق، وما لبث أن رفع هاتفه إلى مستوى أذنه. كان يعرف أن من الممنوع عليه بتاتاً إجراء أي اتصال، لكنه شعر الآن بحاجةٍ ملحةٍ لذلك.

لم يُجِبْه أحد، فبدأ مارتن العودة من حيث أتى، لكن سيارة اللانسيا توقّفت قربه فجأة.

قالت روجيرو بصوتٍ أشبه بالهمس من خلال نافذة السيارة المفتوحة: "ألم أقل لك ألاّ تتصل بهذا الرقم. اصعدُ بسرعة" انطلقت سيارة اللانسيا مجدّداً قبل أن يستقر مارتن في مقعده.

قادت المرأة ذات الملامح المتناسقة السيارة من دون أن تنطق بكلمة. لكن ملامح الضيق بدت من تحت قسّمت وجهها المسرّمة قليلاً واهادئة، لكنها ركّزت على القيادة وإن فعلت ذلك بتوتر. كان من السهل على امرء أن يتخيّلها وهي تمارس تسلّيتها المفضلة متدلّية في طرف حبل قبالة صخرة عمودية.

سأل مارتن: "ماذا حدث؟"

"غرق المصرف في فوضى عارمة، وإصيّبت الإدارة باهلع بحيث أصبح كل موظفٍ متهماً. لا يمكنني المخاطرة أكثر من ذلك"
"هل حصلتِ عليها؟"

ضغطت روجيرو على الفرامل فجأة، وأوقفت السيارة عند قارعة الطريق، وتمسّكت بعجلة القيادة وسط ملامح القلق الشديد التي بانّت على وجهها. لاحظ مارتن وجود مظروفٍ أبيض في جيب الباب الذي هو من جهة السائق.

قال مارتن بهدوء وبصوتٍ مقنّع: "أعطني إياه" حاول الوصول بيده إلى المظروف لكن روجيرو أمسكت به.

نظر مارتن إليها مندهشاً: "ماذا الآن؟"

استدارت روجيرو ووجهت نحوه نظرة تحدُّ: "إياك أن تربط اسمي بهذا، ولا تحت أي ظرفٍ كان"

"لن يحصل ذلك بطبيعة الحال. كان ذلك اتفاقنا على الدوام..."
رفعت روجيرو يدها الممدودة، ووجهت مسدساً نحو مارتن الذي حملق بالسلاح بدهشةٍ تامة.

"إنني أعني ما أقول. إذا عرف أيُّ شخصٍ أيَّ شيءٍ عن هذا الأمر فسوف ينتهي أمرك"

أوماً مارتن بقلق. أنزلت روجيرو سلاحها، ثم رمت المظروف في حضن مارتن.

"اذهب، على الفور"

أمسك مارتن المظروف، وترجل من دون أن ينبس ببنت شفة من السيارة التي اختفت مجدداً وسط زحام السيارات.

سبق لمارتن أن وعد بافل بإبلاغه عن كل التفاصيل العملائية، لكن هل إن ذلك ضروري؟ النتائج هي الأمر المهم في الموضوع، وهو متأكد من أن هذه النتائج سوف تكون موضع سرورٍ في موسكو. كان مارتن متأكداً جداً من هذا.

نظرت ماجدا إلى ساعة يدها بسطحها ذي الإضاءة الجانبية. أشارت العقارب إلى الساعة الثانية والعشرين دقيقة من بعد منتصف الليل. يُفترض أن تكون آينو جاكولا نائمةً في هذا الوقت.

فتحت ماجدا باب الخزانة بعناية بالغة، وتسَلَّت خارجها. أضفى مصباح الشارع ما يكفي من الضوء لإنارة الغرفة. تابعت طريقها بهدوء نحو غرفة النوم، واختلست النظر إلى داخلها. كانت المرأة الفنلندية تغط في نوم عميق، وتتسَنَّفَس بانتظام وببطء.

توجَّهت ماجدا نحو الحَمَّام وتناولت القارورة التي تحتوي على الحبوب المنومة، ثم عادت إلى غرفة الضيوف حيث جمعت المواد الأخرى. أفرغت ماجدا القارورة في آلة لسحق الحبوب، ثم أدارت غطاءها السميث، وسحقت الحبوب حتى أصبحت مسحوقاً دقيقاً. أفرغت المسحوق بعد ذلك في أحد الأكواب، وأضافت بعض الشراب الذي عثرت عليه في المطبخ، ثم حرَّكت الخليط.

تناولت بعد ذلك أنبوبة من الهالوثاين، وأفرغت محتوياتها في السطح الداخلي لكمامة طبية بيضاء اللون. عادت بعد ذلك إلى غرفة النوم وانحنت فوق السرير. أنزلت الكمامة ببطء فوق فم المرأة النائمة وأنفها، مع حرصها على عدم لمس بشرتها. أعطى الهالوثاين مفعوله بسرعة، وهو يفقد مفعوله بالسرعة ذاتها. أسرعَت ماجدا لإحضار حقيبتها، ثم عادت إلى آينو التي كانت راقدة على جانبها الأيمن. وضعت ماجدا عدة وسائد تحت ظهر المرأة ورأسها، وهكذا أصبح وجه المرأة المخدَّرة مواجهاً للسقف، بعد أن أصبحت عضلاتها رخوة ومن دون أن تستجيب بأي طريقة كانت.

رفعت ماجدا آينو إلى وضع قريب من الجلوس، وهكذا سمحت لرأسها أن يتدلى إلى الوراء قليلاً. تناولت أنبوباً من الحقيية، وبدأت بإدخاله في منخرها الأيسر نزولاً حتى المريء والمعدة. راقبت ماجدا وجه ضحيتها خلال كل هذه العملية. إذا تحول الوجه إلى اللون الأزرق فإن ذلك يعني أن الأنبوب دخل إلى الرئتين، لكن لون الوجه بقي طبيعياً، لحسن الحظ. ضخت ماجدا مزيداً من الهواء في الأنبوب، وأصغت بواسطة سماعة طبية إلى الناحية العليا من المعدة. سمعت أزيزاً خافتاً، وهذا يعني أن طرف الأنبوب وصل إلى مكانه المطلوب.

ملأت ماجدا بعد ذلك محقنة بما مقداره مئة ميليلتر من خليط الشراب المخدر، ثم ربطت المحقنة بالطرف الخالي من الأنبوب، وضغطت المكبس ببطء، وهكذا انساب السائل إلى داخل المعدة.

كان الإيموفين مخففاً إلى درجة كبيرة، لكن ماجدا لم تكن مستعجلة.

جلس دافيد في منزله، وشاهد ما تعرضه آلة التصوير من صورٍ سبق له أن التقطها لرزمٍ من الأموال التي عثر عليها في غرفة نوم بارتيتو. لكن التشهير بباريتو على أنه يتلقى رشاً لا يعني إنقاذ دافيد.

تابع دافيد تفحص ما تبقى من مجموعة الصور فشاهد صور الإيصالات. كان أحد الإيصالات من شركة تدعى غريمازيا وكان إيصالاً لشراء أجهزة لجرف التراب بقيمة 462,400 جنيه. لكن ماذا يفعل بارتيتو بالجرافات؟

وصل دافيد إلى الصورة التالية، فاكتشف، بعد أن كبر الجزء السفلي من الصورة، أن هذه الوثيقة هي عقد. كان ذلك اتفاق بناء مع شركة تدعى فينديزيا. أجرى دافيد بحثاً في حاسوبه. كانت فينديزيا واحدة من شركات توربينات اهواء الجديدة، وهي التي تسلّمت منذ وقتٍ قصيرٍ حوالي ثلاثة ملايين يورو على شكل هباتٍ للتنمية الإقليمية، والتي تهدف إلى بناء مزارع توليد الطاقة من الرياح في صقلية. كان دافيد يفضل أن يستشير كاتي في هذا الموضوع، لأنها عملت مع صناديق التنمية الإقليمية، أو حتى آينو التي كانت تعرف كل شيء تقريباً عن سياسات الطاقة المتجددة.

"ماذا تفعل؟"

ظهرت كاتي عند الباب من دون أن تصدر أي صوت.
أغلق دافيد غطاء حاسوبه المحمول: "أحاول حلّ مشكلة العمل هذه"
"أتفعل ذلك في هذه الساعة؟"

"أجل، في مثل هذه الساعة" لاحظ دافيد أن نبرته كانت حادّة أكثر مما كان يقصد. "يتعيّن عليّ متابعة ما يجري في هونغ كونغ"
"هل تتعلّق هذه المشكلة التي لا تكف عن الحديث عنها بك، أم بأحد العملاء؟"

"تتعلّق المشكلة بأحد العملاء. لكن كما تعلمين فإن مشكلات عملائي هي مشكلاتي أيضاً. تعلمين كذلك أنه لا يمكنني التحدّث عنها"
تهدّدت كاتي واستدارت مبتعدّة عن الباب.

قال دافيد: "انتظري قليلاً. هل قررتِ ماذا ستفعلين بشأن باريتو؟"
بدا أن كاتي تفكّر بصمتٍ في الإجابة. تذكّر دافيد في هذه الأثناء ملامح باريتو في الحفلة. هل يشك باريتو أن كاتي تعرف ما يكفي عن التسيّرات السرية؟
قالت كاتي التي بدت جدية: "إنني لا أعرف ما يجري"
"ماذا تعنين؟"

"كانت المعلومات عن تجارة وثائق مسموحات الانبعاثات مغلوبة"
حدّق دافيد إلى كاتي، وبدا مندهشاً ومسيطرأ على أعصابه قدر المستطاع:
"لا أفهمك"

"سرّب باريتو معلوماتٍ مغلوبةً لأحد الأشخاص. لكن بحسب ما أعلن البارحة فإن المفوضية اتّخذت القرار المعاكس بالضبط. إنني لا أفهم ما حدث"
فكّر دافيد، قلتِ ما أردتُ قوله بالضبط.

قالت كاتي: "لماذا يسرّب باريتو معلوماتٍ مغلوبة. هل هو متورط في نوع من أنواع المضاربات المالية؟"

صرّ دافيد أسنانه، لأن كاتي قد تكون أصابت الهدف. كان دافيد هو الأوّل بأن يأخذ هذا الاحتمال بعين الاعتبار.

قال دافيد بأقصى قدر من عدم الاكتراث: "ربما"
"لاحظتُ أن آينو تبادلت حديثاً متوتراً مع باريتو في الفناء المرصوف. جعلني ذلك أفكر في ما قالته في السيارة اليوم. قالت إنها تبحث عن شيء يثير الشبهات. يُحتمل أنها تلمح إلى باريتو

"تعيّن عليك، حتماً، التحدّث مع آينو بشأن نواياه"

قالت كاتي مبتعدةً نحو المطبخ: "ربما"

حاول دافيد التفكير بوسيلةٍ ما، أو ذريعة، لحملِ كاتي على التحدّث مع آينو في أسرع وقتٍ ممكن. شعر أن الوقت يضيقُ عليه أنفاسه، وهذا يعني أنه مضطر للإمساك بقشة كالغريق، وعلى الفور.

فتح دافيد غطاء حاسوبه مجدداً، وحدّق إلى الشاشة. يُحتمل أن تكون استحابة صلواته عبر الطاقة المتجدّدة.

بحث دافيد بصورة أعمق عن فينديزيا، فاكتشف أنها ملك تكّكل من لاعبين [شركات] عدة في مجال طاقة الرياح، بدعمٍ من رجل أعمالٍ يُسمّى رافائيل مانشيني.

فتح دافيد الصورة الأخيرة التي التقطها في منزل باريتو، أي الصورة التي يظهر فيها رجال يرتدون بذلاتٍ ويقفون أمام حقولٍ واسعة. قام بعد ذلك بتكبير ذلك القسم من الصورة التي تظهر وراءهم وقرأ: *Vento Basovizza*.

تبين أن هذا الاسم يعود إلى شركة تمتلك حقولاً جديدة في صقلية لتوليد الطاقة من الرياح، وهي شركة تلقت هذه المرة أربعة ملايين يورو في إطار مهرجان توزيع هبات التشجيع على التطوير.

نقرَ دافيد اسم رافائيل مانشيني في خانة البحث. أظهرت الشاشة رجلاً نحيلاً بخصلات شعرٍ متجعّدةٍ وداكنة، ونظاراتٍ واقيةٍ من أشعة الشمس. ظهر مانشيني في الصورة واقفاً إلى جانب باريتو في موقع بناء المراوح لإنتاج الطاقة الكهربائية بواسطة الرياح.

لم تثبت الصورة بحد ذاتها أي شيء، ذلك لأن باريتو كان أحد المسؤولين عن صندوق التنمية الإقليمية، وكان من الطبيعي أن يمتلك تجهيزات لها علاقة

بشركات طاقة الرياح، ومن الطبيعي كذلك أن يقوم شخصياً بجولة تفقدية على مواقع البناء من وقتٍ لآخر.

كان الجميع يعرفون، من جهة أخرى، أن ذلك الكمّ الكبير من أموال الإعانات التي يقدمها الاتحاد الأوروبي كانت تذهب إلى جيوب الذين لا يستحقونها، وعلى الأخص في دول البحر المتوسط.

يبدو أن مبلغ ثلاثمئة ألف يورو الذي عُثر عليه في متز باريتو لم يأت من فراغ. تناول دافيد هاتفه عن الطاولة وخرج إلى الباحة المرصوفة، ثم بحث في قائمة أرقام الاتصالات عن اسم زميله الإيطالي أندريا.

أنصت دافيد لرنين الهاتف، لكنّه أدار رأسه نحو السماء المنعّمة حيث تتلألأ النجوم بين السحب الداكنة التي تدفعها الرياح العاصفة. ردّ أحدهم بعد الرنة السادسة.

سأل صوت بلكنة إنكليزية: "تعرف كم الساعة الآن يا دافيد... انتهيت من الحفلة، أليس كذلك؟"

خرج دافيد إلى البناء في خارج الحديقة لأنه حرص على عدم سماع كاتي كلماته، وقال: "انتهت الحفلة" طرح بعد ذلك السؤال مباشرة: "ماذا يعني لك اسم رافائيل مانشيني"

ساد الصمت الطرف الآخر من الخط. مسح دافيد بيده الأخرى مقعد دراجته النارية المعطّلة من ماركة نورتون، وهي الدراجة التي جمع ثمنها في فترة مراهقته من عمله في الزراعة، ولذلك جلبها معه إلى بلجيكا كي يصلحها في أوقات ما بعد الظهر.

قال أندريا بلهجة جدّية: "لماذا تسأل عن مانشيني بالذات؟ لماذا الآن وفي منتصف الليل؟"

"يشجّعني أحد ضيوفنا على الاستثمار في طاقة الرياح. لكن بحسب المعلومات التي يمتلكها فإن مانشيني هذا سوف يُقدم على خطوات مهمة وكبيرة في صقلية بعد وقتٍ قريب"

"مَنْ هو مصدر معلوماتك؟"

"مسؤول مُثل في الاتحاد الأوروبي"

"دافيد، اسمعني جيداً. لا علاقة لك بصقلية أبداً. أقسمت لي بذلك"

عضد دافيد على شفته، وهو يتذكّر أنه أعطى هذا الوعد قبل سنتين من الزمن. لكن الوضع تغيّر الآن تغيّراً جذرياً.

"لا يمكن أن تأتي كل المشاريع الاستثمارية في صقلية من المافيا، أليس

كذلك؟"

"تلك الأموال ملوثة بالدماء. تُستخدم مبالغ المساعدات بملايين اليورو لتطوير حقوق الاستغلال لطاقة الرياح، لكن هذه الأموال تذهب، في الواقع، لتبييض أموال المافيا. إنهم ينقلون أموال الاتحاد الأوروبي من شركة إلى أخرى لجعلها شرعية، وهو الأمر الذي يجعلهم يقدمون طلبات للحصول على مزيد من أموال الدعم الآتية من الاتحاد الأوروبي. يقوم الاتحاد الأوروبي بدفع مزيد من الأموال لهم سنة بعد سنة، وهو يعرف ما يحدث بالضبط"

"لكن ما علاقة مانشيبي بكل هذا؟"

"يملك مانشيبي نحو أربعين شركة لتوليد الكهرباء من الرياح وأشعة الشمس في صقلية وحدها. إنهم يدعونه وشأنه، ويتركونه يُنشئ إمبراطوريته الخاصة ويجني الأرباح. ولا تضايقه المافيا كما تفعل مع رواد الأعمال الآخرين"

"ما هو حجم الأرقام التي نتحدث عنها؟"

"مليارات"

كان ذلك ما أراد دافيد أن يسمعه بالضبط.

قال أندريا بحزم: "انس صقلية يا دافيد. انس كل ما يتعلّق بمانشيبي"

"لا أريد إزعاجك بعد الآن بطبيعة الحال. طابت ليلتك"

سار دافيد في طريق عودته من الحديقة قرب درّاجتين هوائيتين رياضيتين تصلحان للطرق الجبلية. كان من المستحيل بالنسبة إليه أن ينسى مانشيبي، وهو الرجل الذي يمتلك مليارات اليورو، وهو ما يحتاجه بالضبط.

عاد دافيد إلى المنزل، وتطلّع إلى كاتي التي كانت جالسة في غرفة المعيشة التي أنارتها شمعات عدة، وكانت تقلّب دفتر ملاحظات صغيراً. لاحظ أن عينيها حمراوان.

"ما الأمر؟ هل تبكين؟"

قالت كاتي بصوتٍ مرتعش: "كلا. إنني أضحك... وأبكي... آه، حتى أنني لا أعرف ماذا أفعل... أحضرتُ هذه من فنلندا. عثر فيكو على بعض خربشاتٍ القديمة. إنها خربشات سخيفة ومسلية. لكنني لم أقصد أن تكون سخيفة عندما رسمتها" مسحت كاتي دموعها وأكملت: "تعودت التعبير هكذا عن مشاعري حين لا يكثر أحدٌ بها"

وضع دافيد يديه على كتفيها، وانحنى ليقبل زوجته على جبهتها، وكان يدرك المتاعب العائلية التي ما زالت تعانها كاتي حتى هذا اليوم. لكن كاتي لم تعرف قط أي شيء عن معاناة دافيد، لأنه لم يتلفظ بأي كلمة عن هذه المعاناة طيلة فترة زواجهما. في بعض الأحيان، كان يستيقظ عند منتصف الليل ويتقلب في سريره، وينظر إلى كاتي المستلقية بجواره، ويعتقد أن الأمور على خير ما يرام، ولكن الأمر لم يكن كذلك. شعر دافيد أن في أعماقه عدواً كامناً يحتجزه رهينة، وهو عدو لا يعرف كيفية مواجهته.

وضعت كاتي الدفتر جانباً، وأعدت الحاسوب إلى حضنها مجدداً. "ما زلت أفكر في المواجهة ما بين آينو وباريتو. يُحتمل أنه ينبغي عليّ التحدث معها في الأمر أو مأت كاتي نحو حاسوبها. "أدركتُ لتوي أن باريتو هو عضو مجلس الإدارة لبرنامج تأثيرات المناخ التابع للاتحاد الأوروبي. يُحتمل أن يكون ذلك الحديث الحامي الذي دار بينهما الليلة متعلقاً بهذا الموضوع. قالت آينو إنها تشك بأن بعض الأبحاث المتعلقة بالتغيرات المناخية قد تعرّضت للتلاعب"

نظر دافيد إلى كاتي بدهشة: "هل قالت آينو ذلك؟"

كان دافيد يعرف تماماً أن آينو مقتنعة تماماً بالتهديدات التي يمثلها التغير المناخي الذي يتسبب به الناس على البشرية، وكذلك على الكوكب. كان تحذير الناس من هذه المخاطر بمنزلة مهمتها في الحياة.

تابعت كاتي حديثها: "إنني أحسد آينو على شجاعتها. لكنني متأكدة مئة بالمئة من أن أحداً في الاتحاد الأوروبي لن يهمل لها عندما تنوي نشر شكوكها في الوقت الذي تقرّره"

قال دافيد مشجّعاً: "يمكنك الذهاب غداً لزيارة آينو، والاستفسار منها عن باريتو"

"يُحتمل أن يكون ذلك أمراً حكيماً، لأن آينو ترغب مني أن أحدثها بما رأيتُه من أفعال باريتو"

تناول دافيد هاتفه، وتوجّه مجدّداً إلى الباب المؤدي إلى الباحة المرصوفة. قال وهو يُغلق الباب وراءه: "أريد إجراء مكالمة أخرى مع أحد زملاء" لم يكن لدى دافيد أيُّ نيةٍ لإجراء اتصال مع أي زميلٍ له، لكنه سارع إلى نقر رقم راي. انتظر ردّ راي على الهاتف، وسحب في هذه الفترة السلك الواصل إلى المصاييح الإضافية في الحديقة. شعر دافيد بالارتياح، لأن كاتي ستقوم بقدرٍ مهم من التحقيق لصالحه.

"ماذا لدينا الآن يا دافيد؟"

كان صوت دافيد مرتجفاً وهو يحاول فهم مدى أهمية هذه المكالمة بالنسبة إليه: "راي. أحتاج مساعدتك مجدّداً"

أخذ نفساً عميقاً من الهواء المنعش ثم عاود المشي.

"مساعدتك على أيّ شيء؟"

سأل راي بصوتٍ يوحى بالملل.

"أريدك أن ترافقني في جولة قصيرة"

"إلى أين؟"

"إلى صقلية"

مرّت فترة صمت.

"لماذا؟"

"يُحتمل أن أحتاج إلى حارسٍ شخصي"

مرّت فترة صمت.

"متى؟"

"في الصباح"

"لا أعرف، لديّ بعض المهمات مع عددٍ من الزبائن"

"سأدفع لك مبلغاً محترماً"

"لا أستطيع أن أحزم حقيقتي وأغادر بهذه الطريقة"

شتم دافيد بينه وبين نفسه. "ثلاثة آلاف يورو"

سادت فترة صمت.

سأل راي أخيراً: "متى سنغادر؟"

ابتهج دافيد بالنجاح الذي أحرزه: "سأتصل بك فور ترتيب الأمر"

وضع دافيد الهاتف في جيبه، وحدّق إلى المشهد الريفي الليلي وراء أشجار الدلب، وهو المشهد الذي يبدو هادئاً، لكنه مرتعشٌ في عينيه. أخرج الهواء من رئتيه ببطء، وفكّر في المهمة التي يريد إنجازها، والتي تبدو في غاية الإثارة.

لكن يتعيّن عليه المحافظة على هدوئه، لأن هذا الهدوء ضرورة حتمية، ويتعيّن عليه التحرك خطوةً خطوةً.

اهمكت كاتي بملاء جهاز غسل الأطباق في المطبخ. تقدّم دافيد نحو حاسوبه كي يحجز تذاكر السفر للرحلة الصباحية المتّجهة إلى باليرمو، بالرغم من أنه أقسم بينه وبين نفسه، وبكل ما هو مقدّس بأنه لن يطأ أرض صقلية أبداً.

توجّه بعد ذلك إلى المطبخ وقال: "سأتوجّه إلى لندن في الصباح. يتعيّن عليّ تسوية هذا الأمر بالفعل"

"هل ستذهب نهار الأحد؟"

"إن مكسب العميل هو مكسب لنا. يتعيّن علينا الآن استغلال كل ثانية"

كان دافيد يكره الكذب، لكنه كذب هذه المرة من أجل كاتي، كما كرهه الآن استخدام الضمير نحن. كانت هذه مشكلته هو، ولا ذنب لكاتي في هذا على الإطلاق. تعيّن عليه حلّ مشكلة ثمانية وأربعين مليون يورو بنفسه.

أزالت ماجدا الوسادات من تحت المرأة الفنلندية، وما لبثت أن وضعتها بشكلٍ طبيعيٍّ لضحيةٍ تناولت كميةً زائدةً من الحبوب المنومة. لم تكن آينو جاكولا قريبة من الموت بأي حال من الأحوال، سيستغرق ذلك ساعات طويلة، أي حتى الصباح. لكن ماجدا جمعت كل أشياءها الخاصة في أكياس بلاستيكية، وأعدت أشياء المرأة إلى أماكنها الأصلية. توجهت ماجدا إلى المكتب حيث الطابعة متعددة الاستخدامات، وتناولت النسخة الداكنة التي نسختها المرأة عن بطاقة هويتها. طوت الورقة ووضعتها في جيبها ثم عادت بهدوء إلى خزانة الكتب، وكان لديها ما يكفي من الوقت لتقضيه.

تناولت ماجدا نسخة من مجلة نيو سيانتست من الطاولة الصغيرة، ثم نقلت وسائد الكرسي الكبير إلى غرفة النوم، ودققت في مقالة تتحدث عن كيميائيات الجسم الطبيعية التي تعزز تجديد الأعضاء.

لم يبقَ هناك وقت طويل قبل انتهاء مفعول الهالوثاين، كما أن الحبوب المنومة لم تجد طريقها كلياً إلى مجرى الدم. وهكذا مكثت ماجدا في الغرفة، وهي حريصة على عدم تكرار الغلطة ذاتها التي اقترفتها قبل سنة، ولم ترغب في تكرار التجربة ذاتها. تلقى رجل الأعمال الروسي الجرعة ذاتها تقريباً من الدواء التي تلقتها هذه امرأة الفنلندية. كانت ماجدا تنتظر حينذاك في الغرفة المجاورة وانشغلت في قراءة رواية عندما سمعت جلبة. بدأت بالتحرك فكادت أن تصطدم بالرجل الذي ترنح نحوها، والتمعت عيناه، ثم راح يثرثر بطريقة غريبة، ولوح بعضلاته. اضطرت ماجدا إلى استخدام مسدسها المخدّر.

كانت المرأة الفنلندية مسترخية بهدوء، وكان نومها يزداد عمقاً في كل لحظة، وهكذا عادت ماجدا إلى خزانة الكتب في المكتب. ألفت نظرة أكثر تركيزاً على الكتب التي رأها في وقت سابق، واختارت كتاباً ثم عادت إلى غرفة النوم. كان عنوان الكتاب: أفضل نظام يمكن شراؤه - الفساد في الاتحاد الأوروبي. لم تعرف ماجدا سبب تكليفها التخلص من هذه المرأة الفنلندية، إذ إن ذلك لم يكن من شأنها قط. لكن من أجل قضاء الوقت، أرادت أن تعرف ما إذا كانت شكوكها صحيحة.

بعد أن تصفّحت الكتاب المشوّق لبعض الوقت، أنزلته إلى حضنها واستسلمت لنومة خفيفة لأن النوم العميق أمرٌ غير واردٍ عندها، وكذلك مغادرة الشقة. تطلّعت من حولها بعد أن أفاقت على ساعتها التي أشارت إلى حوالى الخامسة صباحاً. توجّهت مجدداً نحو آينو. كان نبضها قد تباطأ قليلاً، لكنه لم يتوقف، إلا أن الروح كانت تتسرّب من جسدها بشكل حتمي.

عادت ماجدا بنفاد صبر إلى الأريكة، لكنها شعرت مجدداً بنشاطٍ مفاجئ. تناولت قلماً وورقة فارغة بحجم A4 من حافظة أوراق الطابعة، ثم جلست إلى طاولة المطبخ من أجل تحضير بطاقة لإرسالها إلى حفيدها في أستراليا الذي يبلغ السادسة من عمره. لكن بعد أن طوت الورقة نصفين بدأت يرسم كنفارو يحمل في كيسه أرنبا يتطلع من حوله.

أمضت ماجدا أعواماً طويلةً في توفير المال اللازم لتقاعدتها والانتقال إلى مكانٍ ما في آسيا، أو لربما إلى أستراليا ونيوزيلندا إذا ما تمكّنت من جمع ما يكفي من المال. لكنها احتاجت إلى مبلغ كبير، ولأنها لا تنتظر أي نوعٍ من أنواع التقاعد. لكن بعد أن عملت لسنواتٍ طويلةٍ بصفقتها متعاقدةً مستقلةً في سن الأربعين، شعرت برغبةٍ للإسراف في الإنفاق على شراء مختلف الحاجيات مثل السيارات الرائعة والأسفار والشقق الفخمة.

بعد أن سطرّت أبياتاً قصيرةً من نظمها ختمت بها البطاقة، عادت إلى تفحص الكتب في الخزانة. امتلأت الكتب التي تتحدّث عن الفساد في الاتحاد الأوروبي بخطوطٍ تحت أسطرٍ معينة، وملاحظاتٍ أوضحت السبب الذي يوحى أن شخصاً ما يريد التخلص من هذه المرأة.

نظر دافيد إلى ساعته بينما كان يُسرِع الخطى من موقف السيارات بطبقاته المتعدّدة نحو قاعة المغادرة في مطار بروكسل. أشارت عقارب الساعة إلى الساعة 06:07. لم يشعر بالتعب بالرغم من أنه قضى معظم ساعات الليل في رسم خططه.

وقف راي تحت لوحة العرض الكبيرة التي تُعلن مواعيد وصول الطائرات ومغادرتها. لكن دافيد شعر بموجة شك مفاجئة عندما رآه. هل كانت الخطط التي رسمها مليئة بالمخاطر؟

مشى نحو راي ببطء وكأنه يريد كسب مزيدٍ من الوقت للتفكير، لكن وجه راي عكس شعوراً من الفضول ممزوجاً بالارتباك. قال دافيد ما إن توقف أمام راي: "شكراً لمحيثك" تناول من جيبه بعد ذلك رزمة من الأوراق المالية ووضعها خفيةً في يد راي.

قال راي بكل برودة: "لا بأس بما مقابل رحلةٍ واحدة. ماذا يتعيّن عليّ فعله مقابل هذا المبلغ من المال؟" "سبق أن قلت لك بأنه يُحتمل أن أكون في وضعٍ قد أحتاج فيه إلى حارسٍ شخصي"

قرّر دافيد عدم الإفصاح عن دور راي في خطته، أي أنه كان من الأفضل له عدم معرفة هذا الدور إلى حين يصبح ذلك حتمياً.

"أتقول يُحتمل مع أنك دفعت مبلغاً كبيراً لقاء هذا العمل؟"

أوماً دافيد باتجاه لوحة العرض لمواعيد إقلاع الطائرات ووصولها: "هل نسيتَ أن أُن نحن مسافرون. رحلة JAF 2066"

استدار راي ليتطلع وراءه.

تابع دافيد كلامه: "يجب أن تعرف بما تشتهر باليرمو"

حدّق راي إلى دافيد بتركيزٍ أكبر: "هل لهذا علاقة بما فعلناه مساء أمس؟"
"أجل"

"يعني ذلك أنك واقعٌ في مشكلة كبيرة"

أوماً دافيد: "لكني قد أجد مخرجاً منها في باليرمو"

أعاد راي رزمة المال إلى دافيد: "لا أريد التورط مع المافيا بأيّ شكلٍ من

الأشكال"

شعر دافيد بما يشبه السكين على رقبتة، لأنه لا خيار لديه غير حملِ راي على

الذهاب معه، أي أنه لن يتمكن من فعل أيّ شيء وحده.

قال دافيد وهو يستشعر الكذب في كلامه: "لا أريد أن أتعرض إلى مخاطر لا

لزوم لها. لكن قد يحدث شيء ليس في الحسبان. هذا هو سبب حرصي على دفع

مبلغ كبير لك"

مدّ يده إلى جيبه وتناول مفاتيحه منها، وناولها راي.

"يمكنك أخذ جيب اللاند روفر أجراً لك على الرحلة"

تضيّقت عينا راي، وعلى الأخص لأنه علّق عليه عدة مرات متعدّدة وهما في

طريقهما إلى المطار، وكان يحلم بامتلاك واحدٍ مثله في يومٍ من الأيام"

قال دافيد كاذباً: "كنت أنوي شراء سيارة جديدة على أي حال"

زاد راي من تركيز نظرتة على دافيد الذي استمر في التلويح بالمفاتيح أمامه،

لكن راي لم يتحرّك لأخذها.

"لم نعر على ما يكفي من الأدلة في منزل باريتو، لكننا سوف نجدها في

باليرمو

تطلّع راي نحو دافيد، وكان من الواضح أنه يستعرض خياراته: "مع

المقطورة"

تظاهر دافيد أنه يفكّر للحظاتٍ قليلة، ثم لوّح بالمفاتيح. "سوف ننهي تسوية

الأوراق في الطائرة. هيّا بنا"

نظر راي إليه مباشرة ثم تناول المفاتيح، ولو مع بعض التردد. سار دافيد نحو نقطة التفتيش الأمنية وهو يتهلل إلى الله ألاّ يغيّر راي رأيه.

كانت صبيحة الاثنين هادئةً في ولوي سان بيار. ركنت كاتي سيارتها الغولف المكشوفة أمام البناية التي تسكن فيها آينو في شارع هينروت. تطلعت إلى الأعلى نحو نوافذ شقة صديقتها، لكنها لم تلاحظ فيها أيّ حركة. كانت ستارة انزلاقية تغطي نافذة غرفة النوم.

حاولت كاتي الاتصال برقم آينو مجدّداً. لكنها لم تلتق أيّ ردّ. استعرضت كاتي ما عساها أن تفعل، لأن إبلاغ آينو عن فساد باريتو يُمكن أن يقدّم لها مساعدة كبيرة، لكن كاتي لا ترغب أن يُكشف النقاب عن دورها في هذا الموضوع. كان ذلك هو سبب عدم رغبتها في كشف مخالفات رئيسها أمام المكتب الأوروبي لمكافحة الاحتيال OLAF، ومكتب الاتحاد الأوروبي لمكافحة الفساد، وهو الأمر الذي يتطلّب دليلاً دامغاً قبل إثارة القضية.

لاحظت كاتي أن جزءاً من سقف سيارتها المكشوفة يتدلّى، لذلك ضغطت على الشريط اللاصق الذي تستخدمه لتغطية الفجوة. بدأت بعد ذلك بتفحص الأغراض الموجودة في تابلوه السيارة glove compartment، وتحت الخريطة والبوصلة اللتين بقينا بعد مسابقة orienteering outing التي أقامها النادي الفنلندي، وذلك في بحثها عن المفتاح الذي أعطتها إياه آينو لكي تتمكن من دخول الشقة لري الأزهار والورود عندما تكون غائبةً في إجازتها الصيفية. كانت آينو تسافر كثيراً في الصيف، وغالباً مع صديقتها السابق. أحبّت كاتي أن تلتقيه لكن آينو كانت متحفظة جداً حول علاقاتها.

نزلت كاتي من السيارة، وأغلقت الباب بشدّة. كانت الأرض لا تزال مبلّلة نتيجة المطر الذي تساقط في الليلة السابقة، ولذلك اضطرّت إلى القفز فوق البرك الصغيرة قبل وصولها إلى الممر الذي يعبر الباحة أمام مدخل منزلها.

تفحصت ماجدا نبضات قلب المرأة الفنلندية مرةً أخرى ولم تلاحظ شيئاً.
لكن جرس الطبقة السفلية ما لبث أن رنَّ فجأةً.

نهضت ماجدا من مكانها، وفكرت للحظة قبل أن تتوجّه نحو النافذة. رأت
سيارة غولف قديمة وحمراء اللون مركونةً في الشارع، وكانت هي السيارة ذاتها
التي أقلت صديقة المرأة في اليوم السابق.

فكرت ماجدا في وجود علاقة أكيدة ما بين الزائر والمكالمات التي وصلت
مراتٍ عدّة في فترة الصباح، وهي التي كانت تنتهي بالرقم ذاته 066، وكانت
تُحفظ تحت اسم "كاتي"

وقفت ماجدا من دون حراك وانتظرت. رنَّ جرس الباب مجدداً ثم توقّف بعد
ذلك. لم تعد المرأة إلى سيارتها بالرغم من ذلك، ولم يظهر أي أثر لها في الشارع.
نظرت ماجدا إلى من حولها، والتقطت حقيبتها ثم أسرعت إلى مخبئها في
خزانة المكتب، وقد وصلت في الوقت المناسب تماماً.
رنَّ الجرس مجدداً.

أصغت كاتي في المر ثم قرّبت أذنها من الباب، لكنها لم تسمع أيّ شيء،
ولذلك رنّت على الجرس مجدداً.

قالت كاتي من خلال الباب بوضوح، مع حرصها على خفض صوتها من
أجل عدم إزعاج الجيران: "آينو، هذا أنا"
ضغطت على الجرس مجدداً وانتظرت، لكن أحداً لم يُجبها.
قررت كاتي استخدام المفتاح الذي تحمله، ففعل آينو كانت نائمة، أو لربما
تكون غادرت لقضاء الليل مع صديقها الغامض.

دخلت كاتي الشقة وكان السكون التام مخمّماً عليها، ولم تكن هناك أي
إشارة تدل على وجود أيّ شخص سواء في غرفة المعيشة أو في المطبخ. فتحت
كاتي بعد ذلك باب غرفة النوم قليلاً فوجدت آينو نائمة. كانت البطانية مرفوعة
إلى الأعلى بحيث غطّت رأسها ووجهها جزئياً.

"صباح الخير... آسفة إذا كنت أيقظتك..."

نظرت كاتي إلى الجسد الذي بقي مستلقياً تحت البطانية، ثم اقتربت من السرير.
"آينو"

بقيت آينو من دون حراك، ولم تستجب لصوت كاتي.
رفعت كاتي البطانية قليلاً، ونادت بصوت أعلى "آينو"
ضغطت كاتي من خلال ثوب النوم الخاص بآينو فأحسّت بارتخاء العضلات،
كما أنها لم تُظهر أي إشارة على الاستيقاظ. لاحظت كاتي كذلك زجاجة
الأبسوليوت على الأرض بين السرير والطاولة الصغيرة، ورأت كذلك الحبوب
النومة. تناولت كاتي قارورة الحبوب فأحسّت أنها فارغة.

"يا إلهي، لا"

مدت كاتي يدها بلهفة بحثاً عن معصم آينو على أمل العثور على نبضٍ ما،
لكنها لم تجد له أثراً.

يا إلهي لا يمكن لذلك أن يحدث.

انحنت كاتي فوق وجه آينو، وحاولت كشف أي نفسٍ يخرج منها عندما
وضعت أذنها اليمنى قبالة فم صديقتها وأنفها، وهو ما تعلمته منذ زمن طويل في صف
الإسعافات الأولية. كان فم آينو مفتوحاً قليلاً، لكن كاتي لم تلاحظ أي حركة للهواء.
انهارت كاتي على الأرض قرب السرير، ثم اتصلت برقم الطوارئ بأصابع
مربّعة.

جلست ماجدا في هذه الأثناء داخل الخزانة وبقيت مرتديةً قفازاتها المطاطية.
أصغت بتركيز شديدٍ ممسكةً بمسدّس التخدير في إحدى يديها، وبسكين طبي في
يدها الأخرى. أدركت ماجدا أن المرأة التي دخلت الشقة قد مكثت طويلاً في
غرفة النوم، وأنها سوف تطلب سيارة إسعاف.

حضرت ماجدا نفسها للحظة التي سوف يفتح فيها باب الخزانة فجأةً، لأنه
كان يصعب عليها سماع وقع الخطوات.

سبق أن رأت كاتي ماجدا في اليوم السابق، وها إن المرأة ذاتها تعثر على
صديقتها ميتة. أليس ذلك صدفةً غير قابلةٍ للتفسير؟ سمعت ماجدا أصواتاً عالية
على نحو مفاجئ، وما لبثت باب الشقة أن انفتح، ثم سمعتُ ثرثرةً ومحادثةً حادةً.

بقيت كاتي في مدخل الشقة بينما كان المساعدان الطبيان يحومان حول آينو لإسعافها.

"سنأخذها إلى مستشفى سان لوقا، لكن حالتها تبدو سيئة. أليديها أقارب يُمكن للمستشفى الاتصال بهم؟"

"كلا، لكن يمكنني تقديم مساعدتي إذا احتاج الأمر. هذا هو رقم هاتفي
رفع المساعدان آينو إلى نقالة وخرجا من الشقة. عادت كاتي إلى المطبخ،
وشربت كوباً من الماء. كان قلبها يدق بسرعة. حاولت الاتصال بدافيد لكنه لم
يرد، وهكذا أرسلت له رسالة نصية: *لدي أخبار مروعة. اتصل بي الآن.*
حاولت كاتي المحافظة على هدوء أعصابها، وطردهم الذكريات القديمة من
ذهنها، لكن ذلك كان أمراً صعباً لأن أعصابها كانت ترتعش، كما لاقت صعوبة
في الوقوف.

سارت كاتي نحو المكتب وتوقفت للحظة عند النافذة، ثم ركزت أنظارها
على أشجار القيقب الموجودة في الجانب الآخر من الشارع والتي بدت أوراقها
مبللة بقطرات المطر. لكن كاتي زادت من تساؤلاتها عن ما حدث مع مرور بعض
الوقت على الصدمة الأولى.

ما هو السبب الذي دفع آينو إلى ارتكاب هذا العمل الفظيع؟ هل السبب هو
انفصالها عن صديقها؟ كلا، آينو لم تكن من هذا الصنف من الناس الذي يُقدم
على ذلك. هل كان السبب عملها؟ إنه سببٌ أقل احتمالاً بالنظر إلى إخلاصها
وتفانيها في العمل. تذكّرت كاتي ما قالته آينو في اليوم السابق بأن أخذ كل شيء
بجدية كبيرة يشكّل عبئاً في بعض الأحيان.

لم تكن آينو من تلك الفئة من الناس التي تُقدم على الانتحار. لكن، ما هو
السبب؟

أعتقد أنني أواجه بعض المشكلات الكبيرة. إنها مشكلات كبيرة حقاً. سأقوم
بنشر نتائج أبحاثي في وقت قريب...

انسابت كلمات آينو في ذهن كاتي.

"يتعين عليّ تنقيح كل شيء وتصويبه. لا أريد أن أنشر أي شيء لا تثبت صحته... أعتقد أنني سوف أكشف عن رجال كبار"
بدت هذه الكلمات مريعةً بشكلٍ مفاجئ.

"وهناك مزيد... ستؤدي بعض المشكلات إلى التأثير على وظائف أشخاص محددين

أخذت كاتي نفساً عميقاً. هل كانت تتحدث عن مشكلات تؤثر على وظيفة باريتو؟

نظرت في أنحاء الغرفة. كانت الرفوف مليئة بالكتب والملفات وبعض الصور. اقتربت أكثر، ونظرت إلى صورة مؤطرة تعود إلى سنوات عدّة. كانت تلك صورة عائلية: صورة جدود آينو، وخالاتها، وأعمامها، والدها ووالدتها.

ارتعبت كاتي لمجرد التفكير في اضطرابها إلى إبلاغ والدي آينو عن ما حدث. ظهر هاييكي، والد آينو واقفاً في الصورة وبدا مرتاحاً وهادئاً. كان هاييكي مختلفاً جداً عن والد كاتي، لكن آرتو وهاييكي كانا صديقين حميمين منذ مدةٍ طويلة. كان ذلك هو سبب تعرّف كاتي إلى آينو، بالرغم من أن صداقتهما بقيت سطحية. أما وجودهما في بروكسل فكان بمحض الصدفة، وكان هذا التواجد بداية لصداقةٍ حميمةٍ بينهما. لكن لم تعرف إحداهما الأخرى معرفةً عميقة. يُضاف إلى ذلك أنها لا تعتقد أن أحداً يعرف آينو حق المعرفة.

خطر في ذهنها، فجأة، أن تفتح إحدى الخزائن الجدارية، لكن فتح خزائن شخص آخر كان نوعاً من التطفل. كانت مضطرةً للبحث في أنحاء الشقة عليها تعثر على أي شيء يدل على ما حدث، لكنها تذكرت أنه يتعين عليها ترك عملية التحقيق للشرطة، كما يتعين عليها إبلاغ المسؤولين في المستشفى بشأن شكوكها. عادت كاتي على أعقابها على الفور، وأقفلت باب الشقة وراءها، ثم توجهت نحو المستشفى.

بقيت ماجدا من دون حراك في عتمة الخزانة، وأبقت مسدّس التخدير في يدها. لم تخرج من الخزانة إلا بعد أن تأكدت من أن صوت إقفال الباب صادرٌ عن شخصٍ خارجٍ من الشقة، وليس داخلاً إليها.

زحفت ماجدا في أنحاء الشقة كي تتأكد من أنها فارغة. توقفت في غرفة النوم وتطلعت نحو السرير الفارغ والغطاء الذي جُمع في جهةٍ واحدة. سيطرت فكرة مرعبة على ذهنها للحظةٍ من الزمن: ماذا لو قاموا بإجراء غسل معدة لتلك المرأة الفنلندية، ونجت من الموت؟

كانت ماجدا في حاجةٍ ماسّةٍ للنصف الثاني من مكافئها، وهكذا تبددت شكوكها على الفور، لأن الموتى لن يعودوا اليوم إلى الحياة.

لكن الأمر الوحيد الذي أزعجها فعلاً هو ذلك المجهيء غير المتوقع لهذه الصديقة.

كاتي.

ألقت ماجدا نظرة على هاتف آينو جاكولا، وتأكدت بعد ذلك من آخر الاتصالات الواردة والتي كانت من "كاتي" تفحصت ماجدا بعد ذلك المكالمات التي وردت قبلاً، ورأت رقمها هي، وهو رقم كان محفوظاً تحت اسم فنلندي جرّبت أن تحفظه مراراً: سي - فو - جا.

لم تعتمد إلى نحو الاتصالات التي وردت منها، لأن الشرطة إذا أرادت التدقيق في المكالمات لسببٍ ما، فإنها ستلاحظ ذلك. كان الرقم الذي استخدمته ماجدا مدفوعاً سلفاً.

سبق لماجدا أن دققت في الاتصالات الواردة والخارجة في هاتف جاكولا خلال الليل. شعرت برغبة في أخذ الهاتف معها، وعلى الأخص لأن الوضع قد تغير. لكن اختفاء أغراض شخصٍ ما أقدم على الانتحار لا يبدو أمراً حسناً على الإطلاق.

حملت ماجدا معطفها تحت إبطها، وأمسكت حقيبتها بيدها، ثم ألقت نظرة أخرى في أنحاء الشقة. وقفت بعد ذلك في الغرفة الكبيرة وهي تصغي كي تتأكد من عدم وجود أحدهم على الدرج.

مكتبة الرومحي أحمد ٨٠

حدّق فييكو إلى الصورة المؤطرة المعلقة على الجدار، والتي تظهره في بروكسل مع سالمي وهما يقفان معاً إلى جانب كاتي ودافيد والتمثال يبول في برκτη. كان فييكو يأمل أن يكون قادراً على إبلاغ حفيدته حقيقة التاريخ المأساوي للعائلة، في أسرع وقتٍ ممكن. لكن سيكون من الصعب، والصعب جداً على كاتي استيعاب الأمر.

استغرق فييكو في أفكاره بينما كان يرتشف قهوته. كان ابنه آرتو وزوجته ميرجا يديران شركة أقمشة في غاية النجاح. لكن التجارة مع الاتحاد السوفياتي تقلّصت فجأة. لم يفقد آرتو وميرجا الأمل، فوسّعا تجارتهم إلى استيراد الألبسة، وعلى الأخص من دور الأزياء الإيطالية الشهيرة، ولذلك اضطرا إلى أخذ مزيدٍ من القروض بالعملات الأجنبية. ارتفعت نسب الفوائد بعد ذلك ارتفاعاً صاروخياً، وهكذا بدأت المشكلات الخطيرة.

جهد فييكو في تثبيت جلسته على كرسيه ونهض ببطء. كان في طريقه لرؤية سالمي في المستشفى، وهو الذي أدّت معاناته من التغيّر في ضغط دمه إلى غشاوة على بصره للحظةٍ من الزمن، فأحسّ وكأنه يطير. كان عليه أن يقف ساكناً للحظات قليلة ريثما يعود ضغط الدم إلى معدّله الطبيعي.

رنّ هاتف فييكو فشعر بالارتياح، وما لبث أن ضغط على الزرّ الصغير أخضر اللون.

"مرحباً يا كاتي. كيف هي حالك في بروكسل؟"

"مرحباً..."

أدّت نبرة صوت كاتي إلى جعل فييكو أكثر انتبهاً.

"عندي أخبارٌ سيئة جداً في الواقع"

"نداء إلى طاقم الطائرة، الرجاء الجلوس في أماكنكم استعداداً للهبوط..."
جعل هذا النداء دافيد يجفل في مكانه. كانت الجبال القاحلة ذات الانحدار الشديد تنغرز في البحر اللازوردي وظهرت في السهول الواسعة توربينات الهواء مغروسة في التراب وكأها لوح من المسامير. كان حقلٌ جديد من طواحين الهواء ينشأ من جديد، بينما شاهد طائرة حوامة تُنزل إحدى القطع.

شعر دافيد بتوترٍ شديد، وكان في جوفه بركاناً. جال بنظره فوق البحر المتوسط الذي تلمع مياهه تحت أشعة الشمس بحيث تبدو خلاصة إلى حدٍ كبير. لكن حقيقة هذا الجزء من العالم هي أمرٌ مختلفٌ تماماً.

نظر بطرف عينيه إلى راي الذي كان جالساً في المقعد المجاور بملاحه الجادة. انحنى دافيد بقلق نحو النافذة وتطلع نحو باليرمو التي بدأت بالظهور من البعيد بشواطئها الرملية، ومبانيها العالية بشققها المتعددة، وفيلاتها الفخمة وكنائسها التاريخية. شعر دافيد بسحر المكان في زيارته السابقة، لكنه ترك الجزيرة بانطباعٍ مختلفٍ تماماً.

كانت هدية صقلية المشمسة إلى العالم داكنة إلى أقصى الدرجات: منظمة إجرامية لا نظير لها بشراستها وقساوتها ووحشيتها. كانت صقلية هي المكان الذي وُلدت فيه المافيا، وهي وليدة مجموعة من الحرس الخاص التي كانت الرحم التي انبثقت منها هذه المنظمة، والتي ما لبثت أن انتشرت إلى بقية أنحاء العالم مع موجات المهاجرين الإيطاليين.

تلمل دافيد في مكانه وتساءل ما إذا كانت خطته تحمل مخاطر كبيرة. لكنها كانت ذات مخاطر بطبيعة الحال، ثم شاهد بقلق كبير مباني المدينة وهي تقترب منه شيئاً فشيئاً. برز حيٌّ للفقراء وسط منظر المدينة البديع، فأيقن دافيد أن مشاريع البناء العشوائية، وهذا التشوه المدني، هما نتيجة الفساد.

بدت نتيجة الفساد الذي تتصف به المافيا واضحة حتى من الجو. إن ما يزيد على ثمانين بالمئة من مؤسسات هذه المدينة تدفع بدل حماية. أما إذا رفض صاحب مؤسسة دفع بدل الحماية، فإن ذلك قد يعرضه لخسارة حياته. لكن الجهة التي وقفت وراء كل هذه المتاعب فكانت مفوضية المافيا الصقلية، وهي الحلف غير

المقدس الذي يضم العائلات ذات النفوذ، وهي كلها منضوية تحت قيادة زعيم الجرائم الماكيفيلية الشهير سلفاتور داماتو.

شعر دافيد بثقل كبير يضغط على صدره، وأحسّ بما يُشبه الصوت في رأسه يأمره بعدم الذهاب إلى الجزيرة، لكنه كان يعرف أن التوجّه إليها كان فرصته الوحيدة لخلاصه من معضلة ثمانية وأربعين مليون يورو يهدوء. لا يتعلّق الأمر بالمال فحسب، لأنه في حال انكشاف أمره فسوف تتعرّض كاتي للعقاب بدورها، كما أن أحداً لن يصدّق أنّها لم تعلم بمحاولة زوجها استخدام المعلومات السرية التي جاءت بها زوجته إلى المنزل.

"لم يتمكن المستشفى من فعل أي شيء" كان ذلك كل ما تمكّنت كاتي من قوله على الهاتف بصوتٍ متهدّج، بينما كانت جالسةً في سيارتها المركونة أمام شقة آينو.

"يصعب عليّ فهم الأمر كان ذلك كل ما تمكّن من قوله رئيس آينو المباشر، وهو فرنسي الجنسية. كان من الطبيعي أن تتصل كاتي به، وهو الذي كان حاضراً بدوره حفلة الليلة الماضية. "لم أتصوّر قط أنّها تفكّر في الانتحار فكّرت كاتي أن تعبّر عن شكوكها في أن الأمر كان انتحاراً، لكنها تذكّرت كلمات آينو: "وقعتُ على أمرٍ خطير... لا أجرؤ على نشر أيّ شيء قبل التأكّد منه تماماً..."

تردّدت تلك الكلمات في ذهن كاتي. كلا... لا يُعقل أن تكون أقدمت على الانتحار...

قال الفرنسي على الطرف الآخر من الخط: "مرحباً، ألا تزالين على الخط؟"

انتبهت كاتي من شرودها: "كان ما حدث مفاجأة لي بالكامل"

"ماذا... لكن كيف وجدتها؟"

"قصدتُ شقتها و كنت أحمل نسخةً عن مفتاحها سبق أن أعطيتني إياه آينو،

ثمّ وجدتها في سريرها"

"لديك مفتاح لشقتها؟"

"إنني أقوم بريّ أزهارها وورودها أثناء غيابها"

"إنها صدمة كبيرة بالنسبة لك"

"طلبتُ إجازة ليوم غد كي أتمكن من ترتيب الأمور مع أسرتها"

"بالطبع"

تحدّثنا لبعض الوقت، وما لبثت كاتي أن خرجت من سيارتها قاصدةً درج المبنى. شعرت أن غضبها يتزايد مع كل خطوةٍ تخطوها. سبق لها أن أجزت اتصالاً مع فييكو كذلك، لكنها لم ترغب في الاتصال بوالدها حتى في حالة كهذه، وعلى الأخص في حالة كهذه... يُضاف إلى ذلك أن فييكو وعد بنقل هذه الأخبار السيئة إلى والدَي آينو، وهما سوف يتصلان بكاتي لمعرفة ما حدث بالضبط. لكن لم يكن بوسع كاتي إلا أن تتحدث عن واقعة انتحار بحيث تنسى كل الافتراضات الأخرى إلى حين امتلاكها دليلاً قاطعاً عما حدث.

لكن ما أن اقتربت كاتي من باب شقة آينو التي تقع في الطابق الرابع حتى تلقّت اتصالاً من الرئيس المباشر لآينو.

"أريد أن أطلب منك عدم دخول شقة آينو حتى وإن كان لديك مفتاح لها. يحتاج فريقنا الأمني إلى إجراء مسح لها أولاً. نريد أن نتأكد من عدم وقوع أوراق تحتوي على معلومات سرية في أيدي أشخاص غير مرغوب فيهم"

لم أسمع شيئاً عن هذا. هل هذا معقول؟

"إننا نفعل هذا بين وقتٍ وآخر، وفي حالات كهذه عندما يموت أحد موظفينا فجأة"

"كيف سيدخلون إلى الشقة؟"

"لديهم وسائلهم الخاصة بهم. يمكنك الذهاب إلى المنزل والاستراحة"

فكرت كاتي للحظةٍ من الزمن قبل أن تقول: "حسناً"، ثم أنهت المكالمة. فتحت الباب بعد ذلك. كانت مصرّةً على تفتيش الشقة، ولم يكن هناك أي قوة تمنعها من ذلك قبل وصول الفريق الأمني، كما إنها أرادت أن يصل رجال الشرطة إلى الشقة قبل غيرهم.

أغلقت الباب بهدوء ورائها، وتأكدت من خلوّ كل الغرف من أيّ شخص. وفتت أمام فراش غرفة النوم وتأمّلت قليلاً، ثم جهدت للسيطرة على أعصابها إلى أن انفجرت بالبكاء، وسالت الدموع من عينيها وهي تستعيد ذكرياتها مع صديقتها.

تمكّنت في النهاية من السيطرة على أعصابها مع أن البكاء ساعدها كثيراً، وجعلها تشعر بقوة أكبر وبعزم أشد. كانت متأكّدة من أن هذا هو ما تريده آينو، وهي أكثر الأشخاص إخلاصاً ودقّة في أعمالهم من الذين عرفتهم على الإطلاق. كانت المرأتان متشابهتين في هذا المجال.

حدّقت كاتي إلى السرير الفارغ وأحسّت بحضور آينو في الغرفة. أقسمت على كشف حقيقة موتها، حتى ولو كان ذلك آخر شيء تُقدم عليه في حياتها على الإطلاق.

أبلغت كاتي الأطباء أنها تنوي الطلب من الشرطة إجراء تحقّق شاملٍ عن موت آينو. تساءلت الطبيبة عن سبب طلبها هذا، لكن كاتي أجابت أنها متأكّدة من أن آينو لم تُقدم على الانتحار. أما ملامح الطبيبة فقد أوحى بأن هذا هو ما يفكر فيه أصدقاء وعائلات الذين يقدمون على الانتحار. قالت الطبيبة إن الانتحار عادةً ما يحدث بشكلٍ مفاجئ، وكأنّ كاتي لم تعرف ذلك.

سارت كاتي نحو المكتب وهي تدرك أنها لا تستطيع اللجوء إلى الشرطة من دون وجود دليلٍ في يديها، أي إن حدسها لم يكن كافياً. تعودت كاتي، بوصفها محامية، على إعداد قضايا متماسكة، وعلى الأخص لأن التحديات المنطقية تهدّي أعصابها.

أولاً: إذا كانت هناك جريمة فلا بد من وجود دافع.

سبق أن تحدّثت آينو عن البحث الذي أجرته حول برنامج التغيّر المناخي الذي كان الاتحاد الأوروبي يحاول الترويج له. هل كان ذلك هو سبب حضور الفريق الأمني لتفتيش شقة آينو؟ يُعرف الجهاز الأمني التابع للمفوضية بمحاولاته الاحتفاظ بأي شيء سلبي بعيداً عن أعين الآخرين، وعلى الأخص بعيداً عن أعين الصحافة.

أدى مجرد التفكير في هذا الأمر إلى شعور كاتي بالتوتر الشديد. حدثت إلى الغرفة النظيفة التي تفوح بالرائحة الطيبة، وما لبثت أن تذكرت تلك الخادمة البولندية التي اهتمت بتنظيف عتبات النوافذ بينما كانت تدندن أغنية ما. تذكرت كاتي أن هذه المرأة المنهكة بأعمال التنظيف قد تجنبت إظهار وجهها لها، وهو الأمر الذي بدا غريباً في ذلك الحين. لكن كاتي رأت وجهها في المرأة، ولاحظت مدى أناقة تلك المرأة. تناقضت صورة هذه المرأة مع ما قالته آينو عن ماضي تلك الأرملة، لكن كاتي لم تعر الأمر أهمية في ذلك الوقت.

اهتمت كاتي الآن كثيراً بهذا التناقض، وعلى الأخص لأن هذه المرأة البولندية بقيت وحدها في الشقة بعد مغادرتها لها. لاحظت كاتي وجود هاتف آينو من نوع آيفون على الطاولة فأدركت أن الفريق الأمني الذي سيحضر بعد قليل سوف يأخذ معه الدليل الوحيد الذي يمكن لكاتي أن تقدمه للشرطة، والذي يشير إلى أن موت آينو ناتج عن جريمة. أسرعت إلى التقاط الهاتف لأن لا مجال الآن لإظهار آداب السلوك. كان أي جزء من المعلومات المتوافرة هو جزء حاسم بالنسبة للتحقيق.

رن هاتفها في هذه اللحظة بالذات. تنهدت قبل أن ترد بصوت مرتعش:
"أخيراً، هذا أنت يا دافيد"
"ماذا حدث؟"

استجمعت كاتي كل قوتها: "حدث شيء مريع. إنها آينو... ماتت... انتحاراً بالحبوب المنومة والكحول"

ساد الصمت على الطرف الآخر من الخط في حين انسابت الدموع من عيني كاتي، بينما شعرت بتضخم في حنجرتها.

تمكنت كاتي من إضافة شيء آخر: "أو أنهم جعلوا الأمر يبدو هكذا"
"ماذا تعنين؟"

"بدا المشهد مُصطنعاً. أقدم أحدهم على قتلها"
"ما هذا الذي تقولينه؟"

"يُحتمل أن يكون لهذا علاقة مع نيّتها كشف معلومات حول التغير المناخي. يُحتمل كذلك أنها عرفت شيئاً عن تسريبات باريتو، وهددت بفضحه. أعتقد،

على أيّ حال، أن الجهاز الأمني التابع للمفوضية ينوي المحيى لتفتيش شقتها. لكنى بدأت بإلقاء نظرة على الشقة قبل أن يأتوا على أمل أن أجد دليلاً حسيماً يُمكن للشرطة أن تأخذه على محمل الجد"

"انتظري. لا تُقدمي على شيءٍ متهورٍ..."

"تزداد احتمالات إلقاء القبض على القاتل إذا ما تمكّنوا من العثور على أثرٍ له. سأطلب إليهم أن يبدأوا، وقبل أي شيءٍ آخر، باستجواب السيّدة البولندية التي قامت بتنظيف شقة آينو. بدت المرأة غريبةً حقاً. لم تنظر إليّ مباشرةً حتى عندما تكلمت معها، لكنني رأيتها في المرآة.

"ألا يُحتمل أن تكون خجولةً قليلاً؟ هل حقاً لا تتصوّرين إقدام آينو على الانتحار؟ كانت معنوياتها منخفضة بالفعل البارحة، ويُحتمل أن تكون قد انهارت في النهاية"

"لا تحاول أن تثنيي الآن عمّا أعتزم القيام به. يتعيّن على الشرطة التحقيق في الأمر. إن كل ما أريده هو العثور على دليل ما قبل أن يحشر هؤلاء المناجورون أنوفهم بالأمر. فكّر معي: أبلغتني آينو صراحةً بأنها سوف تفضح شخصية مهمة عندما تنشر المعلومات التي بحوزتها. لا يتعيّن على المرء أن يكون انفتش مورس كي يفهم ما حدث لآينو حين كانت على وشك كشف معلوماها التي وقعت عليها. أعتزم كذلك إبلاغ الشرطة عن التسريبات السرية التي قام بها باريتو، ومواجهته مع آينو في الحفلة"

تكلمّ دافيد بلهجةً هادئة، ويُحتمل أنه كان يفكّر في كيفية السيطرة على مخيلة زوجته التي يبدو أنها شديدة الانفعال. لكنه قال أخيراً بلهجةً جدّيةً ومفاجئةً: "يُحتمل كثيراً أن يكون الأمران مترابطين. إن هذا يعطيني سبباً إضافياً كي تهدئي الآن. لا تُبلغني الشرطة أيّ شيءٍ عن باريتو. انتظري قليلاً فقط، وأنا سأعود بعد وقتٍ قصير. سنرى ماذا سنفعل بعد ذلك. سأهني المكالمة الآن"

وضعت كاتي سماعة الهاتف على الطاولة بعد أن شعرت بانزعاجٍ من الحذر الشديد الذي أبداه دافيد.

جفلت كاتي قليلاً عند سماعها أصواتاً آتية من ناحية الدرج. لماذا قدّموا بهذه

السرعة؟ أسرعَت إلى الإمساك بهاتف آينو، لكن الأصوات الآتية من بيت الدرج توقفت، لحسن حظها، ولم يأت أحد. بدأت كاتي تتفحص محتويات هاتف آينو. تضمّن ملف الصور في هاتفها لقطاتٍ قليلةً من حفلة الليلة الماضية، وكانت آينو معجبة بالعوارض الخشبية الظاهرة تحت السقف.

أظهرت الصورة السابقة صورةً عن بطاقة هوية المرأة البولندية. عكس وجه المرأة ذات الشعر الأحمر قدراً من الذكاء، بينما كانت نظرتها هادئة. نقلت كاتي المعلومات من البطاقة، وسجلت رقم هاتف المرأة في هاتفها الخاص.

عمدت أخيراً إلى أخذ صورةٍ عن البطاقة الظاهرة على الشاشة، لأن رجال الشرطة يريدون معرفة ما إذا كانت ستتمكن من إقناعهم بضرورة إجراء تحقيق. أما الرسائل النصّية والملاحظات التي دوّنتها ووجّهتها إليها فلا تحتوي على أيّ شيء محدد. تذكرت كاتي أن آينو لم تحصل على هاتفها الجديد من نوع آيفون إلا منذ أسابيع قليلة فقط.

تابعت كاتي عملية البحث بسرعةٍ نتيجة خشيتها من قدوم الفريق الأمني إلى الشقة في أيّ لحظة الآن.

ارتدى الرجل بنظراً من الجينز بلونٍ أسود يُظهره بعمرٍ أقل بقليل من عمره الحقيقي، وقميصاً أسود اللون تحت معطفٍ رياضي بلونٍ أسود كذلك. رفع الرجل خصلةً من شعره الأشيب عن جبهته، ومسح العرق المتصبب من حاجبه بمنديلٍ ورقي. كان الرجل قد دخل لتوّه قاعة الوصول في مطار فيوميتشينو الذي يقع جنوب غرب روما.

أدت الحرارة الشديدة إلى زيادة وطأة الصداع الذي أصاب مارتن رينختر، لكنه بالكاد لاحظ ذلك. كان من المستغرب جداً أن يتمكن شعور الترقّب لرؤية شخصٍ ما مجدداً من السيطرة عليه كلياً وإغراقه بمشاعر السعادة، إلى درجة أن مهمته الحالية، التي سوف تدخل تاريخ قارةٍ بأسرها، بدت ضئيلةً مقارنةً بذلك الشعور.

لكن القلق الوحيد الذي ساور أفكاره أتى من رؤيته ذلك المسدّس في يد جينا روجيرو حين جلست في المقعد الأمامي لسيارة اللانسيا. كان ذلك تذكيراً له بخطورة اللعبة التي كانا يلعبانها، وأن زمام الأمور قد يخرج عن السيطرة في أيّ وقت، وبصورةٍ غير متوقّعة. تساءل مارتن إذا كان يجدر به إبلاغ إيريكاً بهذه الحادثة، لكن لعلّ من الأفضل ألاّ يثير قلقاً لا لزوم له عندها. كان مصدر القلق الأساسي عند روجيرو هو الوضع السائد في المصرف، بينما احتفظ مارتن بالوثيقة التي استلمها منها في الجيب الأعلى لمعطفه. كانت تلك وثيقة بمنزلة قبلة... بل ستتحول بعد وقتٍ قريبٍ إلى قبلةٍ ذرية، لكن أحداً لن يعلم أنها وثيقة مُرسلة من الكرملين.

راقب مارتن المسافرين الداخلين إلى قاعة استعادة الحوائب. ارتطم به أحدهم من الخلف فترنّح لاستعادة توازنه، ولم يشعر أيّ منهما بالحاجة إلى الاعتذار. كان

هذا المزاج المتوتر ذاته مسيطراً على مبنى المسافرين، وكذلك على إيطاليا بأسرها. تبادل الناس فيما بينهم الأحاديث عن المصارف، وعن سحب الأرصدة من الحسابات. سيطرت كذلك حالة من الهستيريا الجماعية على الناس، لكن مارتن كان في ذروة الارتياح لتطورات الوضع في إيطاليا.

ظهر في آخر الأمر شخصٌ مألوف لديه من بين جمهور المسافرين، فشرع مارتن بموجةٍ من الدفء تسيطر عليه. كان يومان من الغياب عن إيريكاً بمنزلة الأبدية بالنسبة له. ارتدت تلك المرأة الشقراء، ذات القامة المشوقة بنظراً ضيقاً من الجينز، وقميصاً أبيض اللون كشفت كميته المرفوعين عن ذراعين قويتين زادتهما الشمس سمرة. كانت سترة جلدية تتدلى من فوق كتفها كما كانت تجر وراءها حقيبة أمتعة صغيرة.

لكن الأمر الوحيد الذي أفسد متعة هذه اللحظة عند مارتن كان رؤية الرجل الذي يسير خلفها على بُعد خطوتين، وكان يرتدي بنظراً من الجينز الممزق وقميصاً بكمين قصيرين. كان ذلك الرجل هو فلوريان زيغلر.

بدأ مارتن يتقدم نحوهما، لكنه عدل عن فكرته، ولم تكن إيريكاً قد لاحظته بعد. همس زيغلر شيئاً ما، وما لبثت إيريكاً أن ضحكت. لم يدُ عليها أي شيء يدل على أنها تعاني من الاشتياق واللهفة التي يعانها هو. لم تكن إيريكاً تتفحص وجوه المسافرين في محاولة العثور على الرجل الذي تشتاق إليه، وهي التي تعرف أنه ينتظرها بين حشود المستقبلين، لكن لغة جسدها دلت على شيءٍ آخر مختلفٍ كلياً، أي سرورها البالغ لمرافقة شاب في مقتبل العمر.

سيطرت موجة مفاجئة من الشك على ذهن مارتن. هل تركته إيريكاً واستبدلت فلوريان به؟ هل كانت مشاعر إيريكاً صادقة منذ البداية؟

أكد مارتن لنفسه أن مشاعرها نحوه كانت صادقة بطبيعة الحال، وهي التي طالما أعجبت بالنقد الذي كان يوجهه للقطاع المصرفي واليورو. بدا ذلك الإعجاب في عينيها، وفي الحماسة التي رافقتها حين باشرت هذا المشروع. لقد أثار عدم تعريف إيريكاً إلى بافل، ونسبة العديد من الأفكار التي طرحها إلى نفسه، انزعاجه.

لكن ما إن لمس فلوريان كتف إيريكّا حتى شعر مارتن بموجة قاتلة من الغيرة تحترق كيانه. التقت عينا إيريكّا بعد ذلك عيني مارتن الذي لوّح لها بيديه حتى وهو يعضّ على شفّتيه. كان عليه السيطرة على مشاعره، لأن فلوريان زيغلر كان حليفاً وليس عدواً، وهو بالإضافة إلى ذلك يمتلك معرفة بالحواسيب، وبإمكانه معالجة النواحي التقنية في المشروع الذي شرعوا فيه.

سرّعت إيريكّا خطواتها، ثم طبعت قبلة على شفّتيه، وقالت هامسة: "مارتن! أنا سعيدة لرؤيتك"

بدا جسم إيريكّا رائعاً بعد ابتعادها لفترة قصيرة، لكن الشكوك ظلّت تحوم في ذهن مارتن. كان يريد، بالرغم من ذلك، طرح هذه الشكوك جانباً، والاستسلام لنشوة اللقاء التي يشعر بها عندما تكون قريبه. أراد كذلك أن يصدّق أن مشاعر إيريكّا نحوه هي مشاعر صادقة، وأن المستقبل يُمكن أن يجمعهما معاً.

شدّ مارتن إيريكّا نحوه بقوة أكبر، ونظر بطرف عينه إلى فلوريان الذي أشاح بنظره بعيداً، وقد بدا عليه بعض الانزعاج. لم يكن مارتن على استعداد للتنازل عن إيريكّا مقابل أيّ شيء. كانت تريد إنجازات ونتائج، وكان مارتن مصراً أشدّ الإصرار على تحقيق هذين الأمرين.

سأل مارتن بينما كان يصافح فلوريان: "كيف كانت الرحلة؟"
قالت إيريكّا: "إننا نعمل على عددٍ من الأفكار الجديدة والمناسبة. كيف هي الأمور هنا؟"

"إنّها تسير بشكلٍ جيد، سواء بالنسبة إلى وسائل الإعلام أم في الشارع. قفزت السندات الحكومية الإيطالية إلى أكثر من سبعة بالمئة. يعني ذلك أن الوضع يتطور بشكلٍ رائع، لكن لا يزال أمامنا الكثير لإنجازه"

سار مارتن أمام إيريكّا وفلوريان باتجاه سيارة الأودي المستأجرة التي سبق له أن ركنها في موقف السيارات. أبرز مارتن الوثيقة التي تسلّمها من روجيرو بعد دخول الجميع السيارة.

سأل فلوريان بنفاد صبر: "كيف تسير الأمور؟"

"الأمور واعدة، وكل ما عليك فعله هو تغيير ذلك الرقم فحسب، وإدخاله إلى المساحة الإلكترونية وتحميله. ستولى ويكيليكس كل ما تبقى من عمل"
أشار مارتن إلى الرقم الذي يُظهر الحجم الحقيقي لخسائر المصرف، وكان يدرك تماماً أن الوثيقة تناسب أهدافهم تماماً. أما المعلومات الواردة في الوثيقة فصحيحة إلا في ما يتعلق برقمٍ واحد. يعني ذلك أن التشكيك بصدقية الوثيقة أمرٌ في منتهى الصعوبة.

جلس دافيد في سيارة فيات كبيرة ومُستأجرة في وسط مدينة باليرمو، وكان يتطلّع إلى فناء أحد المطاعم. أدى التوتّر الذي يشعر به إلى تصبّب العرق من تحت إبطه وتبلّل قميصه.

جلس راي مسترخياً في مقعده بالقرب منه، وكان وجهه جامداً كالصخر. يُحتمل أنه كان يحضّر لشن هجمات على معسكرات المقاتلين الموجودة في إحدى غابات الكونغو، مستخدماً تقنيات التركيز ذاتها. أما السيارة التي استأجرها راي فكانت مركونة خلفهما على بعد حوالي مئة متر.

بالرغم من الحرارة الشديدة داخل السيارة، إلا أن التفكير في مقتل آينو أصاب دافيد بالقلق الشديد. بقيت الفرضية الأخرى واردةً في خلفية تفكيره، بالرغم من محاولته جاهداً إقناع نفسه بأن ما حدث كان انتحاراً. يُحتمل كذلك أن تكون كاتي على حق، وهو الأمر الذي يعني أن شخصاً ما يضع رهانات على التخلص منها أعلى بكثير مما كان يعتقد.

هل يتعيّن على دافيد إطلاع راي على مصير آينو، وعلى الشكوك التي تساور زوجته؟ قرّر أن من الأفضل التزام الهدوء. كان راي هو الرجل الذي اختارته آينو لإجراء التوصيلات المنزلية اللازمة، كما أنه تعرّف إليهم بناءً على توصيةٍ منها. لم يكن هناك من فائدة تُرجى من إثارة أعصابه في هذا الوقت. يُضاف إلى ذلك أن من المحتمل تماماً أن تكون آينو هي التي قتلت نفسها.

نهض دافيد من مكانه فجأة ما إن رأى سيارة مازيراتي رمادية اللون تتوقّف أمام المطعم. خرج رجلٌ نحيل من السيارة، بشعره الطويل الذي يصل إلى رقبته، ومظهره الذي يدل على أصله الراقي. وما لبث أن سلّم مفاتيح سيارته إلى الموظف في موقف المطعم.

قال دافيد ببرودة لرأي الذي كان يحدّق إلى ذلك الرجل الإيطالي بتركيز عميق: "انظر، ذلك هو الرجل"
وصل لورنزو كاسانو باكراً، وهو الذي قال أثناء المكالمة أن أعماله قد توسّعت بعد آخر اجتماع لهما. كان الرجل يبحث عن أرباح أكبر مقابل الرأسمال الذي يديره، والذي وصل إلى مئات الملايين. كان ضغط العمل شديداً عليه، وبرنامج عمله كثيفاً جداً، لكن دافيد أقنع لورنزو بحضور غداء عمل في المطعم ذاته الذي قاما بزيارته معاً قبل سنتين، وذلك خلال الرحلة السابقة التي قام بها إلى صقلية.

ترجّل دافيد من السيارة، وسار نحو المطعم حاملاً بيده محفظةً جلدية. سبق له أن أبلغ رأي خطته عندما كانا في طريقهما من المطار إلى وسط باليرمو، ولم يكن لديه أي فكرة عن ردّ فعل رأي على هذه المهمة. أمكن أن يكون ردّ فعله حاداً إلى درجة عودته إلى موطنه وإعادة المال إلى دافيد. لكن كان على رأي أن يدرك، في تلك المرحلة، أن دافيد أعطاه سيارة اللاند روفر لأن المهمة التي تنتظره سوف تكون صعبةً نسبياً.

فكّر رأي قليلاً بعد سماعه الخطة، وطرح بعض الأسئلة للتوضيح، ثم ساعد على وضع التفاصيل، وهو الأمر الذي أثار ارتياح دافيد كثيراً.

تردّد صوت دراجة الفيسبا في أذني دافيد، بينما تركّز عيناه على السائق الذي لم يكن سوى امرأةٍ يتطاير شعرها مع الهواء تحت خوذةٍ الصفراء. ارتدت المرأة فستاناً ضيقاً ذا لونٍ ليلكي، وانتعلت حذاءً ذا كعب عالٍ تصل أربطته حتى سيقاها. عرف دافيد في هذا الوقت ما يجري: سبق أن ضُغف تركيزه في اللحظة التي تحمّل فيها أكبر قدرٍ من الإجهاد. أدرك كذلك أن ليس بمقدوره أن يسمح لذلك أن يحدث الآن.

مرّ دافيد من أمام منصة فاكهةٍ مليئةٍ بشمار الليمون الحامض والشمام، ثم تقدّم في سيره نحو المطعم. كان عليه أن يثق بالخطة التي وضعها.

خطرت في ذهن دافيد علاقة لورنزو كاسانو برافائيل مانشيبي وخوليو باريتو في الليلة التي سبقت اطلاعه على قائمة الشركات الإيطالية التي تتلقّى منحاً

تحت عنوان الطاقة المتجددة في الاتحاد الأوروبي. كان مانشيبي يمتلك بالفعل عدداً من هذه الشركات التي تتلقى هذا النوع من الهبات. لكن في وقت متأخر من الليل فهم دافيد الروابط التي تربط هذه الشركات بعضها مع بعض. كان لورنزو يمثل تلك الشركات ذاتها. أما إذا كان مانشيبي يقوم بتبييض الأموال لصالح المافيا بالتعاون مع باريتو، فإن ذلك يستتبع أن يكون لورنزو على علم بالتفاصيل عن الكيفية التي تندفق فيها أموال الاتحاد الأوروبي إلى صناديق المافيا.

أوماً الموظف الواقف على الباب عند دخول دافيد، وتقدمه إلى الداخل. قال دافيد بلهجته الإيطالية الجافة لرئيس النداء: "هناك حجز لطاولة تحت اسم كاسانو

كان دافيد هو الذي رتب الحجز، لكنه استخدم اسماً إيطالياً لسهولته. كان استدراج لورنزو إلى المطعم المرحلة الأولى من الخطة التي وضعها في آخر اجتماع لهما. أدرك دافيد أن لورنزو أراد العمل معه. كان دافيد يمثل شركة خدمات مالية محترمة في لندن، وأرادت المافيا إجراء اتصالات مع خبراء ماليين، بإمكانهم فتح قنوات لأموالهم للوصول إلى العالم أجمع. كان لورنزو يقدر كثيراً لرجال الذين يمتلكون مواهب في الرياضيات ويمكنهم استغلالها في استخدامات خاصة. كان ذلك بالضبط هو الذي جعل دافيد يرفض عرض التعاون مع لورنزو. كان دافيد يثق بجدسه، وقد أنقذته مكالمته مع أندريا من التورط في غسل الأموال لصالح المافيا الصقلية.

قاد كبير النداء دافيد نحو الدرج، ومرّاً من أمام فرنٍ حجريٍ لخبز البيتزا، بدت نيرانه من خلال بابه المفتوح. أما نوافذ الطابق الثانية من المطعم فأبرزت ساحة تحوطها مبانٍ ذات قناطر مشيدة على الطراز الباروكي مع بركة ماء في وسطها.

نهض رجل من مقعده الجوار للنافذة وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة، ثم مدّ يده نحو دافيد. قال لورنزو بلهجة إنكليزية أنيقة: "أنا سعيد لرؤيتك يا دافيد" نال الرجل درجة الدكتوراه من جامعة هامبولت في برلين، كما عمل

لسنواتٍ عدّة في لندن حيث التقى الرجلان اللذان هما في العمر ذاته تقريباً،
واللذان بدأ بدايةً متواضعة.

سأل لورنزو عن كاتي، بينما تحدّث دافيد عن منزلها الجديد. تحدّث لورنزو
كذلك عن صديقته التي تبدو كاملة تقريباً، وهو أمرٌ ليس مُستغرباً لأن الإيطاليين
يعرفون كيفية الحديث بحماسة بالغة.

طلب لورنزو طبق معكرونة بالأنشوفة والشمر كطبق رئيس، وأرنباً مشويّاً
محمّشواً بالسبانخ ثانياً، مع شرابٍ أبيض غالي الثمن. ناقش الرجلان العقوبات التي
فرضها الاتحاد الأوروبي على روسيا، وعوائد السندات اليونانية من فئة الثلاث
سنوات المتصاعدة بشكلٍ يثير القلق، وكذلك الأزمة المصرفية الإيطالية الآخذة
بالتفاقم. لكن لورنزو بدأ حذراً في عرض آرائه.

دُهِش دافيد بالمهارة التي أبداها الرجل في إخفاء قلقه. يُحتمل أن يكون عدم
توفّر الخيارات لديه قد ساعده على السيطرة على أعصابه.

سأل دافيد أخيراً: "هل أحضرت الأرقام معك؟" تحدّث دافيد عند اتفاقهما
على عقد هذا الاجتماع عن هيكليات الملكية المحتملة لشركات الطاقة التي يمثّلها
لورنزو، في حين وعد الإيطالي بإجراء بعض الحسابات الأولية.

زاد لورنزو من تركيز نظراته قبل أن يسأل: "ما الذي جاء بك إلى هنا؟
فهمت منك في المرة الماضية أنك غير مهتمّ بالمال"

"لكن المال يهمني، وأنا أحتاجه الآن. أحتاج مالاً كثيراً"

ضحك لورنزو وتناول جرعةً من الشراب. "يعني ذلك أن لدينا شيئاً
مشتركا. يمتلك عملائي أموالاً كثيرة، لكنهم يريدون مزيداً على الدوام. يبدو أن
هذه هي طبيعة الإنسان"

أوماً دافيد بصمت، بالرغم من عدم مشاطرته لورنزو الرأي.

قال دافيد: "يمكننا جمع المال معاً"

اتّسعت الابتسامة التي ظهرت على وجه لورنزو: "أعتقد أن بإمكاننا أن نفعل
ذلك. لكن أتعلم ما هو السبب الذي يدفعني إلى هذا الاعتقاد؟"

هزّ دافيد كتفيه.

"لأنني أعرف كثيراً عنك، وأكثر مما يمكنك تصوّره"
جفل دافيد بعد سماعه هذه الكلمات، وقال ضاحكاً في محاولةٍ منه لأن يبدو
مسترخياً إلى أقصى الحدود: "لا يوجد كثير لتعرفه عني"
"سيكسب عملائي أرباحاً هائلة في المستقبل القريب. إنني أتحدث عن مبالغ
كبيرة حقاً، وأبحث عن فرص استثماراتٍ مناسبةٍ لها. أنت موهوب بالرياضيات،
ويمكننا أن نقول إنك عبقرى. كما إن عملائي يحتاجون إلى خبيرٍ في المشتقات
المالية من طرازٍ عالميٍّ مثلك"

تأكّدت في هذا الوقت الشكوك التي سيطرت على دافيد. إنهم يريدون رجلاً
يسيطر على الأرقام، ومحللاً، لكن رؤساءه في لندن لم يتمكنوا من استغلال كل
مواهبه. أيقن دافيد مجدداً أن أفضل العقول عادة ما تخدم الشر.
فتح لورنزو حقيقته بعد أن وضعها في حضنه، ثم وضع ورقة على الطاولة.
تبين بعد ذلك أنها عقد عمل لدافيد. لم ينقص هذا العقد سوى توقيعه.
لم يكن بوسع دافيد إلا أن يُعجب بمدى الرشاقة التي يتمتع بها لورنزو،
وكذلك السرعة التي يتمكن فيها من انتهاز فرصةٍ سانحة، وهو ما يميّز كبار رجال
الأعمال.

حدّق دافيد إلى الورقة. كان إغراء توقيعها لا يُقاوم، وهي التي بدت أنها
الطريق المباشر نحو الثروة التي هي درب الخلاص من المشكلة التي أقحم نفسه فيها.
أما إذا لم يكن قادراً على جمع مبلغ ثمانية وأربعين مليون يورو في حساب
صندوق الاستثمار hedge fund، وذلك في مدةٍ أقصاها يوم الأربعاء، فإنه سيواجه
السجن، ولن يكون نافعاً حتى للمافيا.

قال دافيد محاولاً التصرف بطريقةٍ طبيعية: "دعنا نلق نظرة على حساباتك"
انحنى نحو حقيقته مجدداً، وتناول الحاسوب الذي كان دافيد يأمل أن يراه.
قال لورنزو عندما بدأ بفتح غطاء الحاسوب: "لن يخيب أملك أبداً"
توتّرت عضلات دافيد وهو يرى أمام عينيه تحقّق الأمور التي كان يسعى
إليها. إذا كان لورنزو يقوم بإدارة حسابات لصالح مانشيبي والمافيا، فيتعيّن أن
يحتوي حاسوبه على كمياتٍ هائلةٍ من المعلومات. تذكر دافيد لورنزو وهو

يكشف عن أرقامٍ وتقارير وملخّصات حسابات من حاسوب لينوفو الذي أحضره إلى المطعم في اجتماعهما الماضي.

حاول دافيد تهدئة موجة الاضطراب التي شعر بها في داخله بينما كان يراقب لورنزو وهو ينقر على لوحة الحاسوب. ارتشف بعض الماء وهو يعيش آخر لحظة يمكنه التراجع فيها، ومغادرة المكان، وترك الأمور من دون إتمام. لكنه لا يستطيع التراجع الآن.

مدّ يده إلى جيبه بلباقة تحت الطاولة، وضغط زراً على هاتفه.

عاد إلى وضع يده على الطاولة، ثم مدّ يده نحو كوب الماء مجدداً، لكنه حوّل يده نحو الشوكة بدلاً من ذلك، لأنه لم يرغب أن يلاحظ لورنزو مدى توتره.

قال لورنزو بهدوء وهو يتطلّع نحو دافيد: "هذه هي... أعتذر منك، لكنني متأكد من أنك تدرك أنني لا أستطيع أن أريك الشاشة. تعرف كذلك أننا نعمل بالتنسيق مع عدة مؤسساتٍ خارجيةٍ مركزها جزر فيرجين. إن تركيزنا الأساسي في هذا الوقت هو على صناديق استثمارية، وأسواق العقارات في عدة أماكن أوروبية ومن ضمنها برلين. إننا نرى إمكانية النمو هناك، كما إنني أعرف المدينة جيداً..."

لاحظ دافيد بينما كان يتوجّه نحو الدرج الارتباك على وجه لورنزو، لكنه ما لبث أن سمع وقع خطواتٍ سريعةٍ ورائه، ثم توقّف صاحبها إلى جانبه. نظر لورنزو إلى الرجل باستياء.

لم يكن دافيد مضطرباً للتطلع ورائه لأنه يعرف صاحب هذه الخطوات.

أسرع لورنزو إلى الإمساك بحاسوبه، لكن الرجل الأسود صاحب القامة الضخمة، انتزعه من بين يديه واستدار.

تسمّر دافيد في مكانه، لكنه كان يعرف أن راي سوف ينزل الدرج ويتوجّه مباشرةً إلى السيارة المركونة في الشارع.

سمع دافيد في هذه الأثناء صوتاً غريباً عنه: "هاي، فيرما!"

استدار دافيد، فرأى رجلاً يقف بالقرب من الدرج وهو يوجّه مسدّسه نحو راي، بينما وقف رجلٌ آخر بالقرب منه حاملاً مسدّسه.

خارت قوى دافيد في هذا الوقت، وكان الأخرى به أن يعرف أن لورنزو يوظف حراساً شخصيين.

وقف راي في مكانه من دون حراك، وتقدّم منه الرجل موجّهاً مسدّسه نحوه، ثم صرخ بأمر آخر. تراجع الزبائن إلى الوراء، وصرخ بعضهم الآخر، بينما زحف آخرون تحت طاولاتهم مثل الفئران، لكن عدداً قليلاً منهم هرب إلى المطبخ.

أدرك دافيد أنه يعيش أخطر كوابيسه التي يُمكن له أن يتخيّلها، ذلك لأن المافيا لن تصدّق أبداً أنه لصٌ عادي، بل ستعتقد أنه يعمل لحساب جهةٍ معينة. أما عندما تكشف المافيا عن هويته فإن موته سيكون بطيئاً ومؤلماً.

أنزل راي الحاسوب ببطء إلى الطاولة بينما لامست فوهة المسدس وجهه. لكنه حرّك ذراعه بشكل مفاجئ، وبسرعة قياسية، فأسقط المسدس من يد الرجل، ثم سدّد له لكمةً في وجهه بيده الأخرى.

انطلقت رصاصات المسدس وأصابت الطاولات. سدّد راي ضرباتٍ أخرى، واستدار واقفاً وراء الرجل وأمسكه من رقبته. لكن وسط الفوضى السائدة والصراخ أطلق رجلٌ آخر مسدّسه نحو راي، فسارع راي إلى تحريك الرجل بحيث أصابته الرصاصة بدلاً منه.

التقط راي، على الفور، المسدّس عن الأرض، لكن الرجل الآخر عاد فأطلق نثار على راي الذي تدرج محتبئاً وراء الطاولات.

شاهد دافيد يداً سوداء ترتفع من بين الطاولات حاملةً مسدساً، وما لبثت أن تفرغت شحناته على دفتين متتاليتين. أصابت الرصاصات الحارس الشخصي الذي سقط على الأرض.

وقف راي وراء طاولة مقلوبة على أحد جوانبها، بينما ساد الصمت المطبق نطعمم بأكمله. لم يتطلع راي نحو دافيد بل حمل الحاسوب وأسرع نحو الدرج. لكن الصراخ علا مجدداً.

حدّق لورنزو أمامه مستاءً، وهمس مصدوماً: "هذه نهايتي"

بقي لورنزو جالساً في مكانه بهدوءٍ لثوانٍ قليلة، وبدا وكأنه عاجز عن حركة. لم يأبه لحارسه الشخصيين اللذين تحلّق حولهما موظفو المطعم، وعدد

قليل من الزبائن، وما لبث أحدهم أن استدعى سيارة إسعاف.
تناول لورنزو هاتفه، وتحدّث بشيء ما بسرعة، وما لبث أن وضع الهاتف على
الطاولة بعد أن أنهى المكالمة، ثم مسّد صدغيه بنفاد صبر. "يا إلهي... لا يُعقل هذا"
تطلع لورنزو نحو دافيد بعينين مليئتين رعباً وقال: "لم يكن الحاسوب مقفلاً.
يعني ذلك حكماً بالإعدام بحقي"

وقف لورنزو، وتناول هاتفه مجدداً، ثم سار مبتعداً لإجراء مكالمة.
ارتعشت أطراف دافيد بينما كان يحاول استيعاب ما جرى أمامه، وترتيب
أفكاره المتسارعة وغير المتناسقة. هل إنّ ما رآه لتوّه قد حدث فعلاً؟
سمع دافيد أحد الرجال الواقفين قربَه يقول لشريكه على طاولة الغداء وهو
يهز رأسه: "لم يعلم ذلك اللص التعيس بخطورة ما فعله. إنهم رجال داماتو"
صدمت تلك الكلمات مسامع دافيد، وكأنها ضربات من مطرقةٍ ثقيلة.
كانت لغته الإيطالية ضعيفة، لكن هذه الكلمات كانت مفهومة عنده.
رجال داماتو.

تقول الشائعات إن سالفاتوري داماتو كان زعيم الزعماء *capo dei tutti capi*.
تمكّن داماتو من تفادي إلقاء القبض عليه لمدةٍ تزيد عن الثلاثين عاماً، وهكذا
أصبح عراب المافيا الصقليّة، كما اشتهر في أوساط المافيا بشراسته ومراوغته، وهي
الميزات التي أتاحت له أن يشق طريقه إلى ذروة الهرم لعالم الجريمة.

لكن إذا كان الرجلان اللذان ماتا للتوّ يعملان مع داماتو، فإن ذلك يعني أن
لورنزو يعمل لصالحه كذلك. أحسّ دافيد في هذه الأثناء بطعم المرارة، وهو الذي
أقدم مع راي على عملية سرقة من أكبر زعيم في المافيا الصقليّة، أي أنه ليس من
المستغرب، والحالة هذه، أن يشعر لورنزو بالهلع.

تقدّم لورنزو من دافيد، وقال له بعد أن انحنى قليلاً لتكون كلماته مسموعة
وسط كل هذا الضجيج: "يتعيّن علينا مغادرة هذا المكان. لا أريد أن يرانا أحد
هنا، والشرطة لن تتأخر عن المجيء"

وقف دافيد وسار نازلاً الدرج خلف لورنزو، ومرّاً في طريقهما بالضحيتين
المضرجتين بالدماء. كان أحدهما على الأقل لا يزال على قيد الحياة.

طلب لورنزو مفاتيح سيارته من الحارس الواقف قرب الباب.
قال دافيد بعد أن خرجا: "يجب أن أعادر على الفور" شعر دافيد بالدهشة
للهدوء الذي ميز صوته.

"لن تذهب إلى أي مكان، لأن هناك أشخاصاً أعرف أنهم يريدون سماع ما
لديك لتقوله"
"لا أريد التورط في أمر كهذا، كما يجب عليّ أن أكون في المطار بعد وقتٍ
قصير"

شرع دافيد بالسير مبتعداً.
قال لورنزو من ورائه: "لا بد من استرجاع ذلك الحاسوب بأيّ ثمن
كان. يتعيّن عليك أن تبقى على اتصال بنا لأننا سنجري معك مقابلةً في وقتٍ
لاحق"

تابع دافيد سيره نحو سيارته، وسيطر عليه شعور لا يوصف. كان مبلغ
الثمانية وأربعين مليون يورو الناتج عن تجارة عقود الانبعاثات مجرد مبلغ ضئيل
مقارنةً بما رآه الآن. تواردت في ذهنه بعد ذلك صور ضحايا صراعات المافيا داخل
السيارات التي تعرّضت لإطلاق النار. يعني ذلك أنه وقع لتوّه على حكم إعدام
عليه، وعلى أيّ شخصٍ مقرب منه.

فتح دافيد باب سيارة الفيات، وجلس وراء المقود، وراح يراقب من مكانه
سيارات الدورية التابعة للشرطة، وسيارات الإسعاف، وهي تُسرّع نحو المطعم.
اسند رأسه على عجلة القيادة، وتحول اليأس الذي شعر به إلى ارتجاف لا يستطيع
السيطرة عليه.

رنّ هاتف دافيد في هذه اللحظة بالذات، فرفع السمّاعة إلى مستوى أذنه،
لكنه لم يتمكن من قول أيّ شيء.

كان المتصل هو راي: "أحتاج إلى مساعدة منك"

عجز دافيد عن الكلام.

"أسمعني؟ هل أنت على ما يُرام؟"

أغمض دافيد عينيه بينما شعر بتورّم في حنجرته، لكن راي أنهى المكالمة.

تمسك دافيد بعجلة القيادة، وحاول إرغام نفسه على التحرك، وعلى الأخص لأنه لا يستطيع التحلي عن راي في لحظة كهذه. عض دافيد على شفتيه، وضغط على زر الاتصال في هاتفه.

رد راي بحذر: "مرحباً"

تمتم دافيد: "أنا آسف"

"يتعين علينا مغادرة هذا المكان. الآن"

استمد دافيد بعض الأمل من صوت راي. يتم حلّ المشكلات خطوةً خطوةً، ومغادرة جزيرة المافيا كان التحدي الأول في هذا السبيل.

"أين أنت؟"

"أنا في الطريق الساحلي الشرقي. تمّة لافتة تحمل رسم سهم إلى جهة اليسار من بورتيشيلو. ستجدني على بعد 2.4 كيلومتر من هناك تحت أشجار الليمون. سأترك السيارة هنا وأصعد معك"

اشتملت الخطة الأصلية التي وضعها دافيد وراي على أن يقود كل رجل سيارته بمفرده، لكن ذلك لم يعد مناسباً بعد الآن، لأن الشرطة تعتزم توقيف كل شخص ذي أصول أفريقية.

قال دافيد بعد أن شغل محرك السيارة: "أنا قادم لاصطحباك"

القسم الثاني

وقفت كاتي أمام خزانة الكتب في شقة آينو، وألقت نظرةً على الكتاب الهزلي الذي قدّمته لها هديةً في عيد ميلادها. فبراستور. كان ذلك الكتاب بمنزلة وجهة نظر كاتي تجاه حياة العمل في المكتب، كما أظهرت إحدى صورهِ عالمة أحياء شقراء وهي تتحدث عن التغير المناخي، وهو الموضوع المفضّل عند آينو.

لكن استيائها كان يتزايد كلّما فكّرت أكثر في الجهاز الأمني التابع للاتحاد الأوروبي، والذي يقتحم أفرادهِ منازل موظفي ذلك الاتحاد. كيف يكون ذلك ممكناً؟

كانت على وشك الانتقال لتفحص الحاسوب الموجود فوق الطاولة حين لاحظت وجود كتاب رفيعٍ مفتوحٍ على طرف الرف. حمل الكتاب اسم مؤلفته مارتا أندريسين التي كانت سابقاً رئيسة المحاسبة لدى المفوضية. حدّقت كاتي إلى الصفحات المفتوحة، ولاحظت وجود قصاصةٍ صفراءٍ من الورق اللاصق.

كان جميع العاملين لدى الاتحاد الأوروبي على علمٍ بالفضيحة التي سببتها أندريسين في أوائل أعوام الألفية الجديدة، لكن ما هو السبب الذي دفع آينو إلى تفحص هذا الكتاب؟

زاد وضوح الصورة لدى كاتي حين بدأت تتطلّع على أقسام الكتاب التي أشرت عليها آينو. دُهِشت أندريسين، وهي المتخصصة المحترفة في عالم المحاسبة في بداية عملها عندما اكتشفت أن المفوضية الأوروبية تجمع مبالغ ضخمة من الدول الأعضاء، لكنها تستخدم نظاماً محاسبياً يعجز عن تتبّع حركة المبالغ الكبيرة من الأموال. كانت أولى ملاحظات أندريسين هي أن الأرصدة الافتتاحية لعام 2001

لا تتطابق مع أرصدة نهاية العام 2000. وصل مجموع الفروقات لهذه الأرصدة إلى حوالي مئتي مليون يورو.

لم تتسلّم أندريسين أجوبةً شافيةً عن تساؤلاتها، لذلك بدأت بالتقصّي عن الأمر. قلبت كاتي صفحات الكتاب باهتمامٍ متزايد، وتساءلت عن السبب الذي دفع آينو إلى البحث والتنقيب في هذه الفروقات المحاسبية.

على الرغم من استقالة لجنة جاك سانتر بكامل أعضائها في العام 1999 بسبب اتهامات عن ضعف الإدارة المالية فيها، إلا أن اللجان الجديدة تابعت العمل حسب القيود غير الكافية عينها، وذلك بعد إصلاحاتٍ شكلية. بدا أن الهدف الوحيد لهذه التغييرات كان حجب الإشراف على نظام المحاسبة.

حين أرادت كاتي إعادة الكتاب إلى مكانه على رفّ الخزانة لاحظت أحد المقاطع التي أشّرت عليها آينو في أسفل الصفحة.

أعيش في شقة لا تبعد أكثر من نصف ميل عن بناية بريديل 2. تعودت المشي عبر متنزهٍ معروف، سانكاتتير، الذي يقع في القطاع الأوروبي من المدينة. كنت أسير ذات مساء بعد حلول الظلام، لكنني شعرت فجأة أن شخصاً ما يلاحقني. نظرت خلفي بالصدفة، فرأيت رجلاً يسير خلفي وعلى مسافةٍ قريبةٍ مني. ولاحظت وجود رجلٍ آخر يسير أمامي ويتطلّع إلى الخلف نحوّي. أسرعرت إلى الجلوس على أقرب مقعد، فتوقّف الرجلان عن سيرهما وانتظرا"

لكن لماذا أشّرت تحت تلك السطور؟

قلبت كاتي الصفحة، وقرأت الجزء التالي الذي أشّرت تحته آينو.

شعرتُ أنهم يلاحقونني عند مغادرتي المكتب منذ ذلك التاريخ. شعرت بالقلق لأنني لم أعلم ماذا يريدون مني. لم أعلم ما إذا كانوا يريدون إخافتي، كما عجزتُ عن فهم دوافعهم، إلا أنني شككتُ في أن المؤسسة تمتلك دافعاً أقوى بكثير للعمل على إخافتي. قرأت ذات مرة بأن منزل المسؤول البريطاني برنارد كونالي في بروكسل كان يتعرّض للمراقبة ليلاً أثناء غيابه، وذلك عندما حدثت مشكلات بينه وبين المفوضية قبل خمس سنوات. افترض المسؤول أن ذلك كان محاولةً لإخافة زوجته"

حدقتُ كاتي إلى هذا المقطع، وتساءلت ما إذا كان أحد يحاول إخافة آينو.
أما القسم التالي الذي أشرت عليه كاتي فكان يتعلق بمسؤول هولندي في
المفوضية الأوروبية بول فان بيوتينين، وهو الذي كشف عن مخالفات كثيرة من
بينها عمليات احتيال أقدمت عليها المفوضية. أبلغ فان بيوتينين كذلك عن
أشخاص يجمون حول منزله وكانوا يريدون، على ما يبدو، إخافته وإخافة عائلته.
لكن إلى أي مدى يمكن أن يصل هؤلاء الأشخاص؟ وإلى أي مدى يمكن أن
تصل شراستهم؟ كانت تلك هي الأسئلة التي طرحها كتاب أندريسين. لم يكن
هذا النوع من الإخافة نابعاً من الحقد فحسب، بل من الذكاء أيضاً. كان من
السهل جداً إنكار الادعاء "بالملاحقة" واعتبارها مجرد ثرثرات امرأة هستيرية.

استعادت كاتي في ذهنها الكلمات التي استخدمتها آينو خلال تواجدهما معاً
في السيارة. تمكنت الآن من فهمها من منظور جديد. لكن لو تعرضت آينو إلى
مضايقات، فلماذا لم تخبر صديقها بالأمر؟

قرأت كاتي كذلك المقطع التالي بدهشة وقلق زائدين.

"ماذا يحاولون أن يفعلوا؟ هل يحاولون معرفة ما إذا كنت أتحدث إلى
الصحافة، أم يحاولون إزعاجي، هكذا بكل بساطة؟ إنهم يفعلون ذلك على
حاسوبي. أعرف، عند اتصالي بشبكة الإنترنت، أن بعض ملفاتي تُقرأ في وقتٍ
لا أكون فيه في المكتب... كنت أسمع كذلك بعض الأصوات الجديدة في هاتف
شقتي في بروكسل. أردت اختبار صحة شكوكي، فتوجهتُ إلى متجر متخصص
في بيع أجهزة كشف التنصت، رغبةً مني في استئجار جهاز بسيط. قال لي موظف
البيعات: "إذا كان هاتفك مراقباً فإن الضوء الأخضر سوف يضيء" عدت إلى
شقتي وأجريت عدة مكالمات، فأضاء الضوء الأخضر عن ثوانٍ عدة"

خطر سؤال في ذهن كاتي جعلها تجفل رعباً: هل إن هذه الوحدة الأمنية التي
ستأتي لتفتيش الشقة هي ذاتها التي قامت بترتيب مضايقة أندريسين؟ يبدو أن هذه
لوحة مصممة على منع الموظفين من التواصل مع الصحافة...

تناهى بعض الضجيج إلى أسماع كاتي فنهضت من مكانها. هل إن الجهاز
الأمني التابع للمفوضية هو الذي يحاول الدخول إلى الشقة؟ هل حضر هذا الجهاز

هذه السرعة؟ ذكّرت كاتي نفسها بأنها ليست مضطربةً لتبرير سبب وجودها في هذه الشقة، وحاولت تهدئة نفسها. أقنعت نفسها، وعلى العكس من ذلك، أن أيّ شخصٍ يعمل لصالح الاتحاد الأوروبي، ويحاول دخول الشقة، هو الذي يجب عليه تبرير سبب دخوله إليها.

اقتربت الأصوات أكثر فأكثر، وما لبث باب الشقة المقابلة أن انفتح وانغلق مجدداً. يعني هذا أن الجيران كانوا مصدر الأصوات التي سمعتها كاتي.

أغلقت كاتي الكتاب وحدّقت إلى غلافه. لم تنتفع أندريسين شيئاً من إصدار كتابها لأن المفوضيّة استغنت عنها، واستمر النظام المحاسبي يسرّب الأموال مثل المنخل.

أعدت كاتي الكتاب إلى الرف، وأسّرت بتفحص الكتب الأخرى.

أوقف دافيد سيارة الفيات عندما ظهر أمامه شخصٌ مألوفٌ لديه من بين أشجار الليمون، يحمل تحت ذراعه كيساً بلاستيكيّاً. خرج من السيارة؛ ووقف يراقب همدوء اقتراب راي منه. شعر دافيد أن دماغه مشلول بفعل الصدمة، لكنه أدرك شيئاً واحداً بكل وضوح، وهو أن مصيرهما أصبح واحداً بشكلٍ لا رجوع عنه.

قال دافيد بصوتٍ غليظٍ وواهن: "أنا آسف" تسارعت ضربات قلبه، وكان صدره الذي تصبّب منه العرق على وشك الانفجار. "لم أفكر قط أن الأمور سوف تصل إلى هذا الحد..."

"دعنا نركّز الآن على الخروج من هنا"

حدّق دافيد إلى راي مباشرة من دون أن ترمش عيناه، وقال: "أين تعلّمت فنون القتال؟"

حدّق راي إلى رفيقه بدوره وقال: "تعلّمت كل ذلك في معسكرات تدريب المقاتلين في الكونغو، ثم أكملت التدريبات في أمكنةٍ أخرى"

اعتبر دافيد أن ذلك الجواب كان منطقياً وواقعياً.

سأل راي: "هل تبعك أحد؟"

لم يسبق أن فكّر دافيد بالأمر فأجاب: "لا أظن ذلك..."
"أتقول إنك لا تظن ذلك؟"

شعر دافيد، فجأة، أنه أحرق بكل معنى الكلمة. خيّم الصمت على الأجواء ولم يخترقه سوى حفيف أوراق التي تتلاعب على أشجار الليمون بفعل النسيم. لكن ذكرى طلاقات الرصاص والدماء المتناثرة أضفت موجةً أخرى من الهلع الذي شعر به دافيد، وما لبث أن استدار في مكانه محاولاً سحب الهواء إلى رئتيه فرأى منظر الشمس وهي تقبل البحر المتوسط.

توجّه راي إلى خلف السيارة وفتح صندوقها. "أريد العودة إلى هنا مع الحاسوب. يتعيّن علينا استخدام القارب للوصول إلى الطرف الشرقي من الجزيرة" كان دافيد يعرف أن ثلاثة كيلومترات فقط تفصل ما بين ميسينا وباقي إيطاليا، لكن يتعيّن عليهما الوصول إلى هناك بأسرع وقتٍ ممكن.

حشر راي نفسه في صندوق السيارة مع الحاسوب المحمول. وأغلق دافيد غطاء الصندوق وأسرع لأخذ مقعده خلف المقود. انعطف دافيد شرقاً بعد عودته إلى الطريق الرئيس. التمتع أمواج البحر إلى يسار دافيد، أما على يمينه فانبسطت تلالٌ وحقولٌ واسعة.

لكن ذلك الشعور بالانقباض لم يفارق صدر دافيد، وأخذ مؤشر السرعة يتصاعد بسرعة. أراد دافيد التخفيف قليلاً من التوتر الذي سيطر عليه. فتح جهاز الراديو، فانبعثت الأحاديث المتشنّجة عن سحبوات الأرصادة التي يقوم بها الإيطاليون من مصارفهم، وهو الأمر الذي ترافق مع ضعفٍ في التأمين على الإيداعات. وصل الأمر إلى أن يجرز الروبل الروسي ارتفاعاً مقابل اليورو بعد الضعف الذي شهده هذا الأخير.

تحولّ دافيد بعد ذلك إلى برنامج "آفا ماريا" الذي يعدّه أندريا بوتشيلي، وهو واحدٌ من برامج كاتي المفضّلة، وكان يأمل أن يساهم هذا البرنامج في تهدئة أعصابه.

بدأت السيارات بالظهور أمامه في هذا الوقت إلى أن اضطر إلى استخدام الفرامل. أدرك بعد ذلك حقيقة ما يجري. كان ذلك حاجز تفتيشٍ أقامته الشرطة.

لم يتمكن دافيد من الاستدارة، واستمرت السيارات بالاصطفاف وراءه. كان من الواضح أن أي سيارة تبادر إلى الاستدارة ستعرض إلى ملاحقة الشرطة لها على الفور.

شعر دافيد بمرارة في حلقه، وحاول أن يفكر في طريقة تخرجه من هذه الورطة، بينما كانت السيارات تتحرك بسرعة من أمامه. لاحظ بعد ذلك أن رجال الشرطة يكتفون بالتطلع في مقصورة الركاب ويشيرون إلى السائق بمتابعة السير. زادت ضربات قلبه بينما كان يقترب بسيارته من أمام أفراد الشرطة، وتنهّد ارتياحاً بعد أن أسرع مبتعداً بالسيارة. لكنه جفل بعد أن رنّ هاتفه. لورنزو كاسانو.

تنهّد دافيد وهو يحاول استجماع كل التركيز الذي يحتاجه، وما لبث أن رفع السماعه.

قال دافيد: "لورنزو. أنا في طريقي إلى المطار. قل لي ما تريد بسرعة"
"إلى أين ستوجه؟ بروكسل أم لندن؟"

كان هذا السؤال نذيراً بالشؤم، ومؤشراً على ما سيأتي، لكن دافيد لم يمتلك الوقت الكافي للتفكير. "بروكسل" كان يحتفظ بتذكرة ذهابٍ إلى بروكسل، وهي التي ستبقى من دون استخدام.

ردّ لورنزو: "حقاً، لكنك لم تتقدم إلى صالة المغادرين بعد حسب معلوماتي" أغمض دافيد عينيه، إذ كان يجب عليه أن يعلم أن المافيا تعرف أي شيء يحدث على أرض الجزيرة.

قال دافيد قبل أن يقطع المكالمه: "يتعين عليك أن تعرف أن حادثة المطعم أخافتني كثيراً. إنني لست متعوداً على هذه الأمور. أنا في طريقي إلى المطار كان ذلك تفسيراً سيئاً للغاية، لكنه لم يستطع الإتيان بأي شيء آخر في هذا الوقت. ضغطت على دواسه الوقود بسرعة أكبر، ثم تطلع ليرهة في مرآة الرؤية الخلفية ليرى سحابة كثيفة من الغبار وهي تنصاعد خلفه.

لكن الطريق من أمامه كان عابقاً بالحرارة.

رأى دافيد التماع شيء ما في قمة تلةٍ بعيدة. أوقف دافيد السيارة، لكنه ما لبث أن سمع صوت طرقةٍ، وصيحاتٍ مكتومةٍ، صادرة عن صندوق السيارة. خرج من السيارة ليرى بوضوحٍ أكبر. رأى عربتين مركوتين في عرض الطريق، وصفاً مؤلفاً من عدة سيارات تقف أمامها.

أحسّ دافيد أن شيئاً ما يخنق أنفاسه إذ كان الرجال يفتحون صناديق السيارات. رأى بندقية رشاشة في يدي أحد الرجال. هل أن ما يراه حاجز تفتيشٍ تابعٌ للمافيا؟

أهّار دافيد وراء عجلة القيادة، وراح يشتم محاولاً السيطرة على الملح المتزايد داخله. تطلّع من حوله فلاحظ وجود طريقٍ ترابيٍّ على بعد ثلاثين متراً أمامه، وهو طريق يؤدي إلى أحد الحقول. رأى وراء ذلك الحقل بستان زيتونٍ آخر.

ضغط دافيد على دواسة الوقود، واستدار بسيارة الفيات نحو الطريق الترابي. سارت السيارة عدة مئاتٍ من الأمتار متواثبةً بتهوّرٍ ومرتطةً بما يشبه المطبات. لم يسمح دافيد للسيارات الآتية من الخلف الاستحواذ على انتباهه، وذلك بالرغم من أنه يعرف أن راي يمرّ بأوقاتٍ صعبةٍ في صندوق السيارة. وصل دافيد إلى مجموعة من الأشجار تشكّل غطاءً جيداً له، وما لبث أن أطفأ المحرك وخرج من السيارة. لكنه ما إن فتح غطاء الصندوق حتى واجهه زوج من العيون القلقة تحدّق نحوه.

"يوجد رجالٌ مسلحون في أعلى التلة، وهم يقيمون ما يشبه حاجز تفتيشٍ خرج راي متلوياً من صندوق السيارة وحاملاً الحاسوب بإحدى يديه. أدرك دافيد في هذه اللحظة أنه ليس أمامهم إلا التمسك بقشة.

قال وهو يأخذ الحاسوب من راي متوجهاً إلى المقعد الخلفي للسيارة. أدخل دافيد ذاكرة إلكترونية في جانب الحاسوب ثم نقر عدة مفاتيح.

برزت رسالة على الشاشة، نسخّ جميع الملفات؟

بدأ دافيد عملية النسخ. ظهرت خانة أفقية على الشاشة مع رسالة مفادها أن العملية سوف تستغرق اثنتي عشرة دقيقة، فتمللم نتيجة الإحباط.

قال راي الذي كان واقفاً بقربه: "هناك سيارة تقترب باتجاهنا"
وضع دافيد الحاسوب على المقعد ونظر إلى قمة التلة البعيدة من خلال
أشجار الزيتون.

قال دافيد: "اللعة"

حدّق راي إلى الطريق الترابي: "يُحتمل أنهم رأوا سحابة الغبار، وأدركوا
أن السيارة غيرت طريقها، وليس بالضرورة أنهم رأوا السيارة ذاتها. يتعيّن علينا
المغادرة على الفور..."

"كلا. أعرف ذلك" أعطت خطورة الوضع دافيد طاقةً جديدة، فتخيّل
نفسه جالساً وراء طاولته أمام حاسوب من دون أن يكون لديه سوى لحظات
قليلة لاتخاذ قرار يتعلق بعملية تجارية هامة. "إصعد إلى السيارة"
وقف راي جامداً في مكانه: "سأخذ الحاسوب و..."

قال دافيد بجزم: "كلا. سأشرح لك في السيارة" أخذ الحاسوب من المقعد
الخلفي ووضعه على المقعد الجاور لإتمام عملية النسخ، ثم جلس وراء عجلة القيادة.
"اصعد، لكن من دون أن تدع أحداً يراك"

تطلع راي نحو دافيد، وركّز نظره على السيارة التي تقترب منهما، ثم فُتح
بابها الخلفي. انطلق دافيد بالسيارة بضع مئات من الأمتار فوق الطريق الترابية
المليئة بالحصى. لم تظهر حتى هذا الوقت السيارة الآتية باتجاههم بسبب المنعطف.
أبلغ دافيد راي خطته بعد ذلك. بدا بأن راي يريد التعبير عن معارضةٍ ما، لكنه ما
لبث أن قبل خطة دافيد.

أوقف دافيد السيارة فجأة بعد وصوله إلى الطريق الرئيس.
قال دافيد: "اقفز الآن" أمره بعد ذلك بالتقدم سيراً على الأقدام، وتجاوز
حاجز التفتيش الموجود على الطريق السريع على أن يعود لاصطحابه في وقتٍ
لاحق.

أغلق راي الباب واندفع إلى داخل الغابة.
تطلع دافيد في مرآة الرؤية الخلفية، ورأى السيارة التي تقترب نحوها تاركَةً
وراءها سحابةً من الغبار. انعطف دافيد غرباً وقاد السيارة عبر طريق ممتد بمحاذاة

الساحل. اقترب بعد دقائق عدة من حاجز التفتيش التابع للشرطة، وتساءل ما إذا كانت السلطات أقامت هذا الحاجز رداً على حادثة إطلاق النار، أم أن لهذا الحاجز علاقة بتدفق اللاجئين من أفريقيا؟

أراد دافيد الاطمئنان أكثر إلى وضعه، فألقى سترته فوق الحاسوب، بالرغم من أن السيارات المتجهة إلى باليرمو لم تتعرض للتفتيش. تطلع دافيد بعد أن تجاوز الحاجز إلى شاشة الحاسوب تحت سترته، فلاحظ أن عملية نسخ الملف قد اكتملت. يعني ذلك أن كل الملفات الموجودة في حاسوب كاسانو المحمول أصبحت الآن على شريط الذاكرة يو أس بي الذي جاء به دافيد.

تمكّن دافيد من رؤية محطة آجيب للوقود، ومطعم في المسافة الممتدة أمامه. قاد دافيد سيارة الفيات إلى موقف السيارات ونزع شريط الذاكرة من الحاسوب، ثم ألقى نظرة سريعة على أسماء الملفات الموجود في ذاكرة حاسوب لورنزو. كان من بين هذه الأسماء بانكا كريديتو ناسيونالي، بانكا دي إيطاليا، وفايننزا دي بروجيتو...

رفع عينيه عن الشاشة، ونظر بعيداً نحو البحر، ثم تساءل عما رآه. كان عدد من هذه الأسماء مألوفاً لدى الجميع نتيجة العناوين المتعلقة بالأزمة المصرفية الإيطالية، وذلك بغض النظر عن قلة ما يعرفونه عن عالم المال. لكن شيئاً ما جعله يجفل في مكانه عندما رأى سيارة شرطة على بُعد حوالي مئة متر منه.

تطلع دافيد بسرعة إلى الملفات مجدداً وفتح أحدها. كان الملف عبارة عن وثيقة تدقيق محاسبية داخلية صادرة عن أحد أكبر المصارف التجارية في إيطاليا، وهو بانكا كريديتو ناسيونالي.

صرخت طيور النورس الحائمة فوق البحر، وأزّت السيارات المارة، ثم تمعّن دافيد بالوثيقة، وما لبث أن بدأ يفهم، تدريجياً، أهمية الصفوف والأرقام الظاهرة على الشاشة، وهو الأمر الذي جعله يشعر بحيوية أكبر تسري في أعماقه.

اقتربت السيارة التي كانت تملأ خزانها بالوقود، وتوقفت إلى جانب سيارة الشرطة الفارغة، وما لبث أب وأم وولدان أن خرجوا من السيارة ومشوا نحو محطة الوقود.

أدرك دافيد أن هذه هي فرصته الذهبية، فأسرع إلى لفّ الحاسوب بسترته مجدداً، وخرج من السيارة ثم شقّ طريقه من بين السيارات المكونة إلى أن وصل إلى حيث رُكنت السيارة الكبيرة التابعة للعائلة. ألقى الحاسوب خلسة في سلة النفايات ملفوفاً بالسترة، لكنه حرص على أن يكون ظاهراً بوضوح.

تمكّن بالكاد من العودة إلى سيارته الفيات قبل عودة العائلة. لاحظ أحد الأولاد شيئاً ما بين النفايات. أدار دافيد مفتاح التشغيل في اللحظة ذاتها التي أعطى فيها الولد الحاسوب إلى والده الذي أسرع إلى تقليبه بين يديه. أشارت الوالدة إلى سيارة الشرطة، وما لبثت الوالد أن عاد مسرعاً نحو المطعم التابع لمحطة الوقود. عاد دافيد مسرعاً إلى الطريق، وما لبث أن تحسّس شريط الذاكرة في جيب قميصه. اتصل راي بعد ذلك لترتيب المكان الذي يمكن للرجلين الالتقاء فيه لمتابعة طريقهما إلى ميسينا.

تعيّن عليه الافتراض أن المافيا تلاحقهما. لكن بعد مشاهدته هذه الوثائق في حاسوب لورنزو، امتلك أخيراً بعض الأمل الطفيف بقدرته على تغطية الخسائر التي مُنيَ بها صندوقه الاستثماري.

انتقلت كاتي داخل شقة آينو من غرفة المعيشة إلى المطبخ. مضت ساعات عدة عليها قبل أن تأكل شيئاً، فشعرت بصداعٍ خفيفٍ نتيجة انخفاض مستوى السكر في دمها.

اتصل هيكبي، والد آينو، قبل لحظاتٍ عدة فأبلغته كاتي كل ما رآته، وما جرى معها. لكنها قررت الاحتفاظ لنفسها بالشكوك التي ساورتها حول احتمال وقوع جريمة.

أما والدها آرتو، فكان يقوم بزيارة والدَي آينو، كانت كاتي قد سمعت هيكبي وهو يتحدث إلى زوجته. كانت كاتي متأكدة من أن والدها سوف يساعد والدَي آينو على مواجهة الأنباء المروعة عن مقتل ابنتهما. وكان آرتو، وبالرغم من كل هفواته، يجيد البقاء في حالة هدوء والتعبير للآخرين عن عواطفه الصادقة، وهو أمرٌ يتشاطره مع دافيد. لكن كاتي شعرت بالأسف لوجود نقطة تشابهٍ أخرى بينه وبين دافيد، برزت على مرّ السنين. فقد تعودّ والدها وزوجها على حجب معلومات مهمة عنها "لمصلحتها"، وهو الأمر الذي يثير غضبها الشديد.

تراقصت متوهجةً داخل المطبخ الألوان البيض والزررق التي تسلّلت من خلال ستائر المطبخ ذات اللون الفاتح، أي كما كانت الحال في منزلها في الماضي. كانت رؤية غمط هذه الألوان كفيّلة بأن تعيد إلى كاتي ذكرياتٍ معينة، وها قد أصبحت الآن أكثر إيلاماً نتيجة للحالة الذهنية التي سببها مقتل آينو المأساوي.

ضمت كاتي راحتي يديها بقوة. كانت والدها تقوم بخياطة فساتينها من قماش Marimekko. وازدهرت أعمال والدَي كاتي في تجارة الأقمشة في

ذلك الوقت، أي عندما كانت في العاشرة من عمرها. تذكرت كذلك رحلتهم إلى إيطاليا، حيث كان شركاء والدها يجعلونها تشعر وكأنها أميرة صغيرة.

انتبهت كاتي إلى أنها تحذق إلى وصفة لتحضير كعكة الشوكولا، وهي التي تحمل تصحيحات بخط اليد، وكانت الوصفة معلقة على لوح من الفلين. لم تتمكن من تحمّل الصمت المخيم أكثر من ذلك، ولذلك شغلت جهاز الراديو الموضوع على الطاولة.

"تواجه أوكرانيا خطر الانزلاق إلى العجز عن الإيفاء بديونها والانهيار السياسي. استخدمت روسيا إجراءات عسكرية واقتصادية بهدف تعميق مشكلات أوكرانيا المالية، وزعزعة الاستقرار في ذلك البلد. أما القصد من هذه الإجراءات فكان منع تقرّبها من الغرب..."

كان كل شيء يبدو طبيعياً جداً بعد العمل الذي قامت به تلك المرأة البولندية. تناولت كاتي هاتفها بعد أن أصبحت في القاعة، وبحثت عن الرقم الذي خزنته في ذاكرة الهاتف. يتعيّن على الشرطة التحدث مع المرأة التي قامت بتنظيف المنزل، لأن كاتي كانت متأكّدة من مظهرها الخادع.

عادت كاتي إلى المكتب لأنها كانت تريد جمع ما أمكنها من معلومات من الشقة قبل وصول الوحدة الأمنية.

كان حاسوب آينو الأنيق من نوع آبل في حالة انتظار، وهكذا ظهر أحدث محرك بحث على الشاشة بمجرد تحريك كاتي فأرة الحاسوب. عرضت الشاشة خرائط غوغل، التي اشتملت على الطريق الذي تستخدمه آينو من منزلها وحتى الجهة الجنوبية من بروكسل القريبة من واترلو. أظهرت الخريطة طريقين بديلين يتبع أحدهما مساراً دائرياً بينما يتبع الآخر شوارع أضيق منها. شعرت كاتي ببعض الارتياح. كان ذلك هو الطريق ذاته الذي سألتها عنه آينو البارحة.

دوّنت كاتي اسم المكان المقصود: شيمين دو باشي 162، واترلو. لكن ماذا كان هناك؟ كانت آينو قلقةً عندما تحدّثت عن الموضوع.

فتحت كاتي بعد ذلك حافظة الوثائق، التي تضمّت ملفاتٍ نصّيةً قليلة. يُحتمل ألا تكون آينو قد نقلت ملفاتها بعد من حاسوبها القديم، أو يُحتمل أن تكون قد خزّنت ملفاتها في شريط قرص ذاكرة drive خارجي. فتحت كاتي أحد الملفات، الذي احتوى على قسمٍ من الأبحاث التي أجرتها آينو عن مسار الأموال المخصّصة لدراسات التغيّر المناخي. كان دور التمويل المركزي الذي تقوم به البرامج المتعدّدة ومنظمات الاتحاد الأوروبي مدهشاً، كما تعلق الأمر بمبالغ هائلة. ظهرت كذلك الرموز والاختصارات بكثرة في هذه الوثيقة، مثل

.FP5, CIMSAYE, REDD-ALERT, LIFE

فتحت كاتي وثيقة بي دي أف، تحتوي على سلسلة زمنية مأخوذة من دراسات حلقات الأشجار. أما الملف التالي فقد اشتمل على أحدث تقرير صادر عن IPCC، التابع للأمم المتحدة. لم تعتبر كاتي أيّاً من هذه الملفات مستغرباً. كانت كلها مواد عادية تتعلق مباشرة بعمل آينو. انتقلت كاتي إلى الوثيقة التالية، وهي التي كتبتها آينو بنفسها. احتوت هذه الوثيقة على عناوين قصيرة وكأنها كانت تأخذ ملاحظات مثل دالي، وات، وكواترارو...

أثارت هذه الأسماء اهتمام كاتي. تعرّفت إلى اسم دالي، وهو الاسم الذي ظهر في شتاء العام 2012 أثناء الحديث عن فضيحة الرشوة التي طالت مفوضاً من مالطا، أنهم بأنه طلب استعادة مبلغ مليون يورو رشوة كان قد اتفق عليها مع شركة تبغٍ سويدية، وذلك مقابل ممارسة نفوذه على المجلس التشريعي في الاتحاد الأوروبي. قدّم دالي استقالته في ذلك الوقت تحت ضغطٍ مارسه رئيس المفوضية باروسو، لكن القضية لم تصل قط إلى خواتيمها.

بدا اسم وات مألوفاً لديها كذلك. وهكذا فتحت كاتي ملفاً آخر، وتبيّن أنه عبارة عن رسالة أرسلها روبرت دوغال وات، وهو مسؤول في المجلس الأوروبي للمدقّقين، إلى البرلمان الأوروبي. تحدّث وات في هذه الرسالة عن الفساد المتفشّي في مجلس المدقّقين.

نسخت آينو سلسلة من الرسائل التي نشرها وات على موقع UST Response، لكن إحدى الرسائل استرعت انتباه كاتي بشكلٍ خاص. تحدّثت الرسالة عن قضية لم

تجد لها حلاً وتتعلق بمسؤول إيطالي رمى نفسه من نافذة أحد مكاتب الاتحاد الأوروبي. كان أنطونيو كواترارو رئيس قسم المديرية الزراعية، وهي الجهة المخولة اتخاذ قرارات بشأن المساعدات المتعلقة بالتبغ، كما أنه أمضى عشر سنوات في العمل على زيادة المساعدات لزراعات التبغ الأسود الإيطالي واليوناني إلى أكثر من مليار يورو، بالرغم من انعدام الطلب تقريباً على هذا النوع بسبب تغير أذواق المستهلكين الأوروبيين.

بدأت المفوضية التحقيق في أنشطة كواترارو، إلا أنها أوقفت التحقيق بعد أن لقي حتفه نتيجة القفزة التي أقدم عليها تحت هذه الظروف الغامضة. قالت المفوضية إن الحادث كان انتحاراً. حامت الشكوك في هذا الوقت حول تورط المافيا في قضية المليار يورو، بالرغم من أن كواترارو، كما اتضح، لم يكن المسؤول الوحيد في الاتحاد الأوروبي المذنب في هذه القضية.

لكن الأسطر الأخيرة في رسالة وات إلى البرلمان الأوروبي أحدثت ما يشبه القشعريرة في جسد كاتي. خشي هذا المسؤول في مجلس مدققي الحسابات من أن يكون الرجل أصاب كبد الحقيقة في رسالته هذه، وهو الأمر الذي جعله ضحية لعملية انتحار مدبرة.

أغلقت كاتي الملف، لكنها أحسّت بقلق متزايد. لماذا حفظت آينو رسالة كهذه؟ كانت كاتي تعرف أن الاتحاد الأوروبي يضم بين صفوفه بعض الأشخاص الذين يحتفظون بروابط مع بلدانهم الأصلية، وعلى الأخص من تحدر منهم من دول البحر المتوسط، ودول أوروبا الشرقية، لكنها كانت تنظر إلى ادعاءات العنف، أو التهديد بالعنف، الموجهة إلى المسؤولين بقدر كبير من التشكيك.

سمعت كاتي صريراً مفاجئاً آتياً من جهة الباب الأمامي، إذ كان أحدهم يحاول الدخول. تسارعت ضربات قلب كاتي فحدقت إلى ما حولها بهلع، وتناولت شريط الذاكرة الأبيض اللون المربوط بسلسلة المفاتيح، وأدخلته إلى موضع إدخال الذاكرة.

خفّ الضجيج الآتي من الباب، لكنه لم يختف كلياً. قامت كاتي بنسخ الوثائق على شريط الذاكرة، وما لبثت أن قامت بمحوها من ذاكرة الحاسوب.

كانت تعرف أن بإمكانها استرجاع هذه الملفات فيما بعد، لكن مبدأ الأمور هو الأهم.

ما أن نزعنا شريط الذاكرة حتى انفتح باب الدرج. وضعت كاتي شريط الذاكرة في جيبتها، وأطفأت الجهاز.

وما أن وقفت حتى ظهر على الباب رجلٌ يستند إلى عصا تساعد على المشي، ومصنوعة من الألومنيوم. بدا لها أن الرجل في الستينات من عمره. رأت كاتي وراءه رجلاً أصغر منه سنًا ويرتدي سترة سوداء.

سأل الرجل الأكبر سنًا: "السيدة كوبر؟"

"أجل، وأنتما؟"

"ماذا تفعلين هنا؟"

"سألتُ عن اسمكما. أعرف أنكما تمتلكان نوعاً من أنواع بطاقات الهوية إذا ما كنتما تعملان في الجهاز الأمني التابع للاتحاد الأوروبي، وكذلك أمراً بالتفتيش صادراً عن قاضي. لكن هذه الأمور تُعطى للشرطة، وليس لأعضاء الاتحاد الأوروبي

سارت كاتي نحو الرجلين وهي تتكلم معهما، ثم ركزت عينيها على الرجل الأكبر سنًا، وهو الذي حاول تجنّب نظرهما.

قال الرجل برتابة: "غادري المكان من فضلك"

"سيدي... سأكرّر: أيمكنني رؤية بطاقات الهوية العائدة لكما. إنني صديقة آينو جاكولا المقرّبة، وأنا لن أغادر هذا المكان قبل أن أتأكد من هويتكما، أم تفضّلان أن أطلب الشرطة؟"

أصدر الرجل صوتاً يعبر عن الاشمئزاز، وما لبث أن تناول بطاقة تعريف من الجيب الأعلى لقميصه وأبرزها أمام كاتي. أمسكت كاتي البطاقة لفترة تكفي لقراءتها جيداً. كانت الصورة مطابقة لوجه الرجل واسمه أرنو مايزر.

"الأمن الأوروبي EuroSec. لكن ألا تعملان في الوكالة الأمنية للمفوضية؟"

"جرت خصخصة بعض المسؤوليات"

تمتعت كاتي كذلك بالمعلومات المتعلقة بالرجل الأصغر سناً.
قالت كاتي: "لا يمكننا لمس أي شيء في هذه الشقة إلى حين انتهاء
الشرطة من تحقيقاتها الجنائية"

"لا تشغلي بالكِ. بمثل هذه الأمور الروتينية، مدام. هذا هو عملنا"
تناولت كاتي هاتفها من حقيبتها، وبدأت بالتقاط الصور في أنحاء الغرفة.
قال الرجل الأكبر سناً، وهو يلوّح بعصاه التي يتوكأ عليها: "ماذا تفعلين.
توقّفي على الفور!" ابتعد الرجل كي يتفادى التقاط صورة له.

"أريد التقاط بعض الصور لمقارنتها فيما بعد"

التقطت كاتي صوراً أخرى لرفوف الكتب وحافظات الأوراق، وخرجت
إلى الممر بعد انتهائها من التقاط الصور، ثم نزلت إلى الشارع من دون التلّفُظ بأي
كلمة.

رنّ هاتفها في أثناء سيرها نحو سيارتها. لم يكن الرقم الذي ظهر على الشاشة
مألوفاً لديها، وهكذا ردّت بحذر.

سأل رجلٌ باللغة الفرنسية: "هل أتكلم مع كاتي كوبر؟"
"أجل"

"أنا المفتش هنرارد من الشرطة البلجيكية، وأكلمك بخصوص موت جيليو
باريتو. أريد التحدث معك أنت وزوجك عن بعض الأمور
أصغت كاتي بدهشةٍ تامة.

انحنى رجلٌ نحو المياه بكمي قميصه المرفوعين ليعيد تبليل قطعة القماش التي كان يستخدمها لتنظيف الأوساخ التي تركها سرب الطيور على سيارته. لا يُظهر أحدٌ استعداداً لركوب سيارة أجرة وسخة، كما أن فيديريكو كان حريصاً على سمعته من كل النواحي. كان هذا هو السبب الذي دفعه إلى الإسراع إلى أقرب رصيفٍ لرسو المراكب. ركن سيارته في الموقع المخصّص لها وراء أجمةٍ من أشجار الميموزا.

لاحظ فيديريكو حركةً مفاجئة صادرة من ناحية أحد المراكب المخصّصة للترفيه. فوجيء، بعد أن دقق النظر، حين شاهد رجلاً أسود اللون خارجاً من الماء، وما لبث أن تسلل إلى أحد المراكب المغطّاة، حيث ربض وأخذ يستطلع ما حوله.

تراجع فيديريكو بسرعة إلى خلف الأجمات. هل تمكن الرجل من رؤيته؟ تذكر فيديريكو التحذير الذي تلقاه في وقتٍ سابق عبر جهاز الراديو في سيارته. أفاد التحذير أن رجلاً من أصول أفريقية قد تسبّب بمحادثة إطلاق النار في باليرمو. طلب البيان كذلك الإبلاغ عن الرجل فور رؤيته، وذلك عبر الهاتف، وليس إلى الشرطة.

كان فيديريكو، مثل الآخرين، مجبراً على دفع بدل حماية إلى المافيا، لكن آخر شيء أرادته كان مساعدتها. تذكر المصير الذي لقيه صديقه الحميم سالفاتوري، وهو الذي كان يمتلك كشكاً صغيراً في المدينة. قُتل سالفاتوري في وضح النهار على طريقة المافيا التقليدية، أي بإطلاق رصاصة واحدة على عنقه، بعد أن رفض دفع ما يتوجّب عليه إلى جباة تحصيل الخوات للمافيا.

شعر فيديريكو بالحيرة، وتساءل عمّا يحدث إذا ما اكتشف أحدهم أنه شاهد الرجل ولم يبلغ عنه؟

سمع فيديريكو وقع خطوات آتية من رصيف الميناء، فأسرع إلى الزحف وراء الأغصان. فتح الرجل الذي خرج من الماء البوابة المغلقة، وأدخل رقيقه الأبيض الذي سلّمه حزمة ملفوفة بالقماش. انطلق الرجلان نحو طرف الرصيف حيث حجب أحد المراكب المغطاة الرجل عن نظر فيديريكو. سمع بعد لحظة صوت تشغيل محرك القارب الذي سارع إلى الابتعاد عن الرصيف.

عصر فيديريكو قطعة القماش المبلّلة، وقفل عائداً إلى سيارته. نظر مجدداً إلى القارب الذي أخذ يبتعد عن أنظاره إلى عُرض البحر، ثم جلس وراء عجلة القيادة، وما لبث أن تناول ورقة من خلف حاجب الأشعة الشمسية، تحمل رقم هاتف يعرفه كل سائقي سيارات الأجرة في هذه المنطقة.

حدّق فيديريكو إلى الورقة وجلس متردداً. يُحتمل أن يحصل على مكافأة بطريقة ما، أو يحصل على إعفاءٍ مما يتوجّب عليه من مدفوعات لمدة من الزمن...

حرّك قبطان طائرة الأوغستا الحوامة عصا القيادة بكل حذر، وتطلّع من خلال المرآة إلى ثلاثة عمال واقفين فوق أحد توربينات الهواء الذي يعلو مئة متر محاولين الإمساك بالحبل المعلق بالأسلاك.

أنزل عامل الرافعة الحمولة ببطء، بينما حاول القبطان إبقاء الحوامة ثابتة. كانت القرى والتلال المحيطة به تندفأ بأشعة الشمس الغامرة. لكن بعد أن انتهى العمال من تثبيت صندوق إيزيمات شفرات التوربين الضخمة، فكّر القبطان في أن مشروع حقل الاستغلال لطاقة الرياح، الواقع إلى شمال شرق صقلية، كان على وشك الانتهاء بعد وقتٍ قصير. لكن عدداً كبيراً من مشاريع مانشيني تحوّل إلى حقول مهجورة بعد نفاذ التمويل الآتي من الاتحاد الأوروبي.

أعطى عامل الرافعة إشارة الموافقة، وما لبث أن رأى العمال وهم يفصلون الحبل عن الأسلاك. لكن صوت رئيسه الواقف على الأرض وصله من خلال سماعات الرأس. "تعودو، ما هو الوضع عندك؟"

"انتهينا الآن"

"توجّه إلى مطار ميسينا على الفور. رجال الزعيم بانتظارك، وسوف يصعدون معك"

تهدّد القبطان، وهو الذي يعرف ماذا تعني عبارة "رجال الزعيم" لم يتحمس قط للمهمة التي تنتظره هذه المرة.

راقب دافيد من وراء عجلة القيادة الجلدية للقارب اقترب ساحل البرّ الإيطالي، وسيطر عليه شعور يشبه النصر.

ضغط على دواسة الوقود، وما لبثت مقدمة اليخت أن ارتفعت إلى أعلى من ذي قبل فوق زبد الأمواج المنتشر من حوله. بقي عليهما العثور على بقعة رسو مناسبة، والإسراع إلى مطار ريجيو دي كالابريا حيث ما زال بإمكانهما اللحاق بالطائرة قبل إقلاعها.

لكن دافيد رفض مطلقاً التفكير في واقع بقاءه هارباً لما تبقى من حياته. يُضاف إلى ذلك أن وضعه هذا يعرّض كل من أحبّهم للخطر. لكن أهم شيء الآن هو الابتعاد عن هذه الجزيرة لأبعد مسافة ممكنة.

نظر دافيد إلى راي الذي كان جالساً في مدخل قمرة الركاب، وهو الذي بقي محتبئاً حتى الآن، ولم يظهر أي شيء في عرض البحر غير عددٍ قليل من المراكب، وعلى مسافة بعيدة. لم يستطع دافيد إخفاء إعجابه بمهارات راي التي أتاحت لهما حيازة ذلك القارب القوي.

لاحظ دافيد بعد ذلك وجه راي الذي بدا متجهماً على نحو مفاجئ بعد أن حدّق إلى السماء. تطلّع دافيد في الاتجاه ذاته. كانت طائرة حوامة تتجه نحوهما مباشرة من ميسينا. شاهد دافيد راي بطرف عينه، وهو يتسلّل إلى قمرة الركاب. بدا الساحل بعيداً جداً في هذه اللحظة. ضغط دافيد بقدمه على دواسة الوقود لزيادة السرعة، لكن الدواسة كانت في أقصى وضع لها.

اقتربت الطائرة الحوامة منهما بإصرار، وما لبثت أن حوّمت على علوٍ منخفض فوق القارب. ظهر رجلٌ على الباب الجانبي حاملاً بيده مكبر صوت.

"انتباه، انتباه. توقّف!"

ظهرت بندقية رشاشة في يد الرجل الثانية، بينما ظهر خلفه رجلٌ مسلحٌ بدوره.

دفع هذا المشهد السوربالي دافيد إلى أن يجمد في مكانه. بدا هذا الوضع بأكمله مشهداً غير معقول على الإطلاق.

صرخ دافيد باتجاه قمرة القيادة على أمل أن يسمعه راي على الرغم من ضجيج محرك القارب: "ماذا نفعل الآن؟"

لعل صوت الرصاص المنطلق من فوهة البندقية الرشاشة من فوقهما، فظهر أمام القارب صفٌّ من الرذاذ المتطاير نتيجة ارتطام الرصاص بسطح المياه.

صرخ راي من داخل قمرة الركاب: "توقّف!"

أطفأ دافيد المحرك بأقصى سرعة، توقّف القارب فجأة بينما ملأ ضجيج الطائرة الحوامة الأجواء التي كان السكون على وشك أن يسودها. شعر دافيد أن

قارباً آخر قادماً من ميسينا سيطبق عليهما بعد قليل. تخيل دافيد نفسه مستلقياً ومقيداً في قمرة الركاب وهو في طريقه للتعرّض إلى وضعٍ أشدّ سوءاً بكثير.

صدر أمرٌ باللغة الإنكليزية من خلال مكبّر الصوت: "اخرج واضعاً يديك وراء رأسك"

حدّق دافيد إلى باب قمرة الركاب، لكن راي بقي داخلها.

قال راي أخيراً: "اذهب"

وقف دافيد، وخرج إلى ظهر القارب رافعاً يديه. وبقيت الطائرة الحوامة تلتق في الجو خلف القارب.

شعر دافيد فجأةً بحركةٍ وراءه، ثم شاهد راي يخرج مندفعاً من قمرة القيادة. ركع راي فوق ظهر القارب، ثم صوّب شيئاً ما وكأنه سلاحٌ نحو الطائرة. التمعت

على الفور شعلة حمراء اللون وهي تندفع نحو السماء.

حدّق قبطان الطائرة الحوامة مندهلاً إلى الصاروخ الذي يقترب منه مثل طوربيد جوي إلى أن ارتطم بجانب الطائرة، ما تسبّب بوميضٍ حادٍّ أحمر اللون.

حدث على الفور شيء ما جعل الركاب يصرخون مذعورين.

انقطع في هذا الوقت صوت المحرك، فتساءل القبطان ما إذا كان الصاروخ أصاب فتحة الهواء في الطائرة، أم إنه أدى إلى تخريب نظام التزويد بالوقود. صرخ القبطان: "الوضع تحت السيطرة. سأشغل نظام الدوران الآلي!" كان القبطان يأمل أن يتمكن الرجال من السيطرة على الذعر الذي انتابهم، شاكرًا نظام الدوران الآلي، لأن مراوح الطائرة قد فصلت عن المحرك، وهكذا تستمر الشفرات بالدوران. يتدرّب جميع قباطنة الطائرات الحوامة على الهبوط في حال حدوث عطل في المحرك، وذلك في سياق تدريباتهم العادية. أمسك القبطان عصا القيادة محاولاً أن يجعل الارتطام بالماء بأقصى ما يمكن من الهدوء.

حدّق لورنزو كاسانو إلى الرجال الثلاثة الجالسين في زاوية غرفة المعيشة في منزله، وهي غرفة ذات إنارة خافتة. لم يعرف الرجال عن أنفسهم. لكنه تمكن، بالرغم من ذلك، من التعرف على وجه الرجل الجالس في الوسط، وهو الأمر الذي جعل الدماء تتجمّد في عروقه.

كان فيتو زاركا أكثر المحقّقين والقتلة شراسةً في جميع أنحاء باليرمو، كما تصدّرت صورة وجه الرجل قوائم أخطر المطلوبين لدى الشرطة الإيطالية لأكثر من عشر سنوات. يُضاف إلى ذلك أن عدداً من الزعماء الأقل أهمية، والذين تعاونوا مع الشرطة بعد إلقاء القبض عليهم، قد رووا قصصاً كثيرة عن الجرائم التي اقترفها زاركا.

قال الرجل الجالس بالقرب من زاركا بصوت هادئ وموجّهًا كلامه إلى لورنزو: "إذا، استرجعت حاسوبك"

كان المتحدث رجلاً ضخماً الجثة بتسريحة شعره الأبيض على طريقة البحارة، ويضع نظارة داكنة. يدعى الرجل سيرجيو موريللي، وهو رجل مباحث سابق كان يعمل مع شرطة باليرمو، وهو الذي طُرد من وظيفته بسبب اتهامات بالفساد. انتقل الرجل للعمل مع المافيا، وهكذا تسلّم مؤخراً منصباً مهماً وفريداً: تمّ تعيينه رئيس الجهاز الأمني لمفوضية المافيا الصقليّة. لم يسبق لرجلٍ آخر أن تسلّم منصباً كهذا، لأن المفوضية لم تكن موحّدة بهذا الشكل من قبل.

سأله موريللي: "كان الحاسوب فوق طاولة المطعم، لكنك لم تفتحه. أليس كذلك؟"

يبدو أن الرجل سمع بأمر العثور عليه من أصدقائه في الشرطة. قال لورنزو كاذباً، ومحاولاً الإيحاء بهدوء لا يشعر به فعلاً: "صحيح. لا يستطيع أحد فتح نظام التشغيل من دون الشيفرة الأمنية". كان الحاسوب الذي عُثر عليه في مستوعب النفايات التابع لمحطة الوقود موضوعاً على الطاولة بينهم. وفي اللحظة التي أعادت فيها الشرطة الحاسوب إلى لورنزو أسرع هذا الأخير إلى حذف كل الملفات أو الرسائل المهمة، وعلى الأخص تلك التي تشتمل على اسم رينختر. لكن هل يستطيع أيُّ محترفٍ استعادة الملفات المُلغاة؟ هذا ما يدّعيه بعض الناس.

"لكن مع مَنْ كنتَ مجتمعاً؟"

"اجتمعتُ مع مدير حسابات الأوراق [السندات] التجارية من لندن ويُسمّى دافيد كوبر، وهو ماهر بالرياضيات، ومتخصّصٌ بالمشتقات المالية. أعتقد أن الرجل سيكون ذا فائدةٍ كبيرةٍ لنا إذا عملَ معنا. سبق لي أن حاولت توظيفه من قبل"

"متى ربّبت هذا الاجتماع، وهل أنت الذي اقترحتَه؟"

فكّر لورنزو للحظة، وربما لمدة أطول قليلاً ممّا هو مُفترضٌ. قال كاذباً مرةً أخرى: "حدث ذلك منذ أيامٍ قليلة" كان يعرف أنه يتعيّن عليه أن يقوم بدوره بصورة مقنعة، وذلك لأن موريللي كان ضابط شرطةٍ يتمتع بخبرةٍ كبيرة. "هو الذي اتصل بي"

"لكن بينما كنتَ تفاوض كوبر في المطعم اقترب منكما رجلٌ أسود بشكلٍ مفاجئ، وانتزع منك حاسوبك وأطلق الرصاص على رجالي. يبدو لي ذلك أمراً غير مُحتمَلٍ بطريقةٍ أو بأخرى، أليس كذلك؟"

هزّ لورنزو كتفه وقال: "ربما يكون ذلك صحيحاً، لكن هذا ما حدث"

وضع موريللي يده على الحاسوب: "مشروعنا هذا كبيرٌ جداً يا كاسانو. لا يمكننا السماح بفشل أي جانبٍ منه. يتعيّن علينا أن نكون حازمين جداً بشأن الأمن"

أوما لورنزو وهو يحدِّق إلى ظاهر يد موريللي المليئة بالشعر، النحاسية اللون، والمستندة على الحاسوب.

"أتعرف أي رحلة طيران استقلها كوبر إلى باليرمو؟"

"أعتقد أنه ذكر جت آير فلاي. أيمكنني استعادة حاسوبي الآن؟ لديّ بعض الحسابات التي أريد إجرائها لمشروعنا، وهي حسابات مهمة في اجتماعنا يوم الثلاثاء"

"علينا أن نكون حذرين لهذا السبب بالذات، ونكون حذرين جداً. كان حاسوبك يا لورنزو في أيدي غير أمينة لمدة ساعة تقريباً. تريد روما التأكد من أن حاسوبك يخلو من أي معلومات حساسة. تعرف كم هو سهل أن يسهوا المرء عن بعض النقاط الأمنية. نحن نعتقد أننا آمنون هنا في باليرمو، لكن يُحتمل أن تكون قد بالغت كثيراً في الاطمئنان إلى هذا الأمان، وأقدمتَ بتهوُّرٍ على تخزين شيء في حاسوبك ليس لك الحق في حيازته"

بدا موريللي جدياً وفتح غطاء الحاسوب المحمول.

قال بهدوء وبطريقة تكاد تكون لطيفة: "أريدك أن تشغّل الحاسوب"

شعر لورنزو بالعرق البارد يتصبّب من فوق جبهته بينما كان ينقر كلمة السر لفتح نظام التشغيل.

قال موريللي للرجل الأصغر منه سنّاً والنحيل الذي كان برفقته: "حان

دورك الآن يا نيكولاس

هل سيتمكّن نيكولاس هذا من استعادة الملفات الحساسة التي قام لورنزو

بالغائها؟

كان الكشف عن الرسائل التي تبادلها مع ريجنر يعني نهايته المحتمة، وهو الذي

كذبَ بوجود شهود.

فهم لورنزو الآن، وبوضوح، سبب وجود زاركا في الغرفة، وهو جَلّاد

مافيا.

حدّق دافيد إلى بوابات المغادرة الظاهرة على شاشة العرض في مطار ريجيو دي كالابريا. كانت رحلة شركة أيطاليا AZ 1156 المتجهة إلى روما من ضمن الرحلات المدرّجة على الجدول. كان هذا المطار مستخدماً للرحلات الداخلية الإيطالية المنطلقة من ريجيو، وهكذا حجز الرجلان تذكريّ سفرهما إلى بروكسل عن طريق روما، لكنهما اتفقا على أن يتأخر دافيد كثيراً في طريق عودته.

مرّت سيارات الأجرة التي شاهدها دافيد عبر زجاج القاعة الملوّن تلويناً خفيفاً، بينما تمايلت أشجار النخيل وسط النسيمات اللطيفة.

تردّد نداءً ما في أذنيّ دافيد، الذي أقنع نفسه بأنه تذكرّ روتيني، وليس خارجاً عن المألوف، لكنّه تذكرّ قدرة لورنزو على الوصول إلى استعلامات المطار. تردّدت في ذهنه كذلك صور الدماء النازفة من الرجال المسلّحين المستلقين على أرض المطعم في باليرمو، والطائرة الحوّامة أثناء اندفاعها إلى البحر، لكنّه لم يستطع تركيز ذهنه على واقع أنه شاهد كل ذلك بأّمّ عينه.

كان راي في مكانٍ آخر من قاعة المسافرين بعد أن قرّر الرجلان الابتعاد أحدهما عن الآخر. اتفقا كذلك على أن دافيد لن يبقى في المكان منتظراً احتمال تعرّض راي لحادثٍ ما. أعجب دافيد كثيراً بقدرة احتمال راي، لكنه لم يتمكّن من فهم السبب لعدم شعوره بالغضب كل ما جرى، وسبب بقائه هادئاً من دون انفعال.

ركّز دافيد فجأةً على إحدى الشاشات التلفزيونية في المطار، والتي كانت تعرض نشرة الأخبار، وكان المذيع يتحدث عن حادث تحطم الطائرة الحوّامة. أظهرت صور نشرة الأخبار الناس الذين تمّ رفعهم إلى قارب الإنقاذ التابع لخفر

المسواحل. كان دافيد يفهم ما يكفي من التعليق الذي كان باللغة الإيطالية ليعرف أن ذلك الشهاب الأحمر المتوهج قد شوهد في السماء لحظة الحادث، وأن جميع من كانوا في الطائرة الحوامة قد نجوا.

تنهّد دافيد ارتياحاً لعدم وجود ضحايا جدد، لكنه أدرك في الوقت ذاته ما الذي يعنيه نجاة المهاجمين، أي أنهم رأوه مع راي.

انضم دافيد إلى الأشخاص المنتظرين دورهم للتفتيش، وأجبر ذهنه على التركيز على الوثائق التي حصل عليها من حاسوب لورنزو. بينما كان واقفاً في المصف ألقى نظرةً على هاتفه، ثم أجرى بحثاً عن اسم بانكا كريديتو ناسيونالي BCN، وقرأ عن الصعوبات التي كان يمرّ بها.

أدى BCN، حسب إحدى الروايات، دوراً مركزياً في الأزمة المصرفية التي تعصف بإيطاليا، ويُعتقد أن المصارف الإيطالية الكبيرة الأخرى، مثل إنتيسا سان بولو، Intesa Sanpaolo، ويوني كريدت Unicredit، ويو. بي. أي. UBI Banca، ومصرف الشعب Banco Popolare، تحتاج إلى ضخّ أكثر من ثلاثين مليار يورو بسبب الأوضاع الاقتصادية في إيطاليا التي تواجه صعوبات في الوفاء بديون الدولة العامة. كانت تجارة المشتقات المالية التي كانت رائجة في السابق عنصراً من عناصر الخسائر التي مُنيت بها الدولة. لا تتمكّن إيطاليا من تحمّل أي فضاء جديد عن الخسائر التي مُنيت بها مصارف كبرى، ويُحتمل أن يؤدي كل ذلك إلى طلب الحصول على حزمة إنقاذ بمبلغ مئات مليارات الدولارات من الاتحاد الأوروبي، وكذلك إلى انهيار اقتصادي في جميع أنحاء القارة.

أغلق دافيد الهاتف، كان ما يزيد على أربعة مسافرين يتقدّمونه. نظر إلى أحد حراس الأمن ببذلة الرسمية، والواقف وراء جهاز كشف المعادن، وهو الذي صدف أنه كان يتطلّع نحو دافيد في اللحظة ذاتها.

تساءل دافيد هل إن ادّعاء لورنزو أنه يستطيع الحصول على المعلومات من المطار صحيحاً، أم إن ذلك هو مجرد تكتيك لإخافته؟ حاول دافيد إعادة ملامح الاطمئنان إلى وجهه. كانت الحرارة الشديدة التي ترافق أواخر الصيف غير مُحتملة في قاعة المغادرة كما هي في الخارج.

لاحظ دافيد أن راي الذي وقف في آخر صف الانتظار كان الشخص الوحيد من الحاضرين من ذوي البشرة السوداء. يُحتمل أن تكون مذكرة توقيفه قد صدرت إلى السلطات في صقلية فقط، لكن يُحتمل أن يرسلوا أوصاف رجلٍ أفريقي مسلّح إلى المطارات كافة في جنوب إيطاليا، وفي أي لحظة. وكان هناك ما هو أسوأ من ذلك، إذ إن المافيا تلاحقه، وهو الذي أردى اثنين من رجالها بالرصاص، وسرق حاسوباً لها، ثم أسقط إحدى طائراتها الحوامة. يعني كل ذلك أنه لا هو، دافيد، ولا كاتي، سيتمكّنان من الشعور بالأمان من القتل الذين ترسلهم المافيا.

جفل دافيد عندما أدرك أن مسافراً واحداً فقط يقف أمامه، وما لبث أن حدّق إلى موظفة أمنية تابعة لإحدى الشركات، كانت تجلس وراء جهاز للأشعة السينية، لكنه لم يتمكّن من استبعاد احتمال امتلاكها لصورة هارين على الشاشة أمامها. أوما حارسٌ لدافيد بأن يدخل من خلال كاشف المعادن. تناول حقائبه وتقدّم بسرعة. تقدّم من خلال الناس الذين يجولون بين متاجر السوق الحرّة، والذين كانوا يتفرّجون على أصناف العطور والشوكولا قبل تقدّمهم نحو بوابة المغادرة. جلس هناك على أحد المقاعد، وتطلّع نحو الاتجاه الذي أتى منه. شعر براحة كبيرة عندما رأى راي وهو يقترب منه ويتجاوزه من دون أن ينظر إليه. هل يعني هذا أن لورنزو حاول إخافته؟

وضع دافيد حقيبته في حضنه، وفتح حاسوبه ثم أدخل شريط الذاكرة في مكانه. تخيل حدوث الكارثة التي يخشى وقوعها كأن لم يُنسخ أي شيء على شريط الذاكرة. كان بإمكانه نقل الملفات إلى حاسوبه لو أنه امتلك الوقت الكافي. بالرغم من كل هذه الأفكار، سرعان ما ظهرت على الشاشة عشرات بل مئات الملفات. تمعّن دافيد، وباهتمام زائد بالوثيقة التي ظهرت في حاسوب لورنزو، والتي ألقى عليها نظرة سريعة في موقف محطة الوقود. كانت هذه بالفعل وثيقة داخلية لمصرف بانكا كريديتو ناسيونالي، وهي وثيقة تفصّل الخسائر الهائلة. لكن هذه الوثيقة السرية كشفت تلك الخسائر، والتي كانت نتيجة الاستثمارات الخاسرة في المشتقات المالية، وكان من شأنها التسبب باختيار المصرف.

يمكن أن يكون كل ذلك حلاً لمشكلته. كان من المحتمل أن تؤدي هذه الحسائر الهائلة المخفية التي تكبدها كريديتو ناسيونالي إلى إعطائه طريقة لتغطية مشكلة دَين الخمسين مليون يورو بخطوة واحدة.

غمرته موجة مفاجئة من التفاؤل.

لكنه لا يستطيع ارتكاب الخطأ ذاته الذي اقترفه في تجارة مسوحات الانبعاثات. يتعين عليه هذه المرة أن يكون متأكداً تماماً من مصدر معلوماته.

انتقل بعد ذلك إلى رسائل البريد الإلكتروني المحفوظة في ملفات لورنزو. بدا أن هذا الرجل الإيطالي كان يستخدم تشفيراً قوياً في حفظ رسائله، لكن هذه الرسائل حُفظت بنصّ مفهومٍ في حاسوبه. أجرى دافيد بحثاً عن كلماتٍ مفاتيح، مثل بانكا كريديتو ناسيونالي، أو BCN فظهرت ست رسائل بريدٍ إلكتروني. حملت جميع هذه الرسائل اسماً واحداً في خانة المرسل إليه: مارتن رينختر.

ماذا يعني ذلك؟ أرغم دافيد نفسه على التركيز بالرغم من الصخب السائد والحرارة الشديدة، وبالرغم من الذكريات المرعبة. تعين عليه الآن التفكير بوضوح ومنطق.

كانت محتويات هذه الرسائل في غاية الوضوح: سلّم لورنزو الوثائق المتعلقة بوضع مصرف كريديتو ناسيونالي المأساوي إلى رينختر، وهو الذي أشار في رسالةٍ واحدة بوضوح، وبصوتٍ قوي، إلى أن هذه المعلومات سوف تُستخدم لتدمير المصرف.

ذهل دافيد بينه وبين نفسه. كانت الرسائل احترافية في نبرتها، وكان أحدهم على وشك تنفيذ عملية تنطوي على أعلى الرهانات. راح دافيد ينقر بأصابعه على ركبته لاشعورياً نتيجة الدهشة التي أُصيب بها، كما وجد صعوبة في المحافظة على هدوئه.

شعر دافيد أن قلبه يكاد يقفز من مكانه بعد قراءته الرسالة التالية، والتي تحدثت عن لقاء لورنزو برينختر في فيينا برفقة رجلٍ روسي يدعى بافل آنوسوف.

لكن ما علاقة هذا المصرفي برينختر، وهو الذي يحتفظ بعلاقة مع الكرملين؟

استفاد دافيد من الشبكة اللاسلكية للمطار للدخول إلى شبكة الإنترنت، فأسرع إلى البحث عن معلوماتٍ تتعلق بمارتن ريختر. عمل الرجل بصفته أستاذ علم المالية في جامعة همبولت في برلين.

أظهرت الصورة التي عثر عليها دافيد في الإيكونوميست رجلاً أنيقاً وحيوياً. كان عنوان الصورة مذهلاً: أستاذ جامعي يطالب بأن تتحمّل المصارف المسؤولية. حدّق دافيد مذهولاً إلى صورة الأستاذ. أعطت المقابلة المرفقة إجابة واضحة عن السبب الذي يدفع ريختر إلى محاولة استغلال الوضع الصعب الذي يمرّ به كريديتو ناسيونالي.

اتخذ دافيد قراره لأنه لم يمتلك وقتاً لتضييعه. اتصل برقم مكان عمل ريختر في الجامعة، وهو الرقم المدرج على الشبكة العنكبوتية. "بروفيسور ريختر؟"

أجاب صوتٌ عميقٌ على الطرف الآخر من الخط: "أجل؟" أغمض دافيد عينيه. كانت هذه فرصته الوحيدة، ولهذا تعيّن عليه أن يبدو مقنعاً وقويّاً.

"إنني أعرف عن نواياك إزاء كريديتو ناسيونالي لم يسمع من الطرف الآخر من الخط سوى هسهسة هادئة تشبه التشويش. "لا أفهم عمّا تتحدّث. سأقفل الخط الآن..." "أشك أن تفعل ذلك بعد أن تعلم نتيجة ما سأحدث به عن مشروعكم" انتظر دافيد الرد حابساً أنفاسه حتى وصلت نبضات قلبه المتسارعة إلى أذنيه.

سأل ريختر أخيراً: "من أنت؟ وماذا تريد؟" "اسمي لا يهملك. أريد التحدث معك وجهاً لوجه" "أنا في روما الآن، لكنني سأغادر بعد وقتٍ قصير" هل البروفيسور في روما الآن؟ ليس ذلك بالأمر المستغرب، وهو هناك من أجل عملية المصرف. أدرك دافيد فجأة أن فرصته قد حانت. "سنلتقي في روما إذاً. الساعة 3:30..."

"كلا، لأنه موعدٌ متأخّرٌ جداً. نلتقي عند الثالثة كحدّ أقصى، وليس بعد هذا الموعد حتى دقيقة واحدة. تعالَ إلى ردهة فندق ألبيرجو ديل سيناتو الذي يقع قبالة البانشيون"

حرّك دافيد قبضته احتفالاً بالنصر الذي أحرزه. أمسك أحد موظفي شركة الطيران الميكروفون في اللحظة ذاتها وقال: "تطلب من المسافرين على رحلة أليطاليا AZ 1156، والمتّجهة إلى روما، الصعود إلى الطائرة"

أهّى مارتن المكالمة. وقف جامداً في مكانه، وخشي أن تخونه ركبته ويسقط على الأرض.

سقط مارتن منهاراً على سريره الواسع في جناحه بالفندق. أبعقل أن يتمكّن أحدهم من معرفة الخطة؟

حاول مارتن التركيز على أفكاره. أدرك أنه يتعيّن عليه إعلام بافل بالأمر، وهو الرجل الذي سبق له أن عرض تقديم متخصصين من FSB للمساعدة في العمليات مرات متعدّدة من قبل. لكن بافل كان يحصل في المقابل على ثمن، وهو يعرف ذلك جيداً. أراد بافل عدم ترك أي أثر يدلّ على تدخّل موسكو. يتعيّن على الأخص ألاّ تعلم إيريكا أيّ شيء عن دور الكرملين، ويريدها مارتن أن تعتبره العقل المدبّر الوحيد لهذه العملية.

تابع مارتن على مدى أعوام، ومن خلال محاضراته وحلقاته الدراسية مهاجمة لعواقب التدميرية لقبوى السوق الدولية، والجشع الذي يرافق عمليات التمويل المضخمة. أما صانعو القرارات والخبراء فقد واجهوا آراءه بحدّر أحياناً، وبنفورٍ أحياناً أخرى. أما الآخرون فقد نظروا إليه كرجلٍ يثير الفضول، والذي يُمكن مقارنة آرائه إما بآراء جناح اليمين القومي، وإما بآراء الحركات العمالية التي تريد المحافظة على مكتسبات العمال.

لكن لقاء بإيريكا غير كل شيء. أدّت تعليقاتها التي تنضح بالإعجاب إلى ضخ طاقةٍ وثقةٍ بالنفس جديدين في عمل مارتن. جعلته إيريكا يشعر وكأنه مفكّر أصيل وثوري يقف في صف الرجال العظام الذين مروا بجامعة همبولت، أي من

أمثال ألبرت آينشتين وكارل ماركس. أثارَت مقارنة مارتن بماركس اهتمامه على وجه الخصوص، لأنها أصابت الجانب الصحيح للمقارنة بماركس، وذلك لأن مارتن كان يقف إلى جانب الرجال العاديين الذين يواجهون مؤامرات الرأسمالية الشرسة، والشركات الكبيرة ومتعددة الجنسيات.

حدثت إيريكاً مارتن عن أصدقائها الذين أعجبوا بأرائه الاجتماعية. لكن الكلام ليس كافياً لأنهم يحتاجون إلى العمل الفعلي. أما المناقشات التي جرت بين مارتن وإيريكاً فأنتجت الخطة الاستثنائية التي عرضها مارتن أمام يافل على أنها من بنات أفكاره. لكن تطبيق هذه الخطة كان يحتاج إلى قدرٍ قليلٍ من المساعدة التقنية والتوقيت الصحيح. يعني ذلك أن كل واحدٍ منهما كان هديةً للآخر.

لكن مكالمات هاتفية واحدة كانت كافية في هذا الوقت لتخريب كل

شيء.

سمع مارتن قرعاً على الباب، وما لبثت إيريكاً أن دخلت حاملةً حاسوباً تحت

ذراعيها.

تطلعت إيريكاً نحو مارتن لبرهةٍ قصيرة، فلاحظت بأنه بدأ مرتعباً.

وضعت الحاسوب على السرير وقالت: "ماذا الآن؟"

اقترب مارتن منها وأخبرها، بصوتٍ يشبه الهمس عن المكالمات الهاتفية التي

تلقاها للتو.

أصغت إيريكاً بدهشةٍ تامة ثم انهارت فوق السرير.

قال مارتن: "سأواجه المسألة بنفسي

هزّت إيريكاً رأسها، لأن الأمر ليس بهذه البساطة.

قالت: "يتعين علينا إبلاغ فلوريان الأمر

قال مارتن بصوتٍ يشبه الصراخ قبل أن يقرّبها نحوه ويطلع قبلةً رقيقةً فوق

خدّها: "لا تكوني حمقاء" همس لها بعد ذلك: "سامحيني... لست متعوداً على

ضغوط كهذه. لكن كلا، لن نتكلم بهذا الأمر مع فلوريان. ليس من الضروري أن

يعرف كل شيء"

أرادت إيريكما القول عكس ذلك، أي أنه من الضروري أن يعرف كل شيء.

قال مارتن: "ستتابع العمل حسب الخطة الموضوعية. ماذا لديك في حاسوبك؟"

رفع مارتن غطاء حاسوب إيريكما الذي كان موضوعاً فوق السرير. ظهرت على الشاشة وثيقة كريدتو ناسيونالي الداخلية التي قدّمتها جينا روجيرو إلى مارتن.

قال مارتن: "عظيم"

كانت إيريكما تعرف أن النتيجة كانت أفضل من عظيمة. كانت كاملةً من كل النواحي. كان مجمل الخسائر الظاهرة في أسفل الوثيقة الأصلية تعرّض لتضخيم كبير، لكنه حافظ على أصالته شكلاً.

قالت إيريكما: "قام فلوريان بعملٍ ممتاز"

أوماً مارتن: "إننا نعترم إرسال هذه الوثيقة إلى ويكيليكس حسب الخطة، لكنني أريد أولاً لقاء الشخص الذي كلّمني هاتفياً للتو "هل من المناسب اللقاء به؟ هل هو آمن؟"

"نقي بي. ماذا لديك في الحقيقة؟ ألدك ما نأكله. لا أعتقد أن يكون لدينا الوقت الكافي في المطار لتأكل أي شيء بسبب هذه الزيارة المفاجئة"

حدّقت إيريكما في عيني مارتن مباشرة، وقالت: "أنت مذهش، وأنا معجبة بسرعة بديهتك"

أحاطت عنق مارتن بذراعيها، وقبّلته قبلةً طويلة. توجّهت بعد ذلك إلى الغرفة الأخرى في الجناح، وتناولت محفظتها وهاتفها الخلوي ثم غادرت الغرفة.

وصلت إلى الطرف الآخر من الممر، وقرعت باب غرفة فلوريان بلطف. أتبها ضميرها قليلاً، لكن فلوريان ينبغي أن يعلم بأمر المكالمات الهاتفية.

ودّعت كاتي رجلّي التحري في شرطة بروكسل اللذين كانا يرتديان ملابس عادية، لكنها بقيت واقفةً ومستندةً إلى باب شقتها من دون أن تفارقها صدمة ما سمعته. نهار السبت، وُجد خوليو باريتو في منزله جثةً هامدة نتيجة الضرب. حدثت جريمتان في الأيام القليلة الماضية. هل هناك ترابط بينهما بطريقةٍ ما؟ وردت في ذهنها ذكرى المشادة الحادة التي جرت بين آينو وباريتو في الحفلة. لكن لماذا كانا يتشاجران؟

أحسّت كاتي بشعورٍ خانقٍ يعترضها، فعادت إلى غرفة المعيشة، وحاولت تهدئة مشاعرها. أجابت على أسئلة الشرطيين السريين عن أوقات وصول باريتو ومغادرته، وكذلك عن سلوكه في الحفلة. أبلغت الشرطة كذلك شكوكها بشأن أسباب مقتل آينو، كما تحدّثت عن نظريتها بشأن مقتلها وعلاقة ذلك، بطريقةٍ ما، بموت باريتو. أبلغتهما كذلك بشأن تلك الزيارة المستغرّبة التي قامت بها وحدة من الجهاز الأمني التابع للمفوضية الأوروبية إلى شقة آينو. دوّن الشرطيان كل المعلومات التي أدلت بها من دون تعليق.

أحكمت كاتي إغلاق باب شقتها. كانت الفوضى سائدة في غرفة المعيشة بعد الحفلة، وكانت بالكاد وصلت إلى منزلها حين ظهر الشرطيان عند المدخل. حضّرت لنفسها كوباً من القهوة السريعة من آلة تحضير القهوة، ثم تناولت بعض فطائر اللحم وبعض المشهيات الأخرى من الثلاثية، ثم جلست إلى حاسوبها. بحثت في البداية عن الوحدة الأمنية التابعة للاتحاد الأوروبي، لكنها لم تعثر على ما يشفي غليلها، إلا أنّها علمت أن عملياتها كانت في غاية السرية. ارتبط مسؤولو هذه الوحدة في التسعينيات بمجموعات سياسية متطرفة.

عثرت كاتي في أحد المواقع على مقالة في مجلة *EUobserver* تتحدث عن فضيحة طالت خصخصة خدمات الأمن والحراسة في الاتحاد. أبرمت الإدارة تحت إدارة كاترين آشتون، وهي وزيرة الشؤون الخارجية في الاتحاد الأوروبي، عقوداً بقيمة خمسة عشر مليون يورو لتأمين خدمات من الشركات الأمنية الخاصة. شملت هذه العقود اتفاقيات تمّوين مع شركاتٍ مشكوكٍ بأمرها، لكن تم إلغاء عددٍ من الاتفاقيات في وقتٍ لاحق.

بدا أن يورو سيك Eurosec هي إحدى أكبر الشركات الخاصة الشريكة مع المفوضية الأوروبية إلى جانب G4S، وبعض الشركات القليلة الأخرى. استرعى انتباه كاتي شيء مهم أثناء بحثها عن يورو سيك. تبين أن الرجل الذي دخل شقة آينو، ويُسمى أرنو مايز، كان مؤسس الشركة ورئيس مجلس إدارتها، وهو الذي باع شركته فيما بعد إلى شركة دولية كبرى مقابل ما يزيد على ستين مليون يورو.

لكن هل كان من الممكن أن يحضر رجلٌ له هذه المكانة إلى شقة آينو بنفسه، وفي ظهيرة يوم الأحد؟ هل يعني ذلك أن شخصاً آخر يحمل الاسم ذاته هو الذي حضر.

لكنّ مزيداً من البحث أظهر صورةً أكّدت هوية الرجل.

حبست كاتي أنفاسها من فرط الدهشة التي شعرت بها.

لم تضيّع لحظة تردّد واحدة، فأسرعت إلى إدخال شريط الذاكرة الذي أخذته من شقة آينو وبدأت البحث في محتوياته بعد أن سيطر عليها قدرٌ أكبر من الفضول. كان هناك ملفات أكثر مما سبق لها أن رآته في حاسوب آينو. تحدثت هذه الوثائق عن التغيّر المناخي، وفضائح الهبات التي يقدمها الاتحاد الأوروبي، وهي ملفات تجاوزتها مؤقتاً كي تركز على ملفٍ يتعلّق بمسائل أحاطت ولادة الاتحاد الأوروبي، وهو أمرٌ مفاجئ يستدعي حفظ آينو له. كان هناك أمرٌ أشدّ غرابة في أحد الملفات الذي كتبت عليه آينو كلمة: مهم!

اعتقدت كاتي في ما مضى أنها تعرف كل ما يهمها معرفته عن الاتحاد الأوروبي، لكنها عندما قرأت وثيقة آينو أدركت أنها على خطأ. بدا كلُّ شيء

في ضوءٍ جديدٍ منذ المراحل الأولى لتكوين الاتحاد. أدركت كاتي أنها كانت تصدّق، أو أرادت أن تصدّق، الدعاية الصادرة عن الرجال الحكماء الذين قرروا تأسيس الاتحاد من أجل خير الناس، ولمنع الحروب في المستقبل. لكن الحقائق القاسية تعرّضت للطمس.

كانت كاتي على علمٍ بأن آينو كانت تبحث عن كل الشواذات المتعلقة بأنشطة الاتحاد الأوروبي، لكن لماذا أصرّت على إعادة البحث في ملابس تأسيسه بعد مرور كل هذا الزمن؟

استمرت كاتي، بعد أن نسخت ذلك الملف، في دراسة شريط الذاكرة، وكانت تعلم أن آينو قامت بحفظ بعض ملفاتها في وثيقة واحدة، لكن بدا بأنها تجنّبت حفظ أي شيء شديد الحساسية في حاسوبها الشخصي.

قلّبت كاتي هذه الملفات التي تضمّنت بعض رسائل البريد الإلكتروني التي أرسلتها آينو وتسلمتها. فجأة، انحنت أكثر، وأصدرت صوتاً لفرط دهشتها. أمضت بعد ذلك ثوانٍ قليلةً في محاولةٍ منها لتهدئة أنفاسها المتسارعة، ثم أجرت اتصالاً ثانياً بدافيد.

رنّ هاتف دافيد بينما كان يُسرع الخطى في صعود الدرج الفسيح في الفندق الذي يقع في بيازا ديلا روتندا Piazza della Rotonda. ردّ دافيد، بالرغم من أن ضجيج حركة السير كان لا يُطاق، لأنه لن يتمكّن من الرد حين يُصبح في الداخل.

"لماذا لا تردّ على اتصالاتي؟ هل اتصلت بك الشرطة؟"

جفل دافيد. هل اتصلت الشرطة الإيطالية بالشرطة البلجيكية؟

"كلا، ماذا تعنين؟"

"تعرّض باريتو للضرب حتى الموت. حدث هذا في منزله الليلة الماضية"

شعر دافيد بالصدمة أثناء إصغائه. هل حدث هذا بعد قيامه مع راي بـ...؟ تسببت هذه الفكرة في تجمّد الدم في عروقه. هل كان القتلة ينتظرون وصول باريتو عندما كان هو وراي في المنزل؟

"ماذا أرادت الشرطة أن تعرف؟" شعر دافيد أن هذه الكلمات تكاد تخنقه.
"أرادوا مقابلتنا لأننا كنا آخر شخصين شاهدنا باريتو حياً. لكن أين أنت
الآن؟"

"إنني في طريقي إلى بروكسل"

"أتياً من لندن؟"

أغمض دافيد عينيه. "أجل"

"لكن لماذا أتلقى رسائل عاملة الهاتف بالإيطالية عندما أطلب رقمك؟"
"يُحتمل حصول عطلٍ ما في هذا الخط. سأعود إلى المنزل في أسرع وقتٍ
ممكن"

"لا يمكنني التوقف عن التفكير بوجود علاقة بين مقتل آينو ومقتل باريتو"
لم يرغب دافيد أن تستطرد كاتي كثيراً في نظرياتها، فقال: "كاتي، من
الأفضل ألا نتحدث عن هذا الموضوع عبر الهاتف"
"عثرت على رسائل في غاية الأهمية في حاسوب آينو. سنتحدث عن هذا
الأمر عند عودتك إلى المنزل"

أعاد دافيد الهاتف إلى جيبه بعد أن أصبح أكثر قلقاً من أي وقتٍ مضى. إذاً،
قتل باريتو بعد أن تعرّض للضرب حتى الموت. هل كانوا يحاولون انتزاع اعترافٍ
منه؟ هل لهذا علاقة بما حدث في باليرمو؟

كلا، قالت كاتي إن الجريمة حدثت في الليلة الماضية، أي في الليلة ذاتها التي
اقتحم فيها منزل باريتو مع راي. لم يتمكن دافيد من فهم ما يحدث، لكنه شعر
بأنه معرّضٌ للانكشاف بشكلٍ متزايد.

تساءل دافيد إذا كان يجدر به اصطحاب راي إلى هذا الاجتماع مع ريتختر؟
استبعد الأمر، لأن راي مضطربٌ إلى مغادرة البلاد في أسرع وقتٍ ممكن، وهو الآن
في طريقه إلى بروكسل. كان تنفيذ خططهما بالطريقة التي اتفقا عليها ضرورياً أكثر
من أي وقتٍ مضى.

دخل دافيد القاعة المقنطرة والمشيدة على طراز الباروك، والمزينة بحوضٍ
مزخرف على قاعدته. بماء الذهب مع مصابيح مزخرفة ومرايا، بالإضافة إلى باقات

وردٍ ملوثة. قال دافيد لعامل الاستقبال الذي ارتدى ملابسه بكل عناية إنه جاء لمقابلة البروفيسور ريختر. ردّ عامل الاستقبال بأن البروفيسور، وهو الزبون المنتظم للفندق، أبلغه عن هذا الاجتماع. وما لبث دافيد أن تقدم نحو المصعد.

كان دافيد طوال الرحلة إلى روما يحاول استبعاد الشعور بالرعب عن ذهنه لكي يتمكن من التركيز على فهم أهمية الوثائق المأخوذة من حاسوب لورنزو. وكان يجير نفسه على فهم السياق الأوسع، والأبعاد الخفية لهذه الوثائق. لا يتعلق الأمر بمصير مصرف كريديتو ناسيونالي فحسب، بل إنه يتعلّق بالوضع المصرفي الإيطالي كلّهُ.

كان دافيد يعرف أن تعاملات البلاد في هذه الأيام، ومنذ انطلاق عهد اليورو، كانت موضع شك. لم يكن بإمكان إيطاليا الانضمام إلى الاتحاد المالي [الأوروبي] في العام 1999، من دون التخفيف من العجز الكبير في موازنتها، وذلك عن طريق الدفوعات المسبقة التي ربّتها بعض المصارف الاستثمارية. تمكّن مصرف جاي. بي. مورغان من كسب مليارين ونصف مليار يورو على شكل أرباح من عقدٍ واحدٍ للمشتقات المالية، وذلك على حساب دافعي الضرائب.

أما خلال الأزمة المالية التي حدثت في العام 2008، فقد قامت إيطاليا مجدّداً بإعادة تنظيم منظومتها الاقتصادية عن طريق تجارة المشتقات المالية، والتي كانت مخاطرها المالية المحتملة عالية جداً. لكن لم يكن أحد على علم بما يخبئه المصرف المركزي في البلاد. لم يكن الأمر يتطلب غير حادثٍ واحدٍ لهزّة ثقة المستثمرين، إلى درجة أن إيطاليا سوف تكون مرغمةً على طلب حزمة إنقاذٍ اقتصادية، وهو ما يشكّل عبئاً ثقيلاً على الدول الأوروبية الأخرى، وهذا ما أراده ريختر بالضبط.

فكّر دافيد في جوهر الموضوع: إذا شاع خبر أزمة السيولة التي يعانيها كريديتو ناسيونالي بين الناس، فسيُدمر كل شيء. يُضاف إلى ذلك أن الوثائق التي كانت موجودة في حاسوب لورنزو كشفت هذا الأمر الذي يشبه اللغم الأرضي. أقنع دافيد نفسه أن ريختر أراد استخدام هذه المعلومات لصالحه بطريقةٍ ما.

توقّف دافيد أمام أحد الأبواب في ممر الطابق السادس المكسوّ بالسجاد، وقرعه. فتح الباب رجلٌ ذو ملامح جدية وعينين متنبهتين وفضوليتين.

"بروفيسور ريختر؟"

سأل الرجل الألماني بغضب: "من أنت؟"

"قلت لك إن اسمي لا يهم. لا أريد إلا التأكد من شيءٍ ما. لن أزعجك بعد ذلك أبداً"

وقف رينختر عند الباب دون حراك إلى أن أذن أخيراً لدافيد بالدخول إلى الغرفة. ظهر منظر واجهة البانثيون بين الستائر المفتوحة ذات اللون البني الفاتح. ظهرت في وسط الغرفة حقيبتان مليتان بالأمتعة، وبضع حقائب تُحمل على الكتف، وبدأ أن واحدةً منها تعود لامرأة.

أغلق البروفيسور الباب وراءه، وسار أمام دافيد.

قال رينختر بصوتٍ منخفضٍ وفظاً: "إنني على وشك المغادرة. ماذا تريد بحق السماء؟"

امتلك دافيد جرعةً مفاجئة من الثقة النفس، وقال بكل جدية يتطلّبها الموقف: "سأدخل في صلب الموضوع مباشرة. أعرف وضعك وسط أزمة منطوقة اليورو، وأنت تعتقد أن الانهيار المفاجئ سيكون الوضع الأفضل، بعد إفلاس المصارف التي تأخذ اليورو معها"

خفض دافيد صوته قليلاً، وركّز نظرتَه على عيني البروفيسور الألماني مباشرة. "صدف أنني أعرف أنّ لديك مصدراً في بانكا كريديتو ناسيونالي، يعرف أمر الخسائر الهائلة التي يخفيها المصرف"

لم تتغيّر ملامح وجه رينختر، وقال: "لا أعرف ما تتكلم عنه"

"سبق أن قلت لك إنني أريد التأكد من دقة هذه المعلومات عن المتاعب التي يمر بها كريديتو ناسيونالي. أما إذا عرضت عليّ دليلاً على أن ما قلته الآن هو صحيح، فإنني لن أزعجك مجدداً على الإطلاق"

إذا كانت هذه المعلومات صحيحة، فإن دافيد سيعرف بالضبط ما سيفعله في مكان عمله في لندن صباح يوم الاثنين. لكنّه لن يكرّر الخطأ نفسه مرتين، أي الوثوق بمصدر غير أكيدٍ من معلوماته.

تابع دافيد حديثه: "أعرف أنك تنوي أن تسرّب مقدار خسائر المصرف إلى وسائل الإعلام في وقتٍ قريبٍ جداً، وأعرف كذلك أنك تلقيت هذه المعلومة

من وسيطةٍ تدعى جينا روجييرو وهي تريد أخذ حصَّتها من هذا المخطَّط التاريخي"

سبق أن رأى دافيد اسم روجييرو في وثائق لورنزو، وهكذا جاءت كلماته بمنزلة الصدمة لريختر.

تابع دافيد الكلام: "أعرف ما يكفي، كما ترى. أما أنت فليس لديك ما تخسره على الإطلاق. سأكرّر كلامي: أُرْبِي الدليل على الخسائر، وسوف أخرج من هذه الغرفة الآن وعلى الفور، ولن تراني مجدداً"
"يا لك من حثالةٍ تافهة. إنك لا تريد سوى كسب المال من تجارة غير مشروعة..."

"دعنا نوفّر بعض الوقت. أعطني الدليل، وإلا سأكون مضطراً لإعطاء معلوماتي إلى كريديتو ناسيونالي مباشرة"

أدّى هذا التهديد إلى ظهور توتّر أكبر في ملامح الرجل الألماني الذي بدا وكأنه يواجه صراعاً داخلياً، لكن لم يكن لديه أيُّ خيارٍ آخر، فتقدّم نحو حقيبة أمتعته وأخرج منها ورقة، ثم أعطاه إياها من دون أي تعليق.

حدّق دافيد إلى الورقة التي كانت نسخة من تقرير دائرة التدقيق الداخلي في المصرف، فأدرك أهميتها فور رؤيته قائمة توزيعها: الرئيس التنفيذي لكريديتو ناسيونالي، ورئيس المصرف المركزي الإيطالي. أظهرت هذه الوثيقة الخسائر الفادحة وطرق تغطيتها.

سأل ريختر: "هل هذا جوابٌ كافٍ؟"

أوماً دافيد، وتراجع خطواتٍ قليلةً إلى الوراء، ثم فتح الباب، وقال وهو يخرج من الغرفة: "شكراً لك"

ما إن سمع فلوريان، الذي كان يتنصّت على محادثة الرجلين، خطوات الرجل وهو يغادر غرفة ريختر حتى فتح الباب الذي يوصله إلى الجناح المجاور. سار وهو في حالة من الاضطراب الشديد نحو ريختر حاملاً حقيبة الكتف التي احتوت أشياءه القليلة...

قال فلوريان بهدوء، مع أن عينيه كانتا تشتعلان غضباً: "لا يمكن أن تكون
جاذباً يا مارتن. لا تستطيع أن تتركه يرحل هكذا، وهو الذي يمكنه تخريب العملية
بأكملها"

"ماذا نستطيع أن نفعل؟ إنه يعرف كل ما هو مهم عن خطتنا، لكننا سنتابع
حسب الخطة"

استدار فلوريان، وخرج إلى الممر.

"إلى أين أنت ذاهب؟ يتعين علينا الذهاب إلى المطار. سأطلب سيارة أجرة"
قال فلوريان: "أريد معرفة إلى أين سيذهب. سأتوجّه إلى المطار مباشرة إذا ما
تأخّرت نتيجة ازدحام السير.

غادر فلوريان الغرفة، وسارع متوجّهاً إلى المصعد، وقد تزايد هلعه لما يمكن
أن تعنيه الكلمات التي سمعها قبل قليل، لكن ريمختر لم يعلم أيّ شيء عن خطته
الحقيقية، وهكذا لم يتمكّن من معرفة الخطورة الشديدة للوضع.

أسرع دافيد في نزول درج الفندق. كانت الحشود أمام البانثيون كثيفة إلى درجة بهرت عينيه. اصطدم نتيجة إثارة الموقف التي اجتاحتها برجل يبيع الكستناء المشوية، أثناء هروله عبر الباحة المبلطة بالأحجار.

تردّد منظر الورقة التي أراه إياها ريختر في ذهنه. كان رئيس مصرف إيطاليا يطالب أن يقوم كريديتو ناسيونالي بإخفاء مقدار خسائره الحقيقية. وتمكّن دافيد من إدراك العواقب المدوية التي تترتب على قيام ريختر بإفشاء هذه المعلومات، إذ إن دول الاتحاد الأوروبي الأخرى لن تكون قادرةً على حماية ثالث أكبر اقتصادٍ في أوروبا، وهكذا ستتشر الأزمة.

أشار دافيد إلى سيارة أجرة بالتوقّف عندما رآها في طرف الباحة. أعطته هذه الوثيقة التي رآها للتو فرصةً فريدةً من نوعها إذ إنها كانت بمنزلة خلاصه من المأزق الذي وقع فيه. سيتمكّن دافيد، بعد استفادته من هذه المعلومات، من عقد صفقة مشتقات مالية نتيجة لتوقّعه انهيار سعر السهم في كريديتو ناسيونالي، وهو الأمر الذي سيؤدّي، وبسهولة، إلى تعويض خسارته التي تساوي خمسين مليون يورو. سيتعيّن عليه عقد هذه الصفقة في وقتٍ مبكرٍ من صباح يوم الاثنين، وهو الأمر الذي يعني أنه مضطر إلى ركوب قطار الصباح المبكر الذي يربط بروكسل بلندن.

رأى دافيد سيارة الأجرة وهي تتباطأ في سيرها، فشقّ طريقه نحوها من خلال الحشود، متجاهلاً الصرخات والشتائم التي لاحقته.

قال دافيد للسائق: "محطة القطار" رمقه السائق بنظرةٍ حادة، ولوّح نحو المحتجّين خارج السيارة.

تناول دافيد من محفظته ورقة مالية بقيمة خمسين يورو وناولها إلى السائق. كانت الرحلة إلى محطة القطار الرئيسة تستغرق حوالي عشر دقائق، لكن الوصول إلى المطار من هناك كان أسرع من الذهاب بسيارة أجرة.

تباعدت بيازا ديلا روتندا عن سيارة الأجرة، فحاول دافيد استجماع شتات أفكاره. ماذا لو كانت هذه الوثيقة غير أصلية؟ ماذا سيخسر عندها؟ إن خسارته ستبقى هي ذاتها لو خسر خمسين مليون يورو أو مئة مليون، وهو لن يكون قادراً على الوفاء في الحالتين.

شقّت السيارة طريقها وسط زحام السيارات وفي شوارع ضيّقة. كان السائق يحدّق إلى دافيد من خلال مرآة الرؤية الخلفية بين حينٍ وآخر، بينما كان يتكلم في هاتفه المحمول.

راح دافيد يستذكر لقاءه مع ريجنر، ويتساءل عن نوع الدور المزدوج الذي كان لورنزو سيلعبه إذا ما تعاون مع هذا البروفيسور الألماني، أو مع الكرملين. تذكّر بعد ذلك أن لورنزو درس في برلين لتحضير أطروحته. يُحتمل كذلك أن يكون أحدهما قد تعرّف إلى الآخر منذ تلك الأيام.

في الوقت الذي دخلت فيه سيارة الأجرة محطة القطار الرئيسة في روما كان دافيد قد انتهى من إقناع نفسه أنه ليس بحاجةٍ إلى حمايةٍ أيّ شخصٍ عدا نفسه وكاتي، وها هو يمتلك الآن مفتاح هذه الحماية.

رأى فلوريان رجلاً إنكليزياً في مقبّل العمر وهو يخرج من سيارة أجرة بينما كانت سيارة الأجرة التي يستقلها هو تشق طريقها بين السيارات لتصل إلى محطة القطارات. كان من حسن حظّه أن رأى رقم السيارة قبل أن تغادر بيازا ديلا روتندا. دفع فلوريان الأجرة لسائق السيارة التي يستقلها ليخرج باحثاً عن وجهة سير السيارة الأخرى.

تم تشييد المحطة "تيرميني" في الخمسينيات من القرن الماضي، وكان يُطلق عليها لقب "الديناصور" كانت هذه المحطة إحدى أكبر محطات القطار، وأكثرها ازدحاماً في أوروبا. حرص فلوريان على أن لا يفقد أثر هدفه خلال مروره بين

المراسلين الصحفيين، وراح يتساءل عن وجهة ذلك الرجل. تمتلك تيرميني وجهات مباشرة ليس مع مدن إيطاليا الرئيسية فحسب، بل أيضاً مع باريس وبازل وميونخ وغيرها...

توقف الرجل عند شباك بيع التذاكر الذي يحمل كلمات ليوناردو إكسبرس من فوقه.

كان المطار وجهة الرجل بطبيعة الحال.

لم يكن هناك أي شيء في ملامح الرجل الخارجية يوحي بوجود خلفية إجرامية، وكذلك كان الأمر مع الادعاءات التي عرضها أمام رينختر. لم يكن فلوريان يعلم سوى أن ذلك الرجل يشكّل تهديداً خطيراً أكبر بكثير مما فهمه رينختر. كان فلوريان يود لو يتمكن من الانفراد بالرجل ودسّ مسدسه تحت ذقنه، وسؤاله عن مصدر معلوماته، وكيف يريد استخدامها.

فكّر فلوريان وسط موجة الغضب التي اجتاحتها عن ما يتعين عليه عمله، وأخذ يشتم هذا الوضع مرةً بعد أخرى. فكّر بأنه سرعان ما سيفقد أثر الرجل إلى الأبد. هل سيسمح بحدوث هذا؟ كانت تلك مخاطرة كبيرة، بل كبيرة جداً.

شاهد فلوريان الرجل وهو يعود من كشك التذاكر المحاط بالواجهات الزجاجية، ثم توجه بعد ذلك إلى أرصفة المحطة. أدرك فلوريان أن ليس أمامه سوى خيار واحد. أخذ نفساً عميقاً، وكتب مشاعر السخط التي تجتاحه، ثم تابع مطاردته بعد أن أنزل قبة كرة القاعدة التي يعتمرها.

حدّق دافيد إلى الأرقام المعروضة على لوحة العرض. كان من المقرر أن يغادر القطار التالي إلى المطار في غضون ثماني دقائق. أدرك بعد ذلك أنه يدخل أكثر فأكثر وسط الزحام، لذلك بدأ السير بمحاذاة السكك الحديدية. وصل الضحيج إلى ذروته مع تقدّم أحد القطارات، وسرعان ما ظهرت قاطرة ضخمة.

شعر دافيد في هذا الوقت بدفعة قوية على ظهره، ولم يلبث أن ترتج بعنف نحو طرف الرصيف والسكك الحديدية. كانت تلك لحظة جامدة وغامضة من الزمن يتعدّر تفسيرها. سقط على ظهره فوق السكك وسط ألم لا يوصف. رأى

دافيد بطرف عينه المحرك الضخم وهو يتقدّم نحوه. دفع، وبصورة غريزية، حقيبة كتفه فوق جسمه. رأى في هذا الوقت التعابير المرتعبة على وجوه الناس الواقفين على الرصيف.

كان أحد الوجوه بالذات مختلفاً عن بقية الوجوه في الحشد. رأى عيني ذلك الرجل الزرقاوين تحت قبعة كرة القاعدة، واللتين توهجتا في وعي دافيد، بينما تصاعد زعيق المحرك وكأنه صوت حيوانٍ ضخم. شعر دافيد بتيار هواء دافئ ورطب فوق وجهه، وما لبث أن أغمض عينيه بقوة.

سار فلوريان بمحاذاة الرصيف وسط صراخ الركاب الذي ملأ أذنيه. كان يعرف أن كاميرات المراقبة الأمنية ستحتفظ بصورته وقتاً طويلاً، لكن لم يكن لديه أي خيار آخر. أما الأمر الأهم عنده فكان نجاحه في مسعاه، وهكذا لن يعرف ريجنر أي شيء عن الحادث، وكذلك الأمر مع إيريك.

سرّع فلوريان خطواته. كان عليه المغادرة مع ريجنر وإيريك إلى المطار على الفور، وعلى الأخص لأنه سيتمكن الآن من نسيان ما حدث. ستتلاشى ذكرى هذا الحادث، وكأنها حلم مزعج من دون أن تترك أي أثر.

أما المهمة التي كانت بانتظار فلوريان في بروكسل فكانت قاسية إلى درجة أنها جعلت فلوريان شديدة العصبية والتوتر مع سريان الأدرينالين في شرايينه. كان عليه تركيز أفكاره على المستقبل، وليس على الماضي.

نزع قبعة كرة القاعدة ورمها في مستوعب للنفايات، ثم استند إلى جدار. شعر بضعف ينتشر في أنحاء ساقيه، لكن استناده إلى الجدار أراحه قليلاً.

لم يحرك دافيد أي عضلة عندما كانت تلك الكتلة الضخمة من الحديد تمر من فوقه. استلقى مشلولاً ووجهه كان موجهاً نحو الأعلى، في حين شعر أن رأسه يكاد أن ينفجر نتيجة ذلك الزعيق المدوي الناتج عن احتكاك فرامل القطار. التمعت في ذهنه صور حقول القمح، وقطعان الخراف، وسطح النهر، ووجه أخيه الصغير...، وهي صور ألفها في طفولته.

أحس دافيد، فجأة، بتلاشي الحركة من حوله. فتح عينيه بكل حذر، فأدرك أنه يحدّق إلى الجدار الإسمنتي للرصيف. كانت مؤخرة القطار المتوقّف ظاهرة وراءه

بكل وضوح. تمكّن كذلك من رؤية أزواج الأحذية التي تتحرك بجوية على الرصيف، لكنه لم يتمكّن من سماع أي شيء. رأى بعد ذلك وجه شابةٍ منحنيةٍ فوقه وقد انشغلت بفحص عينيه الواسعتين.

فكّر دافيد في احتمال أن يكون هناك سبب وجيه جعل الصدمة تظهر على ملامح وجهها. تعرّضت بعض أجزاء جسده للتشويه، وكانت أطرافه إما مشلولة، وإما ترتعش بطريقةٍ غير طبيعية، لكنه أبقى نظراته مسمرةً على الجدار الإسمنتي دون أن يجرؤ على النظر إلى نفسه.

لم يشعر بأي ألم، وهذا يعني أنه يعاني من صدمة عصبية أو شللٍ جسدي. انحنت من فوقه أعدادٌ أخرى من الوجوه. انحنى أحدهم وركع إلى جانبه ثم حرّك فمه. قال ذلك الرجل، الذي كان في منتصف العمر ويضع نظارة، شيئاً لدافيد، لكن هذا الأخير لم يسمعه. كانت أذناه مسدودتين.

حدّق إليه رجلٌ من فوقه وأشار بإشارة النصر. تطلع دافيد إلى الأسفل فوجد نفسه مستلقياً على لوحٍ بينما كانت يدها مثبتتين بقوة فوق فخذه. بدا له أنه أبعد أطرافه غريزياً من فوق سكة الحديد. حرّك يده فارتفعت في الهواء. حرّك يده الثانية فارتفعت هي الأخرى. تحركت ساقاه كذلك. اجتاحتها موجة عارمة من الارتياح، وشعر بفرحٍ غامرٍ لا يوصف لأنه بقي على قيد الحياة.

ظهر مزيد من الأشخاص إلى جانبه، لكن ما لبث الضجيج الدائر من فوقه أن اقتحم وعيه وكأنه يخترق غشاءً عازلاً للصوت، وهكذا سمع الصرخات، ووقع الأقدام، والنداء الذي تردّد صدها في أرجاء المحطة وأصوات القطارات الآتية من كل صوب من حوله.

حاول دافيد الوقوف، لكن رجلاً إيطالياً أجبره على البقاء في مكانه. كانت سيارة إسعافٍ قادمة نحوه، وما لبثت نظرات دافيد أن استقرت على الساعة القريبة من الرصيف.

كان من المقرر أن ينطلق القطار المتّجه إلى المطار في غضون دقيقتين. رفع دافيد نفسه على الرغم من تحذيرات الرجل الإيطالي. ابتهج الحشد المحيط به لهذه

الحركة وناوله أحدهم زجاجة مياه معدنية. وقف سائق القطار على رصيف المحطة، وضغط براحتي يديه على جبهته.

تلقي دافيد مساعدةً من عددٍ كبير من الأيدي للوقوف على الرصيف. كانت قصبة رجله اليسرى هي التي تؤلمه فقط. طلب منه الأشخاص المتحلّقون حوله بأن ينتظر سيارة الإسعاف، لكن دافيد هزّ رأسه. لوّح دافيد بيديه علامةً على شكره لهؤلاء الناس متجاهلاً كل الاعتراضات التي ثارت من حوله، وتوجّه وهو يعرج نحو رصيف القطار المغادر إلى ليوناردو إكسپرس.

تراجع من خلف دافيد حشد الناس، لكن ذكرى سقوطه فوق سكة القطار تردّدت في ذهنه. تذكّر أن شخصاً ما قد دفعه بقوة، وتذكر كذلك نظراته الحادة، التي توقّف عندها كثيراً. هل كان ذلك الرجل أحد قتلة المافيا؟ توقف دافيد فجأة واستدار في مكانه. تساءل إذا كان الرجل لا يزال بين الحشود ويراقبه. جال دافيد بنظره في أرجاء قاعة المسافرين الواسعة.

نظر دافيد إلى لوحة العرض الرقمية، التي أشارت إلى أن القطار المتجه إلى المطار سينطلق في غضون ثلاثين ثانية.

جمّد دافيد في مكانه لأنه لم يرَ أي شخصٍ يسرع الخطى نحو القطار الذي يوشك على المغادرة. بدأ بعد ذلك بتعداد الثواني في ذهنه. استدار بعد ذلك، وبدأ يركض بالرغم من الألم الذي أحسّ به في قصبة رجله. لكن ما إن دخل إلى القطار حتى انطلق مبتعداً عن الرصيف.

شاهد دافيد الرصيف المتباعد عن أنظاره من خلال النافذة. يعني ذلك أن أيّ شخصٍ كان يراقبه قد اختفى عن أنظاره في هذه اللحظة. تمنّى دافيد أن يتمكن من الاتصال بكاتي لأنه شعر بسعادة كبرى لبقائه على قيد الحياة.

تباعدت محطة القطار عن أنظاره أكثر فأكثر، لكن شعوره بالنصر ضعّف بالرغم من ذلك. كان من المستبعد أن تكون هذه آخر مرة يحاول فيها شخص ما قتله. لكن، من كان وراء هذه المحاولة؟ هل كان ريجنتر؟

تذكّر دافيد تلك المنظمة الإرهابية الإيطالية التي كان اسمها الألوية الحمراء. كان من المفترض أن يكون زعيم هذه المنظمة أستاذاً مرموقاً للفلسفة السياسية.

تذكّر كذلك أن رئيس الوزراء الإيطالي السابق ألدو مورو كان من بين الضحايا الذين خطفتهم هذه المنظمة وقتلتهم في السبعينيات من العام الماضي.

لكن ما إن زاد القطار سرعته حتى استند دافيد إلى الزجاج وراح يفكر، ماذا لو كان الكرملين والاستخبارات السرية الروسية...

أدرك دافيد في هذه اللحظة بالذات الحقيقة المريعة: أقدم على كشف معلوماتٍ منقولةٍ من حاسوب لورنزو. يعني ذلك أن لورنزو كاسانو وريختر كانا يتعاونان بطريقة ما. يُحتمل أن يكون ريختر قد قام بتحذير لورنزو، وأن يكون مجرمو المافيا ينتظرونه خارج الفندق.

كان دافيد يعرف على وجه الدقة ما الذي يعنيه هذا الأمر. كانوا يعرفون مَنْ هو، وماذا ينوي فعله. تمسك عن ضعفٍ، وبيده المتعرّقة، بحافة مقعده.

ارتشف سيرجيو موريللي قهوته وحدّق إلى آلة الفاكس التي استمرت في إخراج الأوراق، في مكتبه الكائن داخل منزله في مونتريال باليرمو. بدأ، من خلال الواجهات الزجاجية، الساحل البعيد والطريق الساحلي، وكذلك راكبو الأمواج. كان سيرجيو يفضل الفاكس بدلاً من إتعاب نفسه مع المساحات الإلكترونية، ورسائل البريد الإلكتروني. يُضاف إلى ذلك أن أجهزة الفاكس عادة ما تترك أثراً أقل. كان يدرك كل هذه الأمور بصفته شرطياً سرياً سابقاً. لكن وظيفته الحالية كرئيس للجهاز الأمني في مفوضية المافيا في باليرمو أتاحت له الاستفادة من خبراته السابقة.

وضع موريللي كوب القهوة على الطاولة ثم تناول ورقة من جهاز الفاكس، وحدّق باهتمام إلى قائمة المسافرين على رحلة جت آير فلاي ذات الرقم JAF 2066. وصل دافيد كوبر إلى باليرمو صبيحة يوم الأحد.

لم يكن ذلك هو الخبر المهم في ذلك اليوم، لكن قيام دافيد بشراء تذكرتي سفر، كان هو الخبر. كان المسافر الآخر هو راي أوبوندي، المواطن الكنفولي. وضع موريللي الورقة على الطاولة، وبدأ بتمسيد صدغيه، وهو الذي أرسل قبل أيام قليلة رجلين من أتباعه إلى بروكسل لتأديب خوليو باريتو، ذلك المسؤول في

الاتحاد الأوروبي، لكنهما غادرا البلاد. أظهر باريتو طمعاً كبيراً وحاول أن يكون ذكياً، عندما استخدم شريكاً زائفاً لتجارة العقود الآجلة على أمل استغلال المعلومات المغلوطة حول إعادة شراء مسموحات الانبعاثات التي سبق له أن قدمها. يُضاف إلى ذلك أنه امتلك وقاحة كافية للدعاء بأنه حصل على معلوماتٍ مغلوطة بسبب خطأ في شبكة الإنترنت داخل المفوضية.

لكن الأهم الآن هو اعتزام موريللي زيارة كاسانو مجدداً.

حدّق دافيد إلى الريف الإيطالي عند إقلاع الطائرة، فلاحظ أن الحقل وأجزاء الغابات قد اختفت نتيجة انتشار المباني السكنية التي ظهرت بعيدة في امتدادها نحو روما. كانت هذه المنطقة هي مركز انطلاق أول قوة عظمى أوروبية قبل ألفي سنة، وذلك قبل انهيارها.

حاول دافيد، حين كانت الطائرة ترتفع في الجو، استجماع كل قوة الإرادة التي يمتلكها، وهو الذي ليس بإمكانه الاستسلام للقنوط. سبق له أن اغتسل بعد وصوله إلى المطار، ونظّف نفسه بقدر الإمكان، كما اشترى قميصاً جديداً ليرتديه بدلاً من ذلك الذي توسّخ فوق سكة الحديد. رغب دافيد عند وصوله إلى قاعة المغادرة الاتصال بكاتي، لكن ماذا بإمكانه أن يقول؟ هل يقول لها إن شخصاً حاول قتله في روما، بعد خوضه معركة بالمسدسات في باليرمو؟

كانت هذه اللحظة هي التي يحتاج فيها إلى التعاطف أكثر من أي وقتٍ مضى، لكن كان من المستحيل عليه أن يطلب هذا التعاطف من كاتي. يعرف دافيد أنه خان ثقة المرأة التي أحبّها أكثر من أي شيء آخر، لكنه ما لبث أن أوقعها في أكثر المصائر ترويعاً التي يمكن له أن يتخيّلها.

تعيّن عليه، وبالرغم من كل الظروف، أن يؤمن أن بإمكانهما النجاة من ذلك المصير، لكن كان عليه أن يتحرك خطوةً خطوة. تعيّن عليه التركيز على تحضير الصفقة التي يفكر فيها، والتي تقدّم له فرصة الاستفادة من وثائق كريديتو ناسيونالي الداخلية التي أصبحت بحوزته. كان عليه تنفيذ هذه الخطوة في اللحظة التي تُفتح فيها الأسواق صباح يوم الاثنين، لأنه يُحتمل كثيراً أن تتسرّب أنباء

الوضع الحقيقي في المصرف في أي لحظة عبر شبكة الإنترنت، وهو الأمر الذي يستدعي منه إيجاد الوقت الكافي لإتمام الصفقة قبل أن تحين تلك اللحظة.

أسف دافيد لأنه لم يسافر إلى لندن مباشرة من روما، لكن أول قطار يوروستار سوف يوصله إليها. يُضاف إلى ذلك أن من المفيد له أن تخبره كاتي عما جرى مع آينو. تمنى لو أنه يتمكن من الصمود وعدم الانهيار، لأنه يتعين عليه أن يبقى صامتاً.

بعد إطفاء إشارة "اربطوا أحزمة الأمان" أسرع دافيد إلى الانحناء لتناول حاسوبه من حقيبته فاصطدمت جبهته بذراع مقعده، الأمر الذي دفع بالمرأة الجالسة قربه إلى الابتسام بخجل.

فتح دافيد حاسوبه، وحاول التركيز على تحضير أهم صفقة يجريها في حياته. تعين عليه استبعاد أي شيء آخر من ذهنه، فوضع سماعات الرأس كي يمنع وصول أي صوتٍ إلى أسماعه، لكنه لاحظ أن يديه ترتجفان مع تردد محاولة قتله في ذهنه. صرّ على أسنانه، وأجبر ذهنه على استبعاد تلك الصور المروعة.

شاهد شخصاً أثار انتباهه آتياً نحو مقدمة الطائرة، لكن هذا الشاب لم يكن غريباً عنه تماماً، إلا أنه ما لبث أن استدار فجأة متطلعاً خلفه.

جمد دافيد في مكانه مرتعباً حين رأى العينين الزرقاوين، والملامح المتجهمة، والتي سبق له أن رآها في محطة القطارات. خفض دافيد بصره بسرعة السيق إلى شاشة حاسوبه. هل لاحظته الرجل؟ عاد واسترخى في مقعده، ثم تطلع نحو الممر بكل عناية وحذر. اختفى الرجل فجأة، ولا بدّ أن يمرّ بالقرب من دافيد مجدداً عند عودته إلى مقعده في مؤخرة الطائرة. يعني ذلك أنه موجود داخل الطائرة ذاتها مع الرجل الذي حاول قتله.

سمع دافيد المرأة الجالسة بجواره عندما سألته بالإنكليزية: "هل أنت بخير؟" تجاهل دافيد السؤال في البداية، لكنه لاحظ الفرصة التي تقدمها له رفيقته المسافرة.

قال دافيد وهو يتنحى: "ليس تماماً. تعرّضت لحادثٍ في روما حيث صدمتني سيارة، وسقطت أرضاً. يبدو أن سفري بالطائرة لم يكن فكرةً جيدةً"

"هل استشرت طبيباً؟"

"لم تعرّض لإصابة بالغة، لكنني ارتعت كثيراً"
أومات المرأة الأربعينية متعاطفة معه.

قال دافيد: "أعرف أن ما سأقوله يبدو غريباً، لكن أيمكنني الاستناد إلى
كتفك؟"

بدت المرأة، وكأنها متردّدة في قبول هذا التفسير، لكنها أجابت متشككةً:
"أفهمك"

"شكراً لك. إنني آسف حقاً بشأن هذا، كما أشعر بضعفٍ شديد"
أسند دافيد وجهه إلى كتف المرأة، وهكذا أمكنه تنشّق عطرها، وتحسّس
الصلابة غير الطبيعية لجسمها. خشي دافيد أن تفوح منه رائحة الزيت، لكنه رأى
بعد ذلك الرجل الذي تعرّف إليه لتوّه وهو يسير عائداً في الممر. قرّب دافيد نفسه
أكثر من المرأة، وشعر بيدها وهي تمسّد ذراعه في محاولة منها مواساته.

اختلس دافيد نظرة من وراء سنّادة الرأس. كان الرجل جالساً خلفه بحوالى
عشرة صفوفٍ من المقاعد بالقرب من رجلٍ وقورٍ أكبر منه سنّاً.
لم يكن ذلك الرجل غير البروفيسور مارتن ريختر، أما المقعد المجاور فقد
شغلته امرأة أصغر منه سنّاً.

قالت رفيقة دافيد في المقعد المجاور بعد أن ظهر القلق على ملامح وجهها:
"يمكنني الطلب من المضيفة أن تجلب لك بعض الماء"

"كلا، شكراً لك" كان آخر ما يريده هو جلب الانتباه إليه. استنتج دافيد
من لهجة المرأة أن لغتها الأصلية هي الهولندية. أضاف بعد أن حمل زجاجة مياه،
وبعد أن أحسّ بجفافٍ حقيقي في حلقه: "بحوزي بعض الماء هنا"

"لا يمكنني أن أصدّق أن الطبيب كان سيسمح لك بالسفر بعد تعرّضك إلى
ذلك الحادث"

لم يمتلك دافيد وقتاً كافياً لتبادل الحديث معها، لأنه اضطر للتفكير في طريقة
تخلّصه من هذا المأزق، لكنه قال: "لا تقلقي. أنا بخير"

وضعت المرأة يدها بلطف على ذراع دافيد، وقالت: "لكنك لا تبدو بخير"

شعر دافيد أن ابتسامةً ودیعةً قد اجتاحت تعابیر وجهه.

تابعت المرأة كلامها: "يمكن أن يساعد كوبٌ من الشراب الأبيض في تحسين حالتك"

ابتسمت المرأة تعاطفاً معه، فبانت أسنانها الجميلة التي يبدو أنها تلقى عناية كبيرة منها. لم يكن دافيد حتى هذه اللحظة قد تمعن في وجه المرأة ذات البشرة البرونزية، والقوام الرشيق، والشعر المسترسل. يُضاف إلى ذلك عدم وجود خاتم في يدها اليسرى، إذاً يُحتمل أن تكون المرأة مطلقةً، أو حتى امرأة عاملةً لم تعثر على "الرجل الذي يناسبها"

تطلع دافيد من فوق مقعده، فصُقع عندما رأى أن دور ريجنر قد حان للوقوف والسير في الممر.

لم يتأخر دافيد عن الاستدارة بوجهه إلى الأمام، وتساءل ما عساه أن يفعل إزاء هذا المأزق. سيتعرف إليه ريجنر من النظرة الأولى، ولذلك التفت نحو المرأة.

"عفواً، لكنني لا أحب أن..."

وضع دافيد بعد ذلك يده على كتفها وقبلها.

توسعت عينا المرأة من فرط الدهشة، لكن دافيد شعر بالارتياح لأن المرأة لم تقاومه.

رأى دافيد ريجنر بطرف عينه، وهو يختفي وراء إحدى الستائر. كانت شفنا المرأة دافيتين ورطبتين بينما كان عطرها معتدل القوة، لكنه يبعث على الصداع قليلاً. تراجع دافيد ببطء بينما سدّد الركّاب في الجهة الثانية نظرات الدهشة نحوه. ارتعشت رموش المرأة، وما لبثت أن ضغطت بيدها على صدرها. "أعتقد أنني أحتاج إلى كوب شراب الآن..."

تمتم دافيد: "أنا آسف... لا شك أنني ما زلت في حال الصدمة، أو ما يشبه ذلك..."

أسرعت المرأة إلى القول: "كلا. لا تقلق، لم يحدث أي شيء"

التفت دافيد نحو الستائر بقلقٍ كبيرٍ مدركاً أن ريجنر لن يتأخّر عن الظهور من خلالها مجدداً.

"أشعر أنني لست بخير. أمل ألا تمانعي إذا ما تابعتُ الاستناد إلى كتفك. هل تقبلين؟"

قالت المرأة: "لا مانع عندي بالطبع"

بعد مغادرة مارتن مقعده أقدمت إيريكّا على خفض مستوى مقعدها إلى وضعية الاسترخاء. اقتربت الطائرة من بروكسل، واقتربت معها لحظة الحقيقة. كان ذلك واضحاً في سلوك فلوريان كذلك. كان فلوريان متوتراً منذ مغادرة الثلاثة الفندق. سألته إيريكّا إذا وردته أنباء سيئة من بروكسل، فأجاب بالنفي. قال إن كل شيء يسير على ما يرام، وإن كارل، وآرنو، وسيباستيان قد جهّزوا كل شيء.

شعرت إيريكّا بالتوتر بسبب سلوك فلوريان القلق. لكن ماذا تعرف عنه؟ كان فلوريان متدرّباً ليعمل في مجال الكهرباء، لكنه التحق بعد ذلك بمدرسة ثانوية للكبار، ودرس علم الاجتماع. قال فلوريان إن أحداً من الجماعة لا يعرف شيئاً عن طفولته، لكنه صرح إيريكّا ذات ليلة عن ماضي أسرته الفريد. اعتقدت إيريكّا أن تجارب فلوريان في فترة مراهقته تفسّر، وعلى الأقل جزئياً، سلوكه العصبي ومرارته، لكن هذا التحليل كان يثير غضبه الشديد.

التقت إيريكّا في بلوكوبي فرنكفورت في العام 2012، حين وقفا في التقاطع ذاته لمنع موظفي المصرف المركزي الأوروبي من الوصول إلى مراكز أعمالهم. يواجه فلوريان بعض المواقف الحادة والصعبة، وهي التي يُحتمل أن تكون مرعبة قليلاً في بعض الأحيان، لكن الناس هم الذين يتسببون بأشياء كثيرة. أحبّت إيريكّا الاستماع إلى أحاديثه، وهي التي امتلكت حساً بالعدالة منذ طفولتها.

كان على إيريكّا الاعتراف بأنها واقعة، بطريقة غريبة، تحت سحر فلوريان. بدا لها أنه يمتلك القدرة على تحويل أي شيء تعبّر عنه إيريكّا نظرياً إلى فعل. يُضاف إلى ذلك أن قوة شخصية فلوريان تعطيه نفوذاً على الناس الآخرين.

لكن سحر مارتن كان من نوع آخر، وهو الرجل ذو الطباع الهادئة والشخصية المسالمة. امتلك مارتن بعض الصفات التي تميّز والدها، والتأمل الهادئ

ذاته. لكن بالرغم من أن والدَي إيريكا لم يكن لهما أدنى اهتمامٍ بكل ما يتعلّق بالسياسة، وهما اللذان عاشا في برنزلواير بيرغ في شرق برلين، حيث عملت والدتها في تدريس علم الأحياء، وكان والدها طبيباً. كانت إيريكا في الرابعة من عمرها عند تحطيم الجدار الفاصل، لكنها تذكرت بعض الأصدقاء الذين عرفتهم عندما كانت في صف الحضانة، وكذلك بعض أطفال الحي، والذين اختفوا تدريجاً بعد انتقال أسرتهم إلى غرب البلاد.

لكن أسرتها لم تنتقل من الحي. كان والدها مرتاحين في شقتهما التي انتقلا للعيش فيها أوائل الثمانينيات من القرن المنصرم. تذكر إيريكا من طفولتها زيارتها إلى "كا دي وي" حيث كانت تسحرها تلك التشكيلة الرائعة من السلع. لكن الأسرة لم تتمكن على أي حال من شراء أي شيء، لأن والدها كان يشتكي على الدوام من الغلاء الفاحش، وكان يعلمها أن الأشياء لا تجلب السعادة، بل مساعدة رفاقنا من البشر هي التي تجلبها.

لكن إيريكا، وبالرغم من كل ذلك، لم تتمكن من مقاومة إغراء هذه الوفرة من السلع، وكانت تحسد أصدقاءها وصديقاتها على ألعابهم الرائعة. بدأت، في سنوات مراهقتها، بتقدير القيم التي يتمسك بها والدها وطريقة تفكيرهما، وذلك بالرغم من أنها عجزت عن فهم عدم اكتراثهما بالقضايا الاجتماعية، إلا أنها بدأت في هذه الأيام بملاحظة السلبية ذاتها عند معظم مواطني الاتحاد الأوروبي.

غادرت إيريكا منزل والديها بعد انتهائها من الدراسة مباشرة، ثم قدّمت طلباً للالتحاق بجامعة برلين الحرة لدراسة علم الاجتماع والتاريخ السياسي. لم ترغب أن تبقى سلبية، ولهذا شاركت في كل أنواع التحركات الاجتماعية. التقت إيريكا مارتن أثناء النقاش الذي دار في إطار أحد المنتديات التي عرض فيها آراءه التي تضمنت انتقاد سياسة ميركل الأوروبية. لكن الانتقادات التي وجهها لم تكن قوية بما يكفي، وهذا ما دفعها إلى الاقتراب من مارتن للتحديث معه بعد انتهاء نقاشات المنتدى. تابع الاثنان النقاش على مائدة العشاء، وما لبثا أن رتبا لقاءً ثانياً بينهما.

عاد مارتن ووقف فلوريان في الممر ثواني قليلة كي يفسح له مجال الجلوس في المقعد الأوسط. عاد مارتن لتقليب صفحات الفايينشال تايمز ما إن استقر في مقعده.

قلّب مارتن عدداً من الصفحات قبل أن يشير إلى إيريكاً بإصبعه إلى إحدى المقالات.

"تحدث هذه المقالة عن أستاذ جامعة ألماني يشن حرباً شعواء على اليورو"
ابتسمت إيريكاً وقالت: "لقد سلطت الأضواء يا مارتن، لن يتأخر المراسلون
عن الاصطفاف لإجراء مقابلاتٍ معك"

اهتمت وسائل الإعلام العالمية بمارتن منذ أن وجّه انتقاداته إلى الحزب
Alternativ für Deutschland، وهو حزب سياسي تفضّله الطبقة المثقفة. ترك
مارتن الحزب AfD، وأغلق الباب وراءه لأن رئيس الحزب، البروفيسور بيرند لوك
كان يلفظ، وباستمرار، لهجة الحزب إزاء القضايا التي يعتبرها مارتن مهمة.
كان من المقرر أن يجري مارتن مقابلة في هذا المساء، تتعلق بمعارضته للاتحاد
المصرفي، لكن المقابلة ستعرض لمواضيع أكثر أهمية بكثير. كانت إيريكاً هي التي
رَبّت كل شيء، بحيث يكون الاثنان في طريقهما إلى بروكسل، وبحيث يستطيع
مارتن إجراء لقاءاتٍ مع الصحافة عند انكشاف حقيقة وضع بانكا كريديتو
ناسيونالي.

لكن إيريكاً كانت تعرف كم كان من السهل اختفاء أخبار المقابلات بين
هذا السيل من المعلومات. كان ذلك سبباً مهماً دفعها إلى الموافقة، وبعد تفكيرٍ
طويل، على خطوة فلوريان المتهورّة.

يعني ذلك أن اختطاف رئيس المجموعة الأوروبية سيكون مفاجأة لمارتن،
وعاملاً حاسماً في دفع رسالته إلى أهم عناوين الأخبار في العالم.

مسد كبير المفتشين في شرطة بروكسل، مارك بوفيه، شاربه الذي يطلقه على طريقة روزفلت، واستغرق في تفكير عميق. لم يتمكن كبير المفتشين من استبعاد صورة خوليو باريتو، وهو يحدق إلى السماء ليلاً، من ذهنه، وذلك عبر منظاره الموجود في طبقة عليا من غرفة الجلوس، ومتأملاً في أسرار هذا الكون. فكر بوفيه في احتمال عثور الرجل على حل لهذه الألغاز. يُمكن أن يكون الكون جميلاً، لكن موت باريتو لم يكن كذلك.

شاهد بوفيه الجسد الذي تعرّض لضرب شديد، وأكد التشريح الذي ظهرت نتائجه منذ وقت قريب هذه الفرضية: تعرّض مدير الصندوق الهيكلي في الاتحاد الأوروبي للتعذيب قبل موته. هل حاول اللصوص انتزاع اعتراف منه عن المكان الذي يضع فيه أمواله، والأرقام السرية لخزنته؟ عثر كلب الشرطة، المدرب على اكتشاف الأوراق المالية، على مبلغ يزيد على ثلاثمئة ألف يورو لا يزال في مكانه. كانت الخزانة مفتوحة وفارغة.

هل يرتبط موت باريتو، وبطريقة ما، بعمله في صندوق التنمية الإقليمية؟ نكن من المعروف أن بعض أموال المساعدات الأوروبية تجد طريقها إلى مجموعات الجريمة المنظّمة، وعلى الأخص تلك الموجودة في منطقة المتوسط. يدل اكتشاف ذلك المبلغ المخبأ في شقة باريتو على وجود فسادٍ بشكل واضح. وما أن تصل هذه الأنباء إلى وسائل الإعلام حتى تشكّل ضربةً لسمعة الاتحاد الأوروبي برمته، وهي السمعة التي عانت كثيراً مؤخراً.

كان محققو مسرح الجريمة يتابعون عملهم في غرفة المعيشة، وفي أمكنة أخرى من المنزل، في التفتيش عن بصماتٍ غير بصمات باريتو.

بدأ هاتف بوفيه بعد ذلك بيبث مقطع من أوبرا عايدة التي ألفها فيردي.
قال رئيس المختبر الشرعي: "حللنا شريط كاميرات المراقبة الأمنية الموجودة
في المنزل المجاور. تسلق رجلان الجدار، وكان أحدهما رجلاً أبيض، في حين كان
الثاني من السود"

مكتبة الرمحي أحمد

"ماذا بشأن السيارة؟"

"كانت سيارة لاند روفر قديمة. وحصلنا على رقم تسجيلها"

ازدادت حماسة بوفيه وهو يقول: "من هو صاحبها؟"

"محلل مالي إنكليزي يدعى دافيد كوبر"

قالت المرأة في قاعة الوصول لمطار بروكسل: "أتمنى أن نلتقي مجدداً"
تطلع دافيد حوله بكل ارتياح، لأن بقية الركاب غادروا القاعة، ولم يكن
هناك أي أثر يدل على ريجتر، أو مرافقيه الأصغر سناً.

أعطت المرأة دافيد بطاقة عليها رقم هاتفها وعنوان البريد الإلكتروني العائد
لها. كان اسمها إميلي باوتس، وهي تعمل في أحد المتاحف الفنية في أنتويرب.
أخذ دافيد البطاقة، وفكر في ما عساه أن يقوله، وعلى الأخص لأنه يتعين
عليه أن يكون دقيقاً في كل شيء.

لوح دافيد بالبطاقة التي حملها في يده نحو السماء التي بانست من خلال
النوافذ، وقال: "أنا آسف. لم أكن على طبيعتي في الطائرة..."

ردت المرأة سريعاً: "أعرف ذلك"

بقي دافيد صامتاً، وبدأ بالشعور بعدم الارتياح. تعين عليه المغادرة في أسرع
وقت ممكن، وكان ينتظر راي الذي وصل قبله بساعات عدة كي يقبله.

قالت المرأة: "من الغريب أن لا أعرف اسمك"

"اسمي دافيد"

تأملته المرأة بهدوء، وما لبثت أن تقدمت منه وعانقته. استدارت بعد ذلك
وسارت مبتعدة عنه، فراقبها دافيد عند اختفائها بين جموع الناس. يُحتمل أن
ينتظره راي في موقف السيارات، وعليه أن يسرع للقاءه.

راقب فلوريان الرجل الذي كان يتحدث إلى المرأة التي رافقته في الطائرة، وهو الذي سار مسرعاً عبر قاعة الوصول. كان من الصعب على فلوريان ملاحقته وحده من دون أن يثير انتباهه. يُضاف إلى ذلك أن إيريكاً وريختر كانا ينتظرانه. يعني ذلك أنه يتعيّن عليه معرفة هوية ذلك الرجل.

جهد فلوريان لإخفاء صدمته عند رؤيته الرجل في مقصورة الجهة الأمامية للطائرة. وقد سبق له أن رآه بأمر عينه وهو يسقط تحت عربة قطار في محطة السكك الحديدية في روما. لكنه غادر المكان على الفور خوفاً من أن يكون أحد الأشخاص الموجودين هناك قد رآه وهو يدفع الرجل.

فكّر فلوريان في البداية في إبلاغ ريختر وإيريكاً عما شاهدته داخل الطائرة، لكنه قرّر أخيراً التزام الصمت. لم يشأ أن يخاطر باحتمال أن يتحدث ريختر معه وسماع ما حدث في محطة القطارات. يعني ذلك أن من المحتمل أن يعلم ريختر بما حدث على الفور.

يُضاف إلى ذلك أن فلوريان يتذكّر كيف التقت نظراتهما في اللحظة التي سقط فيها الرجل. يُحتمل أن يتذكره الرجل، لكن يتعيّن ألا يعلم ريختر الحقيقة تحت أي ظرف، ذلك لأنه يعلم ما هي عاقبة ذلك، أي أنه سوف يخسر ثقة ريختر، ومن شأن ذلك إفساد الخطة بأكملها. لا يمكن لفلوريان أن يسمح لأي شيء بتهديد الضربة الحاسمة التي يوشك على تنفيذها في بروكسل.

ترك فلوريان الرجل أثناء اختفائه بين جموع المسافرين، وعاد مسرعاً إلى بوابة وصول الطائرة، وكان سبق له أن أخبر رفيقيه أنه نسي محفظته في الطائرة، فأجاباه بأنهما سوف ينتظرانه بالقرب من منصة حقائب الأمتعة.

قال له ممثلو شركة الطيران عند البوابة إنه لا يستطيع العودة إلى الطائرة، لكنه شرح سبب رغبته العودة إلى ممر العبور نحو الطائرة حيث كان عمال التنظيف يفرغون أكياسهم. نظرت إليه إحدى المضيفات عند الباب بريية.

تظاهر فلوريان أنه يشعر بالرعب وقال: "لاحظت أن جواز سفري ومحفظتي مفقودان من حقيبتي"

ظهرت ملامح الجدية على المضيفة: "على هذه الطائرة؟ هل أنت متأكدٌ تماماً؟"

"بالطبع أنا متأكد! فتحتُ حقيبتِي للتو في القاعة، ولم أجدهما"
"اهدأ من فضلك يا سيدي. دعنا نتأكد إذا كانا على مقعدك، أو خلف
المقعد الذي أمامك"

"كلا، لأنني لم أخرجهما من حقيبتِي أثناء الرحلة. لكن يمكننا التأكد"
"ما هو رقم مقعدك؟"
"C17"

قالت المرأة شيئاً ما لأحد زملائها، وطلبت من فلوريان أن يتبعها في الممر
داخل الطائرة. وصلا إلى مقعد فلوريان، لكنهما لم يريا شيئاً هناك. فتحت المضيفة
الحجيرة العليا لكنها كانت فارغة.

قال فلوريان فجأة: "تذكرت شيئاً الآن. لم تكن حقيبتِي في الحجيرة فوق
مقعدِي، بل إلى الخلف قليلاً. تطلعتُ خلفي قليلاً قبل هبوط الطائرة، ولاحظتُ
شخصاً يقف قبالة حُجيرة مفتوحة. أتذكر أنني تساءلت عن الأمر، لأنني رأيتُه
جالساً بنفسِي من قبل، وهو عاد إلى هناك"

حدّق فلوريان إلى المضيفة بكل جدية ثمّكن من استجماعها، وقال: "لا بدّ
أن ذلك الرجل قد سرق جواز سفري ومحفظتي"
بدت المضيفة متشككة بما تسمعه وقالت: "يندر أن يسرق المسافرون بعضهم
بعضاً..."

قال فلوريان بحماسة وبدأ بالسير مسرعاً نحو مقدمة الطائرة: "لكنها حالة
استثنائية، وحتى أنني أتذكر أين كان يجلس توقف عن السير قبل أن يقول: "كان
يجلس هنا، في مقعد D11. هل تتمكنين من التأكد من اسم المسافر الذي كان
يجلس هنا؟"

تابعت المضيفة سيرها وهي تمز رأسها، ثم قالت شيئاً بالفرنسية لزميلها، ثم
اختفت وراء الستارة ثم عادت على الفور تقريباً حاملة بيدها قائمة بأسماء الركّاب.
تابع فلوريان بلهجة جدية وغاضبة: "لا أريد أن أشغلك كثيراً، ولا أرغب
بتشويهِ سمعة الشركة... لا يمكنك أن تفعلِي شيئاً بهذا الشأن. أعطني اسمه، وسوف
أقدم شكوى ضده في قسم الشرطة. يتعيّن علينا التحرك بسرعة"

تردّدت المضيضة قليلاً: "يتعيّن علينا التكلّم مع رئيسنا أولاً، لأننا لسنا مخولين..."

أسرع فلوريان إلى انتزاع قائمة الركاب من يد المرأة، وبدأ على الفور بالبحث عن اسم المسافر الذي كان يشغل المقعد D11 بالرغم من اعتراضاتها. كوبر، دافيد.

دفع فلوريان بقائمة الركاب إلى المضيضة مجدداً. "أنا آسف، لكن البيروقراطية بطيئة جداً"

خرج فلوريان من الطائرة، وهروول فوق الممر الفاصل بين الطائرة وقاعة الركاب، ولم ينسَ في هذا الوقت نقر الاسم في ذاكرة الهاتف. شعر في هذا الوقت بموجة غامرة من الارتياح.

اقتربت أضواء المصاييح الأمامية لسيارة اللاند روفر من البوابة الرئيسة للجدار الحجري في تيرفورين الواقع شرق بروكسل. التمعت في الحديقة جذوع الأشجار التي يبلغ عمر الواحدة منها مئة عام، كما تلاعبت رياح المساء الرطبة بفروعها. تقدّمت السيارة ثم توقّفت أمام المنزل. أطفأ راي المحرك، وخيّم الصمت على العربة. أبلغ دافيد روي خلال وجودهما داخل السيارة عن موت باريتو، والأحداث التي جرت في محطة القطارات في روما، وذلك لأنه أراد أن يعرف راي الخطر الجديد المحدق بهما. بدا له أن العودة إلى حديقته غير حقيقي بعد كل ما حدث.

قال راي مهدوء: "أعتقد أنك معرّض لخطرٍ حقيقي من جهتين الآن، المافيا والاستخبارات السرية الروسية. ماذا تنوي أن تفعل؟"

"لا يعرف رينختر ورجاله اسمي. يُحتمل أن أكون بأمانٍ من جهتهم. ويُضاف إلى ذلك أنني لم أسجّل بأني آتٍ إلى تيرفورين"

"لا أريدك أن تستهين بالمافيا، أو بالكرملين... يُحتمل ألا من الحكمة بالنسبة إلينا نحن الاثنين أن نوجد في المنزل في هذه الأيام"

شعر دافيد أن الخناق يضيق من حوله نتيجة كلمات راي. كان يعرف أن راي على حق، لكنه كان يفضل أن لا يسمعها أبداً.

قال دافيد بفضفاضة، وبعد أن شعر فجأةً بإرهاقٍ لا يُمكن وصفه: "سأفكر في ذلك"

بدا أن المنزل قد تغيّر بدوره أثناء غيابه، وأن كل تلك المناظر الخضراء الخلابّة، والجدران الحجرية، تعكس الآن جواً كالحأ يُنذر بالسوء. تطلّع دافيد نحو

أعمدة الحديد المزخرف ومصابيح الحديقة التي تشبه بأنوارها مصابيح الجيب، وهي الأنوار التي يشعلها جهاز كشف الحركة. شعر بضعف كبير بحيث تمكّن بصعوبة من تحويل نظراته. كان عليه في غضون الساعات القليلة القادمة النهوض للحاق بقطار الصباح المتوجّه إلى لندن، كي يتمكن من الاستفادة من معلوماته عن الخسائر الهائلة التي تعصف بمصرف بانكا كريدتو ناسيونالي.

رَن هاتف دافيد لكنه لم يعرف الرقم، وكان قد تلقى مكالمة مشابهة عندما كان في طريقه إلى المطار. حاول لورنزو الاتصال به كذلك، لكن دافيد لم يرد، وفكّر في أن بإمكانهم ترك رسالة إذا كان الأمر مهماً.

سأل راي هدهو: "ما هي المعلومات التي تمكّنت من الحصول عليها من شريط الذاكرة؟ يمكنك على الأقل أن تخبرني كي أعرف سبب إطلاقي النار على الرجلين" كان راي على حق، أي أنه امتلك الحق في معرفة السبب، ولو أنه لم يتردّد بإطلاق النار. "أمل أن تشمل الملفات دليلاً على الروابط القائمة بين الاتحاد الأوروبي والمافيا"

أوماً دافيد ببطء. "هل من علاقة بين هذه المعلومات واقتحام منزل باريتو" "أجل. هناك أمور خطيرة تجري الآن. توضّح كل ذلك خلال اللقاء في انقطع، لكنني أمل أن تفيدني محتويات شريط الذاكرة بمعلومات أكثر أشار راي إلى أنه فهم ما يجري.

استجمع دافيد قواه، ثم تابع بصوتٍ مختنق: "تلقيت منذ بعض الوقت الأنباء أناساوية عن مقتل شخص يعرفه كلانا. ماتت آينو التفت راي إليه، وكأنه تلقى صفةً مفاجئةً على وجهه. "ماذا قلت؟"

اتّسم رد فعل راي على هذه الأنباء بعنفٍ مفاجئ.

"انتحرت بواسطة الحبوب المنومة والكحول"

هزّ راي رأسه بتأثر متزايد.

"نقول كاتي إن آينو أجرت أبحاثاً على شيء يُحتمل أن يكون له علاقة بياريتو. تقول كاتي إن مقتلها كان جريمة، وليس انتحاراً"

قال راي بعد أن شغّل المحرّك: "يجب أن أذهب"
جلس دافيد مصعوقاً.

قال راي بصوتٍ هادئٍ ومحبطٍ وحازم: "هل سمعتني؟ اخرج من السيارة"
تناول دافيد حقيته من المقعد الخلفي، ونزل من عربة اللاند روفر التي ما لبثت أن انطلقت بسرعة تطاير معها بعض الحصى. نظر دافيد إلى السيارة، وتساءل عمّا حدث للتو. تغيّر سلوك راي وكأنه تلقى صفةً على وجهه. هل همّه آينو إلى هذا الحد؟

فُتح الباب الأمامي في هذه اللحظة، وأسرعت كاتي بالخروج. "ماذا حدث الآن، ومَن هو الذي غادر الآن بسيارتنا؟"

قال دافيد محتضناً كاتي بجملة طويلة: "إنه راي"
أخذت كاتي بالنشيج لكن بكاءها وصل إلى حد يصعب معه تهدئتها، كذلك لاقى دافيد ذاته صعوبةً في السيطرة على مشاعره. سبق لدافيد أن خشى التعرّض لهذا الموقف بالضبط.

ابتعدت كاتي أخيراً عن دافيد. نظرت إليه وقالت: "ماذا حدث لخديك؟"
"تعرّضت لسقطة. إنها مجرد خدوش. دعينا ندخل إلى المنزل. إنني آسف لتأخري. أعرف أنه مرّت عليك أوقاتٌ صعبة"
قالت كاتي بعد أن شعرت بجمرة في عينيها: "أريد أن أريك شيئاً. قلتُ لك على الهاتف إن أخباراً مهمّة تنتظرك"

حدّق فلوريان إلى العنوان الذي وجده على شبكة الإنترنت: دافيد كوبر، جادة بواليو 22.

أظهرت خريطة الشوارع التي يعرضها محرّك بحث غوغل منزلاً بثلاث طبقات. جلس الثلاثة لتناول الطعام في وسط بروكسل. سألت إيريك التي جلست في الطرف الآخر للطاولة بالقرب من ريجنر: "ماذا تفعل؟"

أغلق فلوريان حاسوبه اللوحي، وقال: "كنت أتفقدّ حال الطقس في الأيام القليلة القادمة. سيكون غائماً جزئياً مع احتمال سقوط زخّات من المطر

تابع فلوريان تناول طبق محضّر من السمك النهري، وفكّر في أن إيريكّا تحمل شهباً كبيراً لصديقه السابقة، والتي قطعت علاقته معه بشكل غير متوقّع. يعني ذلك أن رؤيته إيريكّا مع ريجنر جعلته يشعر بالإحباط. كانت اللحظات الوحيدة التي يشعر فيها بالارتياح هي الأوقات التي تبدي فيها اهتماماً به.

شعر فلوريان بالندم لأنه حدّث إيريكّا عن فترة طفولته ومراهقته، وهو الذي أمضى طفولته بأكملها معتقداً أن والده مات نتيجة حادث سيارة عندما كان عمره أربعة أشهر، فاعتنت به والدته عنايةً جيّدةً، بالرغم من أن راتبها لم يكن كبيراً من عملها في مؤسّسة تجميل. كان فلوريان ولداً ذكياً ذا سلوكٍ حسن، لكنّ تلك البيئة المحافظة والمملّة أدت به إلى بعض التصرفات غير المقبولة، وهو الأمر الذي أدى بعد ذلك إلى وضعه في صفٍّ خاص.

عندما بلغ فلوريان السادسة عشرة من عمره ماتت والدته، وما لبث أن عثر على الأوراق التي كانت تحبّبها. تعرّف من خلال هذه الأوراق إلى اسم والده، نيتز هاغان، وأنه لم يكن ميتاً على الإطلاق. يتذكّر فلوريان بكل وضوح ذلك اليوم الصيفي عندما توجّه إلى صالون تزيين الرجال، وارتدى أفضل ما عنده من ثياب، ثم توجّه كي يلتقي والده في العنوان المحدّد في أحد أحياء الأثرياء في برلين. كان متوتّراً في ذلك اليوم لكنه امتلاً، عندما كان يتطلع إلى ذلك المنزل الحجري الحديث المؤلف من طبقتين، والذي يحيط به جدار حجري عالٍ، تفاؤلاً بلقاء والده. اشتملت كل زاوية من زوايا قطعة الأرض على كاميرا دائرة تلفزيونية مغلقة، كما ظهرت إلى جانب البوابة لوحة تحمل اسم شركة أمنية.

رأى فلوريان أثناء سيره على الرصيف مستجمعاً جرأته، ولداً أشقر اللون في نحو عمره تقريباً، وهو يتقدم نحو البوابة فوق لوحة تزحلق طويلة. لكن ما إن توقف الصبي ليضغط على رمز القفل حتى اقترب فلوريان منه مسرعاً، وقال إنه يريد لقاء السيد هاغان.

قال الصبي متأسّفاً: "لا يؤذن لي بإدخال أي شخص صرخ بعد ذلك في اتجاه الحديقة." "بابا، يوجد هنا شخص يريد رؤيتك!"

انزلق الصبي من خلال المدخل تاركاً فلوريان وراءه، وهو الذي تسارعت

ضربات قلبه. رأى فلوريان في وسط باحة العشب بركة سباحة، وألعاب هيلو كيتي المائة المخصصة للأطفال، ونموذج بيتٍ خشبيٍّ صغيرٍ للأطفال. بدا أن الولد لديه شقيقة صغيرة.

ظهر رجلٌ ضخم الجثة عند بوابة المدخل، وقد ظهر الصلع قليلاً فوق جبهته. لاحظ فلوريان مندهشاً في هذا الرجل بعض الملامح المألوفة لديه.

"ماذا تريد؟"

"أنا فلوريان. فلوريان زيغلر"

جفل الرجل، ثم دفع فلوريان إلى الخلف خارج البوابة التي أسرع إلى إقفالها. قال الرجل شيئاً باستهجان: "ماذا تفعل هنا؟ ماذا تريد؟"

ارتبك فلوريان، وحرار في ما يجب أن يقوله.

"عرف بما حدث لوالدتك وأنا آسف. لكنني دفعت لها أكثر مما يلزم لمعيشتها"

قال فلوريان متلعثماً: "أصبحت وحيداً الآن، وأعيش مع خالتي..."

"اقتربت من سن البلوغ يا فتى، وباستطاعتك أن تعتني بنفسك. سأتكفل بدفع كل نفقاتك إلى أن تصل إلى سن الثامنة عشرة. ارحل الآن فأنا مشغول جداً"

عاد والد فلوريان إلى الحديقة، وأقفل البوابة في وجهه. شعر فلوريان بالغثيان، وبدأ بالإحساس بعدم الوضوح في بصره. شعر وكأنه على وشك الإغماء في أي لحظة. اهتزت ساقاه، وبدأ يعرج أثناء سيره بمحاذاة الجدار.

لم يتخلّص فلوريان من مرارة هذه الذكرى. علم بعد ذلك أن شركة والده المتخصصة في مجال السيارات توظّف ما يزيد على ألف شخص. كان ذلك اللقاء عند بوابة المدخل هو المرة الوحيدة التي التقى فيه الوالد مع الابن.

"سألت إيريك التي كانت جالسة في الجهة الأخرى من طاولة المطعم:

"أيمكنني البحث في حاسوبك اللوحي"

"بالطبع، دقيقة واحدة من فضلك"

أغلق فلوريان في شاشة حاسوبه منظر الشارع الذي يقع فيه منزل دافيد كوبر.

قالت كاتي وهي تتوجّه إلى المطبخ، وبعد أن جلست إلى طاولة حاسوبها: "أنا سعيدة بعودتك إلى المنزل. لم أتمكن من التحدث مع أي شخص في هذا الموضوع" فتح دافيد الثلاجة وتذكّر أنه لم يأكل شيئاً تقريباً طوال النهار.

قالت كاتي وهي تنقر على حاسوبها: "إنه أمر لا يُصدّق... ويؤدّي إلى الصدمة كذلك. يمكنك مساعدتي على تأكيد نظريتي. ويمكنني بعد ذلك التوجّه إلى الشرطة"

تناول دافيد طبقاً من الثلاجة يحتوي على فخذين من الدجاج، وعلبة تحتوي على سلطة الملفوف. كان دافيد يفضل التوجّه مباشرة إلى غرفته لتفحص الملفات التي نسخها عن حاسوب لورنزو، لكن تعيّن عليه التحلّي بالصبر، والإصغاء إلى كاتي، وإظهار الاهتمام بما تقوله لبعض الوقت. لكن الشيء الذي شغل باله أكثر من أي شيء آخر كان كيفية إقناع كاتي بمغادرة المنزل معه في هذه الليلة بالذات.

"إنني متأكدة تماماً أننا سوف نكتشف هوية الشخص الذي أمر بقتل آينو"

قال دافيد بعد أن جلس بالقرب من كاتي حاملاً معه طبق طعامه: "حقاً؟"

أشارت كاتي إلى شاشة الحاسوب وقالت: "هذه هي الرسائل التي قلت لك على الهاتف إنها موجودة في حاسوب آينو. انظر إلى تلك الرسالة في الأسفل، وهي رسالة أرسلتها في الأسبوع الماضي إلى رجل يدعى آرنو مايز"

انحنى دافيد ليقراً الرسالة وهو يمزج فخذ الدجاج متلذذاً به.

"أريد الآن مناقشة بعض الجوانب المهمة التي تستخدمها شركتكم، يورو سيك، في عملها مع الوحدة الأمنية الداخلية التابعة لمفوضية الاتحاد الأوروبي"

ظهر في أعلى الشاشة الرد على تلك الرسالة من مايز: "لا أعلم عمّا تتكلمين. دعيني وشأني"

أرسلت آينو في ذلك اليوم بالذات رسالةً جديدة: "أرغب في طرح أسئلةٍ قليلةٍ تتعلق بمركزك في الشركة، وعلاقة ذلك ببعض المسائل المهمة المعيّنة المتعلقة بعمل الاتحاد الأوروبي. أما إذا لم توافق على الاجتماع بي في غضون يومين، فإنني لن أتأخر في نقل معلوماتي إلى OLAF"

كان دافيد يعرف أن OLAF هو مكتب الاتحاد الأوروبي لمكافحة الغش. "من هو مايز هذا"

قالت كاتي: "إنه مسؤول سابق في الاستخبارات البلجيكية، وهو الذي أسس شركته الأمنية الخاصة به. ازداد نمو الشركة في التسعينيات من القرن الماضي بعد إبرامها عدة عقود مهمة مع مؤسسات الاتحاد الأوروبي. تعمل يوروسيك عن قرب مع الوحدة الأمنية الداخلية في الاتحاد الأوروبي. يُضاف إلى ذلك أن السيد مايز حضر إلى شقة آينو شخصياً اليوم كي يفتشها"

"عمّ تتحدّثين، بحق السماء؟"

سردت كاتي ما مرّ معها من أحداث في هذا اليوم.

قال دافيد محاولاً إخفاء نفاذ صبره بينما كان ينهي فخذ الدجاج الذي كان يأكله: "يبدو هذا غريباً حقاً" كانت كاتي غاضبة، وهو أمرٌ يثير ارتياحه، لأن هذا يعني أن أموراً أخرى تشغل بالها غير سلوك زوجها المثير للريبة.

تابعت كاتي حديثها وقد اصطبغ لون خديها بالحمرة: "الحقيقة هي أن آينو هدّدت رئيس شركة أمنية تتعامل معها مفوضيّة الاتحاد الأوروبي بأنها سوف تلجأ إلى المكتب الأوروبي لمكافحة الغش OLAF، كما قالت إن ما ترغب التحدث فيه معه له علاقة بالاتحاد الأوروبي. لكن هل أقدم مايز على رشوة مسؤولي الاتحاد الأوروبي؟ امتلكت آينو ملفاتٍ توثق عدة قضايا مشابهة أخرى. تولّد عندي شك في البداية في أن باريتو هو الذي يقف وراء الجريمة التي أودت بحياة آينو. لكن الآن... يُحتمل أنهما قتلا على أيدي الأشخاص أنفسهم. كان من المقرر أن تزور آينو حقلاً إيطالياً لتوليد الكهرباء من الرياح، وكانت ستحضر كذلك حلقة دراسية عن الطاقة الشمسية مع مجموعة من الأشخاص. بمن فيهم باريتو. ماذا لو كانت آينو وباريتو يتجادلان في الحفلة حول شيء يتعلق بهذا الموضوع؟"

عرضت كاتي على دافيد صورةً في شاشة هاتفها عن بطاقة هوية امرأة ذات شعر أحمر. "تظاهرت هذه المرأة بأنها عاملة تنظيف منازل بولندية الجنسية. أنا متأكدة أنها ساعدت على تنفيذ جريمة قتل آينو"

رنّ هاتف كاتي فجأةً، وهو الأمر الذي دفع دافيد إلى القفز من مكانه. حدّقت كاتي إلى شاشة الهاتف: "من يتصل بي في مثل هذه الساعة؟ إنه رقم غير معروفٍ عندي"

"لا تردّي" سبق أن تلقى دافيد عدة اتصالاتٍ على هاتفه الخليوي، وكان معظمها من رقمٍ غير معروفٍ لديه، ثم تلقى بعض الاتصالات من لورنزو. لكن دافيد لم يردّ على أيٍّ منها. هل عثرت المافيا على رقم كاتي بطريقةٍ ما؟ سألت كاتي: "ماذا لو كانت الشرطة هي التي تتصل؟"

"هل تتصل في مثل هذه الساعة؟ بالتأكيد لا" خطرت على ذهن دافيد أشياء مثل أحداث باليرمو، واقتحام منزل باريتو. لم يرغب دافيد إقحام كاتي في مشكلة مع الشرطة الإيطالية أو البلجيكية.

قال دافيد: "أخبريني الآن عن عاملة التنظيف هذه" أخبرته كاتي عن سلوك السيدة التي قالت إنها عاملة تنظيف، وهو السلوك الذي بدا غريباً بالنسبة إليها، بينما كان دافيد يضع طبقه في حوض تنظيف الأطباق.

قال دافيد: "يبدو لي هذا غريباً" اعتقدَ دافيد في هذه اللحظة بالذات أنه سمع ضحكةً في الحديقة. زحف نحو المناقذة وحدّق إلى الخارج. لم ير دافيد سوى الظلمة الحالكة، لكن ذهنه كان ممتلئاً بصور المخاطر المحدقة به. نظر إلى ساعته، وراح يحسب الوقت الذي يستغرقه رجال المافيا الآتين من صقلية قبل معرفتهم مكان وجوده.

كانت السجلات الرسمية لا تزال تُظهر أن مكان إقامتهما هو جادة بواليو. يعني ذلك أن العثور عليهما في تيرفورين لن يكون مسألةً سهلةً على الإطلاق، لكن ذلك سوف يؤدي إلى تأجيل ما هو حتميٌّ، كما أن المافيا لن تغفل عن مسألة كهذه لتنام على أبحاها.

زاد اقتناع دافيد مع تفكيره في الوضع بأنه مضطر إلى مغادرة المنزل، والتوجه إلى أحد الفنادق، وذلك قبل سفره إلى لندن لإتمام تلك الصفقة، ومراهنته ضد كريديتو ناسيونالي. يتعين عليهما الاختباء بعد ذلك لفترة أيام قليلة إلى أن يتمكن دافيد من سحب المبلغ، وهو مضطراً لشراء هويات. يُحتمل أن يكلفه ذلك عشرات آلاف اليورو إن لم يكن أكثر. سيتوجهان بعد ذلك إلى أميركا الجنوبية، وربما يقصدان ريو دي جانيرو.

"توحي لي الوثائق التي كانت موجودة في حاسوب آينو بأنها كانت مهددة، وظننتُ في البداية أنها عثرت على الفجوة التي تتسلل منها مساعدات الطاقة المتجددة التي يقدمها الاتحاد الأوروبي إلى المافيا الإيطالية"

استدار دافيد في مكانه، فبدا وكأن قلبه يكاد يفتت لأنها لا تعلم أن حياتهما قد تغيرت، وإلى الأبد.

تناولت كاتي بعد ذلك رزمة من الأوراق المطبوعة، وقالت: "لكني دققنا أكثر في ملفاتها هذه. يبدو أنها وقعت على بعض المعلومات الغريبة"

أوماً دافيد متأملاً، لكنه كان يسمع من جهة واحدة فقط، لأنه كان مضطراً للتدقيق في الوثائق التي كانت موجودة في حاسوب لورنزو.

تحولت نيرة كاتي إلى جدية أكثر وقالت: "كانت آينو تقوم ببعض الدراسات التي تبحث في الأسباب حول رجل يقوم بعملٍ مشابهٍ لعملك. إنه رجل أعمال تحول إلى العمل المصرفي، ولديه اتصالات مع بعض أكثر الأشخاص ثراءً ونفوذاً في العالم. كان هو من تلك الفئة من الناس التي ترتب تقديم القروض لبلدان، وليس لأشخاص فقط. كسب الرجل عشرات ملايين الدولارات نتيجة المضاربة في سوق الأسهم، كما التقى، عندما وصل إلى سن الأربعين، فتاةً إيطاليةً في الثانية والعشرين من عمرها في أحد المطاعم، وقرّر الزواج منها، وذلك بالرغم من أنه سبق له أن تزوج من إحدى مرؤوساته قبل أشهر قليلة فقط، وكان يتوقع قدوم طفله الأول. تبع ذلك معركة شديدة الحماوة دارت مع زوجته حول رعاية الطفل. تمكن الرجل الذي نتحدث عنه من احتلال مركز تنفيذي في أحد المصارف الأميركية الكبرى. لكن السوق انهارت بعد ذلك فخسر سبعين مليوناً

من الدولارات. خسر الرجل بعد ذلك مناقصة فاحت الفضائح منها، ثم أُجبر على التراجع... قُل لي، أيُّ رجلٍ في مثل مهنتك يتصرف على هذا الشكل؟ أيُّ انطباعٍ يمكن أن تكوِّنه عن رجلٍ كهذا؟"

"إنه جشعٌ بطبيعة الحال، وطُموح، لكن..."

قالت كاتي: "تمكَّن الرجل بعد خسارته كل هذه الملايين من تسوية وضعه مجدداً لأنه يمتلك أصدقاء من ذوي النفوذ. أقرضه أحد أفراد أكثر العائلات ثراءً في أميركا رأسملاً لتأسيس شركة جديدة تمكَّن من تأسيسها في بلدٍ لا يفرض الضرائب. خضع الرجل للتحقيق بعد ذلك بتهمة غسل الأموال"

أدرك دافيد أنه مضطَّرُّ إلى اختراع ذريعةٍ ما لإقناع كاتي بالمغادرة معه. اعتقد دافيد أن قيامه بإبلاغها عن الحقيقة الآن يزيد الوضع سوءاً، وأن من الأفضل أن ينتظر قبل أن يخبرها، أي إلى أن يصبحها في طريقهما إلى المطار، أو إلى أن يتمكن من اختراع قصة عن ملاحقة قاتلي آينو لهما.

"عمل هذا الرجل طوال سنوات بصفته مستشاراً مالياً، واستفاد من علاقاته مع المصارف الكبرى والسياسيين في أنحاء العالم. تمكَّن الرجل فيما بعد من أن يصبح الرجل المثالي الذي ينشر الأموال الأميركية بين السياسيين في أوروبا..."

سأل دافيد: "عن أي شخصٍ تتحدَّثين؟"

"إنني أتحدَّث عن رجلٍ تتردَّد قصة حياته بين النخبة في هذه الأيام، أي أنه تحوَّل إلى أداةٍ إعلامية. إنني أتحدَّث عن الرجل الذي نجَّله إلى أقصى الدرجات لأنه مؤسس الاتحاد الأوروبي، أي جان مونييه. أما الأسطورة التي حاكوها من حوله فهي مجرد غطاءٍ للقصة الحقيقية عن كيفية ولادة الاتحاد الأوروبي

سأل دافيد بنفاد صبر: "ما علاقة كل هذا بموضوعنا؟"

تناولت كاتي رزمةً من الأوراق المطبوعة، ومن فوقها شريط ذاكرة. "إن الأحجية التي تمكنت آينو من تجميع أجزائها مريعة جداً، وهي تصل إلى يومنا هذا، والعناوين التي نقرأ عنها في الصحف في هذه الأيام. تحمل هذه المعلومات في طياتها الأسباب التي أدَّت إلى مقتلها"

أصغى دافيد مصدوماً إلى كلام كاتي هذا.

"ماذا وجدت آينو؟ وما هو ذلك الشيء الذي أدى إلى مقتلها؟ أنا لا أفهمك يا كاتي"

"يُحتمل أن تكون الأسباب ذاتها التي أدت إلى مقتل باريتو"
فكّر دافيد في كل الأشياء التي تدور في خُلد كاتي، وتكاد تودي بمخيلتها:
جان مونييه، والاتحاد الأوروبي، وجريمة قتل آينو، وغيرها من الأمور.
نظر دافيد فجأةً خارج النافذة وكأنه رأى شيئاً يتحرك في ظلال الحديقة.
سألته كاتي بعد أن اقتربت منه: "ماذا حدث الآن؟"

أحاط دافيد زوجته بذراعه، وكان كل شيء يبدو على ما يرام في الحديقة،
لكن يُحتمل أن يكون حيوان ما يجول في أنحاءها.

همست كاتي في أذن دافيد: "لا أتمكّن من التوقّف عن التفكير في آينو، وهي
التي كانت تبحث عن هذا السر الذي كان شديد الخطر على حياتها"

ابتعدت كاتي عن زوجها، ثم سارت نحو هاتفها الذي كان فوق الطاولة.
"لديّ رقم هاتف عاملة التنظيف البولندية، وكنت أفكّر في الاتصال بها في
الصباح"

"لا تفعلي ذلك"

فكّر دافيد للحظة قبل أن يقول: "سأسافر إلى لندن عند الصباح لإتمام صفقة
تجارية مهمّة، وهي الأكبر في حياتي. يمكننا التركيز بعد ذلك على حلّ جريمة قتل
آينو"

"هل ستذهب إلى لندن مجدداً؟"

"قلت لك إنها صفقة تجارية مهمّة لنا الاثنين. سنكسب منها أموالاً كثيرة،
ويمكنني الاستقالة بعد ذلك"

وجه فلوريان أشعة مصباحه في أنحاء الغرف الفارغة في الشقة. تبين له أن دافيد كوبر قد انتقل للسكن في شقة أخرى منذ وقت قريب. كما تبين أن معظم الأثاث قد نُقل، وكذلك بدت الخزانات مفتوحة الأبواب وفارغة.

صعد فلوريان الدرج الضيق والمكسو بالسجاد في طريقه إلى الطبقة الثانية. أما آرنو فقد شقّ طريقه بصعوبة أمامه، وقد ارتدى كنزة صوفية خشنة، وبنطالاً ضيقاً من الجينز. كان آرنو يشعر بالضيق من التباطؤ الذي يظهره فلوريان، لكن أحداً لا ينكر مهارته في كل ما يتعلّق بالحواسيب.

لم يظهر في غرفة النوم سوى هيكل سريرٍ قديم، أما الفرشات فقد نُقلت من مكانها. كانت هناك غرفة صغيرة مجاورة لغرفة النوم تشتمل على خزانة للكتب، وطابعة موضوعة على طاولة صغيرة منخفضة الارتفاع، ولفّة أسلاك، ورزمة من الورق. انشغل كارل في هذه الأثناء بتفحص صناديق الكتب، ثمّ انتقى أحد المكتب بالإنكليزية حول الشؤون المالية، وبدأ بتقليب صفحاته بعناية بينما كان يمسّد لحيته بسبّابة يده اليسرى. كان كارل هو الأكبر سنّاً من بينهم، إذ بلغ الخامسة والثلاثين من عمره، كما أنه أمضى فترة في السجن بعد أن سرق شيئاً من خلال الزجاج المكسور لأحد محالّ بيع المجوهرات خلال إحدى التظاهرات. درس الرجل خلال فترة سجنه كيفية تمكّن المصارف من كسب المليارات.

صرخ سياستيان من الطبقة الأرضية: "آرنو. أحضر حاسوبك! هيا، هيا!" فتح آرنو حقيبة كتفه الصغيرة، المصنوعة من القماش، لكنها كانت كبيرة بما يكفي لاستيعاب حاسوب محمول من قياس 11 بوصة، ثمّ أسرع به نزولاً إلى الطبقة الأرضية وهو يتمتم شيئاً في سرّه. كان آرنو قرصان معلوماتية فائق الموهبة،

ويكاد يساوي فلوريان ذاته في هذا المجال، كما يمتلك حياً للإحصاءات. يحتفظ آرنو في حاسوبه بقائمة مفصلة لكل السيارات التي أحرقتها في برلين: 16 سيارة مرسيدس، و11 أودي، و6 من نوع رانج روفر، وغيرها...

تناول فلوريان الأوراق التي كانت بالقرب من الطابعة، ثم قلبها على ضوء مصباح الشارع. احتوت الأوراق رسوماتٍ مضحكة، وكانت مرسومة ذاتياً، لكن بمهارة فائقة. كانت بعض النسخ المصورة موضوعة تحت تلك الرزمة، وكان من بينها فواتير من كهربائي وسباك.

كان العنوان البارز على الفاتورة هو جادة بواليو 22، أي عنوان دافيد الحالي، أما عنوان التسليم فكان في تيرفورين.

تناول هاتفه، وبعد قليل برزت الخريطة التي أظهرت أن تيرفورين واقعة إلى الشرق من بروكسل، ولا تبعد عنها أكثر من مسيرة حوالى عشرين دقيقة. سأل كارل: "ماذا الآن؟"

"آه، لا شيء. سأصطحبكم يا رجال إلى الشقة، وسأهتم بأمر ما بعد ذلك"

قلب دافيد محتويات حاسوب لورنزو على ضوء المصباح الليلي. كانت كاتي استسلمت للنوم. سبق لهما أن تحدثا عن آينو، ويُحتمل أن يكون ذلك الحديث قد أراح كاتي كثيراً. قرّر دافيد بنفسه أنهما سياتركان المنزل عند الصباح الباكر، وذلك لعدم توافر رحلات من إيطاليا في منتصف الليل، بالإضافة إلى أنهما لم يسجلا عنوانهما في أي مكانٍ بعد.

بدا أن انطباع دافيد السابق عن محتويات ملفات لورنزو بقي كما هو: كان هناك ما يتجاوز التسيريات إلى ريجتر، ويتعلق بمصرف بانكا كريديتو ناسيونالي.

كان هدف العملية هو استغلال وضع مصرف بانكا كريديتو ناسيونالي، كما كان من الواضح وضوح النهار أن الجريمة المنظمة كانت، ومن دون علم ريجتر، من ضمن ما يدور من أحداث. كان لورنزو يحاول جمع النقيضين ضد الوسط، وهو الأمر الذي كان يشكّل لعبةً في غاية الخطورة على الدوام، وعلى الأقل بسبب علاقات ريجتر مع بافل آنوسوف، وهو مصرفي الكرمليين.

أراد دافيد أن يتفهّم طبيعة الموقع أكثر، ولذلك قرّر الاجتماع بأندريا في الصباح لأنه كان يعرف كل شيء عن عمليات التمويل في إيطاليا. امتلك دافيد فكرةً أوليةً عن نوع المشتقات المالية التي يريد استخدامها للاستفادة الفعلية من معلوماته التي حصل عليها عن خسائر كريديتو ناسيونالي التي ستظهر قريباً، وهكذا تابع محاولة تحسين استراتيجيته إلى أن نال منه الإجهاد إلى حدّ يصعب مقاومته، وما لبث أن وضع حاسوبه على المنضدة.

وبدلاً من الاستسلام للنوم على الفور تناول الأوراق المنسوخة عن ملفات آينو، والتي أخذها من كاتي. حدّق دافيد بدهشة متزايدة إلى الوصف الذي أعدّته كاتي عن نبذة حياة جان مونييه وقرّر بأن آينو امتلكت، على أيّ حال، سبباً وجيهاً للبحث بعمق عن هذا الموضوع.

لم تكن كاتي تبالغ في وصفها على الإطلاق. عمل جان مونييه في شبابه، وقبل انهماكه في العمل المصرفي، في بيع الكحوليات بالجملة في لندن وكندا، وهناك أسّس شركة لاستيراد مشروب البراندي الذي يصنّعه والده جاي. جي. مونييه.

تمكّن مونييه من خلال شركائه التجاريين من توطيد علاقاتٍ متينةٍ مع مصرفيين أميركيين نافذين، وهو الأمر الذي مكّنه من جني ثروة من وول ستريت، وما لبث أن أصبح نائباً لرئيس نيويورك بلاير وشركاه. اندمجت هذه الشركة فيما بعد مع بنك أوف أميركا الذي أصبح إحدى أكبر المؤسسات المالية في البلاد تحت اسم بنك أميركا - بلير، وما لبث مونييه أن أصبح واحداً من رؤساء هذه المؤسسة. تعرّف مونييه من خلال منصبه هذا إلى نخبة رجال الأعمال في أميركا.

أدى انهيار سوق الأسهم الذي حدث في العام 1929، إلى تناقص ثروة مونييه الشخصية بما مقداره عشرات ملايين الدولارات إذا ما قيست بقيمتها في هذه الأيام. خسر مونييه في هذا الوقت معركة على النفوذ مع أحد المساهمين الكبار في مصرفه، وهكذا خسر منصبه. لكن أحد شركائه السابقين الذي انتهى إلى العمل في القطاع المصرفي بادر إلى مساعدة مونييه على استعادة مكانته مجدداً.

شعر دافيد بإجهادٍ كبيرٍ منعه من التركيز أكثر، وذلك بالرغم من أنه بدأ يدرك السبب الذي دفع آينو إلى الاهتمام بالتاريخ الشخصي لرجلٍ يحصد الأجماد بصفته أحد مؤسسي الاتحاد الأوروبي.

أطفاً دافيد النور، وأصغى إلى أنفاس كاتي المنتظمة. تعيّن عليه النوم لساعات قليلة كي يستطيع معاودة العمل بذهنٍ صافٍ مجدداً، وكان من المقرر أن ترن ساعة المنبّه عن الساعة 5:30.

سيطر على دافيد شعور هائلٌ من الفراغ النفسي. ألا يجيد شيئاً غير أذية نفسه، والأشخاص الذين يحبّهم؟

كل ما ألمسه، وكل ما أفعله... يتحوّل إلى...

ترددت في ذهن دافيد لمحات من مناظر إطلاق الرصاص والدماء، ثم صورة يومٍ صيفيٍّ دافئ، والإثارة التي ترافق خرق القواعد المتبعة، وأسطح المياه المتلألئة، واختفاء أحد الأشقاء، واندفاع الوالدة عبر حقلٍ مليء بالقمح نحو الشاطئ، وتجمّع الناس، والارتباك والذعر، والعتور على جثة، والسنوات الطويلة والهادئة، ونظرات الوالدة...

فهم دافيد في هذا الوقت كل ما يجري الآن. لكن بالرغم من محاولته نسيان كل مشاعر الذنب التي رافقته في طفولته، إلا أن هذه المشاعر أبت أن تدعه بسلام. كانت نزهة السباحة تلك مع شقيقه الصغير في حوض نهرٍ تُمنع فيه السباحة هي التي أثّرت على حياته بأكملها، وكذلك على القرارات التي يتخذها حتى هذا اليوم. اختار دافيد العمل المصري بالرغم من حبه لأن يكون مختصاً بالرياضيات، أو حتى مزارعاً، لكنه لم يتمكن من البقاء في القرية التي وُلد فيها. كانت الذكريات المريرة لما حدث معه في الريف هي التي دفعته إلى المدينة. دفعه العمل الشاق والمحموم الذي قام به إلى النسيان، وساعده على الشعور بقيمة ما يقوم به من أعمال، وبأهميته، وبتقبّل الآخرين له فوق كل شيء.

أضاءت المصابيح الخارجية بشكلٍ مفاجئٍ بواسطة جهاز كشف الحركة. اندفع دافيد من السرير، ونظر من خلال نافذة غرفة النوم إلى الحديقة، فرأى ثعلباً صغيراً يعدو فوق العشب. شعر بعد ذلك بموجةٍ غامرةٍ من الارتياح.

لكن هل كان مرور الثعلب مجرد صدفة أم أن جهاز الحركة كشف مرور شخصٍ ما بالفعل؟

سرت قشعريرة اجتاحت كامل جسده، وحدّق إلى الساعة الكبيرة المعلقة قرب زاوية الجدار فبدت له تابوتاً معلقاً. ماذا سيفعل إذا ما أقدم أحدهم على تهشيم زجاج النافذة مقتحماً المنزل بالقوة؟

توجّه دافيد إلى غرفة مكتب كاتي، ورأى في خزانة التحف، والتي تُستخدم لعرض الأسلحة البندقية ذات الماسورة المزدوجة التي تسلمتها كاتي من جدّها في فنلندا، وكانت قد التحقت بناجٍ للصيد في آردينز، لكنها تخلّت عن هذه الهواية نتيجة انشغالها بأعمال مهمة أخرى.

أصغى فجأةً وجُمّد في مكانه، ثم أمسك أنفاسه. اعتقد مجدّداً أنه سمع صوتاً قادماً من مكانٍ ما.

هض وأصغى بانتباهٍ أكبر. كان الصوت أشبه ما يكون بصرخاتٍ بعيدة، أو بنداءٍ للمساعدة.

وقف دافيد وسط السكون المخيم. كان يعرف ذلك الصوت، صوت صرخات شقيقه طالباً المساعدة. لكن الصوت اختفى بغتةً. خرج دافيد من الغرفة إلى الممر، وشعر بقشعريرةٍ باردةٍ تلاحقه. سار نحو غرفة المعيشة بالرغم من الخوف الذي كبّله. شاهد شكلاً قائماً جالساً على الأريكة.

سارع دافيد إلى الضغط على زر الإنارة، لكنه لم يشاهد أحداً في الغرفة. وقف دافيد مرتجفاً وانهار فوق الأريكة، ثم احتضن وجهه بيديه. ردّد في سرّه: ماذا يحدث؟ حاول دافيد التفكير بعقلانية، لكنه أحسّ بإجهاضٍ شديد يكاد يمزق تفكيره ويُطلق ذكرياتٍ مكبوتةً لديه. لكن دافيد لا يتذكّر أيّ شيء عن غرق شقيقه بالرغم من أنه كان الشخص الوحيد الموجود وقت وقوع الحادثة.

أغمض عينيه فرأى النظرة الاتهامية التي رمته بها والدته، وهي النظرة التي لاحقتة في كل مكان. كانت تلك النظرة تصرخ به: كان بإمكانك إنقاذ شقيقك.

فتح دافيد عينيه، وحدّق إلى عوارض السقف الخشبية، ثم استغرق في التفكير في الوضع. كان لورنزو يعرف اسمه، وكذلك المافيا التي بإمكانها العثور على عنوان

منزله القدم بسهولة، بمجرد البدء ببحثٍ بسيطٍ في محركٍ غوغل، إذا أراد رجالها ذلك. يُضاف إلى ذلك أن ريجتر يعرف لورنزو. لكن شبكة الإنترنت لن تفيدهم أبداً عن المكان الذي يعيش فيه دافيد وكاتي الآن.

تذكر دافيد أمراً مهماً بعد ذلك. بقيت الطابعة في ذلك المنزل القدم، وربما بقيت مع بعض الأوراق التي نسخها عن فواتير ترميم المنزل. اجتاحتها موجة من الهلع الشديد التي سيطرت عليه مجدداً. فكّر للحظاتٍ قليلة بالخيارات المفتوحة أمامه، وما لبث أن عاد إلى غرفة النوم ثم ربت بلطفٍ كتف كاتي. لم يرغب بإخافتها، لكن كاتي جفلت مع ذلك.

"ماذا بك؟"

"كنت أفكر في كل ما قلته لي عن جرمي قتل آينو وباريتو، وكذلك عن يوروسيك، والمدعو مايز. أنت تعرفين كثيراً عن هذه الأمور، وهذا قد يشكل خطراً كبيراً علينا. يتعين علينا الانتقال من هنا"

"الانتقال؟ لكن إلى أين؟"

"إلى أي مكانٍ بعيدٍ عن هنا، وربما إلى فندق، والآن على الفور"

"ألا تبالغ في هذا قليلاً؟"

"لا أعتقد أنني أبالغ على الإطلاق. سنفكر معاً في حل ما"

"إنني أحترم رأيك، لكن ألا يجدر بنا اللجوء إلى الشرطة بدلاً من الهرب؟"

"إنه حل مؤقت. لكن عندما نمتلك دليلاً كافياً، فسوف يمكننا التوجه إلى

الشرطة. أعتقد أنك تدركين مدى حساسية الموضوع عندما نتحدث عن الفساد في أوساط الاتحاد الأوروبي. لكن من دون دليل مقنع لن تأخذنا الشرطة على محمل الجد. يتعين علينا الآن البقاء بعيدين عن الأنظار"

"دعنا نذهب إلى الفندق الآن..."

قفز دافيد واقفاً عندما سمع صوتاً آتياً من جهة السقف.

قالت كاتي: "إنها الهرة"

اقترب دافيد من الباب، لكنه ما لبث أن توقف: "اسمعي ما سأقوله. إننا لسنا بأمان هنا... أحضري بندقيتك! جهزيها، والآن على الفور!"
"هل فقدت صوابك؟"

زاد تركيز دافيد على الإصغاء. تنهى صوت هرة من مكان ما.
قال دافيد بارتياح: "إنني آسف. يُحتمل أنني أبالغ قليلاً. كان موت آينو مريعاً، لكن ليس بإمكاننا ركوب المخاطر. ابدئي بحزم حاجياتنا وبسرعة"
بدأ دافيد بالبحث في شبكة الإنترنت عن الفنادق، وانتقى فندق إيزان الذي يتميز بموقعه المناسب الذي يقع بالقرب من جادة لويز، إيكسيليز، أي أن بإمكانه الوصول من هناك إلى محطة قطارات ميدي، ويصبح من السهل عليه ركوب القطار إلى لندن من هناك.

أذعنت كاتي، وأسرعت في ترتيب حاجياتها المهمة ووضعتها في حقيبة سفر صغيرة، ثم أقفل دافيد جميع الأبواب بعناية. أسرعاً بعد ذلك إلى سيارة كاتي ذات السقف القابل للطي، وتوجّهها إلى بروكسل على الفور.
مرّاً، بعد أن قطعاً مئات قليلة من الأمتار، بتقاطع طرق، وتجاوزاً سيارة رينو صغيرة كانت تسير في الاتجاه المعاكس لسيرهما، فانعكست أنوار سيارتهما الأمامية على وجه سائق الرينو. كان بإمكان دافيد أن يُقسم بأن سائق السيارة الأخرى هو الرجل ذاته الذي دفعه أرضاً نحو مقدمة القطار.

جلس لورنزو كاسانو مقيداً إلى كرسي خشبيّ قديمٍ داخل قبو أحضير إليه ليلاً تحت الحراسة. كان كل شيء يدل على أسوأ الاحتمالات الممكنة: نجحت المافيا في استرجاع الملفات الملعّاة من حاسوبه.

تمكّن لورنزو من شمّ رائحة العفن والرطوبة التي تخترق الغرفة مسن خلال شقوق الجدران الإسمنتية، لكن الإضاءة الوحيدة كانت مصباحاً مكشوفاً يتدلّى من السقف فوق إحدى الطااولات مباشرة، لكن هذه الإضاءة الضئيلة تركت الزوايا داكنة. وقف في طرف الغرفة رجلاً تظهر عليهما ملامح الجديدة. كان لورنزو متأكّداً من أن أحدهما يدعى فيتو زاركا.

حاول لورنزو أن يَحصر أنظاره بالطاولة الخشبية أمامه، لكن نظرته جالت باستمرار بعد ذلك في أنحاء الغرفة ذات الإضاءة الخفيفة، إلا أنه انشغل بصورة خاصة بقطعة غريبة من الأثاث بدت مثل كرسي، لكنها كانت مرتفعةً بشكلٍ غير عادي، وذات ظهرٍ ضيق.

تصَّب العرق البارد على جبهة لورنزو. كان هذا الكرسي مشابهاً بصورة خادعة لآلة الإعدام بالمخنق، وهي آلة تُستخدم للتعذيب. توجد في هذا المقعد ربطة حديدية حول عنق الضحية ثم يجري تضيق الخناق عليه، وهو الأمر الذي يؤدي إلى الاختناق. كانت آلة الإعدام بالمخنق هذه مؤلمةً إلى أقصى الحدود، وطريقةً في منتهى القسوة للقتل والموت. استُخدمت هذه الآلة بشكلٍ خاصٍ في إسبانيا بدءاً من العصور الوسطى، وحتى أيام فرانكو.

شعر لورنزو بالرعب بشكلٍ مفاجئ، وفكَّر في احتمال أن تكون هذه هي "غرفة الموت"، والتي قيل إن زاركا تعود إحضار ضحاياه إليها. شعر لورنزو بطعم المرارة في فمه، وأحسَّ بأنه لن يمرَّ وقت طويل قبل أن يبدأ بالتقيؤ.

انفتح الباب بعد ذلك، وما لبث أن دخل أحد الأشخاص. كان أول ما تبادر إلى ذهن لورنزو هو أن يكون هذا الرجل هو الجلاد. جلس ذلك الشخص قبالة بعد ذلك، وما لبثت ملامح الرجل أن بدأت بالظهور، لكن الرجل لم يكن سوى سيرجيو موريللي.

قال موريللي بصوتٍ هادئ: "ورد في قائمة المسافرين أن دافيد كوبر وصل إلى باليرمو على متن رحلة جيت آير فلاي رقم JAF 2066 عند الساعة 8:50. لكنه قام بشراء تذكريتي سفر، وكان اسم المسافر الثاني راي أوبويندي، وهو مواطن من أصولٍ كونغولية"

جفل لورنزو من فرط الدهشة، وما لبث موريللي أن أعطاه قصاصة ورق: "هذه هي صورة عن جواز سفره. هل يبدو الرجل مألوفاً لديك؟"

حدَّق لورنزو إلى الوجه الذي يبدو في الصورة، ثم بدت ملامح الذعر التام على وجهه.

"هل هذا هو الرجل ذاته الذي سرق حاسوبك، وقتل أحد حراسنا وجرح آخر؟"

أدرك لورنزو أنه لا يستطيع أن يكذب بعد الآن، لكن هذه كانت مفاجأة صاعقة. أقدم دافيد كوبر على إيقاعه في مصيدة.

أوما بأقصى ما أمكنه من هدوء سمحت به هذه الصدمة.

"هل عرفتَ الآن سبب وجود حارسنا في الطابق الأعلى؟ والآن أخبرني الحقيقة عن هذا الرجل الإنكليزي"

أدرك لورنزو بأن شيئاً لن يُفلح في إنقاذه لأنه كان مهملاً، كما أنه كذب.

"متى التقيته للمرة الأولى؟"

جهداً لورنزو كي يتكلم.

قال وهو يلهث: "منذ سنوات قليلة، عندما كان يُفترض أن يقوم هو ووالد زوجته الفنلندية بترتيب مسألة أسهم لمعمل أقمشة..."

"هل تعني غسل أموال؟"

أوما لورنزو. "كان والد زوجته يمتلك شركة منسوجات في فنلندا، وكان يستورد الأقمشة من إيطاليا. قام كذلك بإبرام اتفاقية مع معمل في كاتانيا. لم ينتبها في البداية إلى وجود أي شيء يدعو إلى الشك في هذه الصفقة. لكن دافيد كان حذراً جداً بسبب أعماله في لندن، وألغيا الصفقة. أدركت في هذا الوقت مدى الفائدة التي يُمكن أن يؤديها لنا، وحاولتُ إقناعه بالانخراط في بعض المشاريع الأكبر، لكنه كان حذراً جداً..."

التزم لورنزو الصمت للحظة قبل أن يتابع: "لكنه بدا في ذلك الوقت مهتماً بكسب المال، كما كنتُ أنا متفائلاً في إقناعه بالعمل معنا، وعلى الأخص لأننا سرعان ما سوف نحتاج إلى مجالات تشغيل مقادير كبيرة من المال..."

حدق موريللي إليه من دون أن يقول شيئاً. لكن لورنزو فسّر الملامح التي ظهرت على ملامح الرجل وكأنه يقول: لا تستحق سوى رمي القذارة عليك.

"نتنقل الآن إلى نشرة أخبار الساعة من YLE..."

أتبع آرتو طريق الرينغ III في طريقه إلى مطار هلسنكي - فاننا. كان متوتراً بما يكفي بشأن لقائه بابتته التي كانت تجيد أداء دور الشخصية الصعبة.

كان صباح يوم الاثنين في الساحل الجنوبي لفنلندا رطباً وبارداً، لكن ألوان أوراق الأشجار بدأت بالاصفرار. غادر آرتو المنزل باكراً مع أن رحلة شركة فين آير المتوجهة إلى بروكسل لن تغلق قبل الساعة التاسعة، لكنه أراد أن يمتلك وقتاً كافياً يتيح له أن يركن سيارته، ويستمتع بشرب كوبٍ من القهوة في المطار.

"يتزايد الخوف من أن موجة سحب الأرصدة من المصارف في يوم الجمعة سوف تسوء اليوم. لكن الحكومة، والمصرف المركزي الإيطالي نفياً الشائعات الرائجة عن خططٍ موضوعة لإضعاف إيداعات حماية التأمينات..."

فكر آرتو بأن من الأفضل أن تقوم الحكومة بقول هذا الكلام، كما بدا له أن كل شيء يبدو شبيهاً جداً بالتسعينيات عندما كانت الحكومة الفنلندية تعلن شيئاً وتقوم بشيء آخر. أدى هذا الوضع إلى استعادته الذكريات السيئة القديمة، وهو الأمر الذي أدى إلى شعوره بالغثيان.

أثار كل شيء عندها، كل شيء.

أدت عوامل عدة مثل تخفيض قيمة العملة، والدين العام، والركود، إلى وقوع شركة المنسوجات والأقمشة التي يمتلكها آرتو وميرجا في عجز مالي كبير، لكنهما حاولا بذل كل الجهود الممكنة لإنقاذ الشركة من الإفلاس، فأقفلتا محلات الخياطة الصغيرة وصرفا العمال. أعادا بعد ذلك تنظيم هيكلية الملكية في الشركة. وبالرغم من كل هذه الجهود بقيت فواتير الشركات الموردة من دون دفع، وتوقف تسليم

البضاعة الآتية من إيطاليا. انتهى في آخر المطاف كفاهما مع الوقت، والمصارف، والركود.

لكن ميرجا عثرت على الحلّ الخاص بها.

رَن هاتف آرتو عندما انعطف نحو المنحدر المؤدي إلى موقف السيارات التابع للمطار. كان مفتاح البلد الذي أتت منه المكاملة هو +39. لكن مَنْ هو الشخص الذي يجري المكاملة من إيطاليا في الساعة السادسة صباحاً؟ شعر بفضولٍ يدفعه إلى الرد.

"اشتقت إليك يا آرتو. أنا جيوسيب، هل تذكرني؟"

فكّر آرتو للحظة حتى ثمكّن من ربط الاسم بمصنع المنسوجات في كاتانيا.

"جيوسيب، بالطبع أذكرك! كيف هي الأحوال في صقلية؟"

"إننا مشغولون جداً"

بعد الحديث لحظاتٍ قليلة عن شركات جيوسيب قال الرجل: "إنني أتكلم معك، في الحقيقة، كي أسألك عن زوج ابنتك الذي حضر إلى هنا في ذلك الوقت للتفاوض بالنيابة عنك. تتوفر لدينا الآن فرصة عمل قد تهّمه. أيمكنك مساعدتي في الاتصال به؟"

قَلَبت كاتي الورقة التي تحمل رقم الهاتف الخاص بعاملة التنظيف البولندية في يدها، وهي التي كانت متأكدة من أن للمرأة علاقة ما بمقتل آينو، إن لم تكن هي نفسها القتالة. لكن، هل لهذه المرأة علاقة ما بجريمة قتل بارتيتو؟

سمعت كاتي صوت السيارات في جادة لويس. كان فندق إيزان متواضعاً بما يكفي لحاجياتهما هي وزوجها الذي غادر إلى لندن على متن قطار الصباح، بعد أن جعل كاتي تعده بالبقاء بعيداً عن تيرفورين، وأن تبقى في غرفة الفندق إلى حين عودته في المساء.

ضحكت كاتي في سرّها، وكأنها يمكن أن تبقى في غرفة الفندق دون القيام بأي شيء طيلة النهار. كانت تحفظات دافيد التي تهدف إلى حمايتهما مطمئنة، لكن مبالغٌ فيها إلى حدٍ كبير.

كان من الطبيعي جداً أن تتصل بالمرأة عاملة التنظيف كي تقول لها إنها تريد التحدث معها. وكانت مهتمة جداً بسماع ما ستقوله تلك المرأة. لكن، من جهةٍ أخرى، قد يكون دافيد على حق، لأن هذا الاتصال قد يكون مخاطرة كبرى.

تناولت رزمةً من الأوراق التي نسختها عن ملفات آينو التي تصفحتها، وعلى الأخص ذلك المقطع الذي أشرت عليه آينو.

عمل جان مونييه مع مصارف وول ستريت، ثم انتقل إلى الصين لترتيب قروضٍ غربية هناك، وهو أسس شركة خدمات مالية في هونغ كونغ، لأسبابٍ ضريبية.

جاء الرأسمال الأولي لهذه الشركة من صديق مونييه القديم، جون فوستر دالاس، وهو الذي عمل مستشاراً لعددٍ كبير من مصارف وول ستريت المهمة، وكُرئيسٍ لمجلس إدارة مؤسسة روكفلر. ثم تولى بعد ذلك منصب وزير الخارجية. بقي مونييه مديناً لدالاس حتى الستينيات.

عاد مونييه من الصين إلى الولايات المتحدة في العام 1936، وما لبث أن خضع لتحقيقٍ أجراه مكتب التحقيقات الاتحادي بتهمة التهرب من دفع الضرائب. أجرى المكتب بعد ذلك بستين تحقيقاً في شركته بسبب شكوكٍ تتعلق بغسل أموال لصالح النازيين، لكن لم يتم توجيه أي إتهاماتٍ رسمية.

تمكّن مونييه أخيراً، وبعد أن أشرف على التقاعد في أعقاب الحرب العالمية الثانية من الاستفادة من صداقاته في الأوساط المالية والسياسية الأميركية، بغض النظر عن وجود تمايزٍ حقيقي بينهما أم لا، وذلك عند انتقاله إلى أوروبا، وبعد مرور أربعين عاماً من العمل المصرفي في الولايات المتحدة.

كانت سنوات تقاعد مونييه مليئة بالحركة والحيوية لأنه في نحو ذلك الوقت بدأت الولايات المتحدة تبذل جهوداً كبيرةً وسريّةً من أجل تحويل أوروبا إلى دولةٍ اتحادية. تورّط مجلس العلاقات الخارجية، على الأخص، في هذه الجهود مدعوماً بأموال مؤسستي روكفلر وفورد. يُضاف إلى ذلك أن مجلس العلاقات الخارجية عمل بتعاونٍ وثيق مع وكالة الاستخبارات المركزية.

أغدقت وكالة الاستخبارات المركزية ملايين الدولارات سراً على مؤسسات تناصر الاندماج الأوروبي، مثل هذا الاندماج في أوائل الخمسينيات من القرن الماضي أكبر عملية قامت بها وكالة الاستخبارات المركزية في غرب أوروبا. يُذكر أن الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع قد نُزعت السرية عنها في أوائل سنوات هذا القرن، لكن أوروبا التزمت الصمت حياله. ولا عجب في ذلك، لأن هذه الوثائق تعتبر مؤسسي الاتحاد الأوروبي الموقرين، وعلى الأخص روبرت شومان وبول - هنري سباك، أفضل قليلاً من مجرد مأمورين لآسيادهم الأميركيين...

رسمت هذه الكلمات صورة عن الاتحاد الأوروبي تختلف كثيراً عن تصورات كاتي السابقة. أيمن أن يكون هذا صحيحاً؟ كانت كاتي وآينو نظران إلى الاتحاد بعين الاحترام والتوقير، أي بكل تواضع، وعلى الطريقة الفنلندية. لكن أي أهمية تُعطى لكيفية انطلاق هذه المنظمة، ذلك أن الأمر المهم الآن هو أن المسؤولين الذي يديرون هذا الاتحاد في هذه الأيام هم أشخاص يتمتعون بالرقعة، ويريدون من صميم قلوبهم خير الشعوب، ويعملون بكل جهدٍ مقابل الأموال التي يحصلون عليها.

لكن الملاحظات التي دوّنتها آينو توحى بأن نظرتها قد تغيّرت، ويبدو أنها تمتلك سبباً وجيهاً لذلك.

وضعت كاتي الأوراق جانباً، ونقرت على خرائط غوغل العنوان في واترلو الذي قالت آينو إنها سوف تقصده. كان هذا المكان مهماً جداً لآينو على ما يبدو، لسبب ما. أدخلت كاتي العنوان في خانة بحث غوغل العادية، لكنها لم تحصل على أي شيء مفيد.

جرّبت بعد ذلك الخرائط الجوية. رأت أبنية واترلو بجميع تفاصيلها الدقيقة، لكن في المكان الذي حدّته آينو فلم تر سوى كتلة رمادية ضبابية.

أدخلت كاتي العنوان في نظام تحديد المواقع في هاتفها، كي تلقي نظرة عن المكان الذي كانت آينو تريد أن تقصده.

امتدت الهضاب المتماوجة في أرياف جنوب شرق إنكلترا، والمغطاة بالضباب، على جانبي خط قطار يوروستار السريع الآتي من بروكسل صبيحة يوم الاثنين.

برى دافيد قلمه الرصاص، وانطلق في حساباته على ورقته المخصّصة لإجراء الحسابات، وهو الذي يستخدم قلم الرصاص حين يتمكن من ذلك. كان برّي الأعلام جزءاً من طقوس التركيز عنده. استقر رأيه بعد ذلك على نوع تجارة المشتقات المالية التي سيجريها، والمتعلقة بمصرف بانكا كريديتو ناسيونالي، وهكذا اكتملت خطته.

تسرّبت إلى ذهن دافيد في هذا الوقت الشكوك التي أعربت عنها كاتي حول وجود رابطٍ بين مقتل باريتو، والمصير الذي لاقته آينو. بدا أن ربط الجريمتين معاً كان من بنات أفكار كاتي، لكن دافيد وعدّ بحلّ المسألة، وهو يعرف من أين يبدأ.

تخلّق حول دافيد رجال أعمال منغمسون بقراءة صحفهم وحواسيبهم في بداية أسبوع العمل هذا. نهض دافيد بشكلٍ عفويّ من مقعده، وتطلّع من حوله مصطحباً حقيبة الكتف، ثم سار نحو حجرة الاتصالات الهاتفية العازلة للصوت.

قال دافيد: "مرحباً يا كيفن. أريد الحصول على بعض المعلومات عن أحد الأشخاص تعودّ أخصائي المعلومات في الشركة التي يعمل فيها دافيد أن يبدأ يومه باكراً. تلقى كيفن بويد علومه باللغة اليونانية، وتعلّم اللاتينية في جامعة كامبريدج، وكان يستطيع العثور على أي معلوماتٍ يُمكن العثور عليها.

"حسناً. أعطيني الاسم"

"إنه رجلٌ بلجيكي يدعى آرنو مايز. إنه مالكٌ سابق، ورئيسٌ تنفيذيٌّ لشركة أمنية في بروكسل تُدعى يوروسيك. تقدّم هذه الشركة خدمات الحراسة لمؤسسات الاتحاد الأوروبي"

" يبدو أن ذلك هو من اختصاص كروول، وسوف أسألهم أولاً، كما أشك أن جايسون سيطلب منا دفع أي شيء. يُحتمل كذلك أنه يعرف جميع العاملين في مجال النقل"

كانت كروول أبرز مؤسسة عالمية في مجال خدمات أمن الشركات وتحليل المخاطر، وهي التي تصل مداخيلها إلى مليار يورو، ويبلغ عدد موظفيها أكثر من ألفي شخص. تعودت المصارف الاستفادة من خدمات كروول في مجال الاستقصاء عن الشركاء والزبائن الجدد المحتملين، بالإضافة إلى خدماتٍ أخرى.

تابع دافيد: "لدي اسم آخر كذلك. إنها امرأة بولندية تدعى ماجدا نويسكي... ن، و، ي، س، ك، ي. تاريخ الولادة 27.4.1954. مكان الولادة وارسو"

"أيمكنني شراء المعلومات إذا لم أعثر على شيء بنفسي؟"

"يمكنك أن تبدأ. قدّم الفاتورة إلى القسم الذي أعمل فيه. سأسأدها في ما بعد"

"كم أنت مستعجل على هذه المعلومات؟"

"حسناً... تنهّد دافيد بشكلٍ يكفي كي يُسمع على الطرف الآخر من الخط.

"سأبدل ما في وسعي"

عاد دافيد إلى مقعده، واستند إلى مسند الرأس ثم أغمض عينيه لحظة. أغرته العربة الهادئة التي تهتز بلطف، بتخصيص بعض الوقت الذي خسره من النوم، لكن دافيد لم يتمكن من ذلك، وقام برفع ظهر مقعده ثم ارتشف مزيداً من القهوة.

مرت أنوار المنازل سريعة بينما كانت السيارة تمضي في طريقها، ولمح دافيد شخصاً وهو ينقل بعض الحقائب إلى صندوق سيارته، وفكّر كم هي بعيدة عنه الحياة اليومية العادية، والتي يرغب بها كثيراً.

تفحص دافيد على شبكة الإنترنت آخر الأخبار الاقتصادية مجدداً، وبدا له أن يوم العمل بدأ متوتراً في إيطاليا. تعيّن عليه إتمام صفحته قبل تسرّب أخبار الوضع المأساوي لمصرف كريديتو ناسيونالي. أما بعد إتمام الصفقة فإن أخبار خسائر المصرف ستكون مرغوباً فيها، بل لا غنى عنها.

رنّ هاتف دافيد في هذه الأثناء، وظهر على الشاشة اسم آرتو.

لامست إطارات طائرة الليرجيت النفاثة مدرج مطار بروكسل بعد أن وصلت من يورك، ثم تقدّمت الطائرة نحو محطة رجال الأعمال في المطار حيث كان رجل مسن، أشيب الشعر، واقفاً مع سائق إلى جانبه عند الواجهات المقابلة للمدرج. حضر فرنسوا ديلفو شخصياً من منزله في واترلو لاصطحاب الزائر المنتظر.

شعر ديلفو بغضب أشد من ذلك الذي شعر به منذ وقتٍ طويل. شهد الرجل في سياق عمله مفوضاً للصناعة، وعضواً فيما بعد في مجالس إدارة مصارف مهمة وشركاتٍ متعددة الجنسيات، كل أنواع الاضطرابات، لكن الوضع الآن اقترب من حافة اليأس. كانت الكارثة التي تعرّض لها بانكا كريديتو ناسيونالي تهدّد اليورو، والجهود التي بذلها في حياته برمتها. لكن المشاكل التي تعرّضت لها منطقة اليورو في العام 2009، والتي غابت عن الأنظار، بدأت تطل برأسها مجدداً، لكنها بدت أخطر بكثير هذه المرة، إلا أنه شعر بارتياحٍ كبيرٍ لأن المساعدات لن تتأخر عن الوصول.

اقتربت طائرة الليرجيت من نقطة التوقف أمام قاعة محطة الركاب. فُتح باب الطائرة، وما لبث درج الطائرة أن برز منها قبل أن يظهر منها مساعد الطيار حاملاً حقيبة سفر. ظهر خلفه المسافر الوحيد، ألبرت سي. غرينفيل، الذي يبلغ السبعين من عمره، حاملاً حقيبة يد، وهو الذي يُعتبر تجسيداً حياً للمؤسسة الأميركية. عمل غرينفيل في مركز الإدارة العامة لمصرف غولدمان ساكس في نيويورك، كما سبق له أن ربّب عملياتٍ دقيقة تشبه العملية التي يقوم بترتيبها الآن. فقد سبق للمجموعة أن ساعدت اليونان في إعادة نوع من التنظيم لميزانيتها خلال تحضيرها لدخول الاتحاد الأوروبي.

لوّح ديلفو بيده نحو غرينفيل، وكان قد التقاه في الستينيات من القرن الماضي عندما كان الرجلان يدرسان في جامعة جورجتاون في واشنطن العاصمة. عمل غرينفيل في السبعينيات في وزارة الخارجية الأميركية، كما كان عضواً ناشطاً في مجلس العلاقات الخارجية. تابع غرينفيل عمله بعد ذلك في غولدمان ساكس.

بدا شعر غرينفيل القصير والحشن أشيب أكثر ممّا كان عليه حين التقيا في المرة الأخيرة في اجتماعات بلديربيرغ، بالرغم من مرور أشهرٍ قليلة فقط على ذلك اللقاء.

قال ديلفو أثناء مصافحته الرجل: "أنا سعيد برؤيتك يا آل. كيف كانت رحلتك؟"

"كنت أعمل طوال الرحلة. أخشى أن تكون الأمور قد بدأت بالتدهور على كل الجبهات. أتت هذه المشكلات المستجدة والمتفاقمة في اليونان في أسوأ توقيتٍ ممكن، وكذلك الكرملين الذي اندفع في سياسة *schadenfreude*. هل من أخبارٍ جديدة من روما؟"

"الوضع أخذ يسوء في كل لحظة، وتتسارع حركة سحب الأرصدّة من المصارف، لذلك يُحتمل أن نضطر إلى تسريع الاجتماعات"

حاول ديلفو المحافظة على ثبات صوته، بالرغم من أن المشروع الأهم في حياته كان معرّضاً للانهيار. أدى خطأ يتميّز بالحرق قبل عشر سنوات إلى عواقب مريعة. ترافق إدخال العملة الموحدة قبل الأوان مع مخاطرة كبيرة: كان الجميع يعلمون أن العملة الموحدة ستكون عملاً مستحيلًا من دون سياسة مالية موحدة، هذا إن لم نذكر أن تلك العملة سوف توحد البلدان التي لديها مستوى إنتاجياتٍ مختلفة. لكن هذه البلدان أغمضت عيونها، وارتاحت على أملٍ وتفاؤل.

ناول مساعد الطيار ديلفو حقيبة السفر إلى السائق الذي تبع غرينفيل إلى سيارة بيتلي تنتظر على رصيف المحطة لإتمام معاملات الوصول. أسرع السيارة مبتعدة عن منطقة المطار، واتجهت نحو الطريق الدائري وواترلو إلى جهة الجنوب.

قال الصوت الميكانيكي لجهاز الملاحة في سيارة كاتي عند وصولها إلى ووترلو: "وصلت إلى مقصدك"

خفقت كاتي من سرعة السيارة عند وصولها إلى طريق ضيقٍ معبّدٍ بالإسفلت يمر عبر بستانٍ من الأشجار. خيّم في السماء في هذا الوقت سحب داكنة، ومنخفضة الارتفاع، منذرةً بهطول المطر، كما ظهر خلف الأشجار جدار حجريٌّ بعلوِّ مترين، ويمتد باستقامةٍ تماثل استقامة السهم، وكانت نباتات معرّشة كثيفة لوها أخضر داكن كانت تغطي بعض أقسام هذا الجدار.

لكن لماذا كانت آينو تأتي إلى هنا؟

رأت كاتي أمامها تقاطعاً إلى يمينها يؤدي إلى بوابة سوداء مغلقة. امتد هذا الجدار ذاته إلى مسافة مئات أخرى من الأمتار وصولاً إلى حدود قطعة الأرض. انعطفت كاتي بالسيارة، إلا أنها فوجئت بشاحنة صغيرة تخرج من البوابة نحو الطريق الذي يبعد حوالي مئة متر عن البوابة. أسرع بالسيارة، ولحت الحديدية الرائعة قبل إقفال البوابة التي تعمل على الكهرباء. تابعت المسير بعد ذلك إلى أن وصلت إلى الطرف الجنوبي لهذه المنطقة المحاطة بالجدار، وما لبثت بعد ذلك أن انعطفت إلى طريق ضيقٍ يتعرج من خلال غابة من أشجار الزان التي تمتد إلى ما بعد الجدار.

ركنت كاتي السيارة إلى جانب الطريق من ناحية الغابة، ثم عادت إلى الطريق وتابعت السير بمحاذاة الجدار حتى وصلت إلى البوابة. لم تلاحظ كاتي وجود لوحة تدل على اسم مالك هذه المنطقة، ولم ترَ حتى صندوق بريد إلى جانب المدخل المخصّص للمشاة والذي يقع إلى جانب بوابة العربات.

انتشرت في الجو رائحة طلاء جديد من مكانٍ ما. لاحظت كاتي أن البوابة المخصّصة للمشاة مشقوقة قليلاً، وأن جزءاً من الورق الذي يستخدمه الدهان ظهر من جانبها. تطلّعت كاتي من حولها ودفعت البوابة لفتحتها بلطف، لكنها لم ترَ أي شخص في الداخل. تناولت هاتفها قاصدةً التقاط بعض الصور. كان المنظر رائعاً وغير واقعي: ظهرت أشكال نباتية خضراء بارتفاع المنزل، ونباتات مزهرة بكل ألوان قوس قزح تقريباً، وظهرت كذلك برك مياه، وأشكال أخرى من الطرق المعبّدة حول جزر مائية ونباتات غريبة. رأت كاتي خشب البقس المعرّشة منحوتة بشكل مخاريط، وأهرام، وأشكال حلزونية وكرات، كما التقطت بعد ذلك صورة لشجرة توليب يبلغ طولها عشرين متراً.

كانت كاتي في طريق العودة من خلال البوابة عندما توقفت فجأة. ما هي الفائدة من التقاط هذه الصور؟ فكّرت في نفسها، لا شيء.

فكرت لبرهة عما يتعين عليها أن تفعل: يمكنها أن تغادر المكان لتندم بعد ذلك لعدم امتلاكها الجرأة الكافية لتستكشف المكان أكثر مما فعلت.

جاءها الجواب بسهولة عندما فكرت في ما عسى أن تفعل آينو في هذه الظروف ذاتها.

مشت كاتي فوق الممر المعبد، وقصدت ألا تتعجل في مشيتها التي توحى بالثقة الكبيرة بالنفس. لم تلحظ أي حركة في الباحة، لكنها بدأت تحضّر لتفسير سبب وجودها هناك. كان المكان أشبه ما يكون بمديقة نباتات، وكانت تضاهي بروعتها أجمل الحدائق، حتى البيوت الزجاجية الملكية في لايبكين.

رأت كاتي نافورة في وسط بركة مياه كبيرة تتسع للمعب كرة مضرب وترتفع عشرة أمتار في الهواء، وكذلك قصرًا تزيّنه الأبراج والشرفات والنوافذ والمشربيات، ولاحظت أن نباتات الكويبة المرشّة تغطي معظم مساحات الجدران. بدت إلى جهة اليمين حلقة دائرية من الإسفلت كُتب في وسطها حرف H مطلي باللون الأصفر. كان من الواضح أن هذا المكان هو مهبط للطائرات الحوامة.

من عاش هنا؟ ولماذا، بحق السماء، كانت تأتي آينو إلى هنا للاجتماع بساكني هذا القصر؟

كانت كاتي تعرف أنها تغامر كثيراً في الدخول إلى ملكية خاصة من دون إذن. سارت حول المبنى الرئيس، وهناك رأت سيارة أوستن مارتن مركونة، شبيهة بالسيارات التي كانت تُستخدم في أفلام جيمس بوند في السبعينيات من القرن الماضي. ظهر في هذا الجانب المظلل من المبنى بابان أكثر تواضعاً من الأبواب الأخرى. اختارت كاتي الباب الذي يقع إلى أقصى اليمين، وهو الذي يقع جزئياً تحت مستوى الأرض، وفي نهاية درجٍ يمتد إلى مسافة قصيرة. بدا أن الباب الجانبى أكثر سهولة لدخول الزوار من المدخل الرئيس المزخرف. أما الدرج الذي يقع إلى جانب الباب فقد كان مليئاً بصناديق بلاستيكية مكدسة بانتظام بالإضافة إلى صندوقي قمامة نظيفين.

سحبت كاتي، وبخذر، المقبض النحاسي من دون لمعان للباب المطلي باللون الأخضر الداكن. لم يكن الباب موصلداً، وقد انفتح بسهولة لأن مفصلاته كانت جيدة التزييت. كان في داخل الممر العريض صناديق بلاستيكية أخرى. أما الأرض فكانت من بلاطٍ حجري قدم بينما كانت الجدران مطلية باللون الرمادي المائل إلى الخضرة.

تبدّد ذلك الشعور الغامض بالتوتر عند كاتي، وأيقنت أن آينو قد قُتلت، وكان هذا هو المكان بالذات حيث كانت تخطّط للحضور إليه عندما حدثت جريمة قتلها. هل كان الأمران مترابطين؟

جفلت كاتي عندما تسرّبت رائحة قوية إلى أنفها، وكانت تلك رائحة الكزبرة، والكمّون، والدجاج المشوي. سمعت كاتي من خلال بابٍ مغلقٍ محطة إذاعة باللغة الفرنسية، وقرقعة أطباق.

لم تتردّد كاتي قبل أن تسير من أمام البابين الآخرين، لكنها شاهدت إلى جهة اليمين فتحةً، وما يشبه الطاولة القديمة، ورأت من خلال تلك الفجوة غرفة فسيحة تشتمل على مائدة طعام طويلة. شعرت كاتي وكأنها دخلت إلى ديسر داتون، وسيطر عليها شعور قوي بأن هذه المنطقة مخصّصة للخدم.

لم تشاهد كاتي أي شخص، ولذلك تابعت السير حتى نهاية الممر، ثم صعدت الدرج ودخلت إلى بهو عالٍ يظهر في نهايته باب يؤدي إلى الخارج. كانت تدرك أنها تخاطر بمجرد دخولها إلى المنزل، لكنها لم تكن خائفة، بل على العكس من ذلك، شعرت بأنها مليئة بالحيوية والفخر لأنها تتصرّف من تلقاء نفسها.

تابعت سيرها بعد ذلك نحو داخل البناء، لكنها ما لبثت أن جفلت فجأةً، وذُهلّت لما رآته أمامها. رأت قاعة ضخمة مؤلفة من ثلاث طبقات، وتشتمل على درجٍ فسيحٍ، وسقفٍ بشكل قبةٍ مطليةٍ بألوان السماء الليلية المليئة بالنجوم.

دخلت بعد ذلك إلى غرفة المكتبة، التي تبدو وكأنها نادٍ خاص لأحد السادة، كما فاحت منها رائحة دخان التبغ، ورائحة لطيفة لعطّرٍ ما بعد الحلاقة. لكن ما إن سارت بين الأرائك العريضة ذات اللون العنبي والمقاعد الوثيرة، حتى بدأت تحدّق باهتمامٍ أكبر إلى الخزائن ذات الواجهات الزجاجية المثبتة على الجدران، ولاحظت أن هذه الخزائن تحتوي على أشياء غير الكتب. توقفت كاتي أمام خزانة من خشب الماهوغاني، ثم حدّقت بدفتر ملاحظات بالٍ يحمل غلافه الحرفين J و M مزخرفين منذ وقتٍ طويلٍ بماء الذهب.

ظهرت إلى جانب هذا الدفتر زجاجةٌ غير مفتوحة من الشراب، لكن الملصق المصفرّ حمل كلمات جان مونييه *J.G. Monnet*.

أدركت كاتي في اللحظة ذاتها هوية ذلك الشخص الغامض، ولاحظت وجود صورة موضوعة داخل إطار، ومعلّقة على الجدار. ظهر داخل هذه الصورة جان مونييه - ذلك المصري الفرنسي الذي أمضى حياته المهنية في أميركا، وهو

ذاته الذي يلقي التبجيل في هذه الأيام على أنه مؤسس الاتحاد الأوروبي - واقفاً إلى جانب جون ف. كينيدي.

تسلّلت كاتي من خلال أبواب مزدوجة وعالية إلى أحد المكاتب. كان سطح طاولة المكتب التي رأتها يماثل مساحة غرفة صغيرة، إلا أن هذا السطح لم يحمل سوى أوراق قليلة. نظرت بعد ذلك إلى الروزنامة الموضوعة فوق الطاولة وجفلت على الفور. كُتِبَ على ورقة ذلك اليوم، آينو جاكولا، الساعة الثامنة.

ورد اسم غرينفيل في خانة الساعة التاسعة. أما في المساء فقد برزت كلمة بيرلايمونت، أي مقر المفوضية الأوروبية. أما موعد الساعة العاشرة في اليوم التالي فكُتِبَ على خاتته شاتو أنطوانيت/ب، س، ن مع عدد قليل من الأسماء. أسرعت كاتي بعد ذلك إلى التقاط صورة للروزنامة.

فتحت كاتي بعد ذلك الباب الزجاجي لإحدى خزائن الكتب وتناولت ملفاً منها. احتوى الملف على رسائل ونسخ عن الرسائل المرسلة والواردة. نظرت إلى إحدى الرسائل، وشعرت بحماسة كبيرة عندما رأت اسم مستلم إحدى الرسائل المؤرخة في 19 تشرين الثاني 2009: رئيس المجلس الأوروبي هيرمان فان رومبوي.

عزيزي هيرمان،

استمعتُ إلى الحديث الذي أدليتَ به خلال مؤتمر الصحافي هذا اليوم. لكنني فوجئتُ باختيارك للكلمات المتعلقة بالبعد العالمي. إن أصدقاءنا في الجهة الأخرى من الأطلسي هم أكثر انفتاحاً في هذا المجال، لكنني أرى أنّ من الأنسب لو أننا، نحن في الاتحاد الأوروبي، نتمكن من تجنّب العبارات الصريحة جداً أمام وسائل الإعلام، وعلى الأخص خلال مفاوضات منظمة التجارة الحرة لدول جاتبي المحيط الأطلسي TAFTA. دع الأعمال تتحدّث عن نفسها.

فرنسوا

أغلقت كاتي الملف وأعادته بسرعة إلى مكانه، وما لبثت أن تراجعت عائدة إلى القاعة، ثم استرعت انتباهها لوحة زيتية معلقة على الجدار. كانت لوحة ملوّنة من رسم بيكاسو.

سألها رجل بصوتٍ خافت: "آينو جاكولا؟"

قفزت كاتي من مكائها، وخفق قلبها بشدة، ثم استدارت لترى رجلاً أشيب الشعر، ذا بشريةٍ تعرّضت لأشعة الشمس، واقفاً في الباب. بدا الرجل بصحةٍ جيدة، ومتمتعاً بالنفوذ والسلطة.

فرنسوا ديلفو.

عمل ديلفو بصفته مفوض الاتحاد الأوروبي للصناعة والمشاريع الرائدة في الثمانينيات من القرن الماضي، وكان عضواً في مجالس الإدارة في عدد من الشركات الكبيرة. تمتع الرجل بنفوذٍ كبير بين كبار رجال الأعمال من الصناعيين البلجيكين والفرنسيين. لكن لماذا أرادت آينو المحييء إلى هذا المكان.

فكرت كاتي للحظةٍ من الزمن قبل أن تجيب: "أجل"

ظهر رجل أصغر سنّاً يشعّ حيوية واقفاً إلى جانب ديلفو، لكن الشاب رمق كاتي بنظرةٍ باردةٍ تنم عن المفاجأة قبل أن يلتفت إلى ديلفو.

"لا مشكلة يا بيار. يمكنك مرافقة غرينفل إلى الطابق الأعلى"

وجّه ديلفو حديثه بالإنجليزية إلى الرجل الثالث، غرينفيل، وكان بإمكان كاتي التعرف عليه حتى من دون سماع اسمه. "سيصطحبك بيار إلى غرفتك المعتادة. سأتبعك بعد قليل"

صعد الرجلان الدرج الدائري والعريض، وهكذا أعاد ديلفو انتباهه إلى كاتي.

"لم تحضري في الصباح، ولمّ لم تعلميني أنك سوف تتأخرين. ألم يكن الهاتف عند المدخل شغلاً كي تتمكن من استقبالك، والترحيب بك؟"

كان صوت ديلفو هادئاً، لكنه بالكاد تمكّن من إخفاء غضبه. لم يحتل الرجل منصباً رسمياً في آليات الاتحاد الأوروبي، لكنه امتلك نفوذاً كبيراً بين تلك الأوساط.

"أنا آسفة. ضغطتُ على الزر عند المدخل، لكن لم يحدث أي شيء، وكانت البوابة مفتوحة..."

حدّق إليها ديلفو بوجهٍ متحهم. "أنتِ لا تكفّين عن إزعاجي برسائلك حتى عندما أبلغتك أنني لا أعرف ما تعنين. لا أعرف إلى أين تريدني الوصول برسائلك هذه"

أومات كاتي قليلاً محاولة إخفاء ترددها حيال ما تستطيع أن تفعله. كانت رؤية ديلفو مفاجأة لها حتى مع علمها بالمستوى الذي يتحرك فيه ديلفو، ونوعية الأشخاص الذين يتعامل معهم.

"سيدة جاكولا. يتعين عليك أن تفهمي أنه توجد بعض الأمور الكبيرة جداً، والمهمة جداً إلى درجة أنها تحجب الأمور الأخرى الأصغر منها. لكن كلما زادت مسؤوليتك في عملك فهمت ذلك بقدر أكبر"

كان ديلفو يتكلم بهدوء وعمق. "أوشك مدير القسم الذي تعملين فيه على التقاعد كما تعرفين. إذا أردت التقدم بطلب شغل مركزه، فإنك سوف تصبحين أول سيدة تتسلم هذا المنصب. يمكنك بعد ذلك نسيان الأمور الصغيرة والتركيز على قضايا السياسات الكبيرة والمهمة"

حدق ديلفو إلى عيني كاتي مباشرة إلى أن اضطرت إلى الإيماء. "سأفكر في الأمر الذي أتى مفاجأة لي"

"أمل مخلصاً أن تتمكني من اتباع الخيار المناسب. وداعاً يا سيدة جاكولا"

مرت ثوانٍ قليلة قبل أن تتمكن كاتي من التحرك. قالت أثناء خروجها من الباب: "وداعاً"

ظهرت سيارة بنتلي بلونٍ عنابيٍّ لماع أمام المنزل، وكانت من النوع الذي نراه في الأفلام السينمائية. مشت عبر الحديقة من دون أن تنظر خلفها. وصلت السيارة إلى بوابة المدخل حيث وقف رجلٌ مسنٌ يرتدي مئزرًا ويحمل فرشاة طلاء.

قال الرجل وهو يفتح البوابة أمامها: "صباح الخير مدام"

أسرعت كاتي الخطى عند وصولها إلى الطريق، ثم تناولت مفاتيح سيارتها من جيبتها، وأيقنت أنها لم تمتلك بعد أي شيء يصلح للعرض على رجال الشرطة ليكون دليلاً على موت آينو.

لكن آينو كانت على حق بقولها إن شيئاً في منتهى الغرابة يجري. حاول ديلفو رشوة آينو كي تصمت تماماً.

وبخ فرنسوا ديلفو مدام لاروس، المسؤولة عن الخدم في المنزل. قال لها بصوت هادئ، لكنه يُخفي غضباً مكتوماً: "هل هذا واضح؟" ثم عاد بعد ذلك إلى قاعة الاستقبال منتظراً نزول غرينفيل.

كان من غير المقبول بتاتاً دخول أي متطفّل من الشارع إلى المنزل. وكان من الضروري كذلك تشغيل جهاز الإنذار بين الغرف إذا لزم الأمر، لكنهم كانوا يعطلّونه عند وجود كل الموظفين في المنزل. ثبت الآن خطأ هذه السياسة، وبالتالي يتعيّن عليهم التحلي عنها.

رتّب ديلفو الأوراق الموجودة على طاولته، وهذا قليلاً من روعه كي يتمكن من التركيز على مسائل أكثر أهمية. ركّز نظره في هذه الأثناء على صورة مونيّه المعلقة على الجدار. تساءل ديلفو عمّا يمكن للرجل أن يفعل في وضع كارثي كهذا. هل يجدر به الدعوة إلى عقد اجتماع لكبار حاملي الأسهم، والتفاوض وراء أبواب مغلقة؟ هذا هو ما يفعلونه الآن.

كان ديلفو يتحمّل المسؤولية عن مشروع كبير بدأه رجال عظام، لكنهم لم يكونوا عظاماً فقط، بل عمالقة. أما هو فقد كرّس كل حياته لهذا المشروع، ولم يكن على استعداد الآن للسماح لأي شيء بتحطيمه.

التقط جان مونيّه الفكرة من بول - هنري سباك في الخمسينيات من القرن الماضي، وهي أن أفضل الطرائق فاعلية لإخفاء الهدف من توحيد أوروبا هو التسرّب بالقول إنه مجهود مشترك لإزالة العوائق أمام التجارة، والسوق المشتركة. ونجحت هذه الطريقة بشكل يفوق كل التوقعات. فكّر ديلفو مبتسماً بأن أكثر الأمور ثورية، فعلاً لا قولاً، في المشروع الأوروبي كله، كان صيغة الحكم التي تتجاوز

القوميات والدول، وهو المشروع الجديد بالكامل الذي لم يُجرّب من قبل، والذي هو أبعد ما يكون عن متناول الناخبين والسياسيين والحكومات القومية. لكن هذا المشروع يحافظ على مظاهر الديمقراطية بطبيعة الحال. أتاح هذا الترتيب للدول القومية والبرلمانات بالبقاء كما هي، ما دامت تخضع للحكومة الجديدة.

أما العملية التي بدأها مونييه منذ ما يزيد على خمسين عاماً، فكانت مقامرةً بطيئةً بحجم هائلٍ لكن من دون وجود ضماناتٍ لنتائجها النهائية.

سأل غرينفيل الذي كان واقفاً في المدخل بلهجته الإنكليزية السائدة في الحوض الشرقي للولايات المتحدة: "فرنسوا. هل كل شيء على ما يرام، ومَن كانت تلك المرأة؟"

جلست كاتي في مركز واترلو داخل واحد من سلسلة مطاعم إيكسكي، حيث طلبت طبقاً من حساء الهليون والجزر ورغيفاً من الموزاريلا، وأنواعاً متعددة من الحنطة. سبق لها أن اشترت من متجر Base القريب بطاقة SIM المدفوعة سلفاً، وهي التي كانت تنتظر على الطاولة إلى جانب طبق الحساء.

اطّلت كاتي بواسطة هاتفها، وأثناء انتظارها تبريد طبق الحساء، على المعلومات المتعلقة بغرينفيل، والموجودة على شبكة الإنترنت. بدا أن الرجل مصرفي أميركي، ويعمل في مجالٍ وسطٍ بين السياسة الخارجية والشركات الكبرى، وهو أمرٌ غير مُستغربٍ في الولايات المتحدة. شارك الرجل، بالتوازي مع عمله المصرفي في غولدمان ساكس في مجلس العلاقات الخارجية الذي يتمتع بنفوذٍ كبير.

رفعت كاتي رأسها. ظهر اسم مجلس العلاقات الخارجية في أوراق آينو الغربية عن تاريخ الاتحاد الأوروبي. لكن آينو لم تجانب الصواب عندما تحرّرت عن هذا الموضوع. كان لهذه المعلومات علاقة وثيقة مع الأحداث الجارية حالياً بالرغم من مضي عقود متعدّدة عليها.

كانت آينو في طريقها للاجتماع بديلفو، وها هو غرينفيل يزور المكان ذاته. لكن لم يكن من المصادفة أن عمل سابقاً مع مجلس العلاقات الخارجية، وورود اسم هذا المجلس في الوثائق التي أعدتها آينو.

أخرجت كاتي النسخ المطبوعة من حقيبة كتبها، ثم تابعت القراءة.
رسم فريق الإعداد في مجلس العلاقات الخارجية في العام 1945 خطة عُرفت
فيما بعد باسم وزير الخارجية الأميركية في ذلك الوقت الجنرال جورج مارشال
وهو أول من قدمها. ساعدت خطة مارشال الدول الأوروبية على إعادة بناء
اقتصاداتها، لكن مع المتطلبات الدقيقة المتعلقة بتحرير التجارة. خدم هذا النظام
مباشرة أهداف الشركات الأميركية ذات التطلعات الدولية بالرغم من أنه أخذ
مظهر الكرم.

أما دافيد روكفلر، وهو مصرفي آخر، فقد كان المدير الثاني لمجلس العلاقات
الخارجية، وكان الترويج لهذا الاقتراح تحت شعار "إنعاش أوروبا" قدّم جون
فoster دالاس اقتراحاً في العام 1947، يجمع ما بين منطقتي الفحم الأوروبية
والفولاذ [الأميركية] لتكونا متراساً في وجه الاتحاد السوفياتي.

كان دالاس هذا مستشاراً موثقاً به لآل روكفلر، كما تسلّم رئاسة مؤسسة
روكفلر. أما في المقابل، فقد كان جان مونييه اليد اليمنى لدالاس، وهو الذي كان
يتعاون معه على مدى سنوات متعدّدة. كان دالاس يساعد مونييه مالياً، لكن مونييه
لم يكن مديناً لدالاس بالفضل فقط، بل كان أيضاً مديناً له مالياً.

توقفت كاتي عن القراءة لتتناول حساءها بينما كانت تفكر في مقتنيات
مونييه الثمينة في قصر ديلفو. عادت بعد ذلك إلى قراءتها بكل شغف.

أما في الولايات المتحدة فقد تعاون عالم الشركات والسياسيون والقطاع
المصرفي على مساندة مشروع توحيد أوروبا. كانت الأداة الرئيسة لهذا التعاون
هي اللجنة الأميركية لأوروبا المتحدة التي تأسست في العام 1948. أما نائب رئيس
هذه اللجنة فكان آلن دالاس، وهو شقيق الشريك الأقرب لمونييه، جون فوستر
دالاس، وهو الذي تسلّم فيما بعد إدارة الاستخبارات المركزية الأميركية.

فهّمت كاتي في هذا الوقت المغزى الرئيس الذي توحيه مذكرات آينو: كان
الاندماج الأوروبي في فترة ما بعد الحرب فكرة يسهل تسويقها بوصفها
مشروع سلام، حتى لو كان الهدف الحقيقي للمشروع هو تعزيز المصالح
الاقتصادية والسياسية. أراد القادة الأساسيون في القطاع المصرفي الأميركي أن

تكون هذه الفكرة هي الشعلة التي يريدون توسيعها، بهدف دعم رؤيتهم لاقتصاد السوق الحرة العالمي، وكذلك بهدف المضي في مواجعتهم المحمومة للشيوعية.

قام بعد ذلك الرئيس التنفيذي لشركة يونيليفر بدعوة مجموعة من كبار رجال الأعمال النافذين من زملائه، وبعض صانعي القرار الآخرين للاجتماع بهدف الترويج للاندماج الأوروبي. برز مجدداً اسم أميركي مألوف آخر وهو دافيد روكفلر. تحدد مكان هذا الاجتماع في أوستريك، هولندا، وفي فندق دي بيلدريغ، وهو الفندق الذي أعطى اسمه لهذه المجموعة.

أوه، لا تقلها. فكّرت كاتي بينها وبين نفسها، وأطلقت صغيراً وهي تنتقل إلى الصفحة الثانية التي اشتملت على محضر اجتماع بيلدريغ في غارميتش - بارتينكيرتشن، الذي عُقد في العام 1955، وهو المحضر الذي كشف عنه موقع ويكيليكس. ركّزت كاتي على الأجزاء التي أشرّت آينو تحتها. بدأت كرة ثلج هذه الفكرة بالتدحرج في الخمسينيات من القرن الماضي نتيجة الجهود التي بذلها الأفراد الذين شاركوا في هذه الاجتماعات، وآخرون ضمن مجالات نفوذهم. وضع المجتمعون الخطوط العريضة النهائية للسوق الأوروبية المشتركة، وهي الخطوط التي ظهرت بوضوح في معاهدة روما التي أبرمت في العام 1957.

تابعت كاتي تناول حساءها أثناء متابعتها القراءة، وما لبثت أن طوت رزمة الأوراق، وأعادتها إلى حقيبتها. لكنها شعرت بضيقٍ متزايد. تساءلت كذلك عن علاقة كل ذلك بمقتل آينو.

تردّدت كاتي لحظة، وما لبثت أن وضعت بطاقة SIM جديدة في هاتفها. انتظرت لحظة أخرى قبل أن تنقر رسالة نصية إلى ماجدا نويسكي:

"أنا مالكة شقة آينو جاكولا، وهي ماتت البارحة. عثرتُ في شقتها على رسالةٍ موجهة لك. إلى أين تريدني مني إرسالها؟"

ترددت كاتي مجدداً، وسيطر عليها شعور حاد بالضيق، لكنها أدركت بعد ذلك أن هذه هي الطريقة الأنسب لمعرفة ماذا حدث لآينو. ضغطت على زر الإرسال، فمضت الرسالة في طريقها.

جلس دافيد إلى طاولة مكتبه في مدينة لندن [سيبي أوف لندن] وانشغل بقلم الرصاص الذي حمله بيده. كان منظر المدينة من الطابق السادس والثلاثين من برج حيرون خلاباً.

شعر دافيد بضغطةٍ نفسيٍ كبيرٍ يُطبق على صدره.

أخذ نفساً عميقاً قبل أن ينقلَ سهم التأشير في شاشة حاسوبه إلى زر إتمام الصفقة. تساءل دافيد عما عساه يحدث لو أنهم عثروا على طريقةٍ ما، بالرغم من كل شيء، لتغطية ديون بانكا كريديتو ناسيونالي؟ ماذا عساه يحدث لو لم تجد التسريبات طريقها إلى وسائل الإعلام؟ سيعني ذلك خسارته فرصة إيفاء مبلغ خمسين مليون يورو وهي قيمة خسائر مسموحات الانبعاثات، بالإضافة إلى الوقوع تحت دينٍ إضافيٍّ بقيمة خمسين مليون يورو.

لم يتوقّر له وقت للتردد. حدّق إلى الشاشات الموجودة على طاولته والتي تعرض أحدث التطورات المالية، لكنه لم ير شيئاً يتعلّق بكريديتو ناسيونالي، لحسن الحظ.

رنّ الهاتف، وكان كيفن على الطرف الآخر من الخط.

لم يكن دافيد يسمح بأن يزعجه أيُّ شيء، وهكذا ضغط على زر إتمام المعاملة. انتهى الأمر، وتقرّر مصيره، ولم يبقَ عليه الآن سوى انتظار وصول أنباء كريديتو ناسيونالي الكارثية إلى وسائل الإعلام.

استمر الهاتف بالرنين. شعر بتوتّرٍ في منطقة بطنه لأن ما فعله لم يكن قابلاً للتراجع. استدار في مقعده وحدّق من خلال النافذة إلى غابة من الأبنية الحجرية، وما لبث أن تناول جرعةً من زجاجة مياه. "مرحباً؟"

" يبدو أن لديك بعض الأصدقاء المهتمين. كيف تعرّفت إلى ماجدا نويسكي؟"
علق تفكير دافيد في هذه الصفقة الضخمة التي أجراها لتوه، لكنه أدرك بأن
صوت كيفن يبدو غريباً بعض الشيء.
"لماذا تقول ذلك؟"

"يشكّ كروول في أن ماجدا نويسكي هو الاسم المستعار الذي تستخدمه
أليشيا زاريبا. تخصصت هذه المرأة في الطب، لكنها عملت لصالح الاستخبارات
البولندية أس. بي بصفقتها اختصاصية، وذلك في ثمانينيات القرن الماضي. قدّمت
المرأة في وقت لاحق خدماتٍ إلى ستايسي، وكى. جي. بي، والفرع السري
لوزارة الداخلية الهنغارية. لكن بعد انهيار الكتلة الشرقية انتقلت للعمل في القطاع
الخاص. لكن لا يوجد دليل فعليّ على أن هذه المرأة هي قاتلة مأجورة على
مستوى عالٍ، بل إن ذلك هو مجرد افتراضات. أُوقفت المرأة لفترة قصيرة في لندن
في العام 2003 لعلاقتها بمحادث سيارة أسفر عن مقتل رجل أعمال روسي، ولم
توجّه إليها اتهامات رسمية. لكن إذا طلبتَ منها موعداً فلربما تقبل بذلك"
جمّد دافيد في مكانه حاملاً سماعة الهاتف القريبة من أذنه، ولم يتأكّد من
فهمه ما يجري بطريقة صحيحة.

"هل قلتَ "قاتلة مأجورة"؟"

"سمعتَ ما قلّته لك تماماً"

شعر دافيد وكأن أنفاسه قد توقّفت. مرّ في ذهنه الحديث الذي تبادلته مع
كاتي في الليلة الماضية.

تابع كيفن بنبرة توحى بثقة متزايدة بالنفس: "أما هذا المدعو آرنو ماينز...
فقد عمل لصالح الحزب الاشتراكي البلجيكي بصفته سائقاً، ومديراً للعقارات وما
أشبه ذلك. كان الرجل شاهداً في قضية مقتل آندريه كولز في العام 1991. هل
علمتَ بتلك الدعوى؟"

"كلا"

"يمكنك أن تبحث عنها في شبكة الإنترنت، وهي تبدو مثل فيلم جريمة
سينمائيّ حقيقيّ. كان كولز وزيراً سابقاً في الحكومة، لكنه قُتل في لياج. كشفت

التحقيقات في قضية مقتله فضيحة فسادٍ كبيرة، وهي التي أشارت بأصابعها إلى ويلي كلايس، الأمين العام لمنظمة حلف الناتو، الأمر الذي أدى فيما بعد إلى استقالته وإدانته بقبض رشاوى. أما المدعو أرنو مايز فقد كان شاهداً في قضايا عدة مرتبطة بها. فتح الرجل بعد ذلك متحراً لبيع المسدسات والبنادق في لسيج، لكنه ما لبث أن نقله إلى مكانٍ آخر"

تناول دافيد ورقةً مربعةً صغيرةً من جيبه، وبدأ بتدوين ملاحظاتٍ بقلمه. "توجّه مايز بعد ذلك للعمل على تأسيس شركة أمنية جديدة، وما لبث أن اشتراها. استمرت الشركة بالتوسّع، ويرجع الفضل في ذلك إلى عقودٍ مع الاتحاد الأوروبي. يقول كرول إنَّ يوروسيك تتعامل مع أمورٍ لا ترغب وزارة الأمن التابعة للاتحاد الأوروبي بالتعامل معها لإبقاء أيديها نظيفة. أما عندما قامت الشرطة البلجيكية بتفتيش منزل بطريقة غير مشروعةٍ لمراسل شتيرن هانز - مارتن تيلاك، بغية كشف المصدر الذي استند إليه في أوساط الاتحاد الأوروبي، فقد سرت شائعات تقول إن رجال يوروسيك سبقوا رجال الشرطة بتركيب أجهزة تنصّت في شقة تيلاك، وغير ذلك من الإجراءات"

"هل يعني ذلك أنه إذا شكّ شخصٌ ما في أن أحد مسؤولي الاتحاد الأوروبي يوشك على تسريب أخبارٍ حساسة، فإن رجال شركة مايز سيحاولون إيقافه؟"

[@ktabpdf](#) تليجرام

"هذا ما يبدو عليه الأمر"

"شكراً لك يا كيفن. أنت كنتَ معلوماً"

فرك دافيد جبهته، وحاول أن يتذكر ما قالته له كاتي في اليوم السابق، ثم بدأت الأمور تتوضّح أكثر فأكثر. لكن ذلك يعني بأن كاتي هي الآن في خطرٍ كبير.

نقر دافيد رقم كاتي في هاتفه. رنّ الهاتف، لكن لم يردّ عليه أحد. نقر دافيد أكثر على سطح الطاولة مع زيادة القلق الذي شعر به. تسارع في ذهنه هذا السؤال: هل كان هناك رابطٌ ما بين جرمي قتل آينو وباريتو، وهل لهما علاقة بالمعلومات السيئة التي استخدمها دافيد في صفقة مسموحات الانبعاثات؟

استمر الهاتف بالرنين، لكن شخصاً ما طرق على باب دافيد الزجاجي غير الشفاف. وضع السماعة في مكانها قبل أن يدخل زميله الإيطالي أندريا فياشي إلى المكتب.

استمر هاتف كاتي بالرنين من دون أن يرد أحد. أَيْحتمل بأنها تستحم في مثل هذا الوقت، أو ربما خرجت في نزهة. سيطر دافيد على قلقه وأبعد هاتفه عنه.

قال له أندريا: "ماذا تفعل هنا يا دافيد؟"

"إنني أعمل هنا، ألا تذكر؟"

"ألا يُفترض أن تكون في الخارج ليومٍ آخر على الأقل؟"

"أتيتُ لإنهاء بعض المسائل الملحة"

حدّق أندريا إلى دافيد متشككاً. "ماذا يجري؟ ألم تسافر إلى صقلية في عطلة

نهاية الأسبوع؟"

قال دافيد بهدوء بعد أن اقترب من أندريا: "أريد أخذ رأيك بأمرٍ ما، لكن

يجب أن يبقى الأمر بيني وبينك فقط. هل فهمت؟"

أوماً أندريا.

روى دافيد ما اكتشفه من أخبار الاضطراب الذي يحيط بكريديتو ناسيونالي،

لكنه فعل ذلك بشكلٍ عام، ومن دون أن يذكر أسماء المصارف أو الأشخاص.

قال أندريا: "تنتهج المافيا في هذه الأيام أسلوب التسلّل والذوبان، وهي

تسعى لجني أرباحٍ أكبر، أي مثل ما تفعل المصارف. إنها توظف رجالها في

المصارف ومراكز البورصة حيث يسيطر الانحطاط الأخلاقي على الجميع، وهكذا

تجني المافيا أرباحاً خيالية نتيجة التلاعب بأسعار الفائدة"

هذه الكلمات التي خرجت من فم زميله ذكّرت دافيد بالسبب الذي يدفعه

إلى الخروج من هذه الورطة التي علقَ فيها، وتذكّر أنه انزلق بالتدريج إلى هذا

العالم الفاسد، ومن دون ضجيج. تعرّض دافيد إلى ضغطٍ شديدٍ يدفعه للاستفادة

من التلاعب بالأسهم مثل الآخرين. كانت تلك هي القشة الأخيرة التي يتمسك

بها لإنقاذه، وهي اللحظة التي اتخذ فيها قراره النهائي بالمغادرة.

أما في ربيع العام 2012 فقد أقدم غريغ سميث، وهو رئيس غولدمان ساكس، على إيقاع العالم في حالة من الارتباك والفوضى، عندما قدّم رسالة استقالة مفتوحة نشرها في صحيفة نيويورك تايمز، وهي الرسالة التي كشف فيها الفساد الأخلاقي التام الذي وقع فيه القطاع المصرفي. اعتقد دافيد في ذلك الوقت أن الصورة التي رسمها سميث لهذا القطاع قد بالغت في صرامتها.

لكن روبرت، وهو أحد زملاء دافيد ووسيط ناجح جداً في البورصة فقد أسرّ إلى دافيد بأنه تبرع بمعظم أرباحه للجمعيات الخيرية. أضاف هذا الزميل أن فعل الخير كان الدافع الأساسي في عمله، أي أنه كلما زادت أرباحه تمكّن من مساعدة الناس الأقل حظاً منه في الحياة.

تأثر دافيد كثيراً إلى درجة أنه كاد يذرف الدمع، وهو الذي فكّر لأول مرة، خلال المصاعب التي مرّ بها في الأيام الماضية، في أعماله وتصرفاته، وتأمّل في ما تعلّمه من زاوية أوسع. يُحتمل أن يتمكّن من تقديم قدر أكبر من أعمال الخير نتيجة العمل الذي يقوم به. وقد أدرك كذلك أن أندريا هو شخص متعاطف مع الآخرين.

أنصت دافيد إلى أندريا بانتباه أكبر.

"أسفر الطمع الذي أصاب القطاع المصرفي عن تكوين أرض خصبة للأنشطة الإجرامية. يعني ذلك أن المافيا لن تتأخر في استغلال الفرصة. ينطبق الأمر ذاته على مؤسسات الاتحاد الأوروبي. أغمضت هذه المؤسسات أعينها عن الطرائق التي تستخدمها الجريمة المنظّمة لاستغلال أنظمتها، وهو الأمر الذي يفتح المجال أمامها لتكرار هذا الاستغلال. إن أموال الصندوق الهيكلي الممنوحة تجرّد طريقها إلى أعمال الاحتيال والغش. كان أصحاب الأكشاك والقوادون في الأيام الماضية مضطرين لدفع قسم من مداخيلهم إلى المافيا. لكن في هذه الأيام يقوم كل دافع ضرائب بدفع قسم من أمواله إلى المافيا من خلال الاتحاد الأوروبي"

شعر دافيد بقشعريرة تحتاح جسمه بعد سماعه كلمات أندريا. كان يعرف أن رينختر والكرملين يمتلكان أهدافهما الخاصة، لكن هل كان هذا هو السبب الذي يدفع المافيا إلى التورط في ما يجري لمصرف كريديتو ناسيونالي من خلال لورنزو؟

تسلّمت المافيا مئات ملايين الدولارات على شكل مساعداتٍ من الاتحاد الأوروبي. هل تجري الآن عملية أكبر من هذه؟ كان الوصول المباشر إلى أموال دافعي الضرائب الأوروبيين حلاً لكل مجرم.

يعني ذلك أنه لم يعد من العجب أن يُقدم أحدهم على قتل آينو إذا ما كشفت شيئاً كهذا.

لكن دافيد يسير الآن على الخطى ذاتها، وهكذا كان مصير آينو هو المصير ذاته الذي ينتظره، وكذلك الأمر بالنسبة إلى كاتي.

حدّقت ماجدا نويسكي برسالتها النصية. أنا مالكة شقة آينو جاكولا، وهي ماتت البارحة. عثرتُ في شقتها على رسالة موجهةٍ لك. إلى أين تريدني ميني إرسالها؟

حاولت ماجدا مقارنة رقم المرسل مع الأسماء الواردة في ملف المعلومات، ولم تحصل على التفاصيل التي تريدها. لكن ذلك لا يدل على شيء في حد ذاته، إلا أنها امتلكت سبباً آخر يدفعها إلى المضي في حذرهما.

لكن عدم التصرف له محاذيره بدوره، وإلا ستصل الرسالة إلى الأيدي غير المناسبة.

لكن ماجدا ردّت بعد فترة تفكيرٍ قصيرة: "يا للهول. أنا في طريقي إلى الوسط. يمكنك إيصال الرسالة إلى مقهى كريمي القريب من محطة مترو الأنفاق؟ شكراً لك"

وقف سيرجيو موريللي في غرفة المعيشة تحت العوارض الخشبية القديمة للسقف ثم جال بنظره. ظهر منظر الريف البلجيكي من خلال النافذة. لاحظ أن منزل دافيد كوبر قد خضع للترميم بشكل جيد.

صرخ فيتو زاركا من الغرفة الأخرى: "لا أثر هنا كذلك"

شتم موريللي بينه وبين نفسه. هل أحسّ كوبر وذلك الرجل الكونغولي بأههما ملاحقان؟ تعلق ذلك إلى حدّ كبير بما سيحدث عليه هذا الخبير المالي الإنكليزي في حاسوب لورنزو كاسانو.

يُحتمل أن يكون قد حصل على تلك المعلومات بالضغط. تمكّن نيكو من استعادة الملفات المحذوفة، وهي التي لم يكن من المفترض إطلاقاً أن تدخل الحاسوب، وهي مواد تتعلق بعملية سرية ضخمة جارية الآن.

أما المشكلة الخطيرة الآن فهي ما ينوي كوبر فعله بهذه المعلومات، وما إذا كان يفهم طبيعتها بالفعل. يستطيع الخبير المالي المحنك معرفة أشياء كثيرة إذا ما كان يعرف ما يبحث عنه. كان ذلك هو السبب الذي جعل مفوض المافيا الصقليّة يقوم بالدعوة إلى اجتماع طارئ، وإلى إرسال الرجل الأفضل لديه، أي موريللي ذاته، لملاحقة كوبر. أرادت المافيا التحدث معه بأي ثمن كان. لكن مهارات فيتو زاركا سوف تكون مفيدة في هذا المجال. استدعى موريللي كذلك رجالاً عدة يتعاونون معه ويعيشون في بلجيكا.

لكن موريللي كان قلقاً من أمر واحد: كاتي، زوجة كوبر الفنلندية، والتي تعمل مع خوليو باريتو. هل قال باريتو شيئاً ما لزوجة كوبر، وهل هي المعلومات التي كانت سبب سرقة الحاسوب؟

تناول موريللي من حقيبته كاميرا فيديو بحجم علبة الكبريت، ومجهزة بمجسّ حركة، وكذلك بجهاز "بيو"، الذي ييثر المعلومات مباشرة إلى هاتف موريللي الذكي.

سأل زاركا: "ماذا سنفعل الآن؟"

"إذا كان آل كوبر محتبئين فلا يمكننا أن نفعل شيئاً غير إغرائهم بالخروج من جحرهم. اجث عن أقربائهم وأين يوجدون، مثل الشقيقات، والأشقاء، والأهل. هؤلاء يستطيعون مساعدتنا"

وقفت كاتي وراء شجيرات كثيفة لتراقب مهى كريمي في الجهة المقابلة من الشارع حيث سلّمت الرسالة التي تحمل عنوان ماجدا نويسكي قبل قليل. حاولت كاتي البقاء بعيداً عن الأنظار قدر الإمكان، وهو الأمر الذي لم يكن صعباً لأن بلايس دومون في ستوكيل كان مزدحماً. كانت هناك أشجار وشجيرات في إحدى جهات الباحة أما في الجهة الأخرى فكانت هناك سوق مفتوحة.

كان الوقت المتفق عليه يقترب شيئاً فشيئاً، لكن كاتي لم تجرؤ على النظر إلى هاتفها، بالرغم من أنها ترغب بذلك، وهي التي قرأت مزيداً عن ديلفو بعد عودتها من واترلو، وعلمت أنه شخصية بارزة في الاتحاد الأوروبي.

رنّ هاتف كاتي في هذه الأثناء، وكان دافيد على الطرف الآخر من الخط.

سمعت صوت دافيد الغاضب: "لماذا لم تردّي قبل الآن"

ردّت كاتي بسرعة: "كان عليّ التأكد من شيء حول آينو. كانت في طريقها إلى قصر ديلفو. كان ديلفو رجلاً بارزاً في الاتحاد الأوروبي، ومفضلاً سابقاً فيه، كما أنه يشارك في مجالس إدارة أكبر شركة للكهرباء في فرنسا، وفي أكبر مصرف في بلجيكا، وربما في مجالس أخرى. يُعتبر ديلفو أحد الأعضاء الرئيسيين في اجتماعات يلدبرغ، ويشارك في المفوضيّة الثلاثية. إنه يعرف معظم المسؤولين المهمّين في واشنطن، وعلى الأخص أولئك العاملون في الشؤون الخارجية. كان غرينفيل هو المسؤول في غولدمان ساكس في القصر الذي توجهت إليه هذا الصباح..."

"ما هذه الحماقة التي أسمعها؟ هل فقدت صوابك تماماً؟ ألم أقل لك ألاّ

تقادري الفندق!"

"كان هناك بابٌ مفتوحٌ للمنزل، وكانت روزنامته مفتوحة على طاولته. ورد في خانة الساعة العاشرة ليوم غدٍ ما يلي: "فندق شاتو أنطوانيت، بانكا كريديتو ناسيونالي، وأسماء قليلة أخرى"

فوجئ دافيد وسألها: "بانكا كريديتو ناسيونالي؟"
"أجريت بحثاً عنه في شبكة الإنترنت. إنه مصرف إيطالي يُسمى بانكا كريديتو ناسيونالي، كما ورد اسم لومباردي في الروزنامة، وهو اسم رئيس المصرف...
سُمع في تلك اللحظة بالذات صوت زعيق فرامل آتياً من الجهة اليمنى من الباحة بالإضافة إلى الصراخ.

التفتت كاتي نحو الصوت، كادت إحدى السيارات أن تدهس أحد المارة الذي كان يعبر الشارع، والذي كان يسرع للحاق بعربة قطار، وهو الأمر الذي تسبب بغضب سائقي السيارات الذين اضطروا للتوقف. لاحظت كاتي كذلك أن امرأةً بشعرٍ أحمر تتقدم من مسافة خمسين متراً تقريباً نحو المقهى بخطواتٍ وثيقة. كانت هي المرأة ذاتها التي رآها كاتي في شقة آينو.

"ما هي الأسماء الأخرى إلى جانب بانكا كريديتو ناسيونالي ولومباردي؟"
بدا صوت دافيد قليلاً.

قالت كاتي بشرود: "لومباردي، غوسينز، غرينفيل. أنا مضطرة لإنهاء المكالمة الآن. سأتصل بك قريباً"

أهت كاتي المكالمة، ووضعت هاتفها في وضعية الاهتزاز، ثم نظرت مجدداً إلى صورة بطاقة هوية ماجدا نويسكي. لم يكن هناك من شك حول هويتها، لكنها قالت في رسالتها النصية إنها ستأتي بمترو الأنفاق، لكنها لم تفعل.

راقبت كاتي تقدّم نويسكي نحو المقهى ومرورها أمام بلانيت بيرفيوم، وأحد فروع المصارف، وصيدلية. لاحظت كاتي أن رجلاً نحيلاً أشقر الشعر، وفي الأربعينات من عمره حاملاً معه حقيبة ظهر، وهو يشق طريقه وراء المرأة البولندية بين جموع المارة.

دخلت نويسكي إلى المقهى، لكن الرجل الذي كان يتبعها تابع طريقه. سار الرجل بين السيارات، وأسرع في مشيته نحو الأشجار والشجيرات التي كانت

كاتي تختبئ وراءها. كانت هناك لوحة إعلانات اختبأ وراءها الرجل من أعين المارة، وما لبث أن بدأ البحث في حقيقته.

تسلّمت كاتي رسالة نصّية عبر هاتفها. جفلت كاتي بعد أن رأت الرجل وهو يتناول شيئاً بدا وكأنه سلاح من حقيقته.

أجل، كان ذلك سلاحاً مزوداً بماسورة سميكة. كان ذلك كاتم صوت. شعرت كاتي بما يشبه الوخز في منطقة بطنها عندما أدركت بأن الرجل كان يلاحق نويسكي. إذا ماتت نويسكي فإن الرابط الوحيد ما بين جريمتي قتل آينو وباريتو سوف يضيع.

تناولت كاتي هاتفها، وبحثت عن الرقم المحفوظ تحت اسم "عاملة التنظيف"، ثم ضغطت على زرّ الاتصال.

أجابه صوت نسائي حذر وسط الضوضاء السائدة في المقهى: "مرحباً" قالت كاتي قبل أن تنهي المكالمة: "هناك رجل يقف بانتظارك يحمل مسدساً في الباحة المقابلة للمقهى

فتح باب المقهى في تلك اللحظة بالذات، وما لبث أن خرج منه زوجان مستأن بينما سارت وراءهما ماجدا نويسكي للاحتماء بهما.

غير الرجل المسلّح مكانه قليلاً، وبدأت نويسكي بالركض، وبدأت في غاية الإجهاد. أطلق الرجل النار، لكن الرصاصة أصابت الجدار بالقرب من رأسها. جفلت نويسكي وكادت تسقط على الأرض، لكنها استعادت توازنها بسرعة وتابعت ركضها. دسّ الرجل سلاحه في حقيبة كتفه متابعاً مطاردته.

تذكرت كاتي فجأة بأنها اتصلت من هاتفها الخاص، وهو الأمر الذي قد يعرّضها للخطر، أي أن نويسكي لن يصعب عليها الآن التوصل إلى تحديد هويتها.

بدأت كاتي الركض وراء مطلق النار وحاولت إبقاء أنظارها على شعره الأشقر، لكن سرعان ما رأت عند المنعطف زوجين يدفعان عربة أطفال، بينما لنحت المرأة باحثة عن شيء ما في الحقيبة الشبكية للعربة. اصطدمت كاتي بالمرأة وترنّحت نحو عربة الأطفال بشكلٍ دائري.

رفعت كاتي رأسها فاكتشفت أنها فقدت أثر مطلق النار، وأسرعت للاعتذار للزوجين، ثم عادت أدراجها وسارت إلى حيث أنت وهي تشعر بالإحباط. عادت كاتي إلى سيارتها التي كانت مركونة في شارع فرعي بالقرب من الباحة. كانت تتنفس بصعوبة عندما ارتمت فوق مقعدها، ثم فتحت الرسائل النصية في هاتفها كي تقرأ الرسالة التي أرسلها دافيد قبل دقائق قليلة. "تلقيت التأكيد لتوي. يُحتمل أن تكون المرأة قاتلة مأجورة. لا تتصلي بها!" رفعت كاتي خصلة الشعر التي كانت ملتصقةً بجبهتها، ثم شغلت سيارتها الغولف، وأسرعت بها نحو الفندق. اتصل بها دافيد وهي تقود السيارة. "ماذا تعرف عن نويسكي؟"

"يُحتمل أنها كانت تعمل لصالح الشرطة السرية البولندية، والتي يتمكن الكي. جي. بي، وستايسي من استئجار خدماتها بين وقتٍ وآخر. هل تفهمين؟ إن جريمة قتل آينو هي مسألة تمه الشرطة، أي أننا يجب أن نبتعد عنها. يُضاف إلى ذلك أن ماضي آرنو مايز يبدو سيئاً لنا، أي كما توقعت. يقول كروول إن الشكوك بالفساد حامت حول توسع شركته بمساعدة من العقود التي أبرمها مع الاتحاد الأوروبي، لكن التحقيقات توقفت بهذا الشأن. امتلك مايز علاقات جيدة جداً مع مجموعة من السياسيين الاشتراكيين البلجيكين..." شعرت كاتي أن سحابةً خيَّمت على ذهنها للحظة.

"مرحباً. هل لا تزالين معي؟"

"بأي قطار ستأتي؟"

"إنني في طريقي إلى سان بانكراس. سيصل القطار إلى ميدي عند 2:20. هل حدث شيء ما؟ يبدو صوتك غريباً"

"سنتحدث عند وصولك. سألاقيك إلى المحطة"

وضعت كاتي هاتفها على المقعد الفارغ بجوارها، وحاولت جمع شتات أفكارها.

حصلت نويسكي على رقمها. كانت تلك حقيقة. يعني ذلك أن ملاحقة نويسكي لها هي مسألة وقت، هذا إذا لم يكن مطلق النار قد أقدم على تصفيتيها أولاً.

تمسكت كاتي بعجلة القيادة بشدة، مرتعبةً نتيجة تفكيرها بالخطر المحدق بها، وكذلك بدافيد، نتيجة استهتارها.

حاولت ماجدا نويسكي تهدئة أنفاسها وجمع شتات أفكارها بعد أن حاول أحدهم قتلها. لم يكن هناك أدنى شك في ذلك، لأن شخصاً ما يعتقد أنها تعرف أكثر من اللازم.

كانت التغطية المزدوجة طريقةً تُستخدم في أوساط القتل المأجور، وهي ليست بالطريقة الجديدة بالنسبة إلى ماجدا نويسكي: يتعين على القاتل الأول أن يعرف تفاصيل الجريمة الأولى، لكن يجب الحفاظ على السرية، لذلك يقوم القاتل الثاني بتصفية القاتل الأول من دون أن يعرف أي شيء عن الجريمة الأولى.

تطلّعت نويسكي خلفها نحو رصيف شارع الإنكليز الذي يعجّ بالناس، فلم ترَ أي شيء يثير الريبة. لكن ذلك لا يعني شيئاً، أي أنها ليست بأمان حتى بالقدر الأدنى. استمرت أبواق السيارات بالزعيق من دون توقف وملأت الأجواء، وكان موكباً لحفل زفاف عروسين من منطقة الشرق الأوسط يتقدّم في الشارع.

حاولت نويسكي تقييم الوضع. أتت تلك المكالمات التحذيرية من صديقة آينو جاكولا التي يبدأ رقمها بـ 066-، وهو الرقم ذاته الذي تكرّر ظهوره في هاتف جاكولا في الشقة. لكن صاحبة هذا الهاتف هي كاتي كوبر. كيف عرفت المرأة بأن نويسكي واقعة في خطر داهم؟

لكن، يتعين ربط كل شيء بالرسالة. أحسّت نويسكي أن مالكة المنزل لا تمتلك هذه الرسالة. حاولت كوبر ملاحقتها قرب المقهى، وهي حاولت متابعة ملاحقتها بالفعل، وإلا لم تتمكن من رؤية القاتل الثاني وتحذيرها منه في الدقيقة الأخيرة.

التفتت نويسكي خلفها مجدّداً، لكنها لم ترَ أثراً لمطلق النار.

رفع جينس دي بونت شعره الأشقر وراء أذنه، وركّز نظره على المرأة البولندية التي كانت تتفحص الشارع.

تعيّن على دي بونت أن يبقى متيقظاً لما يدور خلفه. أقدم أحدهم على تحذير المرأة البولندية عندما كانت في المقهى. كان ذلك واضحاً بما يكفي، وهو الأمر الذي جعله في غاية الحذر. لكن من أُنذرها، وأين كان هو؟ استخدمت المرأة درعاً بشرية عند خروجها. هل رآها أحد ما؟

فكر دي بونت أن شيئاً غامضاً قد حدث من دون أن يفهمه تماماً. وُلد دي بونت في كايب تاون، جنوب أفريقيا، قبل ثمانية وثلاثين عاماً لأسرة هولندية، ومرّت معه أشياء كثيرة في حياته، لكن ما حدث اليوم كان أول فشل مهني له. بالرغم من أن نسبة نجاحه بلغت 100 بالمئة حتى الآن، إلا أن ذلك لا يعني أنه كان قادراً دائماً على القضاء على أهدافه من المحاولة الأولى. لكن لم يسبق أبداً أن تمكّن أحد الأشخاص من التنبّه إلى الخطر المحدق به.

تبع دي بونت المرأة البولندية من دون أن يلاحظه أحد، لكنه لم يعرف السبب الذي يدفع أي شخص إلى التخلص من هذه المرأة، كما أنه لم يرغب أن يعرف، لكنه فهم من سلوك زبونه الذي طلب تنفيذ المهمة، ومن حجم الأجر، أن التخلص منها كان أمراً في غاية الأهمية.

لم يجد دي بونت صعوبة في إبقاء المرأة التي كانت في الستينات من عمرها تحت أنظاره، لأنها كانت تتحرك ببطء. يعني ذلك أن بإمكانه أن يقتلها في أي لحظة، لكن الوضع تغيّر الآن. كان عليه معرفة ما حدث أمام المقهى.

جلس دافيد في مطعم بريت - آي - مانجر الواقع في محطة يوروستار في سان بانكراس، وانشغل بتناول شطيرة دجاج مع الأفوكادو مثلثة الشكل. تابع في هذا الوقت مزيداً من المعلومات على شبكة الإنترنت مباشرة حول فرنسوا ديلفو الذي تحدّث عنه كاتي.

لكن ما تحدّثت عنه كاتي حول برنامج العمل المدوّن على روزنامته كان في منتهى الأهمية: فندق شاتو أنطوانيت، كريدتو ناسيونالي، لومباردي، غوسينز، وغرينفيل... كان ذلك على ما يبدو اجتماعاً بين قيادات غولدمان ساكس، والمجموعة الأوروبية في الاتحاد الأوروبي، وكريدتو ناسيونالي. لكن لماذا؟ هل كانوا يعدون العدة لخطة تعويم المصرف في اللحظة الأخيرة؟

كان ذلك يعني قلبَ الاستثمار الذي أجراه دافيد في ذلك الصباح، رأساً على عقب، وزيادة خسائره زيادة رهيبية، أي بكلماتٍ أخرى نهايته.

شرب دافيد جرعاتٍ عدّة من زجاجة المياه، وقرأ ما عثر عليه من معلومات. ينتمي ديلفو، وكما قالت كاتي بالضبط، إلى مجموعة صغيرة تتمتع بنفوذٍ قوي، وهي التي تعمل صلةً وصلٍ بين مؤسسات الاتحاد الأوروبي ونخبة رجال الأعمال. عمل ديلفو في تسعينيات القرن الماضي، وبصفته مفوضاً للاتحاد الأوروبي على تشكيل الحياة الاقتصادية للاتحاد بحسب رغباته، وهو يشارك الآن في مجالس إدارة عددٍ من الشركات الكبرى متعدّدة الجنسيات، كما يحضر اجتماعات بلدبيرغ بصفته مستشاراً لمصرف غولدمان ساكس.

قرأ دافيد مندهشاً عن التعاون القائم ما بين مفوضية الاتحاد الأوروبي ونخبة رجال الأعمال، وهو التعاون الذي رسّخه مفوض الشؤون الصناعية إتيان

دافينغون في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي. لكن دافينغون استمر في استغلال نفوذه من وراء الستار في الاتحاد الأوروبي، وحتى بعد انتقاله من المفوضية إلى مجالس إدارات أكبر المصارف والشركات متعددة الجنسيات في الاتحاد الأوروبي. احتفظ الرجل كذلك بعلاقات وثيقة مع الولايات المتحدة، واضطلع بدور ريادي في قيادة مجموعة بلدبيرغ، وفي المفوضية الثلاثية. فرك دافيد عينيه وهو يقرأ أن دافينغون كان صديقاً لهنري كيسينجر، وشارك في مجلس إدارة الشركة الاستشارية التي يمتلكها كيسينجر، وفي مؤسسة ديتشلي، وهي إحدى المنظمات الأخرى التي تروج للعلاقات بين دول الأطلسي.

حيّمت فكرة مشؤومة على ذهن دافيد، وسرعان ما أجرى مزيداً من الأبحاث عن بيتر د. سثرلاند، وهو رجل إيرلندي عمل فوضاً للاتحاد الأوروبي ورئيساً لغولدمان ساكس، وبريتيش بتروليوم في الوقت ذاته، كما شارك في مجموعة بلدبيرغ، والمفوضية الثلاثية، والطاولة الأوروبية المستديرة للصناعيين التابعة لدافيد روكفلر، وهي التي شاركه في تأسيسها زميله إتيان دافينغون.

استوقفت دافيد معلومة تتحدث بشكل خاص عن سثرلاند: تسلّم سثرلاند ذاته ميدالية روبرت شومان تقديراً لجهوده في سياق الاندماج الأوروبي، وجائزة دافيد روكفلر تقديراً لعمله المميز في المفوضية الثلاثية، وهي الجائزة التي تعزّز مصالح نخبة رجال الأعمال الأميركيين.

تناول دافيد ما تبقى من شطيرته، ومسح أصابعه بمنديلٍ ورقي، ثم تابع البحث الذي بدأه. تحدّثت المعلومات عن مفوض الاتحاد الأوروبي كاريل فان مايرت الذي عمل لاحقاً مستشاراً لغولدمان ساكس، وشغل مناصب تنفيذية واستشارية عدة لعددٍ من الشركات الأوروبية والأميركية.

أدرك دافيد أمراً، وبشكلٍ مفاجئ، جعله يجفل في مكانه. أدّى كلٌّ من ديلفو، ودافينغون، وسثرلاند، وفان مايرت أدواراً مهمة في تكوين الاتحاد الأوروبي كما هو في هذه الأيام. لكن كم عدد مواطني الاتحاد الأوروبي الذين يعرفون هذه الأسماء، فضلاً عن معرفة خلفياتهم أو أهدافهم؟

أدرك دافيد أن هؤلاء، وبصفتهم أوروبيين، قد تخلّوا عن سلطاتهم على قارة
بأكملها لصالح مجموعة غير معروفة وغير مُنتخبة من الرجال الذين حولوا أوروبا،
المكوّنة من دول وشعوب، إلى سوق تعمل بحسب قواعد الصناعة والثروة. يُضاف
إلى ذلك أن الناخبين والمواطنين قد تخلّوا عن سلطاتهم لصالح نواب جاؤوا من عالم
الصناعة والمصارف.

بدأ دافيد قراءة البحث الغريب عن جان مونييه، والأيام الأولى للدعم الذي
قدّمته الولايات المتحدة لفكرة الاندماج الأوروبي، وهو البحث الذي عملت
آينو على تجميع معلوماته من زاوية جديدة.

تساءل دافيد وزملاؤه عن بعض هذه الأمور من قبل، كما لاحظوا أن
المصارف الأميركية، وعلى الأخص غولدمان ساكس، تمتلك نفوذاً غامراً في
قاعات اجتماعات المفوضية الأوروبية، والمصرف المركزي الأوروبي.

أغلق دافيد حاسوبه، ثم أسرع الخطى نحو نقطة التفتيش الأمنية في محطة يورو
ستار بروكسل، لكنه قلق كثيراً لمعرفة أن مصرف غولدمان ساكس سيشارك في
اجتماع كريديتو ناسيونالي في اليوم التالي.

اشتهر ذلك المصرف الأميركي الضخم، والذي عُرف عنه استخدام وسائل
فاعلة، بأنه ساعد اليونان على تعديل حساباتها بواسطة المشتقات المالية، كي
تتمكّن من تلبية معايير الاتحاد الأوروبي. هل يرغب غولدمان في استخدام نوع
من أنواع الخزعبلات الحسابية مجدداً من أجل تعويم كريديتو ناسيونالي؟ لكن أمراً
كهذا يمكن أن يخرب الخطة التي وضعها دافيد.

لكن من المستبعد أن يتمكن المصرف من ذلك. إذا أراد غولدمان إنقاذ
المصرف الإيطالي فلا يكفي أن يقوم بتقوية أرقام ميزانيته، لكن المصرف يحتاج إلى
السيولة كذلك، وإلى قدر كبير منها. يعود هذا إلى نظام الاحتياط الكسري
fractional reserve system [الاحتفاظ بسيولة تشكّل نسبة معينة من ودائع
الزبائن] الذي كان يُسمح للمصارف باستخدامه. يبدو كذلك أن أحداً لا يكثرث
بأن هذا النظام يستند إلى المبدأ ذاته الذي تستند عليه الرسائل المتسلسلة، والخطط
الهرمية.

وقف دافيد في الصف ثم تناول هاتفه وتفحص عناوين الأخبار في هاتفه الخليوي. لم تكن هناك كلمة واحدة تتحدث عن القنبلة التي يخبئها كريديتو ناسيونالي.

التقط دافيد حقائقه من الحزام الدوّار ثم سار نحو قاعة الانتظار. لكن ما إن بدأ بالتقدم صعوداً في المنحدر العريض المؤدي إلى القاعة مع بقية المسافرين، حتى أجرى اتصالاً بمارتن رينختر.

وقف مارتن في ممرّ فندق فيلا غولاند في بروكسل، وحدّق بدهشة إلى شاشة هاتفه التي كانت تسجّل ورود مكالمة من الشخص ذاته الذي اتصل في اليوم السابق في روما. ردّ على المكالمة بعد فترة تردّد.

قال الرجل المتصل: "الرجل الميت يتكلم"

تعرف مارتن إلى الصوت، لكنه تظاهر بأنه لم يفهم: "ماذا قلت؟"

"تبدو مندهشاً. هل ادعى صديقك الشاب أنه نجح في مهمته القاتلة؟ كلا.

إنني حيٌّ يُرزق. أمتلك كذلك معلوماتٍ تمكّ عن كريديتو ناسيونالي"

شعر مارتن بالرعب والغضب. أدار ظهره إلى عاملة تنظيف الغرفة وهي تدفع عربتها، وما لبث أن أغلق هاتفه مصدوماً. تذكر مارتن كلمات فلوريان التي سمعها في روما، وهو الذي طالب بإسكات هذا الرجل الذي يعرف أكثر من اللازم عن خطته. كان فلوريان رجلاً مخبولاً ومتعصباً.

لم يكن باستطاعته الاعتراف بأي شيءٍ للآخرين تحت أي ظرفٍ كان.

قال مارتن في سماعه الهاتف: "لم أفهم. لا أعرف عن أيّ صديقٍ تتكلم. أريد

أن أقول لك إنني لا أوافق على العنف. سأقطع المكالمة الآن"

"هل تعلم أنه سوف يُعقد اجتماعٌ في بروكسل غداً ما بين كريديتو

ناسيونالي، ومسؤولين كبار في الاتحاد الأوروبي، وممثلين عن غولدمان ساكس؟"

قرّب مارتن الهاتف إلى أذنه: "ماذا تعني؟"

وقف دافيد بالقرب من عربة يوروستار واضعاً الهاتف على أذنه. بقيت دقيقتان على موعد المغادرة بينما كان الركاب يُبرزون تذاكرهم للموظفين الواقفين بالقرب من الأبواب.

كان هناك أمرٌ ما في نبرة ريجنر جعلت دافيد يعتقد أن ذلك الرجل الألماني لم يعرف أي شيء عن محاولة القتل. يُحتمل أن يكون ذلك الشاب قد تصرف من تلقاء نفسه، كما تعيّن على دافيد الوثوق بجدسه، لكنه كان يحتاج إلى مساعدة ريجنر.

سأل دافيد: "أعتقد أن هذا ممكن، أي أنه باستطاعة يورو غروب [المجموعة الأوروبية] إنقاذ كريديتو ناسيونالي عن طريق تحويل الأرقام بطريقة ما؟"
"إن تحويل الأرقام على الورق لن يساعد بشيء. يحتاج المصرف إلى قدر هائل من السيولة النقدية. أُصيبت وسائط الإعلام الاجتماعية الإيطالية بالهستيريا، كما أن الناس يسحبون أرصدهم. أنا في بروكسل الآن. ماذا تعرف عن قيادات كريديتو ناسيونالي الذين سيحضرون إلى هنا"

"لماذا يتعيّن عليّ الإجابة على سؤال كهذا؟"
"لأننا نمتلك هدفاً مشتركاً. يبدو أنك وضعت نفسك في المأزق ذاته الذي يمرّ به كريديتو ناسيونالي، لأنك قلقٌ جداً حول الوضع. يتعيّن علينا أن نلتقي لنرى ماذا بإمكاننا أن نفعل"

"كيف لي أن أعرف أن الاجتماع بك لن يتسبّب مجدداً بوجود شخصٍ يحاول قتلي؟"

صمت ريجنر على الطرف الآخر من الخط.

"أعدك بذلك؟"

"آسف للقول بأن وعدك وحده لا يكفي"

"لا داعي للقلق لأن زميلي الشاب لن يعلم باجتماعنا"

"من هو؟"

سيطر الصمت مجدداً على الطرف الآخر من الخط.

بدأ دافيد بالسير نحو عربات القطار: "أجبّ على سؤالِي"

"فلوريان، وهو أحد معارف صديقتي"

"مَن هو فلوريان؟"

"فلوريان زيغلر. يمكنك أن تتأكد من أنني لن أترك له حرية التصرف في هذه القضية. أيمكنك الوصول إلى الوسط بالقرب من غراند بلايس عند الساعة الثالثة؟"

"كلا، اجعل الموعد عند الثالثة والنصف. لكن إياك أن تبدأ بتهديدي بفلوريان. لا أريده أن يعلم أي شيء عني"

"أريد تأجيل الاستغناء عن خدماته إلى وقتٍ لاحق"

أبلغ دافيد ريختر بأن أحد المقاهي الذي يكون مزدحماً في العادة يُعتبر الأكثر أماناً بالنسبة إليه. أبرز دافيد تذكّره لموظف القطار، وأسرع بالوثوب إلى العربة. بدأ هاتفه يرن في اللحظة التي استرخى فيها على مقعده. كانت هذه المكالمات من رقم مجهول لديه. لم يكن يرغب في الرد في البداية، أي كما كانت الحال في مراتٍ عدّةٍ أخرى، لكن يُحتمل أن يكون ريختر قد اتصل به مجدداً.
"مرحباً"

سأل صوتاً بالإنكليزية، لكن بلكنة فرنسية: "هل أتحدث مع دافيد كوبر؟"

فكّر دافيد للحظة قبل أن يجيب: "أجل"

"أنا المفتش مارك بوفيه من وحدة جرائم العنف في شرطة بروكسل. حاولنا مراتٍ عدّة الاتصال بك"

"أنا لا أجيّب عادةً على أرقام لا أعرفها"

"يُحتمل أن تكون على علمٍ بأن مسؤولاً رفيعاً في الاتحاد الأوروبي، شوهد حياً للمرة الأخيرة في منزلك، قد وُجد مقتولاً في منزله منذ مدةٍ قريبة. أيمكنك أن تأتي من أجل..."

"آسف. أقوم حالياً بجولة عمل. سأغيب لأيامٍ قليلة بعد"

"أين أنت الآن؟ الأمر في غاية الأهمية..."

"أنا آسف، لا أستطيع سماعك. دعنا نتحدث عند عودتي إلى بروكسل"

أنهى دافيد المكالمات، لكنّ دقائق قلبه تسارعت بشكلٍ مقلق.

دخل مارتن إلى أحد أجنحة الفندق الذي ينزل فيه.

قالت إيريكما من خلال باب الحمام المشقوق قليلاً: "سأخرج بعد قليل"

وضع مارتن هاتفه على الطاولة، ثم نظر إلى المرأة التي تعكس صورة المرأة التي تركّز على تزيين نفسها. بدت إيريكما أكثر تألقاً وجمالاً من أي وقت مضى، وأكثر شباباً وانتعاشاً، وبدت مثل شخص يؤمن عن قناعة بأنه يُمكن للعالم أن يكون أفضل. انتقل مارتن بأفكاره نحو فلوريان، وأحسّ بضيقٍ مجدداً. كان الرجل قاتلاً محترفاً، وبإمكانه أن يشكّل خطراً عليه وعلى إيريكما.

تذكّر مارتن صورة إيريكما وفلوريان في قاعة المسافرين في مطار روما. ماذا يحدث لو أن إيريكما وفلوريان يتعاونان معاً؟ ماذا يحدث لو أنهما اتفقا على قتل هذا الرجل الغريب؟ لكن هذه الفكرة دفعت مارتن إلى الارتعاش. تعيّن عليه توضيح هذا الأمر الآن، وهو يعرف كيف.

لاحظ مارتن عنوان صحيفة نيويورك تايمز الموضوعة على الطاولة، وما لبث أن جفل في مكانه. تناول الصحيفة ثم قرأ النص بعناية:

"يزداد قلق الأوروبيين من علاقات اليمين المتطرف الوثيقة مع روسيا، وتراوحت التخمينات حول دوافع الكرملين بين محاولة إلحاق بعض الضرر بالاتحاد الأوروبي ومحاولة تفكيكه. توصل مركز الدراسات الاستراتيجية الأوروبية - الآسيوية في تحليلاته إلى أن هدف روسيا هو في دفع اليمين المتطرف إلى مراكز السلطة في أوروبا، وكذلك تأسيس برلمانٍ أوروبيٍّ مناصرٍ لروسيا وصولاً إلى هدفه الأخير وهو تفكيك الاتحاد الأوروبي، وذلك بدءاً من ربط دول الكتلة الشرقية مع الاتحاد الأوروبي - الآسيوي الذي أنشئ حديثاً..."

سألت إيريكما ما إن خرجت من الحمام: "مع مَنْ كنتَ تتحدث الآن؟" أسرع مارتن إلى وضع الصحيفة على الطاولة: "أنا؟ أتعنين عندما كنتُ في ممرّ الفندق؟"

"أجل. كنتُ أمشي إلى جانبك، لكنك كنتَ منشغلاً بمكالماتك الهاتفية" توقفت إيريكما أمامه ووضعت يديها على كتفيه. كانت في غاية الجمال في وقتها هذه. "هل كنتَ تتكلم مع شابة مغرية من طالباتك؟"

أرادت إيريكّا مداعبة مارتن بكلماتها هذه، لكن نظراتها كانت حادة مثل حد السكين.

"كنتُ أتحدّث مع الرجل الذي زارني في روما"

أنزلت إيريكّا يديّها على الفور: "ماذا يريد؟"

شعر مارتن بارتياح عندما راقب ملامح وجه إيريكّا. لم يلاحظ أبداً أن إيريكّا قد فوجئت لوجود الرجل على قيد الحياة. يعني ذلك أن شكوكه كانت في غير محلها، وأن فلوريان قد تصرّف من تلقاء نفسه.

"يملك الرجل بعض المعلومات المدهشة. سألتقيه عند الساعة الثالثة والنصف في مقهى أوسولاي بالقرب من غراند بلايس

تساءل مارتن وهو يتفوّه بهذه الكلمات ما إذا كان كشف هذه المعلومات أمام إيريكّا هو أمرٌ حكيم. لكن الأوان قد فات الآن على هذه التساؤلات. كان على وشك أن يخبرها كذلك عن محاولة فلوريان قتل ذلك الرجل، وعن قراره باستبعاد فلوريان عن المجموعة، لكنه قرّر الانتظار في اللحظة الأخيرة. كان من الأفضل أن يلتقي ذلك الرجل الغامض، وأن يسمع قوله قبل اتخاذ أي قرارات.

قالت إيريكّا: "لا تنسَ أن لديك مقابلة مع وول ستريت جورنال عند

الخامسة"

"سيكون لدينا وقتٌ كافٍ لتلك المقابلة. لكن يتعين علينا إبقاء هذا الاجتماع سرّاً بيننا نحن الاثنين"

"سيقوم فلوريان بمعالجة قضية التسميات المتعلقة بمصرف كريديتو ناسيونالي قبل موعد مقابلتك"

"كلا. يتعيّن عليّ الذهاب إلى ذلك الاجتماع أولاً. يُحتمل أن يظهر شيء جديد نتيجه. أريدك أن تحتلّقي عذراً لفلوريان عن السبب الذي يدفعنا إلى تأجيل العملية"

أومأت إيريكّا بهدوء.

توجّه مارتن إلى أحد الحواسيب الموجودة في قاعة رجال الأعمال التابعة للفندق، وفتح قناة للرسائل المشفرة على شبكة تور التي تستخدمها الاستخبارات

السرية الروسية. أرسل مارتن تقريراً إلى بافل عن وضع بانكا كريدتو ناسيونالي، وكذلك عن باقي أوضاع القطاع المصرفي الإيطالي. قرّر مارتن بعد أن فكّر قليلاً عدم إخبار بافل عن اتصال الرجل الإنكليزي به. لم يكن مارتن مستعداً للسماح لأي شيء بتعريض المكافأة التي سوف يحصل عليها بعد العملية للخطر، إلا إذا كان أمراً لا مفر منه، وبحسب ما تتطلبه الأوضاع.

مكتبة الرمحي أحمد

دفعت كاتي المظروف الذي يحتوي على الأوراق التي نسختها آينو فوق الملابس المكدسة في حقيبة سفرها. جلست على الحقيبة وسحبت الزمامة. أدركت كاتي أنها تبالغ قليلاً، لكن الواقع يدل على أن الأشخاص المتورطين في هذه العملية مستعدون للقتل، وعلى الأخص الآن بعد أن عرفوا هويتها. رفعت كاتي حقيبتها، وخرجت من غرفة الفندق إلى المرء ذي الإضاءة الضعيفة. نزلت الدرج متوجهة نحو مكتب الاستقبال، وقالت إنها تريد أن تدفع فاتورتها. "لكنّ لديك حجزاً لمدة ثلاثة أيام..."

قالت كاتي وهي تضع بطاقتها الائتمانية على المكتب: "أنا مضطرة للمغادرة باكراً" خرجت من الفندق متوجهة نحو سيارتها، وقادتها نحو موقف السيارات الذي يقع تحت الأرض في محطة ميدي، ثم صعدت إلى الطابق الذي يحتوي على محلات ومطاعم المأكولات السريعة. بقيت عشرين دقيقة قبل وصول القطار الذي يقلّ دافيد.

اشترت كاتي علبة جاهزة من شرائح المعكرونة، وخرجت للجلوس في زاوية هادئة. أخرجت حاسوبها المحمول ودخلت إلى شبكة الإنترنت، وأدركت أنها تعرف شخصين آخرين يُمكن أن تلاحقهما الشرطة غير المرأة البولندية: آرنو مايز وفرنسوا ديلفو. بدأت الأدلة في هذا الوقت تتجمّع.

شكّل مايز قضيةً مثيرةً للإهتمام الشديد، استناداً إلى مراسلات آينو، والمعلومات التي جمعها دافيد. عمل الرجل قبل دخوله عالم الأمن سائقاً للحزب الاشتراكي في والونيا، وهو الإقليم البلجيكي الفرنسي. يبدو كذلك بأنه استُدعي بهذه الصفة ليدلي بشهادته في المحاكمة المتعلقة بالفساد والجريمة التي هزّت الحزب.

بجث كاتي في موقع غوغل عن معلومات إضافية عن الرئيس السابق للحزب الاشتراكي في والونيا، وعن الوزير في الحكومة المحلية آنديريه كولز الذي قُتل في لياج في العام 1991. يبدو أن كولز كان يتوقع أن تندفق الرشاوى على خزانات الحزب، لكنه بعد أن لاحظ أن بعض الأشخاص في الحزب كانوا يضعون المال في جيوبهم، عمد إلى تهديدهم بنقل القضية إلى القضاء. لكن الرجل قُتل قبل أن يتمكن من كشف معلوماته.

أخذ التحقيق في جريمة القتل هذه منحىً جديداً، بعد أن كشف تحقيق منفصل أُجري في وقتٍ لاحقٍ في قضية سرقة السندات المالية في مطار بروكسل، أدلةً جديدةً عن تلك القضية. أما المساعد الإيطالي للرجل الذي حلَّ محل كولز في الحزب الاشتراكي، آلان فان دير بايست، فقد ضُبط وهو يقبض قيمة بعض السندات المالية المسروقة من المطار، من أحد مصارف ليشتنشتين. برزت ادعاءات، بالترافق مع هذه الاعتقالات، بأن ذلك المساعد كان يتصرف بناءً على تعليماتٍ من فان دير بايست، وهكذا ارتبط اسمه بجريمة قتل كولز.

أنكر فان دير بايست هذه الاتهامات، وأشار إلى المخالفات الجارية في الإدارة المالية في الفروع المحلية للحزب. بدأت السلطات في هذا الوقت بمراقبة التمويل الذي يتلقاه الحزب مراقبةً أكثر حزمًا، وهو الأمر الذي كشف أنه قبل سنوات عدة أقدمت الشركة الإيطالية الصانعة للطائرات الحوامة أوغستا على رشوة مسؤولين عدة، وذلك بهدف تأكيد حصولها على مناقصة لتسليم ست وأربعين طائرة حوامة مقاتلة للجيش البلجيكي. وافق الحزب الاشتراكي على تلقي هذه الرشوة من أجل تجميع الأموال اللازمة لأنشطته.

أما الأمين العام لحلف الأطلسي في ذلك الوقت، ويلي كلايس، والذي كان وزيراً في الحكومة البلجيكية عند إبرام صفقة الطائرات الحوامة، فقد أُدين بتسليم رشاوى، وأُجبر على الاستقالة. أما فان دير بايست فقد انتحر قبل أشهرٍ قبل محاكمته، لكن مساعده الشخصي حين كان وزيراً فقد حُكم بثلاثين سنة سجنًا بسبب دوره في تلك الجريمة.

استرعى انتباه كاتي أحد التفاصيل الواردة في قضية كولز:

تورط عدد من الإيطاليين في جريمة القتل بالإضافة إلى المافيا التي تمتلك حضوراً معروفاً هناك لأسباب تاريخية. انتقلت أعداد كبيرة من العمال القاطنين في جنوب صقلية إلى منطقة لياج للعمل في صناعات الفحم والفولاذ في الخمسينيات من القرن الماضي، أي عندما كانت إيطاليا تعاني من نسبة بطالة مرتفعة. ما زالت لياج تُعرف حتى الآن بـ"اليرمو البلجيكية".

أغلقت كاتي حاسوبها المحمول وهرعت إلى قاعة الانتظار حيث كان ركاب اليوروستار ينزلون من منصة التوقف. لمحت دافيد بعد ذلك في أعلى الدرج المتحرك، وكان الإجهاد بادياً على وجهه الشاحب. تعانق الزوجان، وتوجّها نحو المصاعد المؤدية إلى طابق مواقف السيارات. روت كاتي ما تعرفه عمّا حدث مع ماجدا نويسكي.

قال دافيد بعفوية ظاهرة ما إن دخلا المصعد، وبعد أن انضمّ إليهما اثنان من المواطنين اللذين انشغلا بمحادثة: "لا يمكن أن تكوني جادة. ألا تعلمين أن تطفلك في الأمر كاد أن يقتلك..."

قالت كاتي محاولةً منها المحافظة على هدوئها: "يُحتمل أن تكون هذه هي أنسب لحظة على الإطلاق لتتحرك. إننا نملك دليلاً قاطعاً يمكننا تقديمه إلى الشرطة. كانت عاملة التنظيف التي استخدمتها آينو قاتلة مأجورة. امتلكت آينو معلومات عن آرنو ماييز، وهو الذي بعث إليها رسائل تهديد، وكذلك أسرع إلى شقتها بعد أن لقيت مصرعها. يُمكن للشرطة أن تُكمل انطلاقةً من هذه النقطة" خرج الزوجان من المصعد.

قال دافيد أثناء سيرهما جنباً إلى جنب نحو السيارة: "ماييز مجرد عميل مأجور، والمسؤولية تشير نحو المسؤولين الأكبر". يبدو أن الأمر هكذا، على الأقل لأن آينو كانت في طريقها للاجتماع بفرنسوا ديلفو

زوّدته كاتي بتفاصيل أكثر عن زيارتها إلى قصر ديلفو، وعن حضور غرينفيل إلى هناك، فأصغى دافيد بدهشة. بدأت كاتي قيادة السيارة، لكن هاتفها بدأ يرن. توقفت عند إشارة مرورٍ حمراء وأجابت.

سمعتُ صوتاً أنثوياً: "أنا ماجدا نويسكي

سيطرت على كاتي موجة من الخوف.

"أريد أن ألتقيك. أيمكنك أن تأتي إلى سوق موريل للأنتيكا في غضون ساعة من الزمن؟ عند زاوية الباحة، وبالقرب من قصر العدل، يوجد مقهى رصيف. سأراك هناك"

بقيت كاتي صامتة للحظة من الزمن، لكن أفكارها بقيت تتسارع. إذا لم تذهب إلى هناك فإن المرأة قد تختفي. لكن أي مخاطرة هناك إذا ما ذهبت؟ "لا تخافي. لن يكون هناك أي خطر عليك. أريد فقط أن أسألك عما حدث في المقهى في ستوكيل"

"حسناً. لا مانع عندي إن كان بإمكانك أن أسألك شيئاً بدوري"

"سيكون لدينا وقت طويل للحديث"

قُطع الخط فجأةً، وتسارعت دقات قلب كاتي، بينما كانت تسرع بالسيارة بعيداً عن إشارة المرور.

"كانت هذه نويسكي، المرأة البولندية. اتفقتنا على أن نلتقي

"هل جنت؟"

"لا أعرف، لكنني لست غبية. لا أريدك أن تظن أنني طفلة صغيرة لأنني

أعرف ماذا أفعل. أتمنى أن تعرف أنت ماذا تفعل"

بدا أن دافيد يجهد للمحافظة على هدوئه: "إنها امرأة قاتلة. ستقتلك لأنك

تعرفين من تكون"

"إنها ليست غبية بدورها، وإلا لما بقيت على قيد الحياة. إنها تعرف أن قتلي

لن يساعد بشيء، وهي تعرف أنني ربّبت أموري"

"هل ربّبت أمورك بالفعل؟"

"سأرسل رسالة إلى آرنو مايز من دون ذكر اسمي

نفخ دافيد الهواء من خلال شفّتيه، وجهد كي لا يفقد أعصابه. "شكراً لك

لأنك أخبرتني!"

تقدّم المسؤول في الشرطة السرية المفتش مارك بوفيه نحو برلايمونت، ذلك المبني الشاهق الذي يضم المقر الرئيس للمفوضية الأوروبية، ورفع عينيه نحو أعلام الاتحاد الزرّق التي ترفرف متناغمة مع تُسَيّمات الهواء التي تتغلغل بين الأبنية.

امتلك بوفيه طوال حياته موقفاً إيجابياً من الاندماج الأوروبي، وأدّى جدّه دوراً مهماً في المقاومة، وأخبره قصصاً متعدّدة عن الحرب. كان جدّه يرى أن الابتعاد عن فكرة الدول المستقلة في هذه القارة هو أمرٌ ضروري لمنع تكرار وقوع كارثة مثل الحرب النووية الثانية. كانت تلك هي الفكرة الأساس من إنشاء الاتحاد الأوروبي: الحماية المتأتمية عن توحيد شعوب القارة ضد التطرف القومي.

لكن عندما شكك مارك بإمكانية وقوع حرب جديدة في أوروبا الغربية أثناء الاحتجاجات التي قام بها الشباب في فترة الثمانينيات من القرن الماضي، لاحظ جدّه أن الهدف من توحيد دول القارة لم يعد منع وقوع الحرب، بل تأسيس اتحاد اقتصادي قوي. كان من الواجب تعزيز زخم التوحيد أكثر فأكثر.

لكن عظام جدّه كانت لتتحرك في قبره لو علّم بالتحديات التي يواجهها الاتحاد الأوروبي في هذه الأيام: تم احتواء أزمة اليورو لكن بشكل مؤقت، كما أن الاحتكاك بين الشمال والجنوب سوف يحدث مجدداً في المرة التالية التي يُطلب فيها من دافعي الضرائب في الشمال تقديم أموال أكثر.

حافظ بوفيه، بالرغم من كل ذلك، على مبادئ جدّه. كانت هناك أشياء لا تُقاس باليورو، وكانت القيم الأوروبية الأساسية هي أبرز مثال على ذلك. يُضاف إلى ذلك أن عدداً كبيراً من الأوكرانيين العاديين كانوا مستعدين للتضحية بأرواحهم في مظاهرات الاحتجاج التي تدعو إلى ضم أوكرانيا إلى الاتحاد الأوروبي.

دخل بوفيه الردهة الرئيسة في مبنى برلايمونت، وأبرز بطاقة هويته للحراس، ثم توجه نحو المصعد. خرج من المصعد بعد وصوله إلى الطابق السادس، ومشى نحو المر. وفرت النوافذ منظرًا رائعاً لباحة شومان. قاده أحد المساعدين إلى مكتب كبير يشغله جان لاگران، وهو مساعد المدير العام للشؤون الاقتصادية والمالية في المفوضية الأوروبية. نهض لاگران من مقعده الجلدي ذي اللون الأسود وتقدم لاستقبال بوفيه، وقد شعَّ وجهه الأسمر بالحيوية. كانت ساعة ثمينة تزين معصمه، كما زينت عنقه ربطة عنق بشكل قوس، وبلونٍ رصاصيٍّ فاتح.

تبادل الرجلان كلماتٍ قليلةً عن الطقس، وبدا لاگران رجلاً متعاطفاً ومرحاً.

قرَّر بوفيه مراعاة برنامج عمل لاگران، وإثارة الموضوع مباشرة.

قال بوفيه: "جوليو باريتو..."

قال لاگران وقد ظهرت نظرة أسفٍ في عينيه: "أجل، ياله من حادثٍ فظيعٍ ومؤسفٍ لا نجد له تفسيراً على الإطلاق. هل ظهرت أي معلوماتٍ عن الجناة؟"

"هل تعلم أنه كان متورطاً بعملية فساد؟"

برزت ملامح عدم التصديق على وجه لاگران.

"هل كنتَ تعلم أنه كان يتلقَى رشى؟"

"لا أصدِّق هذا... بالطبع لم أكن أعلم"

"هل كانت لديك أيُّ شكٍّ بهذا الخصوص؟"

"أبداً، على الإطلاق. لكن لماذا تسألني عن هذا الموضوع بالذات؟ لم يكن

باريتو واحداً من المرؤوسين الذين يعملون تحت إشرافي"

"لم يكن من مرؤوسيك المباشرين، لكننا أجرينا مقابلةً مع رئيسه المباشر في

مكتب الصندوق الهيكلي. أنت تشغل منصب نائب المدير العام لمديرية الشؤون

الاقتصادية والمالية. سأطلب منك مساعدتي على التوصل إلى فهمٍ أوسع عن طبيعة

الجهات التي يُمكن أن تهتم بالحصول على معلومات عن باريتو، وكيف أنه كان

يعمل من وراء الستار

استدار لاگران عائداً إلى مقعده: "ماذا تعني؟"

"سأتحدث الآن عن أمور حسّاسة. يعرف الجميع أن قسماً كبيراً من الهبات التي يقدمها الصندوق الهيكلي تُجد طريقها إلى جيوب المافيا الإيطالية. يُحتمل أن يكون هناك آخرون في الصندوق الهيكلي متورّطين في الفساد. هذا هو السبب الذي يدفعني إلى عدم تصديق التصريحات التي يعطونها"

"إننا نبذل في المفوضية أقصى جهودنا للتأكد من أن الدول الأعضاء تَهتم بأمور المراقبة المالية. أما عندما يصل الأمر إلى أنشطة الاتحاد ذاته، فإن كل الشكوك المتعلّقة بالمخالفات يجري إحالتها إلى المكتب الأوروبي لمكافحة الاحتيال. لكن حالات سوء الاستخدام المحتملة لهبات الاتحاد الأوروبي هي من شأن الشرطة المحلية في كل دولة عضو في الاتحاد، أي أننا لا نستطيع، نحن في بروكسل، التدخل في هذا الشأن. لا أعتقد أنني أستطيع مساعدتك بأي طريقة كانت أيها المفتش. إنني بالفعل لا أعرف باريتو شخصياً، ولذلك لا يمكنني إصدار تخمينات عن دوافعه ووسائله"

"ألم يكن باستطاعته الوصول إلى أي معلومات مهمة حول استراتيجية الاتحاد الاقتصادية؟"

"لا، على الإطلاق وتحت أي ظرفٍ كان. لم يصل إلى هذا المستوى قط. لكن هل تفترض أن مقتل له علاقة بعمله، وباحتمال وقوع عملية الفساد التي ذكرتها؟ سكت بوفيه قليلاً قبل إعطاء رده.

"هل تعرف امرأةً فنلنديةً تدعى كاتي كوبر، وهي إحدى الموظفات اللواتي يعملن تحت إشراف باريتو في الصندوق الهيكلي؟"

"أجل. عملت المرأة سابقاً في القسم الذي أشرف عليه، وكنتُ حاضراً في الحفلة التي أقامتها في منزلها يوم السبت الفائت"

"فشلنا في العثور عليها. ألدريك أي فكرة توحى بأن السيدة كوبر يُمكن أن تكون متورّطة في عملية الفساد التي تورّط فيها باريتو؟"

هزّ لاغران رأسه مندهشاً: "قطعاً لا. تعتبر مدام كوبر موظفة مخلصّة ذات ضميرٍ حي"

لم يذكر بوفيه أن زوج السيدة كوبر ظهر في شريط كاميرات المراقبة عند تسلّله إلى منزل باريتو ليلة وقوع الجريمة.

اقترب دافيد من بلاس دو جي دي بال الواقع في حي مارول في بروكسل، وهو الحي الذي يتجمّع فيه عشرات من بائعي سوق البرغوث [سوق شعبي] الذين يعرضون سلعاً قديمة ومُستعملة. وبالإضافة إلى بائعي الأشياء القديمة [الأنتيكا]، الذين عملوا منذ وقتٍ طويل في هذه المنطقة، توجد صالات العرض، والفنانون الذين يبحثون عن مساحاتٍ أقل كلفة في هذه المنطقة المتواضعة، وذلك على مدى السنوات القليلة الماضية.

حدّق دافيد إلى المرأة الستينية الجالسة على إحدى طاولات مقهى الرصيف، الذي هو أقرب إلى قصر العدل. كانت هذه المرأة هي الشخص الوحيد الذي يمكنه مساعدته في تحديد ما إذا كان ديلفو يخطّط لشيءٍ ما من وراء كريديتو ناسيونالي.

ارتدت المرأة البولندية ثياباً انتقتها بدقّة، وكان شعرها الأحمر مرفوعاً إلى الخلف على شكل كعكةٍ كثيفة. كان وجه المرأة يشعّ بالذكاء والحيوية التي تميّز سكان المدن، وهو الأمر الذي جعل دافيد يتساءل بعفوية عمّا دفعها لأن تصبح مجرد دمية في ماكينة رجال الشرطة السرية التي تميّز بالعنف. يُحتمل أن كونها طبيبةً شابةً ساعدها على أن تؤمن بقوة بالحكم الاستبدادي في بولندا الشيوعية. جلس دافيد متوتراً إلى الطاولة، لكن المرأة نظرت إليه بدهشة. "اعذرني، لكن ذلك المقعد محجوز. إنني أنتظر صديقة"

قال دافيد: "إنها ليست صديقتك. إنها زوجتي"

التمعت عينا المرأة: "هكذا إذاً"

انحنى دافيد فوق الطاولة، وقال هامساً: "إننا نعرف أنك قتلت آينو جاكولا. نريد أن نعرف من هي الجهة التي أمرتك بتنفيذ الجريمة"

تظاهرت المرأة بأنها لم تفهم: "لا أعرف أي شيء عمّا تتكلّم"

"يظهر أنك لم تدققي بالصور الموجودة في هاتف آينو، وهي قامت بأخذ صورة عن بطاقة هويتك. إننا نعرف أنك كنتِ طبيبة تعملين لصالح ستايسي

وكي. جي. بي

جمّدت عروق وجه المرأة.

"تنتظري زوجي في مكانٍ قريب، أي أنكِ إذا حاولتِ القيام بخطوةٍ حمقاء فسوف تُحمل المعلومات عنكِ إلى الشرطة، والآن أصغي إليّ بعناية"

عمد دافيد إلى اختيار كلماته بعناية، كما وازن كل عبارةٍ بجد ذاتها. أما أهم أمر بالنسبة إليه فقد كان التأكد بأن هذه المرأة سوف تركهم وشأنهم. كانت الوسيلة الوحيدة والممكنة في هذا السبيل هي أن تفهم أنهما لا يشكّلان خطراً عليها. أما مفتاح هذه الخطة فقد كان المال.

قال دافيد: "إنني خبير في مجال الاستثمارات. نعرف أن آرنو هو الذي أمر بتنفيذ الجريمة، لكنني أقترح عليك ما يلي: نبتزه بمبلغ كبيرٍ من المال كي نحافظ على صمتنا، وعدم تسليمه للشرطة. يمكنني نتيجة لطبيعة عملي إجراء التحويلات المالية بطريقة آمنة. لكنني أريد معرفة الشخص الذي يوجهه..."

نظرت المرأة إلى ما وراء دافيد، فأدرك أن شخصاً ما يقف وراءه. نظر إلى الخلف فرأى رجلاً طويلاً القامة، أشقر الشعر، يضع يده في جيبه.

جلس الرجل على الفور. قال الرجل بلغة إنكليزية ولكنة هولندية: "أحمل مسدساً في يدي تحت الطاولة. سنقوم نحن الثلاثة بنزهة قصيرة الآن"

حدّق دافيد إلى وجه الرجل الذي أوحى بهدوء وتصميمٍ غريبيين. لوّح بيده المخبّأة تحت سترته التي هي بلون البيج.

قال دافيد بعد أن بدأ بالنهوض: "اهدأ يا رجل. يمكنني..."

"أخرس، وإلا ستجد رصاصة تستقر في صدرك. أريدك أن تنهض ببطء، ولا تفعل إلا عندما أمرك بذلك"

بدأ دافيد بتخمين هوية الرجل، وتذكّر الوصف الذي أعطته كاتي للحادث: رجلٌ أشقر حاول إطلاق النار على المرأة البولندية.

وقف الرجل ببطء من دون أن يخرج يده من جيب سترته.

"ففي، الآن"

نظر دافيد إلى المرأة التي بدأت الآن فقط في إنزال الكوب الذي كان جامداً في يدها، وما لبثت أن تناولت حقيبتها ووقفت.

وجه الرجل كلامه إلى دافيد الذي كان يحاول جاهداً إيجاد مخرج له من هذا
الوضع: "أنت أيضاً"
"أنا..."

قال الرجل: "سبق لي أن أمرتك بأن تخرس
شعر دافيد بالهلع يحتاج كيانه لأنه لم يحصل على فرصةٍ للقول بأنه لا علاقة
له بهذه المرأة على الإطلاق.

قال الرجل: "سنسير في هذا الشارع إلى اليسار، هيا، سيرا أمامي
نظرت المرأة إلى دافيد ثم بدأت بالمشي. تبعها دافيد وهو يتطلع من حوله. توجهها
بعد ذلك نحو شارع بلايس ومرّاً من أمام محلات بروكانت التي توجد في مبانٍ قديمة.
ألقي دافيد نظرة عبر الشارع، وتمنى لو أنه يلمح كاتي ولو أنها لحقت به،
حتى وإن أمرها بالبقاء داخل السيارة.

تزايد الرعب الذي شعر به دافيد أثناء سير الثلاثة إلى اتجاه مجهول. أدرك بعد
ذلك الفرصة الوحيدة التي امتلكها.

جاء الصوت من ورائه: "توقفوا. اتجهوا هنا يساراً"

تطلع دافيد نحو ممر ضيق تسوده الفوضى وتتصاعد منه رائحة كريهة،
فتزايدت ضربات قلبه كثيراً. سار وراء المرأة البولندية من أمام جدرانٍ حجريةٍ
ملينةٍ بالرسومات الغريبة، لكن المرأة تابعت السير بين مستودعاتٍ قديمة.

أخرج الهولندي مسدّسه، وقال: "قفا هنا"

تطلع دافيد من حوله. لم يرَ أناساً ولا نوافذ، ولا أيّ شيءٍ آخر. زادت
ضربات قلبه كثيراً حتى كاد ينفجر.

قال دافيد: "إن هذه المرأة التي حاولت قتلها في ذلك المقهى في ستوكيل هي
أليجيا زاربوفا، وهي موظفة سابقة عند الشرطة السرية البولندية، وهي التي دفع لها
آرنو ماييز لقتل صديقة لي، وهي امرأة فنلندية"

بدا أن الرجل سوف يقاطعه، لكن تعابير وجهه أظهرت الاهتمام الشديد.
"لا أعرف كم يدفع لك ماييز لقاء خدماتك، لكنه بعد أن باع قسماً من
شركته الأمنية قبض ستين مليون يورو. اسمي دافيد كوبر، وأعمل بصفتي مديراً

للسندات التجارية لصالح صندوق غولدن إيغل الاستثماري في لندن، ووظيفتي هي كسب الأموال، وأعرف كيفية كسبه لصالحنا نحن الثلاثة"
لم يظهر على الرجل أي شيء يدل على ما يدور في خُلدِه. كان مسدسه مصوباً نحو المرأة البولندية.

"سيكون مايز مستعداً لدفع مبلغٍ ضخيمٍ من المال للتأكد من أن أحداً لن يعرف أنه هو الذي أمر بقتل صديقتي آينو جاكولا، كما أن الأشخاص الأعلى منه سيدفعون مبالغ أكبر. إنني أعرف كيف أجعل هذا الابتزاز ناجحاً مئة بالمئة"

لم يتحرك الرجل.

قال دافيد محاولاً جعل تعابيره مقنعة بقدر الإمكان: "قامت زوجتي بتصويرنا عند خروجنا من ذلك المقهى. يعني ذلك أنك إذا قتلنا الآن فإن الشرطة سوف تلاحقك على الفور. ماذا سيحدث بعد ذلك؟ ربما سيرغب مايز في التخلُّص منك أنت الآخر؟ هل إن ما فعله يستأهل كل هذه المخاطرة؟"
لم يُخفض الهولندي مسدسه بالرغم من ذلك، لكنه تكلم: "ما هي خطتك بالتحديد؟"

"ستقوم بإبلاغ مايز أنك أتممت مهمتك، وأنتك مستعدٌ لقبض بدل أتعابك. ستقول له إنك رميت جثتي في القناة. سترسل له بعد ذلك رسالة من دون ذكر اسم المرسل يقول فيها إنه يعرف من هو الشخص الذي أمر بقتل آينو جاكولا، وستطالبه بتحويل مبلغ ستة ملايين يورو إلى حساب في جزر كايمان. سيعتقد الرجل أن تفادي فترة سجن طويلة تستحق دفع ملايين قليلة، لأنه سوف يتبقى معه عشرات الملايين الأخرى كي يعيش بقية حياته مرفهاً كرجلٍ حر.

بقي الرجل الهولندي جامداً كالصخر.

قال دافيد: "إنها قضية رابحة لنا جميعاً"

أنزل الهولندي مسدسه ببطء. استدار، ثم رفعه مصوباً إياه نحو دافيد هذه

المرّة.

"أريد أن أعرف كل شيء عنك، وعن عائلتك بما في ذلك الصور، والأسماء،
والعناوين. إذا أوقعتَ بي، أو حاولتَ خداعي، فسوف يموتون جميعاً. سيحدث
الأمر ذاته إذا فشلتَ خطتك. يتحتم عليك أن تنجح أيها الوسيط المالي. ما رأيك
بالكسب المضمون الآن؟"

حدّق دافيد إلى ماسورة المسدس، وشعر بقشعريرةٍ تحترق جسده.

حاول فلوريان السيطرة على مزيج من مشاعر الغضب والتوتر بينما كان يجلس في زاوية ضعيفة الإضاءة للمشرب الموجود في بهو الفندق. كانت الطريقة الفضلى للسيطرة على أعصابه هي التحديق إلى عيني إيريكا، لكنه حاول إخفاء مشاعره تجاهها.

قالت إيريكا بصوت هادئ: "يتعين علينا تأخير التسريبات. سيجتمع مارتن اليوم مع الرجل الإنكليزي في مقهى أوسولاي عند الساعة الثالثة والنصف"

شتم فلوريان بينه وبين نفسه: "ألدريك فكرة عن السبب؟" ردّت إيريكا هامسةً: "لم يقل لي مارتن السبب. إما أنه لا يعرف وإما أنه لم يرغب أن يقول لي. لكن الاحتمال الوحيد الذي يرد إلى ذهني هو أن هذا الرجل يحاول ابتزاز مارتن. يُحتمل أن ذلك الرجل الإنكليزي يطالب بالمال كي يلزم الصمت عن المشروع" "هذا محتمل جداً"

سألت إيريكا: "ماذا يمكننا أن نفعل؟ من الواضح أن مارتن يحاول تسوية الوضع بمفرده وبطريقة ما، أي أنه لا يريدنا أن نقلق" شعر فلوريان بالسرور لأن إيريكا التجأت إليه طالبة نصيحته ورأيه بدلاً من مارتن.

قال فلوريان كاذباً، لكن بأقصى ما يمكنه من النعومة: "أعتقد أن كل ما نستطيع عمله هو الانتظار. يُحتمل أنه يكون علينا الوثوق بمارتن لتسوية الوضع" وفتت إيريكا ونظرت إلى ساعتها: "يتعين عليّ الذهاب"

بقي فلوريان جالساً وحده، وشدَّ قبضتي يديه في محاولة منه احتواء غضبه: إنه دافيد كوبر، ذلك التافه الحقير الذي كان يجب أن يموت في روما. لكن، ماذا يريد؟ يُحتمل أن يكون دافيد أراد إبلاغ رينختر عن الحادثة التي وقعت في محطة قطارات روما، وربما سيقول إنه سوف يُخبر الشرطة عنها. تصوّر فلوريان ذلك الرجل الإنكليزي وهو يضغط على رينختر الغاضب لانتزاع المعلومات منه. سينتهي الأمر باستغناء رينختر عن خدمات فلوريان وملاحقة الشرطة له، وعندها ستفشل العملية كلها.

يجب عليه التخلّص من دافيد مرةً واحدةً وإلى الأبد. لكنه لا يستطيع الاقتراب من الرجل لأن دافيد رآه. أمسك الهاتف واتصل بآرنو.

"أ تذكر القطرات التي تُفقد الوعي التي حدثتكَ عنها؟"
"بالطبع"

"يُحتمل أن يشكّل البريطاني الذي اقتحمنا منزله... خطراً على العملية. يتعيّن علينا إزاحته جانباً إلى أن تنتهي العملية. سأحتاج إلى مساعدة كارل في هذه المهمة أيضاً"

لم يذكر فلوريان أنه ينوي استخدام الترادوتوكسين، الذي تكفي ميليترات قليلة منه للتسبب بالقتل، بدلاً من القطرات التي تسبّب فقدان الوعي.

أمسك دافيد مقبض باب سيارة الغولف التي تمتلكها كاتي، ولاحظ أن يديه ترتعشان بشكل لا يمكنه السيطرة عليهما. بدأ الارتعاش في يديه في اللحظة التي ترك فيها القاتلين في ذلك الشارع الضيق.

كان يتوقع أن تستقر رصاصة في ظهره طوال سيره نحو السيارة، كما تحيّل مع كل خطوة ذلك الكابوس الذي أوقع فيه نفسه مع كاتي. لاحظ في هذا القاتل الهولندي تجهماً بارداً لم يلاحظ مثيلاً له من قبل. لكن هذا الرجل أصبح على علم الآن بكل ما يتعلّق به وبعائلته، وهو سوف يُقدم على الانتقام إذا لم يف دافيد بوعده وينفد البنود التي اتفقا عليها.

فتح دافيد الباب وجلس متهاكماً في مقعده، وأمر كاتي بصوتٍ أجش:
"انطلقني"

حملت كاتي فيه بقلق قبل تشغيل المحرك: "ماذا حدث هناك؟ هل حضرت
نويسكي؟"

"أجل حضرت. لكننا لن نحصل على أيّ معلوماتٍ منها. يُمكن للشرطة أن
تحاول معها في الوقت المناسب"

تنهّدت كاتي بنفاد صبرٍ وحرّكت السيارة. كان وجهها متجهماً، كما
ظهرت بقع داكنة تحت عينيها لكنها قالت: "أعطني تفاصيل أكثر"

تذكر دافيد اللحظات الأخيرة التي رأى فيها وجه المرأة البولندية. بقيت المرأة
واقفةً في الشارع الضيق وكأها استسلمت لقدرها. يُحتمل أنها كانت تتوقّع أن
تلقى هذا النوع من المصير، وهي تعرف أنها مسألة وقت. اقترح دافيد عقدَ اتفاقية
بين الحاضرين الثلاثة، لكنه أدرك الآن أن لا لزوم للمرأة لنجاح الخطة. يُمكن لهذا
الرجل أن يأخذ حصتها كذلك.

تعيّن عليه، على أيّ حال، إرسال رسالة ابتزاز من دون ذكر المرسل إلى مايز
وإقناعه بأن ذلك الرجل الهولندي هو الذي قتل ماجدا نويسكي. أما الأمر الذي
شغل دافيد أكثر من سواه فكان مسألة ما إذا كان ديلفو وكريديتو ناسيونالي
متورّطين فعلاً في جريمة قتل آينو. لكن دافيد أفنّع نفسه بأنه لم يكن ممكناً أن
تعرف تلك المرأة البولندية هوية الشخص الذي يوجّه مايز.

قال دافيد: "نعرف الآن أن آرنو مايز هو الذي أمر بقتل آينو، وهو الذي
استأجر المرأة البولندية، والتي يظهر أنه أراد إسكاتها على يد قاتلٍ ماجورٍ آخر. أما
ما لا نعرفه فهو من يدير مايز، ولماذا وافق على إقحام نفسه في هذه العملية"

لكن دافيد لم يرغب أبداً أن تعلم كاتي بأنه عقد اتفاقاً مع قاتلين بهدف ابتزاز
مايز، إلا أنه تمنى لو كان باستطاعته نسيان كل ما يتعلّق بالأمر. شعر وكأن حجراً
ثقيلاً يُثقل صدره. لكن كم يستطيع الإنسان أن يتحمّل قبل استسلام قلبه ودماغه؟

سألها دافيد: "من هو في قيادة الاتحاد الأوروبي، والذي يمكننا الوثوق به،
ويستطيع أن يعرفنا قليلاً على هذه اللعبة الجارية فعلاً وراء الكواليس؟"

كان دافيد يعرف الإجابة حتى قبل أن تردّ كاتي: جان لاگران، نائب مدير عام الشؤون الاقتصادية والمالية في الاتحاد الأوروبي، وهو الرجل الذي تحدّث عن تخليص منظّمته من الفساد أثناء حفلة تدشين المنزل.

قالت كاتي: "جان لاگران بالطبع. كان الأجدى أن نتوجّه إليه قبل الآن" ركّز دافيد أفكاره على اجتماعه الوشيك مع مارتن ريجتر، وفكّر في الاتصال براي قبل ذلك، لكنه قال: "أعتقد أنّ الأفضل أن أجمع به شخصياً"

قال غوسينز، وهو رئيس الاتحاد الأوروبي: "تزداد الحالة سوءاً في إيطاليا مع مرور كل ساعة"

"تجري الأمور بوتيرة أسرع ممّا كنا نتوقّع، فالشائعات تنتشر عبر شبكة الإنترنت، ويبدو أنّ الناس يصدقونها. يتعيّن علينا إغلاق كريديتو ناسيونالي في الصباح إذا لم نستطع تأمين السيولة النقدية من مكانٍ ما"

أصغى ديلفو إلى مكالمة غوسينز جالساً بهدوء في مكتبه في واترلو، وذلك بالرغم من شعوره برغبة كبيرة في الصراخ بأن كل ذلك ما هو إلا جريمة.

قال ديلفو: "حسناً. يتعيّن تقديم الاجتماع إلى هذه الليلة. كنت أفكّر في ذلك في الواقع. هل يناسبك موعد السادسة؟"

"سأتدبّر الأمر"

أرسل ديلفو، بعد انتهاء المكالمة، رسالة نصيّة قصيرة إلى غرينفيل الذي كان في بروكسل للاجتماع بالمفاوضين الذين يعملون على إتمام اتفاقية التجارة الحرة ما بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأميركية. قام بعد ذلك بإبلاغ جان لاگران الذي بدا متوتراً من خلال صوته.

تناول ديلفو بعد ذلك رزمة أوراق، وبدأ بكتابة مسودة الخطاب الذي أراد إلقاءه في الاجتماع. ولحسن الحظ فإن جميع الحاضرين سوف يفهمون أهمية القضايا المالية. كان ديلفو محظوظاً على العموم للتعامل مع أشخاص يفهمون قوانين الاقتصاد، وهو الذي علم عندما عمل في المفوضيّة أن أولئك كانوا الأشخاص الوحيديين الذين يستطيعون المحافظة على حركة عجلة التجارة.

تدل الوقائع على أنه لو تُرك كل شيء على عاتق السياسيين وحدهم لكان من المستحيل تكوين السوق المشتركة. لكن بالإضافة إلى ديلفو، فإن عدداً قليلاً من المفوضين والمسؤولين الآخرين تمكّنوا من فهم هذه النقطة. لكن رئيسه في ذلك الوقت، مفوض شؤون الصناعة إتيان دافيغنون، بالإضافة إلى المدير التنفيذي لشركة فولفو بير غيلينهامر، أسّس الطاولة الأوروبية المستديرة للصناعيين، ووضعاً خطياً لتلك المجموعة كي تصبح أساس السوق المشتركة للاتحاد الأوروبي. امتلك غيلينهامر عقوداً ضخمة في الولايات المتحدة، كما كان عضواً في مجلس إدارة الشركة الاستشارية التابعة لهنري كيسينجر، وكذلك الأمر مع المفوض دافيغنون الذي أصبح صديقاً حميماً لكيسينجر فيما بعد.

لاحظ ديلفو في وقتٍ مبكر مدى عجز السياسيين عن استيعاب القضايا الكبرى والمهمة. كان السياسيون موهوبين من الناحية الاجتماعية، ويعرفون كيفية اجتذاب الناخبين، لكنهم افتقدوا القدرة على القيادة الهادفة، وكذلك على التحرك. أما الرؤساء التنفيذيون للشركات وأصحاب المصالح فكانوا يمتلكون تلك المهارات.

لاحظ ديلفو وأصدقاؤه أثناء ترويجهم للمشروع الأوروبي أن السياسيين من الحزب الاشتراكي كانوا أهدافاً خصبةً للتلاعب. امتلك هؤلاء رغبة لا تشبع لتحديد مهمة كل شخص، لكنهم افتقدوا القدرة على كسب السلطة. إلا أنهم في إطار سعيهم لكسب النفوذ كانوا مسرورين للتعرف إلى صانعي القرارات الاقتصادية، ولم يترددوا بأخذ تعليمات محدّدة منهم، هذا إذا كان ذلك يقوّي مراكزهم وفرصهم في اكتساب الدعم الشعبي. لكن الصناعيين لم يعيروا الأمر الاهتمام اللازم. أما التقدّم التدريجي نحو سياسة أوروبية تحاكي الشركات الكبرى فقد كانت نتيجة محدّدة لجهودهم.

كانت المرحلة المتينة التالية في هذا المسعى هي اتفاقية التجارة الحرة بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، وهذا السبب ذاته الذي دفع غرينفيل إلى الحضور إلى بروكسل.

أغمض آرنو مايز عينه اليسرى، وركّز على مركز الثقل لهدفه في نادي رماية La Defense، ثم أطلق النار من مسدسه لوجر نصف الآلي موديل العام 1907. ارتعشت ذراعه نتيجة الحركة الارتدادية للمسدس.

أصابت الطلقة هدفها تقريباً. شعر مايز بالسرور، ونزع جهاز حماية الأذنين، ثم أعاد مسدس اللوجر إلى علبته المصنوعة من خشب الجوز والمبطّنة بالحزير. كان هذا المسدس آخر ما اشتراه لمجموعته الثمينة التي تشتمل على أكثر من مئة سلاحٍ حربي.

نظر مايز إلى ساعته، وما لبث أن أعاد انتباهه، متردّداً، إلى الواقع الذي نجح في تفاديه لفترة من الزمن عندما انشغل بتجهيز مسدس اللوجر. أمسك عصاه المصنوعة من الألومنيوم وألياف الكربون، ثم توجه إلى موقف السيارات حيث كانت سيارة المرسيدس الرياضية ذات اللون الأسود بانتظاره.

قاد مايز السيارة مدة عشر دقائق، وما لبث أن أوقفها قبالة مدخل إحدى غابات أشجار الزان الضخمة التي تحيط ببروكسل من الجهة الجنوبية. سار مايز حاملاً معه كيساً بلاستيكياً فوق رصيفٍ معبّدٍ بالإسفلت، ومخصّصٍ لسائقي الدراجات الهوائية وهو يخترق غابة *Foret de Soignes*، لكنه عجز عن منع التعرّك في مزاجه الذي ازداد مع كل خطوة كان يخطوها في الغابة. وقف أخيراً عند فسحة صغيرة تشتمل على مقاعد عدة من ألواح الخشب.

جلس على أحد المقاعد رجلٌ أشقر يبدو أنه مصابٌ بمرض فقر الدم، أي أنه من الحكمة أن يختار المرء كلماته بدقة عندما يكون برفقته. كانوا يطلقون على الرجل اسم "الشبح" لأنه اعتاد على الاختفاء من دون أن يترك أثراً وراءه، ومن دون أن يعرف أحد هويته الحقيقية. يُحتمل كذلك أن يكون لهالة السقم التي تحيط به علاقة بلقبه كذلك. كانت الطريقة الوحيدة للاتصال به هي عنوان البريد الإلكتروني، الذي يتفحصه بين الحين والآخر، من الحواسيب الموجودة في المناطق العامة. كان الأمر الوحيد الواضح بشأنه هو جنسيته التي كانت هولندية، لكن سيرته الذاتية تقول إن الأشخاص الذين يمثلون خطراً ما كانوا يختفون إلى الأبد بعد أن يجتمعوا به.

لم تتسبب ماجدا نويسكي بأي متاعب لمايز حتى هذا الوقت، لكن المعلومات التي تعرفها قد تتسبب له بمشكلات في المستقبل، وهذا هو السبب الذي دفع مايز إلى اللجوء إلى الرجل الهولندي.

سأل مايز، محاولاً إخفاء القلق الذي لم يكن بالإمكان تجنّبه عند الاقتراب من هذا الرجل الذي قتل عدداً كبيراً من الناس بأعصابٍ باردة: "ماذا فعلتَ بالجثة؟"

قال الرجل الهولندي: "تخلّصتُ منها"

التفت الرجل أثناء تكلمه نحو مايز، وقدم له لفافة من القماش ذات لونٍ أبيض.

سأل مايز: "ما هذه؟"

"افتحها"

تردّد مايز قليلاً، ثم أخذ اللفافة وفتحها. وجد بين ثنايا هذه اللفافة إصبعاً تعود لامرأة مع ظفرٍ مطليٍّ باللون الزهري. أسرع مايز إلى إعادة طي قطعة القماش.

"هذا هو دليلك"

أعاد مايز اللفافة بسرعة، وأسرع للتطلع بعيداً. مرّ أحد سائقي الدراجات الهوائية الرياضية على بُعد عشرات قليلة من الأمتار عنهما دون أن يلقي نظرةً عليهما.

قال الرجل الهولندي: "كلا. أريدك أن تحتفظ بها. يمكنك أن تأخذ بصمة منها، أو حتى يمكنك إجراء فحص حمض نوويٍّ عليها"

دسّ مايز، وإن بتردّدٍ، اللفافة في الكيس البلاستيكي الذي كان يحمله، وأخرج منه في الوقت ذاته مظروفاً ورقياً سميكاً ناوله إلى الرجل الهولندي.

قال مايز: "مئتا ألف وخمسمئة يورو" سبق له أن دفع مبلغاً مماثلاً دفعةً أولى عند لقائهما السابق.

تسلّم الرجل الهولندي المظروف من دون أن ينظر إلى ما في داخله: "سررتُ للعمل معك يا سيّد مايز"

جفل ماييز عند سماعه اسمه، وذلك لأنه لم يذكره مطلقاً أمام هذا الرجل.
لاحظ الرجل الهولندي رد فعله، فارتسمت على شفثيه ابتسامة شريرة في
غاية القسوة. بدا الرجل فجأة مثل صبيٍّ مراهق بعد إطلاقه مزحة.
"لا تقلق. إنها معلومة صغيرة ستفيدني كضمانة لي في حال فكّرتَ بالتخلُّص
من الشاهد الثاني كذلك"

قال ماييز بعد أن بدأ يتعد: "لا أنوي ذلك أبداً"
غمرته موجة من القلق والغضب، لكن لم يكن بإمكانه فعل أي شيء. كان
أقصى ما يمكنه فعله هو تقديم شكوى إلى صديقه الذي أعطاه العنوان البريدي
للرجل، لكنه لا يعرف اسم ذلك الرجل الهولندي.
أقنع ماييز نفسه بأن هذا القاتل لا يعرف شيئاً عن مهمة ماجدا نويسكي،
وهذا يعني أنه ما من شيء يمكنه أن يدفع الرجل الهولندي إلى الربط ما بين ماييز
وجريمة قتل آينو جاكولا.

أسرع ماييز الخطى إلى أقصى سرعةٍ يتمكّن من تحقيقها بالرغم من عَرَجِه،
لكنه تساءل عن تلك الإصبع داخل الكيس. هل يتعيّن عليه التخلُّص من هذا
الدليل البشع هنا وعلى الفور؟ هل يجب عليه أن يدفنها في تراب الغابة؟ أو لربما
يتعيّن عليه حرقها...

وصل إلى سيارته، وفتح غطاء أرضية صندوقها، ثم وضع لفافة القماش
بالقرب من صندوق معدني يحتوي على إضافة جديدة لكنوزه العديدة، وكان
عبارة عن بندقية رشاشة من نوع هيكلر وكوخ.

خطرت في ذهنه فكرة لم تعجبه: ماذا يحدث لو أنه أطلق الرصاص على ذلك
الهولندي في الغابة؟ كان هذا هو الأمر الوحيد الذي يضمن السرية المطلقة. لكن،
هل يمتلك القدرة على القيام بعمل كهذا؟ يستطيع أي شخص القيام بأي شيءٍ
تقريباً في الظروف الصعبة.

جلس ماييز داخل سيارته منشغل الذهن ثم بدأ يتصفّح بريده الإلكتروني في
هاتفه الخليوي. لم تصل بعد الرسالة التي كان يأمل وصولها. لكن جاءت بدلاً منها
رسالة من شخصٍ مجهول.

كان سطر الموضوع مثيراً للدهشة: الانتحار المدبر لآينو جاكولا.
وصلت الرسالة قبل خمس دقائق فقط.
ترايدت دقات قلب مايز وهو يتابع قراءة متن الرسالة:

أنتَ من قتلَ آينو جاكولا. لديّ الدليل. يمكنك تحويل مبلغ ستة ملايين يورو في موعدٍ أقصاه الساعة الرابعة من بعد ظهر يوم غد إلى مصرف NBS في جزر كايمان، الحساب رقم 3877452478-، هذا إذا أردتَ تجنّب قضاء بقية حياتك في السجن. لا تزعج نفسك بالرد، بل أرسلِ المبلغ.

حدّق مايز إلى شاشة الهاتف. لا يُعقل هذا، وذلك بعد أن دفع أربعمئة ألف يورو لضمان قطع أي علاقةٍ له بجريمة قتل الفنلندية.
مَن هو الشخص الذي يقوم بابتزازه يا ترى؟
تذكّر مايز تلك الابتسامة الشريرة التي ارتسمت على وجه الرجل الهولندي.

لكن الرجل الهولندي لم يكن يعلم بتأناً بأنه كلّف ماجدا نويسكي بتدبير عملية الانتحار. يُضاف إلى ذلك أن الرجل الهولندي لا يعلم أن نويسكي كانت قاتلةً مأجورةً بدورها.
حاول مايز تهدئة أعصابه وجمع أفكاره.

هل تعرّف الرجل الهولندي إلى هوية نويسكي؟ أيحتمل بأنهما يعملان معاً الآن. لكن ماذا بشأن الإصبع؟ هل هي إصبع نويسكي فعلاً؟
تطلع مايز نحو الغابة التي بدت أكثر قتامةً من أي وقتٍ مضى، لكن، لا بد أن الشبح قد اختفى الآن.

شغّل مايز محرك سيارة المرسيديس، وانطلق بها ببطء متجهاً نحو الطريق الرئيسة، لكنه جهد كثيراً لتهدئة نفسه وراء عجلة القيادة.

لكن هل تمكّن الرجل الهولندي قبل قتلها من انتزاع معلوماتٍ منها تتعلق بالدافع الذي يكمن وراء توظيفه، وبالتالي هل كشفت له أنها قتلت جاكولا...؟

هل استنتج الهولندي أن هذا هو سبب قتل نويسكي، ولهذا قرّر استخدام تلك المعلومات لابتزاز عميلهما المشترك؟
كان ذلك مجرد تخمين، لكنه تخمين ممكن.

لكن مهما كانت هوية الشخص الذي يريد ابتزازه، فسوف يتعيّن على ماييز إبلاغ رؤسائه عن الوضع. لكن ماييز لم يجرؤ على توقّع الصدمة التي سيحدثها.
لكن أسوأ ما في الأمر هو أنه اتخذ شخصياً، وبصفته الشخص المسؤول عن العمليات الأمنية، القرار بإسكات آينو جاكولا، ما أن اتّضح له أنّها علمت أموراً أكثر من اللزوم.

"ألدريك معلومات أكثر تحديداً حول هذا..."

قاطع مارتن ريجتر نفسه في الوقت الذي اقتربت فيه النادلة من طاولتهما حاملَةً صينية طعام. وضعت فنجاناً من القهوة أمامه، وفنجاناً مزيناً آخر أمام الرجل الإنكليزي الذي عرف عن نفسه بأنه دافيد كوبر. أوحى سلوك كوبر ونظراته العابرة بالحذر وعدم الثقة. وكان ذلك الشعور متبادلاً، وكذلك الإغراء الذي تمثله الأمور التي يمكن إنجازها سويًا إذا ما وثق أحدهما بالآخر.

كان مقهى أوسولاي مزدحماً ويضج بالأحاديث، وهو الأمر الذي كان بمثابة ضمانه بأن أحداً لن يسمعهما. تأسس هذا المقهى في مبنى الفن الحديث الذي يعود تاريخ تشييده إلى قرنٍ من الزمن، وكان متجر ثياب للرجال. أبقى صاحب المقهى على كل أنواع الديكور الموجودة فيه، حتى الألواح الخشبية التي تكسو الجدران والمراميل الموجودة في أماكن خاصة.

تابع مارتن حديثه بعد ابتعاد النادلة: "أين سيعقد هذا الاجتماع؟" "سيعقد هذا الاجتماع في فندق شاتو أنطوانيت، في جينفال التي تبعد خمسة وعشرين كيلومتراً إلى جنوب شرق المدينة. يُحتمل أن أتمكن من الحصول على معلومات أكثر بشأن ترتيبات الاجتماع. سأجتمع بعد قليل بمسؤولٍ رفيع في المفوضية، سبق لي أن عرفته من خلال معارفي الآخرين"

حدّق مارتن ملياً إلى وجه كوبر: "لماذا تقول لي كل ذلك؟"

"لأنني أفترض أنه بإمكانك الاستفادة من هذه المعلومات في خططك"

"أوضح لي أكثر"

"إذا كان باستطاعتك تركيب أجهزة تنصّت في الفندق فسوف تتمكن من الحصول على دليل قاطع. ماذا سيكون موضوع الاجتماع غير الحسائر التي تكبدها كريدتو ناسيونالي، وكيفية تغطيتها"

فهم مارتن، وبرمشة عين، أهمية المعلومات التي أعطاه إياها كوبر بالنسبة إلى العملية التي يُزعم تنفيذها. كانت ترتيبات التمويل السرية الآتية من دافعي الضرائب ستتسبب بنشوب خلافات فور الإعلان عنها، وهذا هو ما هدف إليه الكرملين بواسطة إجراءات مختلفة.

شعر مارتن بالصدمة لهذه الفكرة، وكأنه استفاق من حالة لاوعي. كان ذلك هو الحل الذي يتطلع إليه: الدليل الذي لا جدال فيه. كان يعرف الرجل النموذجي الذي يستطيع القيام بهذه المهمة.

تناول مارتن هاتفه من الجيب الأعلى لقميصه: "سأتصل بالرجل الذي يستطيع تركيب أجهزة التنصّت في الفندق"

قال دافيد: "كيف يمكنك إيصالها إلى غرف الاجتماع من دون أن يلاحظك أحد؟"

ردّ مارتن بعد أن قرّب الهاتف من أذنه: "سوف نتدبّر الأمر رفع مارتن نظره في هذه اللحظة بالذات، ورأى شاباً ملتحياً. صرخ الشاب الملتحي: "اعرف إلى أين تتجه أيها الأحمق النذل!" لاحظ مارتن وجود رجل أصلع وضخم الجثة بالقرب منه. كان الرجل الأصلع ينظر إلى الرجل الآخر.

"عذراً. يبدو أن المكان مزدحم قليلاً هنا. لكن لا لزوم للشعور بالاضطراب... قال الرجل الملتحي ملوِّحاً بيده التي لا يحمل فيها كوباً من الجعة: "أغرب عن وجهي لكن الرجل الأصلع لم يرد على الاستفزاز، ومضى في طريقه. نظر مارتن إلى دافيد: "بعض الناس عصبيون بطبيعتهم..."

جلس راي على بُعد طاولات قليلة، وبدا أنه يفكر في شؤونه الخاصة أمام فنجانٍ من القهوة، لكنه في حقيقة الأمر كان يراقب الوضع عن كثب.

سبق أن اتصل به دافيد وطلب إليه الحضور إلى المقهى الذي يقع بالقرب من
غراند بلايس بصفته حارساً شخصياً. لكن دافيد أكد له أنه سيكون مجرد حارسٍ
بالاحتياط هذه المرة. كان هناك احتمال كبير بأنه يمكنه الثقة بهذا الأستاذ الجامعي
الألماني الذي رتب أمر الاجتماع به، لكنه لم يرغب في التعرّض إلى أي مخاطر.
ارتشف راي قهوته وفكّر في الحادثة التي جرت أمامه للتوّ بالقرب من طاولة
دافيد. كان هناك شيء ما في ذهنه يوحي له بأن الأمر ليس طبيعياً. لكن ما هو
بالتحديد؟

أدرك راي حقيقة الأمر ما إن أعاد فنجانه إلى الطاولة. بدا له أن الشجار
كان زائفاً. وفكّر بأن الرجل الملتحي قد صدم الرجل الآخر قصداً. لكن، لماذا
أدى هذا الدور المخيف؟

أدى هذا المشهد إلى حجب ذلك الزبون الأصلع الضخم الجثة، وهو الذي
توقف لثوانٍ عدة بالقرب من طاولة دافيد والرجل الألماني. جهد راي كي يتصور
ما حدث بالفعل، وتذكّر أن يد الرجل قد تحركت بسرعة. لكن هل نظر إلى
الأسفل، أي نحو طاولة دافيد؟

شاهد راي في هذه اللحظة دافيد وهو يرفع فنجان الشاي ويحركه نحو
شفتيه. أيقن راي ما حدث في لحظةٍ واحدة.
قفز راي متّجهاً نحو دافيد بأقصى سرعة، وصرخ، ثم أوقع فنجان الشاي من يد
دافيد الذي لم يستوعب ماذا حدث. انسكب ذلك السائل الساخن على الأرض، في
حين تناثرت أجزاء الفنجان المكسور، لكن راي انطلق خارجاً من المقهى.

وقف دافيد مذهولاً. هل كان راي يحاول إفهامه ضرورة مغادرة المقهى
بسرعة هو الآخر؟

صاح رايختر بعد أن هبّ واقفاً وبعد أن شاهد شظايا الفنجان التي تطايرت
على الأرض من حوله: "ما معنى هذا"

شعر دافيد باهتزاز الهاتف في جيبيه. نظر إلى الشاشة ليرى اسم راي.
قال راي: "وضع أحدهم شيئاً في كوب الشاي الذي كنت تشربه"

نظر دافيد غريزياً إلى شظايا الخبز الصيني المتناثرة على الأرض، لكنه لم ير أثراً للرجلين اللذين تشاجرا قبل قليل.

التفت دافيد نحو رينخر الذي كان جاساً قبالته، وشعر بموجة من الغضب بتحاوه. هل عمد هذا الرجل الألماني إلى استدراجه إلى هذه المصيدة؟ هل حاول تسميمه؟

ردّ دافيد: "هل أنت متأكد مما تقوله؟"

"لم أرَ في الواقع أي شخص وهو يضع أي شيء في الفنجان، لكن الرجل الأصلع اقترب من طاولتك في اللحظة ذاتها التي اجتذب فيها الرجل الملتحي انتباه جميع الحاضرين بهذه الفوضى. إنني متأكد بما يكفي من أن هذه الحادثة كانت مدبرة"

شعر دافيد برغبة في قلب الطاولة رأساً على عقب، لكنه قال قبل إنهاء المكالمة: "يبدو الأمر لي هكذا. سأتصل لاحقاً. شكراً لك"

هل عمد رينخر إلى توظيف شخصين من مجموعته لقتله بطريقة غير ظاهرة؟ يتضمن مفعول السم فترة تأخير بطبيعة الحال، وهي فترة كافية كي ينتزع أي معلومات يمتلكها في أثناء وجوده في المقهى. كان اتمام فلوريان بالأمر وارداً بشدة. قالت النادلة: "سأجلب لك فنجاناً جديداً من الشاي"

عادت ملامح رينخر إلى التركيز الشديد: "يُحتمل أن تكون معلوماتك عن اجتماع شاتو أنطوانيت في غاية الأهمية حقاً، كما يسهل عليّ تصوّر ما سيحاولون فعله. إنهم يريدون فعل أي شيء لإنقاذ كريديتو ناسيونالي. إذا تمكّنا من تسجيل أحاديثهم على شريط وهم يتحدثون عن الأمر... فإن ذلك سوف يكون دليلاً قاطعاً يُحدّث ضجة مدوية"

شعر دافيد في هذه اللحظة برغبة قوية بتوجيه لكمة إلى وجه رينخر، الذي لا بدّ أن يكون اعتقد أنه أحق.

تابع رينخر الكلام، لكن دافيد لم يتمكّن من سماع أي شيء إضافي مع تزايد غضبه.

شاهد دافيد في هذه اللحظة رجلاً عند مدخل المقهى، فتحوّل الغضب الذي كان يسيطر عليه شعوراً بالصدمة على الفور.

جال هذا القادم الجديد بنظره على الطاولات إلى أن شاهد دافيد الذي لاحظ في الرجل النظرة الصارمة، والعينين الزرقاوين الملتمتين ذاتهما، وهي الأمور التي لاحظها بين الحشود في محطة قطارات روما، وما لبث أن شعر بموجة صادمة من الرعب التي لا تجد لها تفسيراً. لكن دافيد هبّ قافزاً من مقعده.

بدأ الرجل بالتقدّم نحوهما. وأحسّ دافيد، وكأنه يسبح في الفضاء على ظهره. لاحظ دافيد بطرف عينه ملامح ريختر المرتبكة، ورآه يلتفت إلى هذا الداخل الجديد إلى المقهى.

توقف الرجل عند طاولتهما، وما لبث ريختر أن تطلع نحو دافيد. "هذا هو فلوريان. أعرف أنكما التقيتما في ظروف غير مناسبة آخر مرة. لكن الوضع يحتمّ علينا الآن التركيز على الموضوع الأساس الذي يواجهنا. إننا نمتلك جميعاً هدفاً مشتركاً"

مدّ فلوريان يده نحو دافيد، لكن الأخير رفض مصافحته.

التفت ريختر نحو فلوريان، وقال: "اجلس"

قال دافيد محاولاً ضبط أعصابه: "لن أجلس على الطاولة ذاتها مع هذا

الشخص

"إهدأ، أرجوك"

"ألم تقل بأنك سوف تطرده من مجموعتك؟"

جمدت ملامح وجه فلوريان: "ما هذا الذي تتكلم عنه، بحق السماء؟"

قال ريختر: "اهدأ قليلاً، واسمعا ما سأقوله. اجلس يا فلوريان"

روى ريختر باختصار معلومات دافيد عن الاجتماع الذي سيُعقد في شاتو

أنطوانيت.

راقب دافيد ريختر أثناء إصغائه، وبدأ يقنع أن الرجل لا يعرف أيّ شيء عن هذه المحاولة الجديدة لاغتياله. يُحتمل أن يكون راي واهماً بشأن هذا الخطر الجديد الذي هدّد حياته.

لكنه لم يرغب أن تكون له أدنى علاقة مع فلوريان.
"لا أفهم لماذا قلتَ هذا أمام القاتل الذي لا يُفترض أن تكون له أي علاقة
مع مجموعتك"

قال فلوريان بغضب: "لا أعرف عن أي تتكلم يا رجل"
"دفعني نحو مقدمة قطارٍ في روما"

التفت فلوريان نحو ريجنر: "هذا الرجل مصابٌ بالجنون"

قال ريجنر: "لست مستعداً للمجادلة بهذا الشأن. يدعي الرجل بأنه رآك، وأنا
أعرف أنك تبعته بعد خروجه من الفندق، وأعرف أنك تصرفت بتسرّع. لكنك
تعرف أنني لا أوافق على أي نوعٍ من أنواع العنف، وكنت على استعدادٍ بالفعل
للاستغناء عنك الآن وهنا. لكن بغضّ النظر عن الحقيقة فإن كلاً منّا يحتاج إلى
الآخرين. أعطانا هذا الرجل لتوّه معلوماتٍ قيّمةً بشأن هذا الاجتماع المرتقب،
وأنت تمتلك خبرةً في التنصّت على هذا المكان. يتعيّن علينا الآن الإلتزام بهدنة
خلال هذه العملية، وترك تسوية خلافاتنا إلى وقتٍ لاحق"

لزم دافيد الصمت، لكنه بقدر ما كان مقتنعاً ببراءة ريجنر، كان مقتنعاً بأن
فلوريان مذنب. تعيّن عليه ضبط مشاعره، والسيطرة عليها، لأن لديهم الآن هدفاً
مشتركاً. كان دافيد، مثل ريجنر تماماً بحاجة إلى هذا الرجل الذي يستطيع تركيب
جهاز تنصّتٍ في شاتو أنطوانيت، وبالتالي يستطيع تسجيل ما يدور في الاجتماع
بطريقةٍ سرية.

جلس لورنزو كاسانو فوق أرضٍ حجرية في مكانٍ مظلمٍ داخل قبوٍ بارد، واستند إلى الجدار. لم يتمكن حتى الآن من فهم ما يجري من حوله. كان يستمتع بحياته قبل ساعاتٍ قليلة فقط، أي عندما كان مستشاراً مالياً، أما الآن فقد جرّده من كل شيء، بما في ذلك كرامته. يعني ذلك أن حياته قد تكون هي التالية.

أدرك لورنزو خطيئته بوضوح وسط العتمة المحيطة به. كانت اللعبة التي انخرط فيها معقدةً جداً وكانت المخاطر عالية. كان مهملاً، لكن غطرسته كانت هي سبب سقوطه في الهاوية. أيقن الآن أنه كان يتعين عليه إبقاء الملفات المتعلقة بريختر في حاسوبٍ منفصلٍ تماماً عن ذلك الذي يحتوي على ملفات المافيا.

لكنه شعر، بالرغم من كل ذلك، بالرضا عن نفسه. أحسّ كذلك أن والده فيتوريو كان فخوراً به. حاز فيتوريو، الذي تحدر من أسرة تنتمي إلى الطبقة العاملة في باليرمو، على انتباه أحد الأثرياء من مزارعي الزيتون. أعجب هذا المزارع بذكاء الصبي فأرسله لتلقي العلم في روما على نفقته. التقى فيتوريو هناك بالمرأة التي أصبحت والدة لورنزو. وصل فيتوريو بعد ذلك إلى الأوساط الطلابية المتطرفة، وما لبث أن انضم إلى صفوف الشيوعيين في صراعهم مع السياسيين الذين اعتُبروا متحالفين مع وكالة الاستخبارات المركزية.

أدرك لورنزو في وقتٍ مبكر أن المعركة الحقيقية ليست بين اليمين واليسار، بل بين الذين يريدون تحقيق الاستقلال للشعب الإيطالي، والذين سمحوا للقوى الخارجية بالتأثير على قضايا الأمة. كان الخيار في غاية الوضوح بالنسبة إلى لورنزو، وهو الذي تابع السير على خطى والده عندما وضع مصالح إيطاليا فوق مصالح القوى الخارجية.

كان البروفيسور رينختر هو الذي أشرف في برلين على رسالة الدكتوراه التي أعدّها لورنزو الذي كان شديد الإعجاب به. بقي الرجلان على اتصال حتى بعد عودة لورنزو إلى إيطاليا. كشف رينختر قبل ثلاثة أشهر، وفي أحد أيام الصيف، عن خطته الكبيرة.

احتاج رينختر إلى أمر واحد من لورنزو: المعلومات التي يُمكن لصديقه جينا روجييرو إعطاؤها لهم عن كريديتو ناسيونالي. لم يكن رينختر يعلم كل الأشياء المتعلقة بجينا، لكنه اقتنع بشخصيتها خلال أحد الاجتماعات السرية.

لكن مَنْ هو الشخص الذي لا يُعجب بجينا؟ لا يقتصر الأمر فقط على أنّها تحفظ قصائد فرنسيسكو بترارك التي يبلغ عددها ثلاثمئة وست وستين قصيدة من ديوانه *Il Canzoniere* عن ظهر قلب، لكنها أيضاً تقضي أوقات فراغها في تسلّق صخور الدوليت العالية. ماذا يريد المرء أن يعرف عنها أكثر من ذلك؟

زاد اهتمام لورنزو، بفضل جينا، بديوان بترارك الذي كان موضوعه الرئيس الحب الذي شعر به بترارك نحو امرأة تدعى لورا. التقى الشاعر هذه المرأة في إحدى كنائس أفينيون في السادس من شهر نيسان/أبريل من العام 1327.

لكن الأمل الوحيد الذي بقي أمام لورنزو الآن أن يكون قادراً على إرسال رسالة إلى جينا بطريقة سرية مرفقة بمقطوعة شعرية كتبها بترارك إلى حبيبته لورا. لكن كيف سيتمكن من القيام بهذا من دون أن يعلم موريللي وجماعته بهذه العلاقة، وهو الأمر الذي يضع جينا بدورها في دائرة الخطر؟

لم يدرك لورنزو كم أن جينا أذكى وأكثر مهارة منه إلا بعد أن اقترب غلطته الكارثية. حدّته جينا مراراً وتكراراً من الخطورة الكبرى التي تترافق مع تكنولوجيا المعلومات، لكن لورنزو بقي مهملاً في هذا الشأن.

كان لورنزو يعرف علاقة الملفات الموجودة في حاسوبه مع المافيا، والتي اعتبرها خيانة لها. كانت تلك هي الغلطة الوحيدة التي لا يمكن للمافيا التغاضي عنها.

كانت الخطة الكبيرة التي أعدّها المافيا معرضة للانكشاف، لكن أمام أي جهة؟ تذكر لورنزو ما قاله موريللي عن دافيد كوبر، وعن ذلك الرجل الكونغولي، اللذين

وصلاً معاً إلى بروكسل. كان الرجلان يعملان حسب خطة مُحكَّمة. وكان ذلك واضحاً وضوحاً كافياً، لكن ما هي حقيقتهما، ولصالح مَنْ يعملان؟ لاحظ لورنزو أن ذهنه يعمل بشكلٍ صحيح، وذلك للمرة الأولى منذ إلقاء القبض عليه. عادت إليه ذكريات الأحداث التي جرت في ذلك المطعم في باليرمو. وأدرك الآن فقط مدى البراعة التي تميّز بها الرجلان، ومدى الحرفية التي تحرك بها ذلك الرجل الكونغولي في ذلك الوضع غير المتوقع.

تزايدت دقات قلب جينا روجييرو أثناء سيرها وراء الرجل الضخم خلال نزوله الدرج الحجري، كما عكست جدران الممر الحجرية برودةً شديدة. دقَّ الرجل على الباب الحديدي، وما لبث رجل ضخم آخر أن خرج منه، لكنه كان عابساً ويحمل مسدساً بيده. أشار إليها الرجل الذي كان يتقدمها ووجه الكلام إلى زميله. "سوف تقوم باستجواب كاسانو. أتى الإذن بذلك من زعيم الزعماء شخصياً"

بدا أن هذه الكلمات قد تركت أثراً عند الرجل الواقف عند الباب.
قال الرجل: "حسناً"

حصلت جينا بالفعل على الإذن باستجواب لورنزو. قالت جينا عندما سمعت بالخيانة المحتملة التي قام بها لورنزو إنها تريد الالتقاء به وحدها ومن دون وجود أي شخصٍ آخر.

فتح الرجل الذي يحمل مسدساً بيده الباب، وما لبثت جينا أن سارت بسرعة وتفحصت المكان. شاهدت طاولة كبيرة وسط هذه الغرفة الواسعة. ظهر على طاولةٍ قريبة أشخاص يجلسون أمام شاشات المراقبة الأمنية التي أظهرت رجلاً رابضاً بخضوع على أرض غرفة أخرى خفيفة الإنارة. شعرت جينا بما يشبه الوحزة الحادة عندما أيقنت بأن الرجل الذي تعرض الشاشة صورته لم يكن سوى لورنزو.

تحرك أحد الرجال نحو ممرٍ آخر، ثم وقف أمام أحد الأبواب في الممر، وما لبث أن مرَّ إحدى البطاقات المفاتيح على قارئة البطاقات الموجودة على الباب. قالت جينا: "لحظة من فضلك. أيمكنني تناول شراب قبل أن نبدأ؟"

تطلع الرجل نحو جينا بعد أن فوجئ قليلاً.
"بالطبع"

سارت جينا نحو الحاجز الشبكي الذي يفصل المطبخ عن بقية الغرفة، وقالت:
"سأناول شيئاً من الثلاثة" سمعت جينا بعد ذلك الرجال وهم يجلسون إلى الطاولة.
أسرعت جينا بعد ذلك إلى تناول قناعين واقين من الغاز من حقيبة الكسف
التي تحملها، ووضعت أحدهما على وجهها. تناولت بعد ذلك أسطوانة غاز يدوية
من حقيبتها، ونزعت عنها صمّام الأمان.

بدأ الغاز يتسرّب إلى الغرفة تحت ضغطٍ شديد. انطلقت جينا بالعد حتى
العشرة، وما لبثت أن تطلعت ورائها بجذر شديد حيث كان الرجال يتبادلون
الأحاديث. بدأ أحدهم بالسعال الشديد بينما نهض الآخر متعثراً ومحاولاً الوقوف،
ثم سقط الرجلان أرضاً.

دخلت جينا إلى الغرفة، وانحنت لتأخذ بطاقة المفاتيح. حدّق إليها الرجل
الذي كان ينتفض على الأرض بعينين دامعتين وحاول أن يقول شيئاً، لكن كلماته
لم تخرج من فمه بسبب اللعاب الذي بدأ يتقاطر من فمه.

أسرعت جينا نحو باب الزنزانة حاملة بيدها القناع الثاني الواقى من الغاز.
حملت بطاقة المفاتيح فوق قفل الباب ثم دفعت الباب بقوة.
استدار لورنزو الذي كان رابضاً على الأرض لينظر إليها.

أتاحت الشرفة المسقوفة التي تبلغ مساحتها مئة متر مربع الاستمتاع بمنظر
مكشوفٍ لميدان تينوش المسيّج، والمغطى بالعشب الأخضر، والذي تطلّه سماء مليئة
بالغيوم في إيكسيل، بروكسل. كان ذلك الميدان الذي تبلغ مساحته هكتارين حديقة
أشجارٍ خاصة فيما مضى، لكنها تردد الآن صيحات الأطفال السعداء أثناء لعبهم.

أخذ آرنو مايز آخر أنفاس سيجاره الرفيع بتوتّرٍ ظاهر بينما كان مستنداً إلى
سياج شرفته. سبق لآرنو أن أعطى رسالة الابتزاز التي وصلته إلى خبير تقنية
المعلومات في يوروسيك، وهو الذي نسّق بدوره مع شركة أخرى متخصصة في

المعلومات الأمنية بهدف تتبّع مصدر الرسالة. لم يغفل الرجل، بطبيعة الحال، عن حذف محتويات الرسالة.

تناول ماييز عصاه، وعاد عبر الأبواب الانزلاقية الزجاجية المفتوحة إلى غرفة ذات بلاطٍ رخامي، وجدرانٍ مطلية باللون الرمادي الشاحب. لكن قلة السديكور الداخلي كانت في تناقضٍ واضح مع مجموعة المقتنيات المختلفة الموجودة على رفوفٍ وخزائن مكتب ماييز: قرن تخزين البارود العائد لأحد الجنود من حقبة الحروب النابوليونية، وبنديقية ماوزر ألمانية الصنع تعود إلى العام 1898، وهي مجهزة بحربةٍ أصلية كما استُخدمت في معركة فردان، وكذلك جيروسكوب [أداة تحديد الاتجاه] يعود إلى صاروخ V2 الذي استخدمته ألمانيا النازية في الحرب العالمية الثانية، بالإضافة إلى النموذج الأصلي لقذيفة مدفعية كاتيوشا ذاتية الدفع، سوفياتية الصنع تعود إلى العام 1941. لكن هذه القذيفة لم تنفجر بسبب عيوبٍ في التصميم.

لكن قرة عين ماييز كانت زينة الجدار: خريطة ألمانية ضخمة لخطوط المواجهة في معركة آردين. وإلى جانب هذه الخريطة كانت لوحة زيتية لشابة ذات شعرٍ داكن. تمثل هذه اللوحة سيلبستينا، وهي إيطالية من لياج مولودة في بلجيكا، ماتت في سن الثانية والثلاثين في حادثٍ دراجةٍ هوائية.

شعر ماييز بالتوتر، فجلس أمام حاسوبه وفتح رابطاً مشفراً للبريد الإلكتروني. تعودت يوروسيك العمل بالتنسيق مع وحدة الأمن التابعة للاتحاد الأوروبي، وكذلك مع VSSE، وكالة الاستخبارات البلجيكية. كان ماييز شبه متأكد من أن رابطاً كهذا سيمنّكه من تحديد مصدر رسالة البريد الإلكتروني. كان الأمر سهلاً لأنهم لم يكونوا في مواجهةٍ مع أحد قراصنة المعلومات المحترفين، أو مع جهةٍ حكومية. كانت معظم موارد قسم المعلومات الأمنية في يوروسيك تذهب لمراقبة الاتصالات التي يجريها موظفو الاتحاد الأوروبي، بهدف القضاء على السلوكيات الخاطئة. شعر ماييز بالقلق من أن تكون التبريرات - التي قام بها سنودون حول خصخصة أنظمة التحسّس الأميركية المهمة للشركات الخاصة، وتدور حول التعاون الوثيق ما بين الجهاز الأمني التابع لمفوضية الاتحاد الأوروبي

ويوروسيك - قد تصبح مادة دسمة لأحد الصحافيين الجشعين. تمتلك الشركات الخاصة مرونة أكبر بكثير من البيروقراطية السائدة في ترتيب أنشطة محددة. كان هذا هو سبب تكليف يوروسيك بمهمة منع موظفي الاتحاد الأوروبي من تسريب المعلومات. يُذكر أن بعض موظفي الاتحاد الأوروبي قد لوثوا سمعة هذا الاتحاد في أعين دافعي الضرائب في الدول الأعضاء، وهذا هو السبب الذي دفع بالوحدة الأمنية إلى استثمار موارد كبيرة في منع هذه التسريبات.

أما التهديد الآخر فكان داخلياً. تسبب توسيع الاتحاد الأوروبي شرقاً في ضمّ شعوب إلى المنظمة ذات خلفيات تمثل أنواعاً جديدة من المخاطر. أفسحت يوروسيك المجال أمام مئات من الناس للتقدم بطلبات شغل وظائف، وكانوا من سلوفاكيا، وسلوفينيا، ورومانيا وبلغاريا، وفي بعض الأحيان كانت رغبات الدولة العضو تحجب قليلاً نتائج التحقيقات. شعر ماييز بالإحباط الشديد من واقع أن الوحدة الأمنية التابعة لمفوضية الاتحاد الأوروبي تتبع لمنظمة يتربع على رئاستها مفوضٌ تلقى تدريباته في أواخر الثمانينيات من القرن الماضي خلال الحقبة السوفياتية، وذلك في معهد موسكو الحكومي للعلاقات الدولية، وهو واحد من المصادر الرئيسة لضباط الكي. جي. بي.

لكن عندما فتح ماييز بريده الإلكتروني وجد بانتظاره رسالة جديدة من خبير المعلوماتية في يوروسيك. كان التوثُر الذي تجمّع في سباته المرتعشة فوق فأرة الحاسوب لا يُحتمل تقريباً. كانت هذه هي الفرصة الأخيرة والوحيدة أمامه.

نقر على فأرة الحاسوب وفتح الرسالة. أسفرت محاولة تتبع مصدر رسالة الابتزاز إلى الاستنتاج بأنها أرسلت من خادم server مجهول، لكن بعكس ما كان يُعتقد عموماً، فإن الخوادم المجانية العامة من هذا النوع لم تكن مجهولة.

لكن مرسل هذه الرسالة قد سجّل دخوله من خلال عنوان IP يمتلكه شخصٌ يدعى كوبر، دافيد.

حدّق ماييز إلى الاسم بدهشةٍ وارتياح.

أسرع فلوريان عبر جادة جان لايدي بمنازلها ذات الطبقتين والثلاث طبقات، والقريبة جداً بعضها من بعض. كان مصعوقاً لرؤية دافيد كوبر جالساً على طاولة ريجتر. فكّر في التترادوتوكسين الذي لا بدّ أن يأخذ مفعوله في غضون دقائق. هل يمكن أن يكون أحد غيره لم يشرب الشاي؟
أما أسوأ ما في الأمر فهو أن كوبر قد تعرّف إلى فلوريان في محطة قطارات روما، وأن ريجتر يعرف ذلك.

شتم فلوريان بينه وبين نفسه مجدّداً. لكن لا بأس في ذلك، لأن هذا اللقاء قدّم لفلوريان فرصة أفضل بكثير.

وصل فلوريان إلى منزلٍ مربع الشكل مشيّد بالطوب الأحمر، وصعد درجاتٍ قليلةً ثم تناول مفاتيحه من جيبه. فتح القفل، ودخل إلى المنزل الذي ألفه كثيراً بنوافذه المغطاة بستائر رقيقة. عاش فلوريان هنا مدة ثلاثة أشهر في أواخر الربيع، عندما كان يعمل ضمن برنامج إراسموس التبادلي في جامعة بروكسل الحرّة، ومنترباً في البرلمان الأوروبي. عرف فلوريان في تلك الفترة كل تفاصيل الترتيبات الأمنية المتخذة على الأرض في الاتحاد الأوروبي. بدت الأشهر القليلة تلك، وكأنها أسعد أيام حياته، إلا أنها انتهت كأتعسها. تمكّن فلوريان الآن من طرد كل ذكريات هذه الفترة من ذهنه.

توقف فلوريان أمام المرأة في القاعة، وحاول تهدئة أعصابه، لكنه لم يرغب في أن يظهر أمام فريقه وكأنه فقد السيطرة على مشاعره.

أخذ فلوريان أنفاساً عميقة، ثم صعد درجاً ضيقاً إلى الطابق الأعلى. فتح بعد ذلك أحد نصفي الباب الخشبي القديم. انشغل كارل في هذا الوقت بقراءة

كتاب عن الموارد المالية أخذه من شقة كوبر. كان سياستيان جالساً في هذا الوقت على الأرض منشغلاً بتجميع بنديقية رشاشة، وكانت حركاته سريعة ومتمرسه. ظهرت على طاولة قريبة مجموعة من الحواسيب بشاشاتها المتوهجة بالنصوص والأرقام. كانت الغرفة مليئة بالأسلحة والكاميرات والأجهزة الإلكترونية الأخرى.

كان آرنو جالساً إلى طاولة وانشغل بتفحص حاسوبه، لكنه نهض عندما رأى فلوريان.

سأل فلوريان: "هل وضعت السم في فنجان الرجل الإنكليزي من دون أن يلاحظ ذلك؟"

"لم يلحظ أي شيء، ثم غادرتُ كما هو مقرر. هل حدث خطأ ما؟"
"لا بدّ أنه لم يشرب الشاي"

تبادل آرنو و كارل نظرات الدهشة.

"هل أنت متأكد تماماً من أنك وضعت السم في الفنجان المقصود؟"
"بالطبع"

لم يرغب فلوريان في التفكير بالعواقب المحتملة لو أن آرنو أخطأ في وضع السم في الفنجان المقصود. سيموت عندها أحد الأشخاص الحاضرين بدلاً من دافيد كوبر. لكن هذا السم يعطي مفعوله بسرعة وعلى الفور تقريباً، لكن لم تحصل أيّ جلبةٍ في المقهى.

لم يرغب فلوريان كذلك في السماح لهم بالجدال في الأمر، كما أنه لا يُسمح للآخرين بمعرفة أن ذلك المستحضر في الشاي يُمكن أن يكون قاتلاً، لأنه كان عليه أن يمضي بخطته قُدماً.

جهّز سياستيان بنديقته الرشاشة، ثم أخرج سترة كيفلر الواقية من كيس وارتداها. أراد سياستيان أن يقول قبل أن يرفع فلوريان يده: "لدينا بعض الأخبار"

"أخباري غريبة بعض الشيء. أرادني ريختر أن ألتقي رجلاً يُسمى دافيد كوبر. يمتلك الرجل بعض الأخبار المهمة بالنسبة إلى العملية التي نقوم بها"

أصغى الرجال بكل اهتمام.

"اكتشف كوبر السبب الذي يدعو غوسينز إلى الحضور إلى شاتو أنطوانيت في الغد. سيعقد هناك اجتماع سيضم على الأقل ديلفو، رئيس كريديتو ناسيونالي، وغرينفيل مندوباً عن غولدمان ساكس. وليس من الصعب معرفة المواضيع التي ستطرح في ذلك الاجتماع. إنهم لا يريدون أن يقوم أحدٌ بتسريب أي كلمة عن القرارات التي سوف يتخذونها. يريد رينختر وكوبر تركيب أجهزة تنصت في غرفة الاجتماعات بحيث تتمكن من تسجيل أحاديثهم ونشرها بعد ذلك في الوقت المناسب"

سأل كارل: "لكن كيف سيؤثر ذلك على خطتنا؟"

قال فلوريان: "يعني ذلك أنه ينبغي علينا الحصول على سيارة أكبر"

"هل يعني ذلك أننا سنقوم بخطف أشخاص غير غوسينز؟"

"سنقبض على أي شخص يوجد معه في السيارة ذاتها. يُحتمل أن يأتي الرجل في سيارة مختلفة عن سيارات الآخرين، لكن يجب أن نكون على استعداد في حال عثورنا على أكثر من شخص"

قال سيباستيان: "لكنهم سوف يتخذون إجراءات أمنية أكثر"

"ما زلت لا أتوقع أن يضعوا أكثر من حارس واحد بالإضافة إلى السائق. يُضاف إلى ذلك أنهم لن يحصلوا على مواكبة. إننا لم نرهم أبداً وهم يتوجهون إلى اجتماع عادي مع مواكبة"

"لكن هذا الاجتماع ليس روتينياً"

"هذا هو نوع الاجتماع بالذات الذي لا يريدون إحاطته بضجة إعلامية، وهذا هو سبب عدم عقد الاجتماع في مبنى تابع للاتحاد الأوروبي. نعرف كذلك أنه بسبب حضور ديلفو سيكون هذا الاجتماع بمثابة مفاوضات خلف الكواليس، وليس اجتماعاً رسمياً. ستكون هذه التسجيلات بمنزلة هدية من الله"

قال سيباستيان: "هذه أخبار مهمة، لكن الأخبار التي كنت أحاول نقلها هي أنه في أثناء غيابك أرسل مساعد غوسينز شيئاً من شأنه التأثير كثيراً على خططنا. دعه يره يا أرنو"

التفت آرنو خلفه نحو شاشة الحاسوب. عبس فلوريان واقترب قليلاً. كان هو وآرنو قُرصائي المعلوماتية المعتمدين لدى المجموعة، كما سبق لهما في صيف العام 2012 أن اخترقا حسابات البريد الإلكتروني لجميع صانعي القرارات لدول الاتحاد الأوروبي تقريباً. امتلك الرجلان الآن إمكانية الوصول إلى البريد الإلكتروني لمساعد غوسينز، وكانت هذه هي الطريقة التي علما بها أن غوسينز سيكون حاضراً في شاتو أنطوانيت.

انتقل آرنو إلى الرسالة التالية: تغيّر وقت الاجتماع في ذلك المساء إلى الساعة السادسة.

قال فلوريان غاضباً: "يا الله. نفذ الوقت منا. جهّزوا العربة الآن على الفور!" جلس بعد ذلك، وراحت أصابعه تتراقص فوق لوحة المفاتيح، ثم تذكر رؤية رسالة بريد إلكتروني أخرى في وقت سابق، وهي لا بدّ أن تكون مهمة في هذا الوقت. تصفّح قائمة الرسائل، وما لبث أن وجد رسالة ونقر عليها. شاهد الرسالة التي يبحث عنها. طلب غوسينز من مساعده أن يحجز له جناح فيليب في الفندق.

ابتسم فلوريان ابتسامة رضا، وذلك بعد أن علم المكان الذي يجب عليه أن يزرع فيه جهاز التنصّت، كما أنه لم يتمكن من أن يدع هذه الفرصة تفلت من يده. يعني ذلك أنه أصبح بإمكانهم تسجيل صوت زعيم المجموعة الأوروبية على أشرطة مثبت أنه كان يحاول حلّ مشكلة مصرفٍ آخر بأموال دافعي الضرائب. كان ذلك ما قال رينختر إنه يحدث الآن. يعطي تسجيل كهذا مصداقيةً إضافيةً للإعلان الذي يحمله شريط الفيديو.

كان المقصود من خطف غوسينز هو جذب انتباه العالم بأسره إلى إعلانهم. أما الآن، وإذا تمكّنوا من خطف طفيليين آخرين معه فسيكون من المؤكد حينذاك أن رسالتهم سوف تحتل عناوين الأخبار في كل زاوية من زوايا المعمورة.

انزعجت كاتي كثيراً بسبب بطء خط اتصال الواي فاي في مكتبة كوك آند بوك في مركز ولووي الثقافي. اعتادت كاتي زيارة هذا المتجر كي تقرأ القصص

الفكاهية والروايات المصورة، وعلى الأخص روايات لارجو وينش في الآونة الأخيرة.

كانت كاتي تبحث في هذا الوقت عن معلوماتٍ أكثر تتعلّق بقضية مقتل أندريه كول في العام 1991، وفضيحة الفساد المتعلّقة بحوامات أوغستا، لأن آينو كانت تنقّب في هاتين القضيتين لسببٍ ما.

كان متجر بيع الكتب والمطعم المزخرف والفريد هذا هادئاً في مساء يوم الاثنين هذا. أما الشيء الوحيد الذي كان يتحرك في مجال نظر كاتي فكان نموذج قطار شحن كبير الحجم، كان يمر تحت الأرضية الزجاجية الواقفة عليها. جفلت كاتي فجأة. كانت تقرأ في صفحةٍ تتعلّق بمسؤولي حزب والون الاشتراكي، وكان من بين الأسماء اسم معروف لديها: جان لاگران.

لكن ألم يكن آرنو مايز يعمل كذلك لصالح حزب والون الاشتراكي؟ أسرع كاتي لتقرأ أكثر، وعلمت أن جان لاگران عمل مساعداً لأحد الوزراء المنتمين إلى الحزب. بدا اسم الوزير الآن فان دير بيبست مألوفاً لديها. يُضاف إلى ذلك أن بحثاً سريعاً عن اسم فان دير بيبست أكّد أن همة قتل زميله في الحزب أندريه كولز وُجّهت له، وكان مايز واحداً من الشهود، كما يُفترض أن مايز ولاگران كانا يعرفان أحدهما الآخر منذ تلك الفترة.

تساءلت كاتي ما إذا كان بإمكانها أن تسأل لاگران عن مايز مباشرة. رنّ هاتف كاتي، لكن الرقم كان مجهولاً لديها. منعها دافيد من الرد على جميع المكالمات أيّاً كان نوعها. لم يكن باستطاعتها حتى أن تتحدث مع الشرطة، لكن الأدلة بدأت الآن تتجمّع. ردّت كاتي بعد فترةٍ من التردّد.

جاءها صوت من الماضي: "مرحباً كاتي. هل توقيت مكالمتي غير مناسب؟"
"أبي أجابت كاتي باللغة الفنلندية، بالرغم من أنها امتنعت عن قول"
"أبي عند حديثها مع آرتو. "ماذا تريد؟"
"إنني أقف خارج منزلك"
"ماذا؟ أين؟"

"أنا هنا في تيرفورين. لكن المكان يبدو مهجوراً"

"كيف... ماذا تفعل هناك؟"

"لديّ شيء من هاييكي. نسيت آينو في آخر زيارة لها إلى فنلندا جهازها الآيباد الصغير. يبدو أنه مليء بالملاحظات. توجد نصوص كثيرة عن الاتحاد الأوروبي. يعتقد هاييكي أنه من الأفضل أن تلقي نظرة، ولربما تجد شيئاً مهماً فيها"

شعرت كاتي بالغضب. لم تكن رؤية والدها بالأمر المستحب لديها على الإطلاق، لكن وجود أي نص تركته آينو هو أمرٌ يهمها كثيراً.

"هل دافيد هنا؟"

"لماذا تسأل؟"

"هناك أمرٌ أود مناقشته معه. حاولت الاتصال به لترتيب الاجتماع، لكنه كان مشغولاً جداً ولم يتمكن من التحدّث معي"

عضّت كاتي شفتها. لماذا لم يقل لها دافيد إن والدها قد اتصل به؟

"هل عرف دافيد أنك حضرت إلى بروكسل؟"

"لا يمكنني الحضور فجأة من دون إعلام شخص ما أولاً. أنت لا تردّين على مكالماتي إلا إذا اتصلت من رقم غير مسجّل. ألم يُخبرك دافيد؟ طلبتُ منه أن يخبرك"

صرّت كاتي أسنانها بقوة أكبر لأن ذهابها إلى المنزل الآن قد يكون مخاطرة، لكنها تريد الحصول على المذكرات التي كتبتها آينو.

قالت كاتي: "انتظري هناك. سأصل في غضون حوالي عشر دقائق. يمكنك التوجه إلى الحديقة، وستجد هناك مقاعد في الشرفة"

انشغل سيرجيو موريللي بتناول شطيرة لحمٍ مقدّدٍ في أحد مطاعم المأكولات السريعة يقع في الجهة الشرقية من بروكسل. شعر بعد قليل باهتزاز هاتفه في جيبه. يعني ذلك أن كاشف الحركة الذي تركه في منزل عائلة كوبر في تيرفورين قد بدأ بالعمل.

حدّق موريللي إلى صورة الرسالة التي أرسلتها الكاميرا من المنزل. أظهرت الصورة نافذة غرفة المعيشة ورجلاً يقف في الخارج.

وجّه موريللي كلامه إلى فيتو زاركا الجالس قبالته، والذي وضع أمامه مجموعة من شرائح البطاطا المقلية: "اشتغل جهاز كشف الحركة. دعنا نذهب الآن. لا بد أن أسرة كوبر قد عادت إلى المنزل"

أسرع زاركا إلى دسّ ما تبقى من شطيرته في فمه، ثم نهض من مكانه. "يتعيّن علينا الذهاب الآن. يحتمل أن يغادروا بسرعة"

خرج الرجلان بخطواتٍ رشيقة من المطعم. لكن وصولهما إلى المنزل يستغرق خمس عشرة دقيقة بحسب حالة السير.

سيطرت موجة من الغضب على موريللي بسبب تعقّد الوضع، وهو الذي أنهى قبل دقائق قليلة إجراء مكالمة طويلة مع باليرمو. كان الجميع يجهدون لمعرفة ما إذا كانت سرقة الحاسوب لها علاقة بقضية كريديتو ناسيونالي. يشهد المصرف في هذا الوقت عملية مصرفية ضخمة، لكنهم لم يخبروه، وهو المسؤول عن الأمن، عن طبيعة هذه العملية.

جلس زاركا خلف عجلة القيادة بينما ركب موريللي إلى جانبه. صمّم على انتزاع الحقيقة من هذا الرجل الإنكليزي، حتى لو كان ذلك آخر شيء يقوم به في حياته.

اقترب دافيد خلال وجوده في بارك دو سانكانتير في مجّمع الاتحاد الأوروبي، من رجلٍ كان يجلس على أحد المقاعد مرتدياً بذلةً وربطة عنقٍ وقد أغمك بقراءة صحيفة لو سوار.

سبق ذلك أن أجرى دافيد مكالمة هاتفية مع جان لاغران لمعرفة رأيه بشأن ما يعرفه الاتحاد الأوروبي عن أزمة كريديتو ناسيونالي. دُهِش دافيد عندما قال لاغران إنه حاول الاتصال به وبكاتي. قال لاغران إنه تلقى معلوماتٍ من مصادر الشرطة التابعة للمفوضية حول جريمة قتل باريتو، والتي يريد مناقشتها مع دافيد، لكن نظراً لحساسية المسألة قرّرا الالتقاء في المتنزه.

فكّر دافيد أثناء اقترابه من لاغران بكمّ المعلومات التي يستطيع كشفها حول الوضع. يُحتمل أن يحتاج دافيد إلى حماية من مسؤولٍ رفيع في الاتحاد الأوروبي، للحصول على هويّتين جديدتين له ولكاتي أثناء فرارهما من ملاحقة المافيا لهما. أنزل لاغران صحيفته عندما لاحظ اقتراب دافيد منه.

"ماذا حدث يا دافيد؟" بدت نظرة متسائلة على ملامحه قبل أن يُكمل: "أين كنتما أنت وكاتي؟"

جلس دافيد إلى جانب لاغران.

"تابع قراءة صحيفتك، ولا تعرني أي انتباه. يُحتمل أن يكون شخص ما يلاحقني"

نظر لاغران إلى دافيد مندهشاً، لكنه سارع إلى إعادة أنظاره إلى صحيفته. "تحاول الشرطة الاتصال بك، وهي تعتقد أنك زرتَ منزل باريتو ليلة مقتله. أعرفك أنت وكاتي بما يكفي للقول إنك لست القاتل. ماذا يجري؟"

أخذ دافيد فترة كي يستجمع أفكاره. كان أكثر اقتناعاً من أي وقت مضى بأنه يحتاج، هو وكاتي، إلى شخصٍ ذي نفوذٍ لحمايتهما. "وقعتُ أنا وكاتي في مأزقٍ خطيرٍ ونحن نحتاج إلى مساعدتك. لم تُقدم آينو على الانتحار، بل قُلت"

نظر لاگران إلى دافيد بسرعة، في حين بدت الصدمة على وجهه. "ماذا تعني؟"

"تحدث الآن أشياء غريبة في ماكينه الاتحاد الأوروبي. إنها أشياء سيئة في الواقع، وكانت آينو تلاحقها، وهذا هو سبب مقتلها. يمكنني إثبات كل هذه الأمور، ولدينا أنا وكاتي نتائج الأبحاث التي أجرتها... إن أموال الاتحاد الأوروبي تجد طريقها إلى المافيا الإيطالية، لكن هذا ليس مفاجأة لأحد، إلا أن بروكسل تسمح بهذا الأمر. حين تقدّم إصبعك للشيطان فإنه يلتهم يدك كلّها"

قال لاگران بعد أن تعمّقت التعضّبات في وجهه الأسمر: "لا أفهمك"

"وجدت مليارات الدولارات من أموال عصابات المخدرات المنظّمة طريقها إلى المصارف الأميركية الشرعية، لكن يُحتمل كذلك وجود مسارات أخرى لهذه الأموال لا نعرف عنها شيئاً. أعتقد أن هذا ما سيحدث في أوروبا كذلك، وفي إيطاليا على وجه الدقة. تقوم المافيا بعمل شيء ما مع كريدتو ناسيونالي"

رنّ هاتف كاتي في الوقت الذي تمكّنت فيه من رؤية المنعطف الذي يؤدي إلى منزلها من خلال الزجاج الأمامي لسيارتها.

أتت المكالمة من رقمٍ ليس مسجّلاً في هاتفها، واعتقدت أنها من والدها. قرّبت الهاتف من أذنها، وقالت بنفاد صبرٍ بالفلنندية: "سأصل بعد قليل"

ردّ عليها صوت غير مألوفٍ لديها: "عذراً"

قالت كاتي بترددٍ متسائلة ما إذا كان يجدر بها قطع المكالمة على الفور: "مرحباً"

"أنا مارك بوفيه كبير المفتشين في شرطة بروكسل"

أطبقت كاتي فمها.

قالت بعد مرور ثوانٍ قليلة: "ماذا هناك؟"

"حاولنا مرات عدّة الاتصال بكما، وعلى الأخص مع زوجك"
"أجل، أنا آسفة"

"هل تحاولين أنتِ وزوجك تجّيب الشرطة؟"

"قطعاً لا، فالأمر ليس هكذا..."

"يمكن أن تكون عواقب هذا التهرّب وخيمة عليكما"

سألت كاتي بعد أن زاد ارتباكها: "ما الأمر حضرة المفوض؟" انعطفت في هذه اللحظة بالذات إلى الطريق الخاص بمنزلها الذي خضع للتجديد حديثاً، ولاحظت وجود سيارة الفولفو البيضاء مركونة هناك، وكانت تحمل علامة شركة هيرتز لتأجير السيارات فوق غطاء لوحة التسجيل.

"إذا كنتِ تتظاهرين بأنك لا تعرفين شيئاً فسوف أقول لك. شوهدت سيارة يمتلكها زوجك بالقرب من منزل خوليو باريتو ليلة مقتله. نظن أنه دخل منزل باريتو خلسةً مع رجلٍ آخر، ولدينا شريط كاميرا مراقبة يُثبت هذا" صُدمت كاتي. ماذا يحاول رجل الشرطة هذا أن يقول؟

"لا بدّ أن يكون هناك سوء تفاهم ما..."

"يمكنك أن تأتي إلى مركز الشرطة على الفور لتوضيح الأمر"

تذكرت كاتي أن دافيد اختفى في مكانٍ ما ليلة الاحتفال بتدشين المنزل، وقد منعها من الرد على المكالمات الهاتفية بما في ذلك تلك الآتية من الشرطة. تذكرت كذلك الخروج السريع لزوجها من منزلها في ساعات الصباح الباكر... لاحظت كاتي رجلاً في زاوية المنزل. كان ذلك والدها.

"سأطلب من زوجي الاتصال بك مباشرة لمعالجة سوء التفاهم هذا"

تسارعت الأفكار في رأسها وأتمت المكالمة. لم يكن لديها أي فكرة عمّا يدور من حولها. كان والدها آخر شخص تريد رؤيته.

فتحت كاتي الباب، وأجبرت نفسها على الخروج من سيارتها.

قال آرتو فاتحاً ذراعيه بحذر لمعانقتها: "كاتي"

لم تتحرك كاتي لملاقة حركة والدها. "هل هذا هو الأياد؟"

سَلَّمها آرتو كِيساً بلاستيكيًا. هل كان ذلك هو العذر الذي استخدمه من أجل ترطيب أجواء علاقتهما؟ أَلقت نظرة على ذلك الجهاز الرفيع في أسفل الكيس.

"شكرًا لك. أُنجزتَ مهمتك، ونجحتَ في تسليم الآياد"

"أعتقد أنني قلتُ إنها نسيته قبل أسبوعٍ عندما قامت بزيارة فنلندا. اقترح هايكي إرساله بالبريد، لكن آينو قالت بأن لا ضرورة للاستعجال، وإنما سوف تأخذه في شهر تشرين الأول/أكتوبر عندما تأتي لحضور حفلة عيد ميلاد هايكي الستين. وجدوا كذلك شيئاً اعتقدوا أنك ستفهمينه أكثر منهم. إنها أشياء مكسورة..."

بدا آرتو مضطرباً، وهو الأمر الذي ساهم في تهدئة غضب كاتي، ثم وقفت قليلاً لتفكر في تلك المكالمات التي تلقَّتها من الشرطة، والتي أفلقتها كثيراً.

بدأ آرتو بالقول بصوتٍ مختنق: "دفعني ما حدث لآينو إلى التفكير. ماذا لو... ماذا لو حدث لك شيء ما..."

أمسكت كاتي الكيس البلاستيكي بإصبعها.

"لا أريد أن يستمر هذا النفور بيننا إلى زمنٍ يفوت فيه الأوان..."

"حقاً؟ حسناً ماذا تقترح أن نفعل؟"

هزَّ آرتو كتفيه، وظهرت ملامح الحيرة على وجهه.

"لم تفكر في الماضي إلا بنفسك وبعملك، وأنت جعلت الآخرين مرهقين لك. يُشعرني الأمر بالاشمئزاز، ولا أريد أن أتعامل مع أشخاصٍ من هذا النوع" حدق آرتو بصمتٍ إلى ابنته، لكن عينيه أوحى بأن اتهامات كاتي له آذته كثيراً.

"لكنك اخترت مع ذلك الزواج من رجلٍ مثلي أنا"

فوجئت كاتي بهذا، وحدقت إلى والدها: "عمّ تتحدث؟"

بدا بوضوح من ملامح آرتو أنه ندم على زلة لسانه هذه.

"لا شيء. انسي الأمر"

كان النسيان هو آخر شيء يدور في خلد كاتي. كان والدها يتحدث، وكأنه يعرف دافيد أكثر مما تعرفه هي، لكن تلميحاته أغضبته كثيراً.

"لا يشبهك دافيد حتى في أصغر الأشياء"

"لا يشبهني بالطبع. آسف جداً؛ كان من الحمق أن أقول هذا"

حاولت كاتي السيطرة على أعصابها، وهذا ما فعله والدها أيضاً. أدركت كاتي أنها إذا لم تتغير الموضوع، فإنها سوف تبرهن له بأنه أصاب نقطة حساسة.

"سألت عن دافيد هاتفياً. ماذا يجري؟"

"أردت أن أناقش معه قضايا عمل عالقة منذ مدة"

قالت كاتي باستياء: "لم يذكر دافيد أي شيء مثل هذا أمامي"

"يمكن أنه لا يريد مناقشة أمور العمل مع أحد"

أدركت كاتي أن والدها قد فاز مجدداً. كان يكفي أن كاتي لم تعرف حتى أن دافيد كان يتحدث مع والدها كي تستنتج بأنه كان على حق.

قالت كاتي بصوتٍ مرتعشٍ بسبب الغضب: "لا يبدو أن دافيد قريب من هنا، وهكذا لا يمكنك أن تتحدث معه" تناولت مفاتيحها أثناء تراجعها نحو الباب.

قال آرتو وهو يسير خلفها: "كاتي، انتظري..."

صفت كاتي الباب وهي تقول: "دعنا نتوقف عن تضييع الوقت. لا فائدة من كل هذا" أغمضت عينيها، واستندت إلى الباب، ثم شعرت برغبة في الصراخ. شعرت كاتي بثقل الكيس البلاستيكي المعلق برسغها وتنفست بعمق. كان من شأن تفحصها محتويات الأياد الخاص بآينو أن يشغلها عن هذه المسألة.

سمعت كاتي طرقةً على الباب بالقرب من أذنها، لكنها لم تتحرك.

سمعت والدها يقول لها: "افتحي الباب يا كاتي. لا بد أن أتكلم معك. إنه

شيء مهم"

وقفت كاتي مستندةً إلى الباب من دون أن تتحرك.

فكرت كاتي في نفسها: تأخرت يا أبي. انتهى وقت التفسيرات، والأمور

لن تعود كما كانت في الماضي.

شعرت بالدموع وهي تسيل من عينيها، لكنها تمت لو تتوقف تلك الطرقات

الرهيبية على الباب. عادت إليها الذكريات الأليمة التي رافقت موت آينو. رأت

نفسها وهي تستيقظ للبدء بتحضيراتها الصباحية العادية قبل التوجّه إلى المدرسة في صباح يوم ربيعي مشرق. كان والدها مسافراً في رحلة عملٍ إلى الخارج، بينما كانت والدتها تنام في غرفة النوم. تعودت والدتها على تحضير طعام الفطور، حتى ولو لم تكن مضطرة للنهوض باكراً منذ إفلاس الشركة.

قُتلت آينو بواسطة الحبوب المنومة، لكن والدتها استخدمت هذه الحبوب لقتل نفسها. كان ذلك خيارها هي، والتصرف الذي أقدم عليه شخصٌ يائس سحقه العار واليأس، بعد أن ذهب تعب العمر هباءً. أما والدها فكان مسؤولاً عن الوضع الذي وصلت إليه والدتها، وهو الذي أطلق مرحلة انحدار الشركة عندما أقدم على تزوير تقارير الشركة السنوية، وهي أمور تعرّفت إليها بمرارة في المحكمة عندما تحرّجت حديثاً من كلية الحقوق، وعندما حاولت تسوية ديون والدها. لم يذكر والدها أيّ شيء أمامها عن عملية احتيال، لكن هذه العملية كانت المسمار الأخير في نعش علاقتهما.

تقدمت كاتي خطواتٍ قليلةً قبل أن تنهار على أريكة. كانت على وشك الاستسلام لدموعها، لكنها جهدت لمكافحتها.

تذكّرت مجدداً ادعاءات رجل الشرطة على الهاتف. اعتقدت بأنه لا بد من وجود سوء تفاهم ما. كانت محاولة ربط دافيد بجريمة قتل باريتو أمراً سخيماً. وكانت تعرف زوجها جيداً بغضّ النظر عن كل ما يجري، أي أنه لا بد من وجود تفسيرٍ طبيعيٍّ لهذا الأمر. هل يُحتمل كذلك أن يكون المتصل شخصاً يدّعي أنه يعمل مع الشرطة في محاولةٍ منه لكشف مكائهما؟ لكن هل يُعقل أن تتعلّق المكالمات بآينو...

وضعت كاتي الكيس البلاستيكي في حضانها. كان هذا الأياد الصغير في غاية الخفة. ضغطت على زر التشغيل، وما لبثت الشاشة أن توهّجت. فتحت كاتي تطبيق الصور. أصابت الصورة الأولى كاتي بالذهول وأغرقت عينيها بالدموع: صورتها هي مع آينو في متنزه ولووي خلال نزهة لهما في الربيع الفائت. لاحظت كاتي ضعف مستوى بطارية الجهاز، وذهبت لإحضار سلك التعبئة الخاص بجهازها الأياد الأكبر حجماً، لكنها اكتشفت أن الوصلة الكهربائية لا تتناسب مع جهاز آينو الصغير.

تابعت كاتي تصفح بقية الصور. آينو في مكتبها؛ آينو تشرب القهوة مع زملائها؛ الياسمين الأزرق المذهل والمتدلي من شرفتها؛ آينو أثناء عملها مع البرنامج الخاص بحيوانات الكوال [الدب الأسترالي] في أستراليا؛ آينو في منزلها وهي تتناول طعام العشاء مع كاتي ودافيد.

ظهرت فجأة صورة من نوع مختلف: منزل فخم مع بركة سباحة وأشجار نخيل وسط منطقة مليئة بالبحيرات والتلال المتماوجة. بدت تلك المنطقة، وكأنها موجودة في فرنسا، أو في شمال إيطاليا.

حركت كاتي إصبعها لتكشف الصورة التالية، وهو الأمر الذي جعل كاتي تحدق إليها بدهشة: بدت آينو في هذه الصورة وهي تعانق رجلاً في المنزل الفخم الذي تظله شجرة بلح. كان وجه الرجل في الظل، لكن ملامحه وطريقة وقوفه بدت مألوفة لديها. تأكدت على الأقل من أنه أكبر سناً من آينو. لكن الصورة أخذت عن بُعد، وربما سراً.

انتقلت كاتي إلى الصورة التالية. أحسّت، فجأة، وكأن الغرفة تدور بها. ظهرت مجدداً صورة آينو والرجل الذي ظهر في الصورة السابقة. ظهرا الآن متعانقين، لكن من دون الالتفات إلى الكاميرا، وكان من الواضح بأنهما لم يعلما بالتقاط الصورة. تعرّفت كاتي إلى الرجل هذه المرة. جان لاگران.

نظرت كاتي غير مصدّقة ما تراه. كان لاگران هو صديقها الذي لا تريد التحدث عنه!

بلعت كاتي ريقها عندما أيقنت معنى ما تراه، وتصفّحت بقية الصور بسرعة. ظهر لاگران في واحدةٍ منها وهو يصافح رجلاً توجّه من سيارة. ظهر الرجلان في الصورة التالية أثناء دخولهما من الباب الأمامي للمنزل الفخم. بدأ أن هذه الصور أخذت من عدسة كاميرا مقرّبة للتصوير عن بُعد.

عادت كاتي إلى الصورة التي ظهر فيها لاگران وهو يصافح الرجل الذي أمسك عصا مساعدة على المشي. عرفت كاتي الرجل بعد تكبير الصورة، ولم يكن غير آرنو ماييز.

تساءلت كاتي عن السبب الذي يدفع بأحد الأشخاص إلى التقاط الصور لهما
سراً؟ هل كانت آينو هي التي تلتقط الصور؟
خبطرت على رأسها فكرة في تلك اللحظة كادت أن تدفعها إلى إسقاط
الأياد أرضاً.

حدّقت كاتي إلى الفراغ، وساعدها ذلك على جمع أجزاء اللغز. بحثت يائسةً
بعد ذلك عن هاتفها، ثم ضغطت على رقم دافيد.

قال دافيد: "سأتصل بك بعد قليل. إنني مجتمّع بلاغران..."

"اسمعي جيداً. لا تقطع المكالمة. يحتوي جهاز الأياد الخاص بآينو على صور
تثبت أن لاغران كان عشيق آينو. تُظهر الصور كذلك رجلاً آخر في زيارة
لاغران" خفضت كاتي صوتها ليصبح همساً عندما لفظت الاسم "آرنو مايز"
قال دافيد قبل أن يقطع المكالمة: "حسناً"

دسّ دافيد هاتفه في جيبيه، وتابع جلوسه على المقعد إلى جانب لاغران. ضجّت الأفكار في رأسه. غيّرت هذه العلاقة بين آينو ولاغران مجريات الأمور برمتها. يعني ذلك أن الاجتماع بلاغران كان خطأً جسيماً.

سأل لاغران: "هل من أخبار سيئة؟"

أوما دافيد: "لم تحدث مصيبة، لكن عليّ المغادرة مع الأسف"

كان على وشك الوقوف عندما وضع لاغران يده على كتفه بطريقة أبوية.

"كلا، بل دعنا نتحدث. إنها أمورٌ مهمة"

برز توترٌ غريب وواضحٌ في صوت لاغران. تحوّلت نظراته المتعاطفة إلى نظرة باردةٍ ومصمّمة.

شعر دافيد وكأنه على وشك الانهيار، وأن جسمه فقد كل قوّته.

قال دافيد خلال وقوفه، ومحاولة إبعاد يد لاغران عن كتفه: "سنتحدّث في

وقت لاحق"

"كلا يا دافيد. يتعيّن علينا أن نتحدث. اجلس"

وقف لاغران لكن نبرته الحازمة والمتملقة أفلقت دافيد الذي لاحظ أن الرجل

يحدّق إلى موقف السيارات. بدا وكأنه ينتظر وصول شخصٍ ما.

سأل لاغران: "ماذا تعني بأن المافيا ترتبط بوضع كريديتو ناسيونالي؟"

بدأ دافيد بالسير فجأة، ورأى في اللحظة ذاتها سيارة مرسيدس رياضية سوداء

اللون أثناء دخولها إلى موقف السيارات. خرج رجلٌ حاملاً عصا من السيارة

واقترب منه. غيّر دافيد اتجاهه وأسرع الخطى.

حدّقت كاتي بقلق إلى الملف النصّي الذي فتحته في الآياد. كان هذا النصّ شخصياً بشكلٍ يختلف عن المذكرات الأخرى. بدا النصّ بشكل يوميّات، وشعرت كاتي بدفء الكلمات من المذكرات الأخرى. بدا لها وكأن آينو تتحدث معها مباشرة من قبرها.

أما الشيء الوحيد الذي عكّر بهجتها فكان المؤشّر الذي يدل على أن البطارية شبه خالية. بدأت بعد ذلك بقراءة الكلمات بسرعة كي تتمكن من قراءة أكبر قدرٍ منها:

أعجبتُ بجان عن بُعد منذ بعض الوقت. أعتقد أنني متّيمة به. شعرتُ بالإطراء والإثارة عندما دعاني إلى تناول العشاء معه. كان حبه للمرح ساحراً جداً. بقينا على اتصال وثيق بعد تلك الليلة.

جان معجبٌ جداً بإيطاليا. شعرت بالارتباك عندما عمد إلى دعوتي للذهاب معه إلى إيطاليا، وذلك بعد مضي أسابيع قليلة على خروجنا معاً، كما استبدل بذلته المملة التي يرتديها في بروكسل بنطال الجينز، وعرّفني إلى منزله القلم الرائع في ستريسا بالقرب من لاغو ماجيور.

دُهشت أكثر عندما أرجع سيارة فيراري مكشوفة وذات لونٍ أحمر ساطعٍ من المرآب. قال لي إنه ورث هذه السيارة عن أحد أعمامه الذي يدير شركة إنشاءات في لياج، والذي يحتفظ بمعظم ممتلكاته في الخارج لأسباب ضريبية. قال جان إنه لم يبقَ له أي أقرباء من الأحياء، وذلك منذ مدة طويلة، وقال كذلك إن الانضمام إلى الحزب الاشتراكي كان وسيلته للتمرد عندما كان شاباً، كما أنه لم يرغب في استخدام أموال عائلته في بروكسل لأنه لم يعتبر أن هذا يليق بسمعته بصفته مسؤولاً في الاتحاد الأوروبي. دُهشتُ قليلاً لأنني لم أقتنع بما قاله.

تزايدت ضربات قلب كاتي عندما أدركت أن آينو لم تترك جهاز الآياد الخاص بها صدفةً في فنلندا، وأنها تركته هناك عمداً لأنها شعرت أنها مهدّدة في بروكسل. لاحظت كذلك أن الحاسوب الشخصي لآينو لا يحتوي على أشياء

على هذه الدرجة من الصراحة، خوفاً من وقوعها بين أيدي أشخاصٍ غير مرغوبٍ فيهم.
تابعت كاتي القراءة.

زارنا أحد مدراء صناديق الاستثمار، ويُدعى لورنزو كاسانو، في ستريسا.
قال لي جان إنه يدير له أموره المالية. لم يكن من المفترض أن أتحدث عن لورنزو مع أي شخص، أو عن أي شيء آخر أشاهده في ستريسا.
أمضينا إجازة نهاية الأسبوع في روما بعيداً عن بروكسل، أي حيث كان من المفترض أن يلتقي بعض معارفه من الإيطاليين. بدأت الشكوك تتجمّع عندي إلى درجة أنني تبعته سراً، لكنني صُدمت عندما رأيته مجتمعاً بخوليو باريتو، وهو مسؤول آخر في الاتحاد الأوروبي من بروكسل، ولم يتأخر لورنزو عن الانضمام إليهما.

بدأت بمراقبة كل ما يفعله عن كثب، حتى أنني توصلت إلى حاسوبه من دون أن يدري. حاولتُ كذلك البحث عن كل ما يتعلق بلورنزو الغامض، لكن كان من الصعب جداً العثور على أي شيء مهم. قلتُ في نفسي: ألا يجدر بالمستشار المالي أن يكون موجوداً على شبكة الإنترنت كي يعثر عليه الزبائن المحتملون؟

طلبت من دافيد مساعدتي. أرسلتُ إليه رسالةً بالبريد الإلكتروني، وطلبتُ منه الاستعانة بمعارفه، وبطريقة لطيفة لمعرفة أي نوع من الرجال هذا الذي يُدعى لورنزو كاسانو...

توقفت كاتي عند هذا الحد.

استعانت بدافيد؟

لماذا لم يذكر لها دافيد أي شيء عن الأمر؟ لماذا لم تذكر لها آينو لها أي شيء عن الأمر؟

شعرت بالدهشة عندما قال دافيد إنه يعرفه. يبدو أن مجال المشتقات المالية هو عالمٌ صغير. يُعتبر لورنزو كاسانو مستشاراً مالياً خاصاً من العيار الثقيل. يحتفظ الرجل بمكاتب في لندن وإيطاليا. يُضاف إلى ذلك أن عدداً كبيراً من المؤسسات المصرفية تستعين بخدماته.

تناول دافيد طعام الغداء مع لورنزو ذات مرة لجلس نبضه. شرح لي دافيد، بعد أن شعرت بالرعب لهذا اللقاء، بأنه التقى لورنزو من خلال عمله في الخارج، وكان اللقاء سبباً له كي يقوم بشيء كان يتعين عليه القيام به على أي حال. لم أذكر أي شيء بطبيعة الحال عن جان أمام دافيد، بل اختلقت سبباً بريئاً في الظاهر. طلبت من دافيد كذلك عدم ذكر أي شيء أمام كاتي.

شعرت كاتي بموجةٍ من القشعريرة بتحتاح جسدها، لكنها سرعان ما تابعت القراءة.

عززت معلومات دافيد عن لورنزو الشكوك التي تساورني. لماذا يحتاج جان إلى خبير استثمارات يدير عقوداً بمئات ملايين اليورو لشركاتٍ كبيرة؟

بحثت أكثر عن خلفية عائلة جان، فأحسست أنني استيقظت فعلاً. كان عمه عاملاً في مصانع الفولاذ في لوغدوز بالقرب من لياج. كان عاملاً عادياً. لم أبلغ جان بأنني اكتشفتُ كذبه، بل تابعتُ المراقبة. كان كل ما قاله بشأن حصوله على ميراث كذبةٍ كبيرة، لكن من أين أتى بكل هذه الأموال؟

اكتشفتُ أن جان يحتفظ بعلاقة سرية مع فرنسوا ديلفو. كانت علاقتهما سرية، ولا تحتمل الخروج إلى العلن.

أرادت كاتي الاتصال بدافيد في تلك اللحظة، لكنها لم تتمكن من التوقف عن القراءة.

اجتمع جان سرّاً كذلك مع آرنو مايز مراتٍ عدة، وهكذا تفحصت العقود التي أبرمت بين المفوضية ويوروسيك، الشركة الأمنية التابعة لمايز، وبدأت يفهم ما أراه. استمر جان، وعلى مدى سنواتٍ عدّة بأخذ رشى من مايز. يبدو أنه تلقى لتوّه حصته من المال الذي حصل عليه مايز من بيع قسم من شركته. صُعب عليّ كثيراً التصديق بأن جان هو رجلٌ فاسد، لكنني لم أجد أمامي أي تفسيرٍ آخر...

رفعت كاتي رأسها عندما سمعت طرقاتٍ ملحّة على باب مدخل منزلها. ألم يفهم والدها بأن كل شيء قد انتهى بينهما؟

وضعت كاتي الأيادي على الأريكة، وأسرعت إلى فتح الباب. رأت رجلاً غريباً عنها بالكامل. كان الرجل حليق الرأس على طريقة البحارة، وملاحظه شديدة السُمرة. بدا أنف الرجل مكسوراً مراتٍ عدة.

سأل الرجل بلهجةٍ جادة: "كاتي كوبر؟"

رأت شاين يقفان إلى جانب سيارتهما. يرتدي أحدهما بذلةً وشعره أملس ولامع. أما الرجل الآخر فكان ضخم الجثة، ويرتدي بنطالاً من الجينز.

حاولت كاتي إغلاق الباب على الفور، لكن الرجل أقحم نفسه أمامه. بدا الأمر وكأنه تمرّن على هذه الحركة مئة مرة.

قال الرجل بعد أن أبرز شارته: "موريللي من شرطة باليرمو

حدّقت كاتي مرتبكة. شرطة باليرمو؟ يا للسخافة. أدركت كاتي ما يُمكن أن يكون عليه الأمر: باريتو.

"ما الأمر؟"

"شهد زوجك حادثة إطلاق نار في أحد مطاعم باليرمو"

حدّقت كاتي إلى الرجل وكأنه مجنون. هل هذه مجرد دعاية سخيفة؟

"أيّ إطلاق نار؟ عن أي إطلاق نار تتحدث؟"

"ألم يقل لك؟ قُتل أحد زبائن المطعم، وجرح آخر في هذا الحادث. نريد أخذ أقوال زوجك. هل هو في المنزل؟"

تضاربت الأفكار في رأس كاتي. هل شوهد دافيد ليلة الجريمة؟ ماذا عن إطلاق النار في باليرمو؟ ماذا بشأن ما كشفته يوميات آينو عن دافيد... شعرت كاتي وكأن حواسها لم تعد بهذا الوضوح. هل يُعقل حقاً أن يكون دافيد متورطاً في هذا الأمر المشين، وهل يُعقل أن يكتف عنها أمراً كهذا؟

قالت كاتي محاولةً استعادة رباطة جأشها: "كلا. إنه مسافر الآن"
"أيمكننا الدخول لفترة قصيرة كي نتكلم؟"

أرادت كاتي عدم استقبال الرجال، لكن محاولة إبعادهم ستثير الشكوك من حولها. تعيّن عليها مغادرة المنزل بأسرع ما يمكنها مع الآياد، كما أن الطريقة الوحيدة للمغادرة كانت الإجابة على أسئلة هذا الشرطي الإيطالي. ستقول لهم إنها ستتصل بهم ما إن يتصل بها دافيد.

تقدم الرجل ذو الشعر اللامع نحو كاتي في حين أوجت عيناه بالإجهاد، والاستياء الغامض.

سمعت كاتي صوت سيارة أثناء تقدّمها من الطريق نحو المنزل، وما لبثت سيارة الفولفو أن تقدمت إلى الحديقة.
والدها.

سأل الرجل الإيطالي: "من يكون هذا الرجل؟"
أوشكت كاتي أن تقول إنه والدها، لكنها أدركت بعد ذلك أنه قد يكون من الأفضل إبقاء علاقتهما سراً.
"إنه أحد أصدقاء العائلة"

تحدثت كاتي بالفرنسية مع والدها بينما كان يترجل من السيارة: "ماذا بقيت تفعل هنا؟"

سألها والدها بالإنكليزية: "ماذا يجري هنا؟"
لاحظت كاتي نبرة والدها التي توحى ببجدية غريبة، كما لاحظت أن الرجال الإيطاليين يتبادلون النظرات فيما بينهم. ساد التوتر الشديد المكان.
سار الرجل الذي يرتدي بنطال الجينز عائداً إلى سيارته. وشعرت كاتي في هذه اللحظة بهيجانٍ في معدتها.

سأل والدها الرجال بالإنكليزية: "مَن أنتم؟"

اقترب الرجل ذو الشعر اللامع من والدها. شعرت كاتي بالرعب في هذه اللحظة.

وصل القلق بها إلى الحد الأقصى، ثم قالت على أمل أن يفهم والدها بأن عليه أن يرحل: "إنهم رجال شرطة سرّيون في الشرطة الإيطالية. سأتحادث معهم لدقائق قليلة فقط، ثم أتصل بك بعد ذلك"

ردّ والد كاتي بالفنلندية: "غير صحيح" تبادل الرجال بضع جملٍ فيما بينهم باللغة الإيطالية. "لا يتحوّل رجال الشرطة في البلدان الأخرى ليقرعو أبواب الناس. تسير هذه الأمور عبر الأتنية الرسمية..."

قالت كاتي بعد أن اصطنعت ما يشبه الابتسامة: "غادرِ المكان وبسرعة"
"كلا يا عزيزتي"

أدركت كاتي على الفور مدى خطورة الموقف: "أتعرف شيئاً. إن ما قام به دافيد..."

"اركضي بأسرع ما يمكنك في اللحظة التي أستدير فيها، ولن يستطيع الرجل الأكبر سنّاً أن يلحق بك. اقفزي عند الزاوية بأسرع ما يمكنك، وهكذا لن يتوفر له الوقت لسحب مسدسه"

شعرت كاتي ببيأسٍ مفاجئٍ كاد يقطع أنفاسها.
"كلا يا أبي"

لاحظت كاتي المسدس الذي يحمله الرجل الواقف خلف أبيها.
استدار صارخاً: "الآن"

شعرت كاتي في هذه اللحظة بالذات بقبضة الرجل حول معصمها. تمكّنت بسرعة بعد ذلك من تخليص نفسها، وما لبثت أن بدأت بالركض، لكن الصرخات لاحقتها. كانت زاوية المنزل على بُعد أمتار قليلة منها. نظرت كاتي إلى السيارات، ورأت والدها وهو يتعارك مع الرجل الأصغر سنّاً. سمعت طلقة رصاص ما إن وصلت إلى زاوية المنزل. نظرت خلفها لترى والدها وهو يتهاوى إلى الأرض.

استدارت كاتي عائدة، وشعرت بثقل الصدمة، وما لبثت أن ركضت نحو جدارٍ حجري يوجد خلفه حقلٌ من الأعشاب الطويلة. بدأت بعد ذلك بتسلق الجدار، لكنها شعرت أن شخصاً ما قد أمسكها من كاحلها. قال الرجل شيئاً باللغة الإيطالية ثم أحكم قبضته عليها.

القسم الثالث

جلس جان لاگران داخل سيارته بعد أن مشى نحوها من متنزه سانكانتينير. كان ماييز جالساً في المقعد إلى جانب السائق، لكنه كان يشعر بغضبٍ شديدٍ لأن دافيد كوبر تمكّن من الإفلات.

قال لاگران: "كان بإمكانك أن تفعل شيئاً"

"إنني أطلق النار على أهداف، وليس على الناس. كان بإمكانك أن تستبقه أكثر

تردّدت كلمات كوبر في أذني لاگران: "تجري أشياء غريبة في مؤسّسات الاتحاد الأوروبي... أشياء سيئة... كانت آينو تبحث عنها، وهذا هو سبب قتلها. يمكنني إثبات كل هذا. إنني أمتلك مع كاتي الأبحاث التي أجرتها..."

عاد لاگران بذاكرته إلى محادثته مع ماييز قبل أسبوعين، أي عندما علما أن آينو قد كشفت فعلاً عن كل شيء. قال ماييز إنه يتعيّن عليهم التخلّص منها. صُعق لاگران في ذلك الوقت، لكنه عجز عن مقاومة ماييز. كان يعرف أن الرجل على حق.

أدرك لاگران بأنه كان قاتلاً عندما أعطى ماييز موافقته الضمنية، لكنه شعر وقتها بأن قلبه يتمزق، لكن آينو هي التي تسببت بقتلها عندما هدّدت بنشر نتائج أبحاثها بالرغم من توسلاته ألاّ تفعل ذلك.

أحبّ لاگران آينو، لكنها لم تعرف قط مقدار حبّه لها. إلا أنّها قامت باستغلاله. كان نشر المواد التي حضّرتها آينو يعني القضاء عليه، وعلى أشياء أخرى معه.

لكن آل كوبر يهددون الآن بالقيام بالأمر ذاته.

حضّر لاگران لاجتماع الأزمة هذا بكل عناية، كما وثق به ديلفو. كان إيجاد حل لأزمة كريدتو ناسيونالي خطوةً نحو مستوى لم يسبق أن اعتقد لاگران أن بإمكانه التوصل إليه. يمثّل ديلفو وغرينفيل أعلى مستويات السلطة في هذا الكوكب. كان أكثر شيء جعل لاگران يشعر بالسرور هو أن يتمكن اشتراكيون لامعون مثله من إتاحة الفرصة أمام الدوائر الرأسمالية التي يمثّلها ديلفو وغرينفيل لتعزيز أهدافها. رأى الاشتراكيون والخضر فرصتهم في توحيد أوروبا، وأدركوا في وقت مبكر أن الصناعة والرأسمال يحتاجان إلى آلية مركزية لاتخاذ القرارات، بهدف إنشاء أسواق داخلية حرة. أغمض أصحاب المصالح التجارية أعينهم، لحسن الحظ، وفي إطار سعيهم وراء تحقيق الأرباح، عن حقيقة أن السلطة تتحول تدريجاً، وبالفعل، إلى آلية مركزية لا يمكنهم التلاعب بها بسهولة بعد الآن. لكن مشاريع متعدّدة مثل مرسوم الكيماويات، والتوجيهات بشأن الكبريت، ومسموحات انبعاثات غاز ثاني أكسيد الكربون ومشاريع أخرى، تمكّنت من شق طريقها بالرغم من اعتراضات الصناعيين.

لكن إذا وجدت الاكتشافات التي توصلت إليها آينو المسكينة طريقها إلى النور، فإن كل شيء سوف يتعرّض للخطر.

قال لاگران: "تحرك إذاً. يمكنك استخدام ذلك القاتل الهولندي المأجور إذا لم تستطع تنفيذ المهمة بنفسك. هذه المسألة مهمة أكبر ممّا يمكنك تصوّره"

نظر إليه ماييز بحذر: "ماذا تعني؟ يجب أن أعرف كل شيء...
"إن كل ما عليك معرفته هو ما تحتاجه لإتمام مهمتك. توقّف عن التفكير كثيراً في نفسك"

بدا أن ماييز ذُهل عند سماعه كلمات لاگران: "جان. تعرف بأنك لا تستطيع التحدث معي بهذه الطريقة"

"لا تضيع الوقت. علينا أن نتحرك الآن!"
"كيف لنا أن نعثر على آل كوبر؟"

فكّر لاگران بعمق في هذه المشكلة، ويبدو أنه يتعيّن عليهما الإيقاع بهما، أي أنّهما يحتاجان إلى شخص يثق فيه آل كوبر.

خطر في ذهنه اسمٌ واحد. راي أوبوندي.

عرف لاگران مدى مقدرة راي بعد توظيفه له بناءً على توصية آينو. أعطى لاگران راي مع مرور الوقت مهماتٍ أكثر صعوبة. يُضاف إلى ذلك أنه سبق لراي أن قام بأشغال إصلاح في منزل آل كوبر.

ركز لاگران على التفكير في كيفية استخدام راي. قام بعد ذلك باختيار رقم راي من بين قائمة أرقام هواتف معارفه، ثم انتظر قليلاً.

قال لاگران: "راي، بشأن دافيد وكاتي كوبر. قمتَ بتنظيم حفلة تدشين منزلهما، أليس كذلك؟ رثبتَ لهما الخيم والإضاءة. كان كل شيء رائعاً. إنني أتساءل ما إذا باستطاعتك مساعدتي مجدداً. هل رأيتَ آل كوبر مؤخراً؟"
"لم أرهما منذ عدة أيام..."

"لم أتمكن من الاتصال بهما بالرغم من محاولاتي المتكررة. لكنني أريد إبلاغهما بأمر مهم. إنهما في خطرٍ شديد، ولهذا يحتاجان إلى حماية الوحدة الأمنية في المفوضية، وهما يحتاجان إلى هذه الحماية بسرعة. أيمكنك أن تعرف مكان وجودهما، وتعلمني بعد ذلك؟ لكن لا تقل لهما إنني طلبت منك ذلك، لأنهما لن يصدقاً أنهما يحتاجان إلى هذه الحماية. يجب أن أتحدث معهما بنفسني كي أقنعهما بخطورة الوضع. لا يمكننا إجراء هذا الحديث عبر الهاتف. أيمكنك أن تفعل هذا؟ سأدفع لك مبلغاً محترماً مقابل أتعابك"

صرخت كاتي بملء رئيتها: "أبي"

استلقى والدها على جانبه، بينما كان وجهه قبالة السيارة. جهدت كاتي كثيراً كي تتخلص من القبضة التي تمسكها. لمحت شيئاً داكناً في حقل رؤيتها، وما لبثت أن انهارت إلى الخلف عندما شعرت بألمٍ مبرح في وجهها نتيجة الضربة التي تلقتها. سمعت صوتاً من خلفها يقول: "اهدئي أيتها الساقطة"

ذاقت كاتي طعم الدماء في فمها، وسرعان ما أدركت أن شفيتها مشقوقة نتيجة اللكمة. استدارت كي تعرف الرجل الذي لكمها، فالتقت عينها بعيني الرجل الذي يرتدي بنطال الجينز.

ضربها الرجل مجدداً وهو الأمر الذي أحدث غشاوةً على عينيها، وما لبثت
الدماء أن فرّت من أنفها.

أمسكها رجلٌ آخر بإحكامٍ من الخلف، وهو الأمر الذي منعها من السقوط
على الأرض.

قال الرجل الأكبر سناً، والذي يبعد عنها قليلاً: "أيتها الساقطة"

استلقت بين ذراعي الرجل ذي الشعر اللامع بالزيت، لكن كاتي رأت، وهي
في حالة قريبة من فقدان الوعي، الرجل الإيطالي الذي ادّعى أنه مفتشٌ في الشرطة،
وكان واقفاً بالقرب من سيارة البيجو. حولت نظرها إلى والدها الراقد على
الأرض ولم تر سوى ظهره وشعره المتدلي فوق ياقة قميصه.

سالت الدماء من فم كاتي، لكنها تمكنت من القول بصوتٍ ضعيف: "قتلة.
قتلتهم والدي حاولت أن تقول أشياءً أخرى.

قال الرجل الذي يرتدي بنطال الجينز مكرراً: "والدك. هذا هو سبب تصرفه
بطريقة حمقاء إذا"

أخرج الرجل ذو الشعر اللامع مسدسه، ومشى بخفة نحو الجثة.
قال الرجل وهو يصبّ مسدسه إلى رأس آرتو: "يجب أن تتأكد من
موته"

قاومت كاتي بكل ما تبقى لها من قوة قبل أن تصيح: "كلاً!"
صرخ الرجل الأكبر سناً بغضب: "كلاً، توقفي عن الصراخ" تابع الرجل
التفوه بكلماتٍ باللغة الإيطالية وهو يشير إلى الطريق، ويشير بنفاد صبرٍ إلى كاتي.
أغلق الرجل ذو الشعر اللامع جهاز الأمان في سلاحه، وأعادته إلى مكانه تحت
سترته، ثم مشى نحو كاتي وأمسكها من ذراعها.

نهض راي أبوندي من بين الأعشاب الطويلة، ثم قفز من فوق الجدار
الحجري إلى حديقة منزل دافيد وكاتي. سمع راي من خلال نافذة سيارته المفتوحة
طلقة رصاصٍ بدا وكأنها أتت من ناحية منزلهما. أوقف سيارته على الطريق،
ومضى عبر الحقل كي يكون في مأمن.

تذكر ما قاله لاگران على الهاتف. يعني ذلك أنه من المحتمل أن تكون كاتي معرّضة لخطر كبير. تعيّن عليه نقلها إلى مكان آمن في أسرع وقتٍ ممكن. أدرك راي خطورة الموقف، وعلى الأخص بعد ما حدث في باليرمو. وصل إلى زاوية المنزل في اللحظة ذاتها التي خرجت فيها سيارة بيجو 607 الرصاصية اللون من البوابة إلى الطريق.

رأى راي على الطريق المؤدّي إلى المنزل رجلاً مستلقياً على جانبه، ونظر بسرعة إلى ما حوله، ثمّ من خلال النافذة إلى غرفة المعيشة، فلم يرَ أحداً. ركض نحو الرجل الراقد من دون حراك، وراقب في الوقت ذاته سيارة البيجو وهي تختفي وراء أشجار الدلب. وجد راي بركةً من الدماء على الأرض، كان مصدرها الجهة الأمامية من قميص الرجل.

جسّ راي الشريان السباتي للرجل بأصابعه. كان نبضه ضعيفاً. استعرض راي خياراته بأسرع ما يمكنه، ثمّ هض ونظر إلى داخل سيارة الفولفو المركونة إلى جانب الرجل. كان مفتاح تشغيل السيارة في مكانه. استدعى راي سيارة إسعافٍ بينما كان يركض نحو المنزل. لكن ما إن أصبح في الداخل حتى هرول عبر غرفة المعيشة إلى المكتب، ثم توقف هناك. تذكر راي أن في الخزانة الضيقة المخصّصة للتحف القديمة في المنزل توجد بندقية ذات ماسورة مزدوجة، قالت كاتي إنها تسلّمها من جدّها في فنلندا.

أخرج راي البندقية مع علبة من الخرطوش، ثم هرع نحو سيارة الفولفو وأسرع نحو البوابة. امتدت الطريق لنحو كيلومتر تقريباً قبل التقاطع الكبير التالي. ضغط راي على دواسة الوقود بأقصى قوة، بينما كان يفتح البندقية، وبدأ بإدخال الخرطيش إليها.

صرخ موريللي بينما كان يتطلع من خلال مرآة الرؤية الخلفية: "أسكّتها" قاومت المرأة الفنلندية بعنف في المقعد الخلفي بالرغم من أنها كانت مقيدة السيدين والرجلين. انشغل زاركا وستيفانو في تهدئة المرأة التي انسدل شعرها فوق وجهها. قال زاركا ضاحكاً: "إنها قطة شرسة حقيقية"

لم يكن موريللي، وبصفته ضابط شرطة سابقاً، يجبّد استخدام القوة المفرطة من دون داع، لكنه لم يقل الآن شيئاً. كان متأكداً من أن زاركما سيكون قادراً على معرفة مكان وجود زوج المرأة، وكذلك ما يعرفه الزوجان عن الأسرار التي يحتويها حاسوب لورنزو. كانوا على وشك الحصول على النتائج التي ينتظرونها بفارغ الصبر. تاق كذلك لنقل خبر مفاده أن العملية الكبيرة لم تعد في خطرٍ داهم.

مكتبة الرمحى أحمد

لكن موريللي كان قلقاً بشأن ممّا حدث للتوّ في حديقة المنزل. أما جسد الرجل الجريح فكان من شأنه تشكيل خطورة عليهما، ويحتمل أن يكون أحد ما قد تمكّن من رؤية سيارتهما. كان بالقرب من ريكرينسارت مبنى يضم مستودعاً خالياً، وهو يصلح لإجراء الاستجواب بسرعة وفاعلية. كان المكان يصلح كذلك لدفن جثة بعيداً عن الأنظار.

نظر موريللي مجدداً في مرآة الرؤية الخلفية، ولاحظ أن سيارة بيضاء اللون تتقدم نحو سيارتهم بسرعة كبيرة. أثار هذا الأمر قلقه، لكنه افترض أن سائق السيارة قد يكون مهووساً بالسرعة. أعاد موريللي نظره إلى الطريق، لكنه نظر بعد مرور ثوانٍ قليلة إلى مرآة الرؤية الخلفية. اقتربت السيارة الأخرى منهما كثيراً، وما لبثت أن تجاوزتهما.

بطأ موريللي، غريزياً، سرعة السيارة لأنه وصل إلى منعطفٍ شديد الاستدارة. اقتربت سيارة الفولفو منهم. نظر موريللي إلى السائق الذي كان رجلاً أسود اللون.

بطأ موريللي السرعة ليسمح للسيارة بتجاوزه، وما لبث أن نظر إلى جانبه. بقي السائق. محاذاتهم، وكأنه بطأ سرعته هو الآخر.

أدرك موريللي فجأة هوية الرجل.

"فيتو، ستيفان" بدأ البحث عن مسدسه تحت سترته، لكنه لاحظ بطرف عينه أن السائق الأسود قد صوّب شيئاً نحوه.

أمسك موريللي مسدسه بيده، واستدار نحو الرجل. أدرك في اللحظة ذاتها أن بندقية مزدوجة الماسورة مصوّبة إلى وجهه.

أطلق النار في وقتٍ أبكر من اللازم بسبب القلق الذي شعر به.
تفتّت الزجاج الجانبي للسيارة شظايا صغيرة، فأصابت الرصاصة السيارة
الأخرى.

نظر موريللي الآن بتركيزٍ أكبر، ورأى ملامح الرجل الأسود المتحجّم،
وكذلك ماسورتيّ البندقية في اللحظة التي انطلق فيها وميضٌ متفجّر ضخم ملاً
حقل رؤيته بينما صدمت وجهه القوة الرهيبة لخرطوشة صيد الأيائل.

سمعت كاتي في اللحظة ذاتها صوت انفجارٍ عالٍ، ثم رأت وجه الرجل الذي
يقود السيارة وقد انفصل عن جسده.

انخرقت السيارة بقوة إلى جانب الطريق، وشاهدت كاتي أمامها حفرةً
وسياجاً. تصاعد الصراخ من أفواه الرجال الجالسين في المقعد الخلفي للسيارة التي
هوت في الحفرة، وما لبثت أن ارتدّت خارجةً منها، وتابعت سيرها إلى الأمام
مرتفعةً عن الأرض أحياناً لتهبط مجدداً. ظهرت أعشاب الحقل، وأعمدة السياج،
وهي تتطاير أمام الزجاج الأمامي للسيارة.

أدت هذه الصدمات القوية إلى إلقاء كاتي أرضاً في الفجوة التي تفصل المقعد
الخلفي عن المقاعد الأمامية. اصطدمت السيارة بشيء ما، فانقلبت على سطحها.
سُمعت أصوات احتكاك المعادن، وشظايا الزجاج وأجساد الرجال التي قُذفت إلى
الأمام وإلى الخلف. تابعت السيارة تقدّمها، وكأنها تقوم بفلاحة الحقل بسقفها،
وتطايرت الأعشاب والحجارة والأتربة والحصى من خلال الزجاج الأمامي.
توقفت السيارة أخيراً، فأدركت كاتي أن الصوت الوحيد الذي تمكّنت من سماعه
كان صراخها المكتوم.

بدأت كاتي تدرك المكان الذي توجد فيه مع بداية تبدّد سحابة الغبار. كانت
عالقة في ذلك الفراغ الذي يفصل بين المقاعد، ومعلّقة في الهواء، في حين كان
وجهها متجهاً نحو الأسفل. رأت تحتها جسد رجلٍ يكاد أن يكون مدفوناً في
التراب والحصى بينما كان وجهه مغطّى بشظايا الزجاج. لكنها لم تتمكن من
رؤية الرجل الآخر الذي كان معها في المقعد الخلفي. اعتقدت أنه ربما قد قُذف

خارج السيارة. رأت كذلك ذراعاً ذات شعر كثيفٍ عالقة بين المقاعد الأمامية، وهي ذراع الرجل الأكبر سنّاً الذي كان يقودُ السيارة.

حاولت كاتي أخذ نفس عميق، لكنها بدأت بالسعال الذي أخرج الغبار من رئتيها. تبين لها أنه نتيجة الاصطدامات التي تعرّضت لها السيارة انحشرت المقاعد بعضها مع بعض، وكذلك انحشرت كاتي بينها بشدة إلى درجة الالتصاق بها. تسرّبت رائحة الوقود القوية إلى أنف كاتي. حدّقت إلى الأرض، فرأت بركة كبيرةً من الوقود المتسرّب من الخزان. سمعتُ بعد ذلك أصوات قرعَةٍ مخنوقةٍ آتيةً من منطقة المحرك، وهي أصوات أخذت تتصاعد بسرعة.

كانت تلك أصوات النيران. حاولت أن تحرّر نفسها، لكن الوضع كان يائساً. حاولت أن تصرخ، لكن فمها كان مقفلاً بالورق اللاصق.

رأت بظرف عينها حركةً بين الأعشاب الطويلة خارج السيارة. اقترب منها شخصٌ داكن البشرة. ركع وتطلّع داخل السيارة. وفي اللحظة نفسها التي تعرّفت فيها كاتي إلى وجه الرجل توهّجت بركة الوقود بالسنة هب تصاعدت عالياً. امتدت النار بسرعة البرق نحو العشب فاتسعت دائرة النيران أكثر فأكثر.

شعرت كاتي أن راي يحاول سحبها من السيارة. وأدركت كذلك أن النيران لن تستغرق أكثر من ثوانٍ قليلة قبل وصولها إلى خزان الوقود. لم تتحرك كاتي في المرة الأولى التي جذبها فيها، لكن في محاولته الثانية انزلقت إلى صدره.

شعرت بعد ذلك بذراعيه تطوّقها بشدة قبل أن يسحبها من السيارة مثل لعبةٍ من قماش.

اهتز الحقل فجأة نتيجة انفجارٍ ضخم. ترتج راي، لكنه تابع سيره بينما كانت ألسنة اللهب تلامس السماء من خلفه.

وضع راي كاتي على الأرض بعد أن ابتعد بها مسافة كافية عن السيارة المشتعلة. ثم أسرع إلى فكّ الأربطة التي تقيّد أطرافها ونزع الورق اللاصق عن فمها. استلقت كاتي على الأرض وشعرت بارتياحٍ شديد، ثم حاولت السيطرة على تنفسها.

تمكنت من القول بعد ذلك: "أبي... موجود في المنزل..."

"استدعيتُ سيارة إسعاف"

"ألم يُمت؟"

"لا، بقي فيه نبض"

جهدتُ كاتي للنهوض من مكانها. "أي مستشفى..."

"اهدئي" دفع راي كاتي إلى الأرض.

أبعدت كاتي يده عنها، ونهضت بالرغم من الألم المبرح في منطقة وركها.

"إنني على ما يرام"

نظر راي إليها: "هل أنت متأكدة"

ترنّحت كاتي قليلاً بعد أن شعرت بدوار، لكن راي أمسكها. سمعت كاتي

صوت راي العميق بالرغم من الدوار الذي سيطر عليها.

دفع دافيد بسرعة ثمن البذلة والقميص الحديدين اللذين اشتراهما من متجر إنو

الذي يقع في مركز ولووي للتسوق. لم يشتر دافيد حذاءً جديداً نظراً لضيق وقته.

كان رينخر وزملاؤه مجتمعين بالفعل في شاتو أنطوانيت، حيث كان من المقرر أن

يبدأ الاجتماع بعد أربعين دقيقة.

أسرع دافيد نحو موقف السيارات، بعد أن تمكّن من الإفلات من مابيز في

المتنزه، أي أنه بات يعرف الآن قواعد الاشتباك، ويعرف أعداءه جيداً.

حاول الاتصال بكاتي مجدداً، لكنها لم تردّ على اتصالاته، فسيطر القلق عليه.

نقر اسم جان لاگران في صفحة البحث في محرك البحث في شبكة الإنترنت.

حدث الأمر ذاته الذي حصل من قبل، أي عندما قام هو وكاتي بالبحث عن

معلوماتٍ تتعلق بكبار المسؤولين في الاتحاد الأوروبي: لا شيء على وجه

التقريب. لا يتوفر أي شيء عن الأشخاص الذين يديرون عملياً حياة الجميع في

أوروبا، من المهدي إلى اللحد.

عثر دافيد أخيراً على سيرة حياة قصيرة عن لاگران. وُلد لاگران في هوي

بالقرب من لياج، وعمل مع الحزب الاشتراكي البلجيكي الناطق بالفرنسية، قبل

انتقاله ليشغل منصباً في الاتحاد الأوروبي في العام 1995.

حدّق دافيد إلى هذه الجملة التي ذكرته بشيء معين.

عمل آرنو ماييز بدوره في صفوف الحزب الاشتراكي البلجيكي الفرنسي. تابع دافيد القراءة: عمل لاگران بصفته مساعداً لوزراء عدّة. كان أحدهم آلان فان دير بايست، وهو الرجل الذي واجه تهمة قتل زميله في الحزب أندريه كولز.

أغلق دافيد هاتفه، وبدأ القيادة شاعراً بطعم المرارة في فمه.

قال راي أثناء قيادته السيارة في الميكروفون الملحق بسماعات أذنه: "تعرضتُ لحادث" حدّق راي إلى مرآة الرؤية الخلفية فرأى كاتي مستلقيةً ومغمضة العينين.

سأل لاگران: "أيّ حادث؟"

عمدَ راي إلى اختيار كلماته بعناية: "حاول بعض الرجال خطفها، لكن المطاردة انتهت باصطدام. تمكنت السيدة كوبر من النجاة" سيطر الصمت على الطرف الآخر من الخط.

"كيف حالها الآن؟"

"تبدو مقبولة من الخارج، لكن يُحتمل أن يكون مستوى وعيها في انخفاض. إنني قلق بشأن جروحها الداخلية، وهي تحتاج إلى عناية فورية" لم ترغب كاتي الذهاب إلى المستشفى، وكذلك كانت حال راي، لأنه لم يكن مهتماً حتى بالحد الأدنى بتفسير ما جرى للسلطات.

"أحضرها بسرعة إلى جادة جوليوس سيزار 24. أعرف طبيباً ماهراً هناك، وهو يمتلك عيادة مجهزة تجهيزاً حسناً. يستطيع هذا الطبيب فحص جروح السيدة كوبر. يمكنني الطلب من أحدهم في الوحدة الأمنية في المفوضية أن يحضر على سبيل الاحتياط"

فتحت كاتي عينيها وتوقفت السيارة. كان راي جالساً في مقعده، لكن كاتي تمكنت من رؤية عينيّه في مرآة الرؤية الخلفية

سألت كاتي التي جلست في المقعد الخلفي: "أين نحن؟" جعلها التغيير المفاجئ في وضعيتها تشعر بدوار، لكنها سرعان ما استراحت على مسند ظهر أحد المقاعد الأمامية. رأت كاتي يديها ملوثتين بالتراب، وكم قميصها ممزقاً.

التفت راي نحوها: "كيف حالك؟"

"أنا بخير"

ناولها قارورة مياه.

"أريد معرفة مكان والدي"

"يجب أن يفحصك طبيب أولاً"

نظرت كاتي من النافذة، فرأت شارعاً سكنياً تحيط به الأشجار من الجانبين: "لا وقت لدي لذلك. أين هو هاتفي. أريد الاتصال بدافيد..."
"يُحتمل أن تكوني مصابةً بجروحٍ داخلية. يُفترض أن تكون هذه عيادة طبيب متمرس، أي أنك غير مضطرة للانتظار"

التفتت كاتي مجدداً نحو البناية المطلية باللون الأبيض، ورأت بابها المفتوح. رأت بعد ذلك رجلاً يهيمّ بالنزول على الدرج، فحاولت التركيز.
"سيساعدك الرجل على مقابلة الطبيب"

كان الرجل قريباً منهما بما يكفي، لكنه بدا مألوفاً لديها، إلا أن الدوار الذي شعرت به دفعها إلى الانحناء، والاستناد مجدداً إلى المقعد الأمامي. كانت تعرف أنها ليست في حالةٍ تتيح لها الذهاب إلى أي مكان.

"راي. أيمكنك أن تسدي لي خدمة؟ أريدك أن تعثر على المستشفى الذي يوجد فيه والدي، وكذلك هناك جهاز آي باد على الأريكة في غرفة المعيشة في منزلي. إنه في غاية الأهمية. أيمكنك أن تأخذه في أسرع وقتٍ ممكن، وتضعه في مكانٍ أمين؟ أريدك أن تبلغ دافيد عن مكان وجودي"

فتح الرجل الباب.

"مدام كوبر. كيف حالك؟ أيمكنك أن تمشي؟"

كانت كاتي متأكدة من أنها تعرف الرجل من مكانٍ ما، لكن كان كل شيء غامضاً من حولها.

سمعت كاتي راي وهو يقول للرجل بينما كان يساعدها على النزول من السيارة: "إنها في حالة سيئة جداً"

كان الرجل يستخدم عصا تساعده على المشي، لكنه تقدّمها نحو البناية. راقبت كاتي راي وهو يتعد بالسيارة، وتمت أن تراه قريباً.

لكن الرجل سار أمامها إلى الشارع، بدلاً من أن يتقدمها إلى الداخل.

أدركت كاتي فجأة هوية الرجل: آرنو مايز، الرجل الذي حضر إلى شقة آرنو متظاهراً أنه مندوب الوحدة الأمنية في مفوضية الاتحاد الأوروبي.

حاولت كاتي تخليص نفسها من قبضة الرجل بآخر ما تبقى لها من قوة، لكنه تمسك بها بكلتا يديه ودفعها إلى داخل سيارة المرسيدس الرياضية السوداء التي كانت مركونة إلى جانب الطريق.

"لا تقلق إنها بأمان"

سمع راي كلمات لاگران في سماعه هاتفه الصغيرة الموجودة في أذنه، بينما كان يبطن من سرعة السيارة ويحدق إلى مجموعة من سيارات الشرطة وسيارات الإسعاف.

قال لاگران: "تأكد من تنفيذ أكثر الإجراءات الأمنية حزمًا لحماية السيدة كوبر، ذلك لأنها أحد مسؤولي الاتحاد الأوروبي. يتعين أن يبقى مكانها سرّيًا تمامًا"

"لن يعرف أحدٌ بهذا"

قال لاگران الكلمات ذاتها التي ضمن راي بأنه سيقولها.

"سأدفع لك عن أتعابك وعن تكتمك. سأتصل بك غدًا"

أوقف راي سيارته وفتح زجاج النافذة، وتمكّن من رؤية الحطام الأسود للسيارة المدمرة، والمنقلبة على رأسها من خلال الأشجار التي تملأ الحقل الذي يمتد في الجهة الأخرى من الطريق. رأى كذلك رجال الشرطة وهم يجولون في المكان وسط الأنوار الزرقاء لسيارات الإسعاف. أدخل منظر سيارات الإسعاف والمسعفين الطبيين القلق في نفسه. هل نجا أحد الرجال؟ وعلى الأخص لأنه لم ير جثثًا. يُحتمل كذلك أن يكون الرجل الثالث قد سقط من السيارة ونجا بحياته.

ضغط راي على دواسة الوقود. يجب عليه الوصول إلى منزل آل كوبر قبل توسيع رجال الشرطة دائرة تحقيقاتهم، لكنه ما إن وصل حتى لاحظ وجود سيارته اللاند روفر مركونة في الباحة العشبية. لكن الأهم من كل ذلك كان العثور على جهاز الآيباد الذي تركته كاتي في المنزل.

حدّق دافيد إلى صورته المنعكسة في المرآة الكبيرة الموجودة في هو الفندق المشيّد على طراز العشرينيات من القرن الماضي. لم يكن هناك أي شيء في مظهره يختلف عن مظاهر الزبائن الآخرين في شاتو أنطوانيت الفخم. عكست المرآة كذلك السيارات المارة في الخارج، وكان من بينها سيارة بي. أم. دبليو سوداء اللون، وحافلة صغيرة من النوع الفخم.

نظر دافيد إلى مارتن ريجنر الذي كان جالساً على أريكة، ومرتبياً بذلة أنيقة بينما كان منشغلاً بقراءة صحيفة فايننشال تايمز بألوانها الحمراء الشاحبة.

سيطرت على دافيد موجة من القلق الشديد أثناء انتظاره فتح باب الحافلة الصغيرة. أدرك أن الساعات القادمة ستكون مصيرية بالنسبة إليه وإلى كاتي. وزاد توتره كذلك لعدم تمكنه من الاتصال بكاتي، وعدم ردّها على رسائله النصيّة وعلى رسائله الهاتفية.

جلس دافيد في مقعده الوثير ذي الذراعين، وتظاهر أنه يتفحص قائمة المشروبات. فُتح باب الفندق في غضون ثوانٍ قليلة، وما لبث أن دخل أحد الحراس الشخصيين مرتدياً بذلة داكنة اللون، ثمّ تبعته مجموعة من الرجال الأكبر سناً وهم يحملون حقائب يد.

راقب دافيد الواصلين الجدد بطرف عينه وبكل اهتمام: فرنسوا ديلفو، الرئيس الدمية للاتحاد الأوروبي، وبيرونو غوسينز رئيس المجموعة الأوروبية (يورو غروب)، وآلبرت سي. غرينفيل، وهو أحد المدراء التنفيذيين في غولدمان ساكس، ورجل إيطالي ضخم الجثة، والذي يُفترض أنه مدير كريديتو ناسيونالي. تحركت المجموعة بسرعة عبر البهو الواسع، وتجاوزت الدرج المكسو بالسجاد الأحمر الذي يؤدي إلى الطوابق العليا قبل أن تتوقّف أمام المصاعد.

طوى ريجنر صحيفته ونظر إلى دافيد. حان وقت الانتقال إلى غرفة الفندق. شحّب وجه دافيد عندما رأى وجهاً مألوفاً لديه أثناء دخوله: جان لاغران. أدار دافيد ظهره بسرعة وتساءل عمّا عساه يفعل هنا.

رنّ هاتف دافيد في هذه اللحظة، وظهر اسم كاتي على شاشة الهاتف. اجتاحت دافيد موجة من الارتياح عندما رفع الهاتف إلى مستوى أذنه. لكن

قبل أن يتمكن من قول أي شيء جاءه صوت رجل: "زوجتك معنا، وأنت لن تراها مجددًا، إلا إذا أتيتَ إلى شاتو أنطوانيت عند الساعة 6:15. سأتصل بك في ذلك الوقت وأعطيك تعليمات محددة. أحضِر معك الأبحاث التي أجرتها آينو جاكولا. بإمكانك أن تأخذ زوجتك في المقابل"

نزلت هذه الكلمات كالصاعقة على مسامع دافيد. لاحظ الآن الخطأ الفظيع الذي اقترفه. ما كان عليه أن يذكر أي شيء عن اكتشاف أبحاث آينو أمام لاغران. هل كان مايز هو الذي تحدث معه على الهاتف؟

حاول دافيد ترتيب أفكاره: "أريد سماع صوت زوجتي أولاً"
"يعني ذلك أنك تريد دليلاً؟ كما تريد..."

مرّت ثوانٍ عدة.

سمع دافيد بعد ذلك صوتاً مألوفاً. كان صوتاً حازماً، وإن كان ضعيفاً.
"دافيد. نفذ كل ما يطلبونه منك. راي... " اختفى صوت كاتي فجأة.
سمع دافيد الرجل على الطرف الآخر صارخاً قبل انقطاع المكالمة: "لا تذكري أسماء!"

وقف دافيد في مكانه، وكأنه عمود من الملح. ماذا حاولت كاتي أن تقوله حول راي؟
طلب دافيد رقم راي بأصابع مرتعشة.

أصغى راي إلى التفسير الذي قدّمه دافيد بصوتٍ أجش، ثم أعلمه باختصار بأنه فهم ما يجري وقطع المكالمة. تابع راي الركض من خلال الأعشاب الطويلة، بينما كانت كلمات دافيد تتردّد في رأسه.

لمح راي أخيراً منزل آل كوبر. جمّد في مكانه لكن كل شيء من حوله كان هادئاً في ما عدا حفيف أوراق أشجار الدلب.

اقترب من المنزل بحذر، لكنه لم يلحظ أي حركة في الحديقة، ولم يشاهد سيارات الشرطة ولا مفتشين لفحص مسرح الجريمة. كان الجميع مشغولين على ما يبدو في تنظيف الشظايا التي خلّفها الانفجار في الطريق العام.

راقب راي النوافذ من وراء جدار، لكنه لم يرَ أي حركة في الداخل، كما راقب الحديقة من وراء زاوية المنزل. لاحظ أن والد كاتي قد نُقل من المكان، ولا بدّ من أن المسعفين الطبيين لاحظوا جرحه الناتج عن إصابته بالرصاص وأسرعوا إلى تنبيه الشرطة. هرع راي راكضاً من خلال الباب. ورأى في لحظةٍ واحدةٍ الآياد الأسود اللون ملقى على الأريكة.

ألقي نظرة سريعة على محتويات الجهاز، ولاحظ أن كل شيء مكتوب باللغة الفنلندية، لكن بطارية الجهاز كانت على وشك أن تفرغ. عثر في ملف الصور على الصور التي سبق له أن التقطها سراً في فيلا لاگران الفخمة الواقعة في شمال إيطاليا بموافقة آينو.

فكّر في محو الصور، وحرّك إصبعه نحو أيقونة الملفات المملّغة في الزاوية العليا من الشاشة.

سمع راي في هذه اللحظة بالذات صوت سيارة في الخارج أثناء اقتراها من المنزل. أغلق راي الآياد، وتحرك نحو الباب الزجاجي الذي يؤدي إلى الحديقة الخلفية. تسلّق الجدار، وقفز عائداً إلى حقل الأعشاب في اللحظة ذاتها التي دخلت فيها سيارات الشرطة إلى الممر المؤدي إلى المنزل.

قرع دافيد أربع مرات على باب غرفة الفندق، لكن كلمات مايز تردّدت بصورة عشوائية في ذهنه.

فتح ريجتر الباب، وما لبث دافيد أن دخل إلى غرفة كبيرة عالية السقف، والذي كان مزحرفاً بعناية واهتمام. لم يرغب دافيد في ذكر محادثته مع مايز ورؤيته لاگران. تعيّن عليه التفكير، وهو الذي كان عالماً بين شاقوفين. تعيّن أن تنجح الخطة في الفندق، وكان عليه الإتيان بوسيلةٍ لإنقاذ كاتي.

قال دافيد في محاولة منه تبرير قلقه: "إنني قلقٌ جداً لأنني لا أستطيع الاتصال بزوجتي"

كانت إيريكاً واقفةً في هذا الوقت عند باب الحمّام، وقالت: "بدأوا

الاجتماع للتو

تمكّن فلوريان من تركيب حاسوب مزودٍ بهوائي بارزٍ من جانبه يبلغ طوله عشرين سنتيمتراً، وبسماكة إصبع اليد في الحمام الرخامي ذي اللون الأصفر الشاحب. ظهر أمام الحاسوب كرسي أحضير من الغرفة، وكان فلوريان جالساً ومزوداً بسماعات أذن، بينما انشغل بطباعة [نقر] شيء في برنامج التسجيل المعروض على الشاشة. اختار فلوريان موقع هذه التجهيزات بعناية وحيث يكون مدى جهاز الإرسال الذي وضعه في غرفة الاجتماع في أقصى قوته.

امتد سلكٌ من الحاسوب فوق عتبة الحمام حتى طاولة كتابة قديمة موضوعة إزاء الجدار الخلفي للغرفة، كما برزت فوق الطاولة شاشة مراقبة، وكان رينخر جالساً أمامها. تبع دافيد إيريكاً نحو رينخر، وحدّق إلى الشاشة التي أظهرت صورة باهتة لرجال عدّة يتحلّقون حول طاولة. قال فلوريان من الحمام: "بدأنا بالتسجيل. سيكون كل شيء موجوداً على القرص الصلب للحاسوب، وعلى بطاقة ذاكرة رقمية مؤمنة"

أوما رينخر الذي بدا راضياً عن سير ما يجري.

تصاعد صوت ديلفو بقوةٍ ووضوح من مكبّرات الصوت الصغيرة الملحقة بالشاشة: "أيها السادة. تم ترتيب عقد هذا الاجتماع بسرعةٍ كبيرة لمعالجة وضعٍ خطير"

"إننا نهدف إلى منع حدوث أزمة يورو أكثر خطورة هذه المرة، وهي الأزمة التي سوف تقع لا محالة إذا عجزنا عن العثور على وسيلة لإنقاذ كريديتو ناسيونالي. إن مجرد انتشار نبأ المقدار الحقيقي للخسائر من شأنه إطلاق موجةٍ من الهستيريا في أوساط المودعين. يتعيّن إنقاذ المصرف خارج انتباه العموم. هذا هو السبب الذي يدفعني إلى أن أطلب منكم اتخاذ أقصى درجات الحيطة والحذر في مسائل الأمن عندما تتحدّثون عن هذه القضية"

تساءل دافيد ما إذا كان لاگران موجوداً في الغرفة، حتى ولو لم يظهر حول الطاولة. شعر بدافع لا يُقاوم لاقترام غرفة الاجتماعات، وفضح حقيقته أمام ضيوفه من كبار النافذين. لكن هذه الخطوة ستعتبر حمقاء، وستعرّض سلامة كاتي للخطر. أدرك دافيد في هذه اللحظة ما يمكنه عمله.

وقف جان لاگران أمام إحدى النوافذ في أحد ممرات فندق شاتو أنطوانيت، ورأى صورته المنعكسة على الزجاج. حاول كبح الخوف الذي ثار داخله. كان ذلك أسوأ أنواع الخوف فيه: الخوف من نفسه. لم يتمكن من تجنّب السؤال الذي يتردد في ذهنه، ولم يتمكن من التوقف عن طرح السؤال على نفسه حول ما انتهى إليه.

قرّر لاگران عندما كان شاباً مساعداً لأحد الوزراء، أي منذ ربع قرن، أن يقوم بأشياء مع عددٍ آخر من الرجال، وهي التي أدت إلى مقتل أندريه كولز. برّر أعماله في ذلك الوقت بأنها خدمة لمصالح الحزب. وكان من شأن فضيحة الفساد تشويه سمعة الحزب الاشتراكي. لكن الفضيحة انكشفت بالرغم من ذلك، أي أن تصرفه راح عبثاً، ومات كولز عبثاً. أما أسوأ ما في الأمر فكان قيام ماييز بابتزازه. أقدم لاگران على مدى سنوات على ترتيب عقود خدمات أمنية مع الاتحاد الأوروبي لصالح ماييز بقيمة عشرات ملايين الدولارات. تضمّنت هذه الخدمات، وبشكلٍ تدريجي، تقديم معلوماتٍ سرية، كان يدفع زبائن ماييز ثمنها بسخاء. تراجعت إمكانية الابتزاز في هذه القضية، لكن لاگران عثر على طريقةٍ سهلةٍ للحصول على مدخولٍ إضافي مهم. تعدّت أجور أتعابه الحدود، إلى إيطاليا، غالباً حيث تمكّن من كسب معارفٍ كثيرٍ هناك.

لم يعرف لاگران عند أي مرحلة تحوّلت المافيا إلى أحد مشتري المعلومات السرية، وهو الأمر الذي حصل تدريجاً بدوره. أدرك في النهاية أنه كان يتعامل مع مشغلي حقول إنتاج الطاقة الكهربائية من الرياح. وكان عليه الحصول على المعلومات التي تريدها المافيا عن صناديق الاستثمار الهيكلية وعن تجارة مسموحات الانبعاثات، وهو الأمر الذي دفعه إلى التعرّف إلى جوليو باريتو.

لكن معارف لاگران من المافيا الإيطالية أصبحوا، فجأة، مفيدين في أزمة كريديتو ناسيونالي.

حدّق بعد ذلك إلى البركة الداكنة تحت السماء المليئة بالغيوم، والتي ترتفع منها نافورة مياهٍ بمهابة في وسطها. هدأ هذا المنظر أعصابه، لكن اجتماعاً طارئاً وسرياً كان يُعقد ويبحث في أزمة مصرفية جديدة من شأنها تهديد إيطاليا والاتحاد

الأوروبي بأكمله. أما إذا قرّر المجتمعون تنفيذ خطة إنقاذ فإنه سوف يُستدعى لعرضها.

لا يُمكن السماح لأي شيء بالوقوف في وجه هذه الخطة. كانت حياة عدد من الأشخاص لا تساوي شيئاً إذا ما قوبلت بمسائل بهذه الخطورة.

ألقي لاگران نظرة على المنظر في الخارج، لكنه شعر عند التفكير في الأمور بشكل عام، وفي أهميتها بالنسبة إلى مستقبل أوروبا، بأنه أصبح أكثر اقتناعاً أن أفعاله لم تكن أنانية. لم يكن لاگران يستخدم فطنته المالية ومعارفه الشخصيين لإنقاذ نفسه فقط، بل لإنقاذ اليورو، ومن خلاله الاتحاد الأوروبي بأكمله، وذلك في لحظة تاريخية كانت فيها هذه الوحدة ضرورية حقاً نظراً إلى ما قامت به روسيا حديثاً من تحركات.

شعر لاگران بموجة من العاطفة عندما أدرك نبل ما يقوم به، وكذلك لأنه سوف يقوم بالاشتراك مع ما يميز بما يتوجب عمله من دون التسبب بأي وحز ضمير لأي شخص آخر في قيادة الاتحاد. يعني ذلك أنهم مستعدون للتضحية بأنفسهم من أجل كل الآخرين.

أدت فكرة مدى نبل ما يفعله، وبعده عن الأنانية، إلى إعطائه دفعة جديدة من الحيوية وإرادة المواجهة، وهكذا أصبح باستطاعة لاگران الآن العيش حسب ما يقرره. رنّ في هذه اللحظة بالذات هاتف آرنو، وقال إنه في طريقه إلى الفندق مصطحباً "ضيفتهم" كاتي كوبر.

أكد آرنو أنه لم يعثر على أي مواد مهمة معها. لكن ذلك لم يكن مهماً في هذا الوضع.

لكن نهاية المكالمة أحدثت بعض الاضطراب في القرار الجديد الذي اتخذته. قال ما ييز: "لن أتمكن من معالجة الأمر بنفسى، وهو وضعٌ يزداد صعوبة باستمرار. يبدو بأنك على حق بخصوص ضرورة الاستعانة بشخصٍ محترفٍ" جعلت هذه الفكرة لاگران يشعر بقشعريرة في جسمه، لأن استخدام قاتلٍ محترفٍ يشتمل على مخاطر بحد ذاته، لكن ينبغي عليه الموافقة على الأمر. قال لاگران من دون تردد: "افعل ما يتوجب عليك فعله. لا يمكننا أن نفشل"

"أريد تكليفك بمهمة"

أحسّ جينس دوبون بالنبرة التي قيلت فيها هذه الكلمات في الهاتف. بدا آرنو ماييز متوتراً وخائفاً. يعني ذلك أن الثقة بالنفس التي أظهرها عندما طلب تنفيذ المهمة السابقة قد اختفت كلياً.

"سأدفع لك خمسمئة ألف"

بدا الأمر مغرياً جداً.

"لكنني أريد تنفيذ المهمة على الفور. الآن"

هكذا إذاً. لم يسبق لأحد أن طلب تنفيذ مهمة على الفور. يعني ذلك احتمال أن تكون هذه المهمة فخاً، أو أن ماييز تعرّض لوضع طارئ. تلقى دوبون رسالةً بالبريد الإلكتروني على هاتفه. طلب ماييز معاودة الاتصال به في أسرع وقتٍ ممكن، وكان ذلك أول أمر أثار شكوك دوبون.

"فندق شاتو أنطوانيت، جينفال. هدفٌ واحد، طلقة واحدة. النصف الأول قبل التنفيذ والنصف الآخر بعد التنفيذ. كم ستستغرق للوصول إلى هنا؟"

"سأتصل في غضون دقائق قليلة"

أهّى المكالمات، وازدادت الشكوك عنده بشدة، لكنه لم يرغب في رفض هذا العرض.

هل كانوا يريدون ابتزاز ماييز، وفشلوا في ذلك بعد أن خانه كوبر وكشف

الخطأ؟

اتصل جينس بسرعة برقم كوبر. رنّ الهاتف مرات عدة قبل أن يرد.

ردّ همساً: "لا يمكنني الكلام الآن"

"أريد أن أعرف شيئاً واحداً فقط. هل تسير الخطة على ما يرام؟ هل سيأتي المبلغ من ماييز؟"

"بالطبع. إن كل شيء يسير حسب الخطة الموضوعية. سأهني المكالمات الآن"
"عندي خطة احتياطية في حال خدعتني. سيقوم قاتل ماجورٍ آخر بقتل عائلتك. هل تفهم؟"
"أفهم ذلك"

أهني جينس المكالمات، لكن الأكثر أهمية من كلمات كوبر كانت نبرة صوته. حصل جينس معرفة كبيرة بالطبيعة البشرية، الأمر الذي جعله ناجحاً في حقل أعماله. وهذا ما جعله يلاحظ عدم وجود أي شيء في صوت كوبر يدل على أنه يكذب. لكنه إذا قبل المهمة التي يعرضها عليه ماييز فسوف يتعين عليه الانتباه كثيراً، وهو يعرف كيفية أخذ الحيلة والحذر.

أهني دافيد المكالمات بعد أن شعر براحة، لأن ذلك القاتل الهولندي ما زال يعتقد بأنه سوف يحصل على ملايينه. كان ذلك صحيحاً، وإن كان سوف يحصل بألية تختلف عما اعتقده دافيد في البداية.

لكن ذلك الشعور بالارتياح تلاشى على الفور عندما تذكر الوضع الذي تمر فيه كاتي، والكارثة التي تلوح في الأفق. أبقى دافيد نظره على شاشة الهاتف. كانت المكالمات التي وعد بها ماييز على وشك الوصول في أي دقيقة. كان وصول راي المتوقع بين لحظة وأخرى هو الأمر الوحيد الذي سمح له بالحفاظ على رباطة جأشه، وهو الذي سبق له أن رأى ما يُمكن أن يفعله راي. لم يمتلك ماييز أدنى فكرة عن الرجل الذي يوشك أن يقابله.

جهد دافيد لاستجماع أفكاره وحاول التركيز على المحادثات الجارية في غرفة الاجتماعات. تمكن من رؤية صورة رجلٍ على الشاشة أصدرت أضواء خافتة وكان يتكلم على رأس الطاولة: فرنسوا ديلفو.

"تقلصت احتياطات السيولة عند كريديتو ناسيونالي خلال النهار. ستنفذ هذه السيولة غداً، وهكذا سيضطر المصرف إلى إغلاق أبوابه في الصباح. لكن

ذلك من شأنه إطلاق موجة رعب عند المودعين وهي التي ستتشر مثل الطاعون إلى المصارف الأخرى. ستطرح الهستيريا الجماعية بمصرف إثر آخر، ثم ستتشر بسرعة البرق عبر أوروبا. ستتهدج موسكو لما يحدث. يعني ذلك أن العثور على مصدر سيولة لكريديتو ناسيونالي هو أمرٌ في غاية الأهمية. يتعين أن يحدث هذا الآن وعلى الفور. يتطلب إحداث تغييرٍ في ميزانية كريديتو ناسيونالي إجراءاتٍ تتعدى ما يستطيع كريديتو ناسيونالي، والمصرف المركزي الإيطالي فعله، هذا إذا لم نذكر شيئاً عن المصرف المركزي الأوروبي ECB، لكن من دون الكشف عن الوضع"

خيّم الصمت على غرفة الاجتماعات.

قال غوسينز: "لا يستطيع أحد تأمين هذه الكمية الضخمة من السيولة بالسرعة اللازمة، ما عدا نائب المدير العام للشؤون الاقتصادية والمالية في الاتحاد الأوروبي جان لاگران. يمتلك الرجل معارف في أوساط الأحزاب التي تمتلك احتياجات السيولة الضرورية"

أصغى دافيد مصدوماً. ماذا يعني ديلفو بكلامه هذا؟

"لكن ما هو مصدر الأموال؟"

خيّم الصمت مجدداً.

"نعلم جميعاً هذه الحالة من الفوضى التي وصلنا إليها. اتفقنا بالإجماع على إنقاذ كريديتو ناسيونالي بأي الوسائل الضرورية. ألا يعني ذلك أن مصدر الأموال هو أمرٌ ثانوي؟"

نظر دافيد إلى رينخر وإيريك، ولاحظ ملامح الرعب ذاتها على وجهيهما.

"لكن ماذا سيحدث إذا ما أثبتت مسألة مصدر الأموال في وقتٍ لاحق، وفي

وسائل الإعلام على سبيل المثال؟"

"لن يعرف أحد بهذا أبداً، حتى أن أحداً لا يعرف شيئاً عن هذه الأزمة. أما عندما وقعت الأزمة المالية في العام 2008 في الولايات المتحدة، قام كل من واتشوفيا وأتش أس بي سي بضخ أموال كارتيل المخدرات المكسيكي وعصابات الجريمة المنظمة عبر نظاميهما. لقد بلغ مجمل ما ضحاه من أموال ثلاثئة

وخمسين مليوناً من الدولارات في شرايين النظام المصرفي المتهاوي بهدف حل أزمة السيولة. وقد استُخدمت هذه الأموال في وقت لاحقٍ في مجال القروض بين المصارف

عرف دافيد ما يحدث. كان إجراء الاستفادة من وسائل أخرى في أمور معينة واقعاً يومياً في عالم المصارف. تدل الوقائع على أن نسبة أموال المخدرات المصادرة تقل عن واحدٍ بالمئة. أما الكمية الباقية فيتم تداولها في الاقتصاد، وهي تنتهي عاجلاً أم آجلاً في حسابات المصارف. أما الحقيقة المؤسفة فهي أن تجارة المخدرات العالمية، والتي تقدّر بمبلغ 250 مليار دولار سنوياً، تُعتبر عنصراً آخر من النظام الاقتصادي العالمي، وكانت جزءاً ضرورياً لا يُمكن الاستغناء عنه من نظام التمويل العالمي. كانت هذه التجارة في حالاتٍ عدة المصدر الوحيد لرأس المال الاستثمارات النقدية، والتي تتوافر في أوقات الأزمات المالية، كما تم إنقاذ مصارف عديدة بهذه الأموال. هل يعني هذا أن ما يقترحه ديلفو كان متهوراً إلى درجةٍ يصعب تصديقها بالنظر إلى الوضع الراهن.

كانت المافيا أكبر مصرفٍ إيطالي غير رسمي، تمتلك نحو 50 مليار يورو على شكل احتياطات نقدية. يعني ذلك أن منظمات الجريمة تضخّ عشرات مليارات اليورو إلى أجهزتها عبر الاقتصاد الرسمي سنوياً، ويعني كذلك أن نقاطاً مئويةً عدّة من الناتج المحلي الإجمالي تقع في أيدي المنظمات الإجرامية بدلاً من أن تكون هذه الأموال متوفّرة للحكومة، أو الإيطاليين العاديين. يعني ذلك أن المافيا وحدها هي التي تمتلك الأموال الآن، وهي تستطيع بالفعل إنقاذ كريديتو ناسيونالي، وبالنتيجة اليورو والسياسيين.

تابع ديلفو كلامه: "نعرف جميعاً كيفية تغطية الترتيبات اللازمة. أما الأمر الأكثر أهمية بالنسبة إلينا الآن فهو مرور الوقت، أي أن أحداً لن يتمكن بعد سنوات من تحديد مصدر الأموال"

قال غوسينز: "سيتمكن الاتحاد الأوروبي في ذلك الوقت من غسل مئات مليارات من يورو الأموال غير الشرعية، وهو الأمر الذي يجعل من المافيا العالمية لاعباً رئيساً في النظام الاقتصادي"

"لا أريد سماع كلماتٍ مثل المافيا وهي تُستخدم هنا"

"لكن، أليس ذلك ما نتحدث عنه بالتحديد؟"

تسبب ذلك في إثارة قدر كبير من المناقشات.

قال غرينفيل بيانكليزيتيه الأميركية وسط هذه الفوضى: "إذا لم نلجأ إلى هذه الترتيبات فإن العواقب ستكون كارثية. إن هذا المأزق الذي وقعنا فيه هو بمنزلة هبة من السماء بالنسبة إلى الكرملين. قولوا لي أي خياراتٍ نمتلكها. هل هناك أي إمكانية سياسية تسمح بتمرير خطة الإنقاذ هذه، فضلاً عن تمريرها في فترةٍ زمنية قصيرة؟ أنتم تعرفون الإجابة، كما أنني لا أريد أن أتحدث عن مدى تأثير هذا الأمر على TAFTA إذا تار في وجوهنا"

أدرك دافيد أن اتفاقية التجارة، التي كانت تروّج لها القيادات العليا في الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة الأميركية من وراء الستار، ومنذ سنوات عديدة كانت مشروعاً عملاقاً بحيث أن القيادتين كانتا على استعداد لفعل أي شيء لمنع تأخيره.

سأل غوسينز: "ماذا بشأن مسؤوليتنا إذا انكشف الأمر في يومٍ ما؟"

"سيقوم كريديتو ناسيونالي حسب هذا الاقتراح الذي نعرضه بمعالجة أزمة السيولة التي يعانيها بأفضل طريقة يراها، ونحن المجتمعين هنا في بروكسل لن نتدخل بأي طريقة كانت. تذكرون عند انكشاف أمر واتشوفيا و HSBC في ما يتعلق بتبييض الأموال أن أحداً لم يدخل السجن، وتمت تسوية الأمر كله بالمال"

أوماً دافيد ذهنياً أمام الشاشة، وهو الذي يعرف أن HSBC دفع مبلغ 1.9 مليار يورو غراماتٍ في حين وصلت أرباحه السنوية إلى عشرة أضعاف هذا المبلغ.

"كان ماريو دراغي وزيراً للمالية في إيطاليا عندما استخدمت البلاد تجارة المشتقات المالية لشق طريقها بالخدعة إلى منطقة اليورو. تم ترشيح الرجل في وقتٍ لاحق لرئاسة المصرف المركزي الأوروبي..."

كان ذلك صحيحاً بما يكفي. تورط جي. بي. مورغان على الأقل في هذه الترتيبات، هذا إذا لم تشترك المصارف الاستثمارية الأخرى في هذه العملية.

تابع ديلفو حديثه بلهجةٍ حاسمة: "أيها السادة. لا يوجد أحدٌ في العالم بإمكانه المسّ بكم بغضّ النظر عن القرارات التي تتخذونها، وقد تأكّد ذلك مرةً

تلو أخرى. أنتم لستم سياسيين، بل تتخذون القرارات فقط، أي أنكم لستم بحاجة لثقة الناخبين. إن كل ما يتطلبه الأمر هو الثقة في النظام المصرفي. لا تعيروا انتباهاً للمصرحات التي تُطلق في الشارع لأنه لا توجد آلية يمكنهم استخدامها للتأثير على هذه الأمور. يتعين علينا تقديم الاحترام عن كل ذلك لزميلنا المصرفي جان مونييه والصناعيين الآخرين في عالم الصناعة والتجارة، وهم الذين اهتموا في وقت مبكر بإنشاء الاتحاد الأوروبي، وذلك للتأكد من أن عملية اتخاذ القرارات لن تقع تحت رحمة الناس. أقترح أن نوافق على خطة لاگران. إنها الطريقة الوحيدة لإنقاذ الوضع"

خيم الصمت مجدداً على الغرفة.

"هل هناك من آراء مخالفة؟"

خيم الصمت مجدداً.

"ليست هناك آراء مخالفة. يعني ذلك أنه تمت الموافقة على اقتراح الرئيس" تذكر دافيد فجأة أن البحث الذي أجرته آينو وصف الهيكلية المركزية للاتحاد الأوروبي. كان ذلك "اتحاد أوميرتا"، الذي يعني التعايش بين السياسيين والأثرياء، وكذلك ترتيب الأمور في الغرف الخلفية السرية، أي مثل الأوميرتا التي تحكم من ضمن المافيا، قانون الصمت.

قال ديلفو: "سأقوم الآن بدعوة مهندس خطتنا هذه"

فُتح الباب، ودخل شخصٌ معروفٌ لدى المجتمعين.

"حضرة نائب المدير العام جان لاگران، وافق المجتمعون على أن تقوم أنت

بتنفيذ خطتنا"

"شكراً لكم أيها السادة على ثقتكم"

التفت إيريكاً نحو دافيد ريختر بعد أن رسمت ابتسامة النصر على وجهها.

فسأل ريختر بينما كان يتجه إلى الحمام: "هل نجحت عملية التسجيل؟"

لم يُجبه أحد. كان دافيد أول من تحرك ليكتشف أن فلوريان ليس موجوداً

في مكانه.

سأل ريختر: "أين فلوريان؟"

"غادر فلوريان لأخذ التسجيل إلى الأستديو حيث سياتأكد من نوعية التسجيل"

نظر دافيد إلى ريختر الذي بدا مرتبكاً: "هل كنتَ تعرف أنه سوف يغادر؟"
هزّ ريختر رأسه.

توجّه ريختر إلى الحمام وجثا على الأرض كي يتفحص الحاسوب. كان موضع إدخال الذاكرة الرقمية المؤمنة خالياً. نقر على الحاسوب كي يفتح ملف الوثائق المحفوظة في برنامج التسجيل، لكن الملف كان خالياً تماماً بدوره.
"لا يوجد أي أثر للتسجيلات هنا"

قالت إيريكّا: "يُعرف فلوريان ماذا يفعل. إنه يسيطر على كل شيء. لا تقلقوا، لأنه سيحتفظ ببطاقة الذاكرة في مكانٍ آمن. أعتقد أنه كان قلقاً من احتمال اكتشاف أمرنا. كان خائفاً من أن تقوم جماعة من الحراس الأمنيين باقتحام الغرفة، بعد الانتهاء من التسجيل، وعندها سوف نخسر كل شيء"
بدا الغضب الشديد على وجه ريختر: "أي لعبةٍ تقومين بتنفيذها. لماذا لم تخبريني؟"

قالت إيريكّا ببطء بعد أن التفتت نحو دافيد: "إنني آسفة يا مارتن... إننا لا نثق بضيفك"
نظر دافيد مصدوماً إلى إيريكّا لأن هذا التسجيل الذي لا يُقدّر بثمن كان بين يدي فلوريان وحده. كانت تلك مشكلةً صغيرةً بالمقارنة مع وضع كاتي.

فتح فلوريان الباب الرئيس في شاتو أنطوانيت بسرعة، وتطلّع نحو الحارس الشخصي الذي يرتدي بذلة سوداء والذي يقف قرب الحافلة الصغيرة وسيارة البي. أم. دبليو السوداء اللون. أسرع فلوريان بعد ذلك نحو البوابة التي تؤدي إلى باحة الفندق المسيّجة بالأشجار العالية.

أحكم فلوريان قبضته على الذاكرة الرقمية المؤمنة، والتي تحتوي على التسجيل الذي قام بإلقائه في القرص الصلب للحاسوب. تطلّع غريزياً إلى الخلف عندما تجاوز موقف السيارات التابع للفندق، وتأكد من أن أحداً لا يلاحقه.

فتح فلوريان بوابة حديدية صغيرة وسط سياج الأشجار الواقع خلف موقف السيارات، ثم تابع السير بضع مئاتٍ من الأمتار إلى جانب الطريق، وتابع السير إلى أن لمح عربة رينو مقلّعة زرقاء اللون مركونةً بمحاذاة طريق جانبي وراء الأشجار. رأى إلى جانبها دراجة بخارية.

اقترب مسرعاً من العربة التي تجمّع حولها ثلاثة شبان.

سأل سياستيان: "هل حصلتَ عليه؟"

فتح فلوريان قبضته، فظهرت ذاكرة رقمية مؤمنة بحجم طابع البريد. ظهرت ابتسامات النجاح والرضا على وجوه سياستيان وكارل وآرنو.

سأل فلوريان: "هل كل شيء جاهز؟"

فتح كارل الباب الانزلاقي للعربة المقلّعة، فظهرت ثلاث بنادق رشاشة، ومسدسات، وقنابل غاز، وأقنعة سوداء، ومدفع آر. بي. جي.

"حسناً. إنهم على وشك إنهاء الاجتماع"

ظهرت نافورة مياه وسط البركة الكبيرة، وظهر من خلفها فندق شاتو أنطوانيت المزخرف بسطحه المغطى بالقرميد الأحمر، وكل الأشجار الخضراء المحيطة به. قاد جينس دي بونت سيارته نحو موقفٍ عامٍ صغير المساحة، حيث يُمكن للناس الاستمتاع بالمنظر الهادئ من حولهم..

رُكنت هناك سيارتان كما ظهر شخص واحد في كل واحدةٍ منها. داس جينس على الفرامل. هل كانت هذه مصيدة؟

نهض آرنو ماييز من سيارة المرسيديس الرياضية الأقرب، وبدأ يسير باتجاهه. لكن مَنْ كان في السيارة الأخرى؟ مدّ جينس يده نحو الخزانة الصغيرة الوسطى التي تحتوي على مسدس.

فتح ماييز الباب، وصعد إلى السيارة.

سأل جينس: "مَنْ يوجد داخل سيارة الليكزوس؟"

قال ماييز: "شريكى تناول هاتفه بعد ذلك، وقال: "يمكنك الاقتراب

أكثر

كانت سيارة الليكزوس مركونةً في مكانٍ أبعد، وما لبث سائقها أن شغّل محركها، واقتربت منهما ببطء. أراد جينس الإبقاء على حذره، لذلك لم يرفع يده عن المقصورة الوسطى. توقفت سيارة الليكزوس بالقرب منهما، وما لبث السائق أن أنزل زجاج نافذته.

نظر إليهما بجدية رجلٌ يرتدي ربطة عنق على شكل قوس. أحسّ جينس بالسبب الذي جعل الرجل يقوم بالكشف عن وجهه. سيراه جينس مع الشخص الذي يريدون خطفه.

تحدث ماييز واصفاً المهمة، التي كانت في غاية الوضوح، لكنه لم يذكر شيئاً عن اسم الضحية.

سأل جينس: "ماذا بشأن الدفع؟"

فتح ماييز جهاز الآيباد الذي يستخدمه، وفتح محرّك البحث: "أعطني رقم حسابك"

ذكر جينس رقم حسابه المصرفي في جزر الباهاما.

نقر مايز الأرقام، ثم أدار الشاشة نحو جينس، وقال: "مئتان وخمسون ألف يورو"

أوما جينس بينما ضغط مايز على زر تأكيد التحويل.
"ستظهر الدفعة الأولى في حسابك في غضون يومين. أما الدفعة الثانية فسوف تأتي عند إتمام المهمة"
بدأت ثقة جينس بنفسه تزداد في هذا الوقت: "دعنا نلقِ نظرةً على المكان"

وجد دافيد صعوبةً في التركيز على فكرة أن فلوريان قد اختفى فعلاً مع التسجيلات التي أجراها، ثم نظر مشدوهاً نحو إيريك، بينما ترددت كلماتها في ذهنه عندما قالت إن الخطة قد تغيرت بسبب دافيد.

قال ريختر بصوت يكاد أن يكون مرتعشاً: "كانت تلك هي خطتي أنا. لا يمكن لأي شخص أن يأخذ التسجيل إلى أي مكان من دون علمي"
قالت إيريك بصوت ناعمٍ ويبعث على الهدوء: "أعرف أنك تأذيت. لكن ما فعلناه هو لصالحنا"

"أنت لم تعرفي ما هو صالحنا أنا"
"آسفة، لكن دعنا ننه عملنا هنا، وما زلنا بحاجةٍ إلى صور المشاركين في هذا الاجتماع"

قال ريختر متذمراً: "دعك من هذا الكلام"
ترددت نغمةً من مكانٍ ما، لكن دافيد استغرق ثواني عدة قبل أن يدرك أنها صادرة عن هاتفه. أتت هذه المكالمات من هاتف كاتي. انتقل دافيد إلى مكانٍ قريبٍ من النافذة وبعيدٍ عن إيريك وريختر.

أتى صوت رجلٍ عبر سماعة الهاتف: "أرسلت لك صورة. انظر إليها واتصل بي"

فتح دافيد الرسالة التي تحتوي على الصورة، لكنه ما لبث أن لاحظ استخدام المناقشة بين ريختر وإيريك في الجهة الأخرى من الغرفة.

أظهرت الصورة كاتي بوجهٍ مليء بالخدوش، بينما ظهر الورق اللاصق فوق
فمها المليء بالدماء. كانت في صندوق سيارة بينما كانت فوهة مسدس موجهة
إلى صدغها.

حاول دافيد مقاومة هذه الصدمة بينما شعر بضعفٍ في ساقيه، وما لبث أن
اتصل برقم ماينز.

قال من خلال شفتين جافتين: "ماذا فعلتم بزوجتي؟"
"أصنع ليّ جيداً. إذا أردتَ استعادة زوجتك فيتعين عليك أن تأتي إلى المنصة
المسقوفة التي تقع وسط سياج الشجيرات. أحضِر معك البحث الذي أجرته آينو
جاكولا"

"إذا حدث أي شيء لزوجتي، فإن أصدقاءنا سيفضحونك..."
"أؤكد لك أنك لن تفوز في هذه المنازلة. إذا لم تأتِ فإنك لن ترى زوجتك
ثانية"

انقطعت المكالمة عند هذا الحد.
وقف دافيد أمام النافذة جامداً في مكانه. تأثر كثيراً بصورة كاتي التي
تعرضت للضرب، والتي سألت الدماء منها.

تمنى وهو يشدّ قبضتي يده لو أنه يحطّم الزجاج ليرى الباحة الخضراء الكبيرة
في الخارج. كانت المنصة المسقوفة في مكانٍ ما وسط هذه الباحة.

كان عليه اتخاذ قراره في غضون دقائق قليلة. كان شريط الذاكرة الذي
يحتفظ به في جيبه يحتفظ بما يحتويه حاسوب لورنزو، وليس بما يحتويه حاسوب
آينو. لكن مواد الأبحاث لا تعني شيئاً بطبيعة الحال، بل كانت مجرد عذرٍ وحنة،
لأن الطلب من دافيد الصعود إلى منصة الشنق سيكون فاضحاً جداً.

سمع دافيد صوت إيريك المليء بالحماسة قبل سماعه صوت إغلاق الباب
بقوة: "إذا لم تفهم ما هو الأفضل لك ولعمليتك فيمكنك أن تتصرّف وحدك"

جلس في كرسي بذراعين، لكنه بدا شاحباً.
سارع دافيد إلى الاتصال برقم راي.

"هل ستصل إلى هنا بسرعة؟"

"اقتربت من المكان كثيراً. أريد أن أقول لك شيئاً بخصوص كاتي..."
"ماذا بشأنها؟"

"طلب مني لاغران إحضار كاتي لتكون بأمان. لكنها تعرّضت لحادث سيارة. سلّمتها بعد ذلك إلى رجل ادّعى لاغران أنه من الوحدة الأمنية للمفوضية، وهو سيسلّمها إلى طبيب يمتلك عيادته الخاصة به..."
فهم دافيد ما حدث، لكن راي لم يقل أي شيء عن هذا في مكالمتهما الأولى. أغمض دافيد عينيه.

"طلبت مني كاتي استعادة جهاز الآي باد من منزلكم. إنه بجوزتي الآن"
حاول دافيد السيطرة على أعصابه، وقال: "تعال إلى هنا في أسرع وقتٍ ممكن"

اقترب جينس دوبون قبل فترة الغسق من البوابة التي تمتد خلفها هكتارات عدة من الميادين الخاصة.

تذكر على الفور وجه الرجل الذي كان جالساً في سيارة الليكزوس مع ماييز في موقف السيارات. سبق له أن رآه في مكانٍ ما، وربما رآه في الصحيفة.

ساهم ظهور شخصية شهيرة، والدفعة المسبقة، في تبديد القلق الذي شعر به جينس من احتمال أن يكون هذا فحاً. يُحتمل أن يكون ماييز ورفيقه أرادوا التخلص من شخصية نافذة تسبب لهما المتاعب. سيقومان الآن باستدراج الضحية إلى الميدان، وبعد ذلك سيحضرائه إلى مكانٍ يراه فيه جينس. لكن ماييز لا يمتلك أي فكرة حتى الآن عن قيام جينس بابتزازه. عملايين اليورو. بمساعدة ذلك المصرفي البريطاني.

عكست النافورة التي تقذف المياه عالياً في الهواء أنوار المصابيح الكشافة في وسط البركة، وهو الأمر الذي حجب كل الأصوات الأخرى. ظهر سقف المنصة بين أجمات الشجيرات الخضراء. استدار جينس ببطء نحو البوابة، وشعر بملامسة قطرات الماء لوجهه. رأى في ذهنه فجأة ذلك اليوم الصيفي من طفولته عندما كان يستمتع بملامسة قطرات المياه المتطايرة بالطريقة نفسها من نافورة متنزه دي وال في كايب تاون. راوده شعور من الأسى إلا أنه شعر أن الذكريات تخنقه.

فتح جينس بوابة الحديد المزخرف، وانطلق نحو المنصة المسقوفة والتي لا تكاد تظهر نتيجة للأشجار الخضراء التي تغطيها.

حدق دافيد مباشرةً إلى عيني ذلك المخلوق الغريب. كان في البركة بالإضافة إلى هذا الضفدع العملاق، منحوتات رائعة يعود تاريخها إلى القرن التاسع عشر:

سمكة شبوط قافزة وعازف مزمارة مسنن ذو الحية. أما في قعر هذه البركة فقد التمعت قطع النقد المعدنية التي تعود نزلاء الفندق رميها في البركة علها تجلب لهم الحظ الحسن.

تطلع دافيد من حوله فرأى منصةً متداعيةً، كانت تستخدمها فرقة موسيقية في الماضي، محاطةً بسياج مزخرف. تمكّن من رؤية الظلال التي يتركها سياج الشجيرات. تمازجت في أسماعه أصوات ضربات قلبه، وأصوات المياه المتدفقة من النافورة من البعيد.

ظهرت في وسط سياج الشجيرات هذا، المنصة المسقوفة التي أمره مايز المحيي إليها. كان كل ما تمكّن من رؤيته من هذا المبنى السداسي الشكل هو السقف المدبب، وجزء من الجدار المغطى بعرائش الكرم. تعود الأرستقراطيون في زمن مضى شرب الشاي على هذه المنصة خلال فصل الصيف. تمكّن دافيد وهو واقف في مكانه من تصوّر هذه المنصة المسقوفة، وسياج الشجيرات المتماثل من حولها. كانت إمكانية نصب فخ له إمكانيةً عالية. يُحتمل كذلك أن يراقبه شخصٌ ما في هذه اللحظة بالذات.

شعر دافيد بضرورة التطلع إلى الورا، لكن يُحتمل عندها أن يكشف ملاكه الحارس [حارسه الشخصي]. أخذ أنفاساً عميقة، وتابع السير عبر الممر المغطى بالحصى والذي تحيط به أشجار عالية، وهكذا أصدرت كل خطوة صداها تحت قدميه.

وصل راي إلى الفندق في الوقت المناسب، فأحاطه دافيد علماً بآخر التطورات بسرعة، ثم بدأ السير نحو الميدان واثقاً من أن راي سوف يراقب الوضع عن بعد. ضجّ ذهنه بأسئلة كثيرة عن راي، لكن الوضع فرض تأجيل الإجابة عنها إلى وقتٍ آخر، لأنه تعيّن عليه التركيز على الحفاظ على حياته.

مشى دافيد ببطء، وعبر الممرات المحاطة بسياج الشجيرات واحداً بعد آخر، وشعر بتوترٍ شديدٍ في أعماقه يصعب تحمّله. ظهرت عند المنعطف عرائش الكرم من نوع فيرجينيا تغطي المنصة المسقوفة.

أحسن دافيد بحركة أمامه فتوقّف على الفور. ظهر شخصٌ في هذا الوقت أمام المنصة المسقوفة. نظر دافيد إلى الرجل الذي بدا وكأنه كان بانتظاره، ثم بدأ بالسير

نحوه. تعرّف دافيد على لاگران على الفور وتسارعت ضربات قلبه كثيراً.

"هل أحضرت ما طلبناه منك؟"

"أريد رؤية كاتي أولاً"

استدار لاگران وفتح باب المنصة. لاحظ دافيد وجود شخصين قبالة الجدار الخلفي: كاتي وآرنو مايز الذي شهر سكيناً فوق عنقها. بدا وجه كاتي مليئاً بالجروح والخدوش.

فكّر دافيد في الهجوم على مايز، لكنه سيطر على ردة فعله الغريزية في اللحظة الأخيرة.

قال لاگران: "دعني أرى الأبحاث"

صرّ دافيد على أسنانه، ثم بدأ بتحريك يده ببطء نحو جيبه الذي يحتوي على شريط الذاكرة. فهم في هذه اللحظة أن هذا الشريط كان مجرد ذريعة، لأنهم يريدونه هو.

استلقى جينس دويون تحت غطاء سياج الأشجار، ثم حرّك بندقيته بعناية بحيث استقرت علامة الاستهداف على الجهة الخلفية من رأس الهدف. راقب جينس من خلال المنظار الرجل الذي يدير له ظهره وقد حرّك يده نحو جيبه. أخذ نفساً بهدوء، لكن أنظاره استقرت على الهدف بسهولة مستعداً لجذب الزناد. نظر الرجل المستهدف جانباً، فظهر وجهه واضحاً في المنظار.

شعر جينس ببرودة تسري في دمائه. كان الرجل المستهدف هو دافيد كوبر. تسارعت الأفكار في ذهن جينس. هل عرف مايز بالخطوة منذ البداية؟ هل يُعتبر هذا نوعاً من أنواع الانتقام غير المباشر؟ كلا، من المستحيل أن يكون الوضع هكذا، لأنهم لن يأخذوا مخاطرة كهذه.

حدّق جينس مصدوماً إلى الرجل الإنكليزي بينما كان يُخرج شيئاً من جيبه.

فكّر في أنه لا يستطيع القضاء على مصدر المال هذا الذي يعدّ بدفع مبلغ أكبر بكثير مما وعد به مايز.

أبعد جينس إصبعه عن الزناد، وفي الوقت ذاته أدرك أن عدم إنجاز المهمة سوف يعرضه للانتقام مايز.

تعيّن عليه إطلاق النار.

وضع جينس إصبعه على الزناد مجدداً بينما شاهد الرجل الإنكليزي وهو يعطي شيئاً صغيراً إلى الرجل الآخر الذي سار مبتعداً واختفى وراء المنصة المسقوفة.

وقف الشخص المستهدف وحده الآن، وهكذا أصبح من السهل على جينس إطلاق الرصاص.

تحرك دافيد فسار جينس إلى الضغط على الزناد.

كان مايز جالساً على المنصة المسقوفة وهو يحمل بيده سكيناً وضعه فوق عنق كاتي، وما لبث أن سمع فرقة حادة. صدمت الشظايا الجدار، وما لبث دافيد أن استدار باتجاه الطلقة.

أدرك مايز في هذه اللحظة أن ذلك الهولندي أخطأ هدفه، وهو أمر غير مسبوق أبداً، لذلك أسرع إلى التحرك، وهزّ المرأة الهولندية إلى الخلف من رقبتها، ثم مشى مترنحاً نحو الباب الخلفي للمنصة المسقوفة وهو يجرّها. قاومت كاتي، لكن مايز أمسك بالسكين التي حملها بيده الأخرى بقوة أكبر على عنقها.

انطلقت طلقة أخرى، واصطدمت بالجدار، لكن دافيد انطلق كالسهم للاختباء داخل المنصة.

صرخ مايز وهو يدخل من خلال الباب الخلفي: "لا تقترب أكثر وإلا قتلها" تذكّر في هذه اللحظة أن لاغران ينتظر في السيارة المركونة في الطريق الفرعي المستخدم للصيانة وراء سياج الشجيرات العالية، ومن المفترض أنه يدقّق في صحة الملفات. يعني ذلك بأنه يتعين عليه الوصول إلى هناك مع المرأة.

سمع مايز صوتاً ونظر وراءه، ثم صاح نتيجة الصدمة التي شعر بها. رأى رجلاً أسود اللون واقفاً وراءه وهو يحمل بندقية صيدٍ موجهة نحو وجهه مباشرة.

"أسقط السكين من يدك. الآن"

فهمَ ما يميز الوضع على الفور، وأسقط السكّين على الأرض. ظهر دافيد على الفور عند الباب، وما لبث أن أمسك زوجته من يدها مبتعداً معها. اختفى الزوجان وراء سياج الشجيرات العالية والداكنة. صوّب الرجل الأفريقي نظراً متجهماً إلى ما يميز ثم اختفى.

وقف ما يميز مشدوهاً في مكانه للحظات قليلة. أدرك بعد ذلك أنه لا يسعه أن يسمع لهؤلاء الثلاثة بالهروب بغضّ النظر عما يحدث نتيجة ذلك. تفحص ما يميز غاضباً سياج الشجيرات العالية بحثاً عن الرجل الهولندي.

ظهر سياج آخر من أشجار خشب البقس أمام دافيد، فسارع إلى الاندفاع نحوه مجدداً، متجاهلاً الأغصان التي خدشت وجهه وذراعيه. وهكذا شق طريقه من خلال السياج وهو يجر كاتي وراءه. سمع دافيد شخصاً ما يركض وراءهما، لكنه لم يتمكّن من تأكيد ما إذا كان راى، أو ذلك القاتل الذي نصب له كميناً.

شعر دافيد بالرعب لأن الرجل الذي يلاحقهما كاد أن يصل إليهما. شعر بالإهناك الشديد في رجله، وصعب عليه التنفس. وصل إلى آخر سياج من الشجيرات، وما لبث أن تعثّر وهوى نحو الممر المغطى بالحصى في حين كانت كاتي وراءه. انفارت كاتي على الأرض لكن دافيد انحنى كي يرفعها. تمكّن من رؤية سيارة لاند روفر مألوفة في نهاية الممر المغطى بالحصى.

كان أحدهم يُسرع الخطى نحوهما من خلال سياج الشجيرات. قالت كاتي لاهثة: "ضعني أرضاً. يمكنني أن أمشي" أنزلها دافيد إلى الأرض، وأمسك يدها، ثم تابعا ركضاً نحو سيارة اللاند روفر. نظر دافيد إلى الخلف بقلق وهو يتوقع ظهور القاتل في أي لحظة على الممر المغطى بالحصى. فجأة ظهر شخص داكن البشرة يحمل بندقية. قال دافيد لاهتاً بعد أن خفف سيره: "راى، حمداً لله"

ركض راى نحوهما، وأمسك بذراع كاتي الأخرى. لكن ما إن وصلوا إلى اللاندروفر حتى وقف راى حارساً ببندقيته، بينما ساعد دافيد كاتي على الدخول

إلى السيارة. جلس دافيد في مقعد السائق، بينما جلس راي إلى جانبه بعد أن ناوله المفاتيح.

شغل دافيد محرك السيارة واستدار بها في الاتجاه المعاكس فوق العشب، بينما أبقى راي نظره وبندقيته مركّزين على الاتجاه الذي أتوا منه.

"اللعة، اللعة..." بدأ دافيد بترديد هذه الكلمة، وهو يتمسك بعجلة القيادة بشدة، وأسرع بالسيارة بين الأشجار نحو الطريق الترابي في البعيد. استراحت كاتي في المقعد الخلفي للسيارة التي تنقلت من جهة إلى أخرى.

وصل دافيد إلى الطريق، ونظر في مرآة الرؤية الخلفية ليتأكد من عدم قيام أي شخص بملاحقته.

جلس لاگران في سيارة المرسيدس الرياضية التي يمتلكها ماييز، وتطلع مصدوماً عندما رأى سيارة اللاند روفر وهي تظهر من بين الأشجار وتسرع بقربه، وهو الذي رأى قبل ثوانٍ قليلة الزوجين كوبر، وراي أوبوند، يهرعون إلى السيارة. شعر لاگران بموجة من الرعب الكاسح يحتاج كيانه. انبطح أرضاً وهو حائر في ما يجب عليه أن يفعل. ظهر ماييز بعد ذلك من خلال سياج الأشجار، لكنه بدا متجهماً.

صاح لاگران: "ماذ حدث هناك بحق السماء؟" قال ماييز ملوحاً بعصاه: "ذلك الفاشل. لا يمكنني أن أفهم السبب الذي جعله يخطئ الهدف!"

"يخطئ؟ يخطئ أي هدف؟"

"القاتل المأجور الذي كلفته بالمهمة. فشل في إصابة دافيد كوبر

"أعجز عن تصديق هذا. إنه كابوس..."

"الحق بسيارة اللاند روفر. بسرعة"

انتهت فترة السرعة التي قاد بها دافيد السيارة، وبدأت مرحلة الفرملة السريعة بعد ابتعادهم عن شاتو انطوانيت الذي اختفى الآن وراء الأشجار.

أوقف دافيد السيارة بعد أن انعطف بها إلى طريقٍ جانبيٍّ يؤدي إلى غابةٍ كثيفة الأشجار.

أسرع دافيد إلى فتح الباب الخلفي للسيارة، وقال: "كاتي"
ارتمت كاتي على أرضية السيارة من دون حراك. صعد دافيد إلى جانبها،
وكان وجهها مليئاً بالجروح والخدوش. خشي دافيد من حدوث الأسوأ فضغط
بأصابعه على عنق كاتي، لكنها فتحت عينيها في هذه اللحظة بالذات.
قال دافيد بصوت مرتعشٍ وبارتياح: "لا تتحركي، سوف ننقلك إلى
المستشفى"

بدأت كاتي برفع نفسها استعداداً للنهوض.
"أبقي حيث أنتِ"
ردّت كاتي بصوتٍ أحش: "أنا بخير، لكنني عطشى"
ناولها راي قارورة ماءٍ من مقعده الأمامي. شربت كاتي الماء بنهم، وسكبت
بعضه فوق وجهها. لاحظ دافيد الخدوش على معصمَيها وذراعيها. رغب دافيد
في معانقتها بذراعيه، لكنه خشي أن يؤلمها.

قال دافيد بحماسة وبصوتٍ مرتعش: "أنا آسفٌ جداً يا كاتي"
ظهر راي قبالة الباب الخلفي للسيارة، وراقب بينديته المعلقة في كتفه الاتجاه
الذي اتبعوه قبل توقّفهم.

سأل دافيد: "من أين حصلتَ على البندقية؟"
حدّق راي إلى البندقية التي يحملها: "ألم تتعرّف إليها؟"
أدرك دافيد في هذه اللحظة أنها بندقية كاتي.
سألت كاتي راي: "هل عرفتَ شيئاً عن والدي؟"
"إنه موجود في مستشفى سان لو، لكنهم امتنعوا عن إعطائي أي معلومة لأنه
ليس قريبي. يبدو أنه على قيد الحياة"

تطلّع دافيد نحوهما بدهشة: "عمّ تتحدثان؟"
"أحضر لي والدي الآيباد الخاص بأينو من فنلندا، كما حاول إنقاذي من
أولئك الإيطاليين... مخاطرٌ بحياته من أجلي..."

جُمد دافيد في مكانه: "أيّ إيطاليين؟"

بدا الإحباط على وجه كاتي، وخفضت بصرها نحو الأرض.

قال راي بإيجاز شديد: "لاحقتنا المافيا، واحتفظت زوجتك من منزلكما. نجحتُ في تحريرها، ومات كل الخاطفين أو جرحوا جراحاً خطيرة نتيجة الحادث الذي تعرّضت له السيارة"

دوّت كلمات راي في أذني دافيد.

حدّقت كاتي إلى عيني دافيد: "لماذا لم تقل لي الحقيقة؟"

"أردتُ أن أحملك..."

"هل أردتَ حمايتي؟"

فهم دافيد السخرية في السؤال المضاد الذي طرحته كاتي.

بدأ دافيد بشرح الموقف: "تلك المعلومات من باريتو عن مسموحات

انبعاثات الطاقة..."

"ماذا بشأنها؟"

"قمتُ بتوظيفها"

بدت نظرة كاتي شاردةً في البداية، لكنها أدركت بعد ذلك معنى كلمات

دافيد.

"هل قمتُ باستثمار بناءً على المعلومات السرية التي..."

"تبيّن بعد ذلك بأنها خاطئة. أجل"

صمتت كاتي، لكن دافيد أدرك أن أسئلة إضافية بدأت تتجمّع في ذهنها.

"لم أرغب في إجبارك كل هذا لأنه يجعلك متواطئة في الجريمة"

أومأت كاتي بهدوء: "كم... كم خسرت؟"

"خسرت خمسين مليوناً تقريباً"

جحظت عينا كاتي نتيجة الصدمة.

"كان أمني الوحيد هو كشف الحقيقة عمّا أراد باريتو أن يفعله. اقتحمت أنا

وراي منزله في الليلة التي أقمنا فيها حفلة تدشين المنزل. عثرنا وقتها على وثائق

وجّهتنا إلى مصادر أمواله في صقلية"

تحدّث دافيد عن الحادث الذي وقع في باليرمو، لكنه سرعان ما استنتج من ملامح كاتي أنّها بدأت تدرك ما حدث.
"كان عليك أن تخبرني بالحقيقة منذ البداية"
"أعرف ذلك"

شعر دافيد برغبة في معانقة كاتي، لكنه شعر بالخلج والصدمة نتيجة المأزق الذي أوقعها فيه، وعلى الأخص لأن ذلك كان نتيجة طمعه وخداعه.
أدرك دافيد بعد ذلك أن شخصاً آخر قد سمع اعترافه هذا.
التفت دافيد إلى راي.

قال راي وكأنه حُمن السؤال التالي الذي يدور في ذهن دافيد: "قمتُ بعملٍ لصالح لاغران، وكانت آينو هي التي عرّفتني إليه. لكن عندما طلب مني لاغران إحضار كاتي حرصاً على سلامتها، ظننتُ أن موظفي الأمن في المفوضيّة هم الذين سوف يقومون بحمايتها"

سألته كاتي: "هل أحضرتَ جهاز الآياد؟"

توجّه راي لإحضار الجهاز الأسود اللون من مقصورة القفازات في السيارة.
قالت كاتي لدافيد: "سجلت آينو اكتشافاتها الحقيقية هنا. أما النصوص الموجودة في الحاسوب الشخصي فكانت مجرد أبحاثٍ تمهيدية. هل تذكر أنّها سألتك عن مستشار استثمارات إيطالي الجنسية..."

توقّف دافيد عن الكلام حين سمع صوت سيارة تقترب من مكافهم وأنصت. تناول راي البندقية ثم انتقل إلى موقع آخر يطل أكثر على الطريق. لكن السيارة تجاوزتهم من دون أن تبطن. عادت أفكار دافيد في هذه الأثناء إلى الأحداث الجارية في شاتو أنطوانيت.

قال راي متطلّعاً بقلبي نحو الطريق: "يتعيّن علينا مغادرة المكان"
سأله دافيد: "أيمكنك أخذ كاتي إلى المستشفى. سأتركها في حمايتك. يتعيّن عليّ العودة إلى الفندق"

قال راي: "لا تتوجّه إلى هناك. إنها مخاطرة كبيرة"

"لكنك لا تعرف كم أراهن على ما يجري هناك الآن"

قالت كاتي: "لن تذهبَ إلى أي مكان"

قال دافيد بأقصى ما أمكنه استجماعه من صبر: "اسمعي يا كاتي. يتعيّن عليك فهم الوضع جيداً. تقوم مجموعة من الرجال المجتمعين في الفندق بالتخطيط لاستخدام أموال المافيا لأجل إنقاذ مصرف كريديتو ناسيونالي وتفادي نشوب أزمة مالية جديدة. لكن المافيا الإيطالية تمتلك المليات التي تنتظر تبييضها. يُمكن للجميع الاستفادة بهذه الطريقة: تعويم المصارف بينما تقوم المافيا بتبييض أموالها. يتقرر كل ذلك ضمن اجتماع يُعقد في أحد الفنادق، كما يوجد لدينا دليل مادي يتمثل في شريط فيديو مسجّل"

شعر دافيد أن راي يُصغي بانتهاء بالرغم من أنه يدير ظهره إليهما. تابع دافيد كلامه: "يتعيّن عليّ الحصول على ذلك التسجيل. أما إذا نجحوا في إخفاء خسائر كريديتو ناسيونالي أو تغطيتها، فإنني سوف أحسر عشرات ملايين اليورو"

سألت كاتي: "أين هو ذلك التسجيل؟"

"إنه بجوزة أحد الشبان الألمان من المتطرفين، لكن يتعيّن عليّ العثور على مكانه. أما إذا أقدم هذا الشاب على فعل أي شيء يتسم بالحمق، فإن هذا التسجيل سوف يضيع"

جلس ماييز في سيارته التي ركنها لاغران إلى جانب الطريق، ثم حدّق إلى الغابة المظلمة.

قال ماييز: "اتجهت اللاند روفر إلى ذلك الاتجاه. لا يمكن لهم الابتعاد كثيراً. يفيدنا جهاز الملاحاة بأن الطريق ينتهي بعد مئات قليلة من الأمتار. يُحتمل أن يكونوا وراء تلك الأشجار

أمسك لاغران ربطة عنقه التي كانت مشدودة جداً، ثم تطلع نحو فندق شاتو أنطوانيت المتوهّج بالأنوار من البعيد بعد أن بدأ صبره بالنفاد حتى وصل إلى حد اليأس. "لا يُمكن أن يكون ذلك صحيحاً. ماذا يمكننا أن نفعل الآن؟"

"يتعيّن علينا الاعتماد على أنفسنا"

ترجّل مايز من السيارة، ثم توجّه نحو صندوق السيارة، ورفع غطاء أرضية الصندوق، ثم تناول منها بندقية رشاشة من نوع هيكلر وكوخ أم. بي. 5 ذات المسورة القصيرة.

جلس مارتن في مقعدٍ وثيرٍ وحدِّقَ أمامه بشرود. تصاعدت من مكبرات الصوت آخر أصوات الأشخاص الذين يغادرون غرفة الاجتماعات، لكن هذه الأصوات تلاشت بدورها.

تُرك مارتن وحده. غادر فلوريان أولاً، وإيريكاً بعد ذلك، وأخيراً غادر دافيد. سُلبت منه الخطة التي وضعها، فأصبحت الكارثة شاملة. لكن كيف له أن يشرح الوضع لبافل؟

تذكر مارتن صورة إيريكاً وفلوريان في قاعة الركاب في مطار روما. لكن ما أضحكهما يا ترى؟ يُحتمل أنهما كانا يتضحكان نظراً لإمكانية خداعه. ربما كانت الضحكة جزءاً من الخداع أيضاً، وأنه كان يوهما بحبه ليتلاعب بها. ضغط مارتن بإصبعه، وبقوةٍ أكبر على قماش ذراع مقعده، دون أن يعرف ما إذا كان غضبه بسبب خسارة العملية التي خطَّط لها كان أكبر من غضبه بسبب خيانة إيريكاً له.

سمع بعد ذلك طرقةً على الباب الذي ما لبث أن فتح. دخلت إيريكاً حاملةً معها كاميرا مصغرة.

قالت بصوتٍ هادئ: "حصلتُ على صور جيدة لهم أثناء مغادرتهم. لم يلاحظ أحدٌ منهم أي شيء"

حدِّقَ مارتن إلى إيريكاً من دون أن يُظهر الغضب الذي سيطر عليه. قال بنبرةٍ تنضح بالازدراء: "توقفي عن التظاهر أيتها الساقطة الكاذبة" تلاشت ابتسامة إيريكاً على الفور.

"قولي لي الحقيقة. منذ متى وأنتِ تخونيني مع فلوريان؟"

جلس دافيد في المقعد الخلفي في سيارة اللاند روفر التي كانت لا تزال
مركونة بين الأشجار. ركّز على قراءة مقطعٍ عن لاغران من جهاز الآياد الخاص
بآينو، والذي كانت كاتي تمسكه بقربه.

كان جان أول شخص من بين أفراد عائلته الذي يلتحق بالجامعة، وبدأ
أنشطته في حزب والون الاشتراكي خلال أيام دراسته. رُقّي لاغران عندما كان
في السادسة والعشرين من عمره إلى منصب مساعد وزير، وما لبث أن شغل
منصب أمين صندوق الحزب. لكن بعد وقوع جريمة أندريه كولز وفضيحة رشّي
أوغستا، انتقل لتسلّم منصب قسم الموازنة والبرمجة المالية في الاتحاد الأوروبي.

قرأت كل المواد المتعلقة بالتحقيقات التي تسبق المحاكمة. خضع جان، وعدد
قليل من العاملين الآخرين في الحزب للاستجواب، وكان من بينهم آرنو مايز!
سألت جان بشكلٍ عابر ما إذا كان يعرف مايز، فأجابني: "لماذا تسألين؟"
وما لبث أن أنكر معرفته به. كانت تلك كذبة أخرى.

قالت كاتي: "ستفرغ البطارية بعد قليل"

"افتحي ملف الصور. أريد رؤية الصور التي تحدّثت عنها في الهاتف"
كان دافيد قد اتصل بريختر واتفق معه على اصطحابه من أمام الفندق في
غضون خمس عشرة دقيقة بالضبط. أراد الرجل الألماني في هذا الوقت تسوية بعض
الأمر مع إيريكّا، ويعرف مكان وجود فلوريان وأشرطة التسجيل.

رفع راي، وبشكلٍ مفاجئ، عقب بندقيته إلى كتفه، وهو الذي كان يقف
حارساً بالقرب من الباب الخلفي. خرج دافيد من المقعد الخلفي، وتلاقت نظرتيه
مع نظرة كاتي القلقة. همّ دافيد بالصعود إلى مقعد القيادة، لكنه جمّد في مكانه
فجأة عندما رأى رجلاً يظهر من بين الأشجار الخضراء. كان ذلك هو ذلك
القاتل الهولندي المأجور.

وجّه الهولندي المسدّس نحوه، لكن دافيد لم يجرؤ على الحركة.

قال الهولندي لراي: "اترك البندقية"

تردّد راي ثواني عدّة قبل أن يضع سلاحه تحت أجرة.

قال دافيد: "حاولت أن تقتلني"

"كنت الآن ميتاً بالفعل لو أنني حاولت. دعنا ندخل الآن إلى السيارة ونتحدث قليلاً"

أبقى الهولندي مسدّسه مصوباً عليهم، وقاد دافيد وراي إلى المقاعد الأمامية للسيارة، ثم جلس في المقعد الخلفي إلى جانب كاتي.

لاحظ تعابير الدهشة المرتسمة على وجه كاتي، وندم لأنه لم يخبرها عن الوضع الذي أدى به إلى الاتفاق مع القاتلين المأجورين الهولندي والبولندي.

سأل دافيد: "هل كان ماييز وراء هذا؟ ولاغران كذلك؟"

"من يكون لاغران هذا؟"

"إنه أحد الشخصيات المهمة، ومسؤول رفيع في الاتحاد الأوروبي"

"إذاً هذا هو سبب عدم تعريفي على الرجل. اتصل بي ماييز وقال إنه سوف يدفع لي نصف مليون يورو لقاء مهمة عاجلة. لم أعرف أن الشخص المستهدف هو أنت. رأيتك بعد ذلك من خلال المنظار"

قال دافيد متوقفاً: "كنت ستخسر مبلغاً أكبر بكثير لو أنك قتلتني"

فكّر بعد ذلك في نظرة كاتي المشوشة التي لا بد وأنها تسدّها نحو مؤخرة رأسه.

"أنقذت حياتك مع ذلك"

ردّ دافيد ببرودة: "شكراً"

"أردت أن تعرف ذلك، كما أنني بحاجة إلى المبلغ الذي وعدتني به. أريدك"

أن تعرف بأنني في المرة القادمة لن أخطئ الهدف"

سألت كاتي: "عمّ تتحدثان؟"

ردّ دافيد: "سأشرح لك بعد قليل"

كان بالإمكان رؤية اللاند روفر المركونة على الطريق الجانبية من خلال ظلال الأشجار. حاول آرنو ماييز تهدئة حركة تنفسه، وتهدئة يديه المرتعشتين اللتين تمسكان بالبندقية الرشاشة.

تطلّع وراءه، وتمكّن من خلال الأشجار من رؤية لاغران منتظراً في سيارة المرسيدس. نجح ماييز قبل لحظة فقط في تهدئة أعصاب لاغران، وأقنعه بضرورة اللجوء إلى هذا الحل. لكن الآن، وعندما حانت اللحظة المواتية كان هو الشخص الذي شعر بالتوتر الذي يمنعه من التحرك.

أدرك ماييز ما يحدث الآن. لم يسبق له أن قتلَ من قبل، بل سبق له أن اكتفى بإعطاء الأوامر لقتل الآخرين، لكنه لم يعتقد مطلقاً بأنه سوف ينتهي إلى وضع كهذا.

جهاز بندقيته من نوع MP5 في وضعية التشغيل الآلي، وتقدّم بجذير من خلال الشجيرات الصغيرة.

رأى ماييز أربعة أشخاص داخل سيارة اللاند روفر. تقدم بضغ خطواتٍ أخرى قبل أن يتخيّل النوافذ المهشّمة والثقوب التي ستملأ جانبي العربة.

تمكّن ماييز من خلال شجيرات السرخس الصغيرة من التعرف إلى الأشخاص الذين هم داخل السيارة: الزوجان كوبر، والرجل الكونغولي الذي يستأجره لاغران للقيام بأعمال الإصلاح الصعبة. رأى كذلك، ولدهشته الشديدة، الرجل الهولندي! لكن ماذا يفعل هذا القاتل الذي استأجره في السيارة؟

حدّق ماييز مرتبكاً. هل يعني ذلك أن الرجل الهولندي قد خدعه؟ هل يفسّر ذلك سبب عدم إصابته الهدف والابتزاز؟

شعر ماييز بموجةٍ من الغضب، ومن دون أن يتردد رفع بندقيته الرشاشة إلى وضعية إطلاق النار، ووضع إصبعه على الزناد. مكتبة الرومحي أحمد

سمع، فجأة، حفيف أغصان السرخس من ورائه. شعر بدوارٍ قبل أن يتمكن من الالتفات نتيجة وخزةٍ في جنبه. تسارعت ضربات قلبه بشكلٍ جنوني، بينما شعر بضعفٍ شديدٍ في ساقيه قبل أن يهوي إلى الأرض.

اقتربت ماجدا نويسكي من ماييز الذي سبق له أن سقط أرضاً، وما لبثت أن أعادت مسدس التخدير الذي تحمله إلى حقيبة كتفها.

انحنت ماجدا، وتناولت البندقية الرشاشة بيديها اللتين غطتهما بالقفازات. كانت سبابة يدها اليسرى خارج القفاز مع ضمادة طبية موضوعة بعناية، وكانت مغطاة بشبكة مطاطية. تمت إزالة طرف هذا الإصبع مع عملية تخدير موضعي، وهو الأمر الذي كان ثمناً زهيداً دفعته لقاء مرتبٍ تقاعدي لما تبقى من حياتها، بالإضافة إلى ورثة تركها لها حفيدها.

حملت ماجدا مخزن البندقية، ومشت نحو اللاند روفر وهو الاتجاه الذي سار نحوه جينس دوبون.

استدعاها ذلك الرجل الهولندي وأخبرها عن المهمة العاجلة بالقرب من شاتو أنطوانيت. كان دوبون حذراً للغاية: ماذا يحدث لو أن ماييز قرّر القضاء على آخر شاهد له، أو أنه ظن أن دوبون كان وراء محاولة الابتزاز؟ كان هذا هو السبب الذي جعل دوبون يطلب من ماجدا أن تحميه.

لكن ما أن اقتربت ماجدا من اللاند روفر حتى فُتح الباب الخلفي، وهكذا رأت دوبون جالساً داخلها.

سأل دوبون: "ماذا لديك الآن؟"

قالت ماجدا إن ماييز قد اقترب من العربية، وكان على وشك أن يفتح النار عليهم. أصغى الزوجان كوبر مصدومين. حدّقت المرأة التي عثرت على آينو جاكولا مقتولةً في شقتها إلى ماجدا بمزيجٍ من الخوف والحقد والازدراء.

بقيت ملامح دوبون على حالها من دون أن تشي بشيء: "لم تقتليه، أليس كذلك؟"

"لم أقتله بطبيعة الحال. لكني أشك في أن يدفع ورثته الفدية التي طلبناها. أعطيته جرعة من صوديوم بنتوثال وهي التي ستقيه غائباً عن الوعي لدقائق قليلة. يتعين علينا مغادرة هذا المكان"

"هل يرافقه أحد؟"

"يوجد شخص متأنق يقبع بانتظاره في السيارة المركونة إلى جانب الطريق"

قال دافيد كوبر: "لاغران"

وجّه دوبون كلامه إلى دافيد: "يتعين عليكم مغادرة المكان كذلك. تدين لي بمبلغ كبير من المال، ولا أريدك أن تخاطر بحياتك"

قال مارتن الذي يغلي غضباً موجهاً كلامه إلى إيريك: "أنا أعرف الحقيقة"

وقف في منتصف غرفة الفندق وأضاف: "كنت على علاقة بفلوريان منذ البداية. أتيت بعد ذلك بهذه الخطة اللامعة، وكانت مهمتك لعب دور المصيدة لإغراء هنا البروفيسور المتيم واستدراجه للوقوع فيها"

"كلا، فالأمور ليست هكذا أبداً"

"ثم ماذا؟"

أخذت إيريكاً نفساً عميقاً: "فعلتُ كل شيء لأنني أحبك... أما فلوريان..."

"ماذا بشأن فلوريان؟"

شعرت إيريكاً بالتوتر وترددت قبل أن تقول: "حاولت كثيراً أن أقول لك. لا يمكن للناس أن يفصلوا ما هو مهم عما هو مجرد ضجيج. إن خطتك لامعة فعلاً، لكن الرسالة التي نريد توجيهها للناس سوف تضيع وسط وسائل الإعلام. لا تكفي الوثائق بحد ذاتها، ولا بد أن يوجد معها شيء ما لترسيخها في أوساط وسائل الإعلام. أعني أي شيء يستحوذ على انتباه الرأي العام..."

"كفني عن هذه السخافات! قل لي ماذا يجري؟"

صمتت إيريكاً لحظةً وما لبثت أن هبّت واقفة: "يقوم فلوريان وفريقه في هذه اللحظة بالذات باختطاف غوسينز وديلفو وآخرين ووضعهم في عربتهم"
حدّق مارتن إلى إيريكاً غير مصدّق. انحنى بعد ذلك إلى أن أصبح وجهه قبالة إيريكاً مباشرة.

قال مستهجنًا بصوتٍ هادئ: "ماذا تقولين أيتها الفتاة الصغيرة؟"
"إنهم يقومون بخطفهم، أي كما خطفت بادر - ماينهوف والألوية الحمراء هانز - مارتن شيلر وألدو مورو، واستحوذتا على انتباه العالم بأسره للأهداف التي تسعى إليها، ولن يتأذى أحد في هذه العملية. إننا نحتاج إلى أقصى قدرٍ ممكن من التغطية الإعلامية"

حدّق مارتن إلى عينيّ إيريكاً، ثم قال مهدوء: "مستحيل" نهض من مكانه ثم جلس على الأريكة. "ألا تدركين أن هذا العمل يخرّب كل شيء! لا يساند الناس الإرهابيين مطلقاً..."

"إنهم ليسوا إرهابيين" ركعت إيريكاً أمام مارتن وأحاطت وجهه بيديها. إنهم مقاتلون من أجل الحرية، وهم يمثلون كل فئات الشعب التي تتجاهلها النخبة. لا يسعنا السماح لقلّة من الرأسماليين بفعل ما يشاؤون بينما يتعيّن على المواطنين العاملين العاديين دفع ثمن أخطائهم مرةً بعد أخرى..."
دفع مارتن يديّ إيريكاً عن وجهه، ونهض واقفًا: "اخرسني! يتعيّن علينا إيقافهم!"

"تأخر الوقت الآن. يتعيّن عليك أن تفهم أن ذلك الخطف هو الذي يضمن نجاح خطتنا..."

"سيدّمّر هذا العمل كل شيء! يا لكم من بلهاء ملاحين! قمتِ بخيانتي...
أغربي عن وجهي. لا أريد أن أراك، أو أن أعرف عنك أي شيء بعد الآن"
قالت إيريكاً بصوتٍ مهتدّجٍ بينما كانت تنهض من مكانها: "لا يمكنك أن تقول ذلك يا مارتن. أنا أحبك..."
"أذهبني!"

استدارت إيريكاً، وخرجت راکضةً من الغرفة.

بدأ مارتن يرتجف، وراح يذرع الغرفة جيئةً وذهاباً من دون أن يعرف ما ينبغي عمله.

نظر دافيد إلى القاتلين بينما كانا يتعدان عن أنظاره، وصرَّ على أسنانه، وسرعان ما لاحظ الضمادة التي تلفَّ سبابه يدها اليسرى.
قالت كاتي ببرودة: "أعتقد أنك لم تخبرني كل شيء، وعن أي دَين تتحدث؟"

تنهَّد دافيد بنفاد صبر: "عندما ذهبتُ للالتقاء بنويسكي ظهر زميلها الهولندي هذا. كان خيارى الوحيد هو اقتراح القيام بابتزاز ماييز. هذا هو المبلغ الذي تحدّث عنه الرجل"
هزّت كاتي رأسها وتنهّدت بعمق.

"آرنو! آرنو!"

سيطر الرعب على لاگران وهو يهزّ ماييز الذي عثر عليه مرمياً بين نباتات السرخس، ومن دون أن يعلم نوع الإصابة التي أصيب بها، وذلك بعد أن خرج لبحث عن ماييز ووجده غائباً عن الوعي.
شخر ماييز وفتح عينيه أخيراً. همس لاگران بعد أن شعر بالارتياح والرعب في الوقت نفسه: "ماذا يجري هنا؟"

فتح ماييز عينيه من دون أن يدرك المكان الذي يوجد فيه.

سأل لاگران: "ماذا سنفعل الآن؟"

مدّ يده فبدأ ماييز ينهض ببطء، ثم استند على جذع شجرة وعلى عصاه. رفع رأسه قبل أن يقول: "لم أفهم ما جرى... كان اللاند روفر هناك... كنت على وشك إطلاق النار، لكن أصابني شيء ما"
"أتقول أصابك؟ ما الذي أصابك؟"

نظر ماييز إلى مخزن البندقية الرشاشة الملقاة على الأرض فلاحظ أن المخزن مفقود.

رفع مايز ذيل قميصه قليلاً. كان موضع الإبرة المتورم ظاهراً بوضوح على جانبه.

قال مايز: "قام أحدهم بتخديري" تسارعت خطواته وما لبث أن استعاد قوته. "كان الرجل الهولندي معهم في اللاند روفر. لا أعرف ماذا يجري، لكن ينبغي علينا التفكير بوضوح الآن. لماذا لم يقتلوني؟" تنهّد لاگران بإحباط.

راقب دافيد رينختر بوجهه المتجهّم أثناء اقترابه من اللاند روفر، وكان قادماً من اتجاه المدخل الرئيس للفندق.

فتح دافيد باب السيارة لرينختر الذي مدّ رأسه ونظر إلى راي متشككاً. قال دافيد بعد أن خشي من رجوع رينختر، لكنه لم يرغب في الوقت ذاته أن يغادر راي: "إنه صديقنا، ويمكننا الوثوق به تماماً"

صعد رينختر إلى اللاند روفر لكن القلق بدا واضحاً عليه. سأله دافيد: "أين إيريكا؟"

"لا أعرف. غادرتُ الغرفة، ولا أستطيع الاتصال بها" تكلم رينختر بصوتٍ أحش خالٍ من أي مشاعر.

قال دافيد: "يجب علينا العثور عليها. إنها الوحيدة التي تعرف مكان وجود فلوريان، كما يجب علينا استعادة التسجيل"

"هناك تطورٌ إضافي"

"ماذا تعني بالإضافي؟"

بدا الآن أن رينختر سيجبر نفسه على تحديد ماهية هذا التسجيل.

"أخبرتني إيريكا خططهم الحقيقية. إنهم يقومون باختطاف غوسينز والأعضاء الآخرين المشاركين في الاجتماع الذين يرافقونه في سيارته. إنهم يخططون لعرض تسجيلات الاجتماع بصفتها جزءاً من دعايتهم"

حدّق دافيد إلى رينختر غير مصدّق، وهو الذي يعرف ما يمكن أن تعنيه خطة فلوريان، وهي التي ستقضي عليه وعلى كاتي.

جلس فرنسوا ديلفو بارتياح وراء زجاج الحافلة الصغيرة والملون على نحوٍ خفيف. انتهت معالجة أسوأ وضعٍ واجهوه حتى الآن، لكن الأزمة لم تنتهِ بعد. لم تنتهِ على الإطلاق.

التزم ضيوف الاجتماع الجالسون في السيارة الصمتَ التام تقريباً. حدّق كوربولنت لومباردي من خلال النافذة الجانبية للحافلة، بينما انشغل غرينفيل بالنقر على هاتفه، في حين راح غوسينز، وهو الأصغر من بينهم، يتمتم كلماتٍ بشكلٍ خافتٍ إلى أحد أولاده الذي كان يكلمه في المنزل.

" ابحثُ جيداً في البوفيه. يمكنك استدعاء والدتك إذا لم تجده. لا يمكنني التحدث الآن يا عزيزي..."

شعر ديلفو بالارتياح لأنهم اختاروا غوسينز لقيادة يورو غروب، وهو غير معروف خارج بلاده، كما أنه على استعدادٍ لإطاعة الجهات التي اختارته. كان اختيار الأشخاص المناسبين شرطاً أساسياً لضمان تعزيز نجاح توحيد أوروبا منذ البداية. يعني ذلك أن هؤلاء الأشخاص، وهؤلاء فقط، هم القادرون على المضي قدماً في أعرب مشروعٍ سياسي في العالم.

لكن بعد انقلاب بطيء امتلكت مجموعة من الناس نفوذاً على أهم الشركات في القارة بأسرها. يعني ذلك أن نخبة النخبة فقط هي التي تعرف ما يجري على أرض الواقع.

يُعتبر ذلك إنجازاً عظيماً كان من المستحيل تحقيقه من دون المبدأ التوجيهي الذي وضعه جان مونييه: يتعيّن حجب الطبيعة الحقيقية للمشروع وأهدافه الحقيقية عن الناس ما دام ذلك ممكناً، وبطريقة سرية. يعود ذلك إلى أن الناس لا يعلمون ما

هو في صالحهم، وهذا يفرض أن تتم التحضيرات على أيدي مجموعاتٍ محدودة. لكن مونييه ذاته لم يُنتخب لأي منصب، وهو الذي يعلم من تجربته الشخصية أنه لا يُمكن تحقيق الهدف فوق منابر الخطابة أمام الجماهير، أي أن ذلك يجب أن يحدث في غرفٍ جانبية، وبعيداً عن الأضواء، وعلى مراحل. لكنه أصرّ على أن يسمى هذا النظام ديمقراطياً.

أما أكثر الأدوات المثمرة أهمية بالنسبة إلى صانعي القرارات في الاتحاد الأوروبي فكانت التوجّهات الاشتراكية، والثقة بين الدول الواقعة على جانبي المحيط الأطلسي، وهو الأمر الذي اعتبره رفاق ديلفو من الأميركيين مهماً. جرت العادة بين الرفاق أن يتم اختيار شخصٍ سبق له أن درس وعمل في الولايات المتحدة، أي مثل خوسيه مانويل باروسو، أو الرئيس السابق للمفوضية رومانو برودي الذي سبق له أن عمل مع غولدمان ساكس.

أراد الرفاق وضع الرجال الذين يختارونهم في المراكز الحساسة، لكنهم خشوا من أن يؤدي ذلك إلى التسبب بقدرٍ كبيرٍ من الضجيج. لكن ديلفو دُهِش عندما تمكّنوا من تعيين ماريو دراغي، الذي تخرّج في جامعات الولايات المتحدة، وكان في فترةٍ سابقة المدير الإداري في غولدمان ساكس، رئيساً للمصرف المركزي الأوروبي. يُضاف إلى ذلك أنه عند احتدام الأزمة في إيطاليا أصبح ماريو مونييه رئيساً للوزراء من دون أي طقوسٍ ديمقراطيةٍ غير ضرورية، وهو الذي كان مستشاراً سابقاً في غولدمان، ومفوضاً أوروبياً، وعضواً ناشطاً في بيلدربيرغ، كما سبق له أن درس في الولايات المتحدة. لكن ديلفو كان يشكّ في تمكّن مونييه ذاته من أن يحلم في تجميع كل هذه القوى الخارقة.

كان كل شيء يسير على ما يرام من الناحية النظرية، وقد تمكّنوا من تحقيق كل ما أرادوه: السوق المشتركة، والعمالة الرخبة، ونظام نقلٍ على امتداد القارة، ونظام للإشراف على الخدمات، وحققوا كذلك قدراً كبيراً من الأنشطة التجارية المخصصة. وفوق ذلك كله نجد أن الخسائر الناتجة عن قيام المصارف بأعمالٍ تحمل مخاطر كبيرة، تجد تغطيةً لها من جيوب دافعي الضرائب بينما تذهب الأرباح إلى مالكي هذه المصارف.

لكنهم أُجبروا في الوقت ذاته على تقديم تنازلاتٍ إلى السياسيين والمسؤولين الحكوميين الذين أرادوا، وبحماسةٍ بالغة، اتخاذ القرارات بالنيابة عن الآخرين. وقد دخل عدد متزايد من الأشخاص هذه الآلية، وبدأوا بالفعل في استخدام السلطة المركزية في بروكسل. بدأت القوانين تظهر على نطاقٍ واسع، ولا يبدو أن أحداً يفهم كيف أن هذه القوانين والتشريعات أتت على صدقية الاتحاد الأوروبي.

كان ديلفو قلقاً بشأن الثقة المتداعية في الاتحاد الأوروبي، كما أن المسؤولين الذين كشفوا عن إساءة استخدام السلطة عوملوا كمجرمين، ومن دون إعطاء أدنى اهتمام للآثار السيئة التي تتركها هذه المعاملة في الخارج. أقدم الاتحاد على تقديم الملايين لبناء جسورٍ وهمية في المناطق التي تديرها المافيا في جنوب أوروبا، بينما قام مفتشو الاتحاد الأوروبي بقياس أطوال حقول تمتلكها عائلات بحثاً عن إمكانية قيام هذه العائلات بالغش.

لكن قلقَ ديلفو الأكبر كان من السياسيين الذين كانوا يحاولون تعميق الوحدة من دون الإصغاء إلى شعب أوروبا، ومن دون انتخابات. أما في ميدان الأعمال والتجارة فقد تعلّم هو ورفاقه كيفية تعديل أنشطتهم وفقاً لمتطلبات الزبائن، وإصلاح المنتج إذا ما انخفض الطلب عليه. لكن السياسيين اندفعوا بشراسة لتحقيق أهدافهم الخاصة بهم من دون أي دعم، وهو الأمر الذي جعل أفعالهم تبدو وكأنها متعصبة وأنانية، وهي كانت كذلك بالفعل.

لكن اليورو كان استثناءً، وكان المطلوب الإبقاء عليه حياً بأي ثمن، أي مثل قلب المريض.

شعر ديلفو أن شخصاً ما يلامس كتفه. التفت ليري غرينفيل.
قال غرينفيل بهدوء: "أعلمتُ واشنطن بإمكانية استمرار المفاوضات، وهم أبدوا ارتياحهم لذلك"

أوماً ديلفو وبدا مسروراً، لأنهم زعموا على مدى عشر سنوات أن الوحدة الأوروبية تتعلّق فقط بالاقتصاد والتجارة الحرة. لكنهم الآن بدأوا باستخدام الأسلوب ذاته في المرحلة التالية من المشروع، وهي المرحلة التي تفترض جمع أميركا الشمالية وأوروبا في منطقة تجارة حرة واحدة لبلدان جانبي الأطلسي، والتي أطلق

عليها اسم TAFTA. لكن ما إن يتم التوقيع على هذه الاتفاقية حتى تنشأ منطقة تجارة حرة مؤلفة من الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة، تساوي نصف الناتج المحلي الإجمالي العالمي تقريباً. كانت تلك بدايةً جيدة للمرحلة التالية من الخطة.

كان ذلك تقدماً على مراحل على طريقة جان مونييه، وبأقل قدر ممكن من الشفافية، وهو أمرٌ يُشعر ديلفو بالسرور. تزايد سرور ديلفو مؤخراً، وبعد أن أثار هذا الأمر قلقاً لا لزوم له بين أوساط الناس العاديين، مما استلزم بذل عناية خاصة لأن الموضوع أصبح موضوع رأي عام. أظهر دافيد روكفلر، وهنري كيسنجر عدم اكتراث يصل إلى حد الاستهتار في صراحتهما عند مناقشة هذه القضايا. تتسبب الصراحة في تكوين الأفكار الخاطئة. أما الذي حير ديلفو أكثر من ذلك فكان هيرمان فان رومبوي، وهو رئيس المجلس الأوروبي الذي سمح بتسريب أمور كثيرة إلى وسائل الإعلام أكثر من مرة.

تطلّع ديلفو أمامه من خلال المسافة التي تفصل بين مقاعد الحافلة الصغيرة. امتد الطريق المستقيم في منطقة تكثر فيها الأشجار والمناظر الخضراء.

حدّق فلوريان إلى العربات التي تقترب منه وكأنها في نشوة. رأى من خلال منظاره المكبّر الحافلة التي تقترب منهم فوق طريق ضيّقٍ محاطٍ بأشجار الزان، ورأى أمامها سيارة بي. أم. دبليو 700. كان فلوريان متأكداً من هويّات الرجال الأربعة الذين سرعان ما يستضيفهم، لأن إيريكاً أرسلت له رسالة تؤكد له فيها عدد الحراس الشخصيين بالإضافة إلى صور الشخصيات المهمة التي كانت على وشك الصعود إلى الحافلة الصغيرة.

وبالرغم من البرنامج الزمني الضيّق، تمكّن فلوريان من اختيار الموقع بعناية. امتدت وراء أجمات الشجيرات مساحات شاسعة من الحقول، وفي كل الاتجاهات، وكانت تتخللها مجموعات صغيرة من الأشجار. أما أقرب المنازل الريفية فكانت تبدو من البعيد.

أخذ فلوريان نفساً عميقاً، وكان عليهم التحرك قبل وصول الموكب إلى تقاطع الطرق. كان يعرف كذلك أن أموراً كثيرة قد تتعقد، لكن لم يكن

بإمكانيهم التفكير في هذه الأمور الآن، ولم يكن بوسعهم أن يسمح للآخرين ملاحظة مدى تأثيره لأن ذلك قد يقضي على العملية بأكملها.

كان يعرف أن سياستيان ينتظر إشارة منه. اقترب موكب العربات مثل قطار سريع ينزلق على سكّته. تناول سياستيان بندقيته الرشاشة، وكان لزاماً عليه أن يتحرك الآن أو لا يتحرك مطلقاً.

وجّه الأمر إلى سياستيان الذي كان يقود عربةً من نوع رينو: "هيا بنا"

تكلم سياستيان من خلال الميكروفون المعلق في عنقه: "أنا في طريقي

وضع فلوريان قناعه الأسود، وقرع على جدار منطقة الشحن، وكانت هذه هي الإشارة التي ينتظرها كارل. اضطر سياستيان لنزع نظاراته ووضع قناعه الأسود الذي يستخدمه عند تنفيذ المهمات. اقترح فلوريان استخدام العدسات اللاصقة، لكن سياستيان لم يجها. واعتبر فلوريان أن ذلك ما هو إلا وسيلة لتحسين صورتهم.

انطلق سياستيان بعد أن شغل المحرك، فتطاير الحصى والتراب في الهواء. كانت العربات الأخرى أمامهم الآن. ظهرت وراءهم دراجة نارية، لكن سياستيان استمر في زيادة سرعة سيارته، تمسك فلوريان بسلاحه بإحكام.

ضغط سياستيان على دواسة الفرامل بشدة فتوقفت العربة إلى جانب الطريق وهكذا سدّت الطريق أمام السيارات القادمة التي اضطرت إلى التوقف فجأة. قفز كارل من المكان المخصّص للبضائع وصوّب قاذف الآر. بي. جي على الحراس الشخصيين في سيارة البي. أم. دبليو. توقف في هذا الوقت آرنو الذي كان على متن دراجة نارية بالقرب من الحافلة الصغيرة، وصوّب على السائق بالقرب من نافذته. حطّم سياستيان بمطرقته في هذا الوقت النافذة الجانبية لسيارة البي. أم. دبليو ورمى قبلة غاز في داخلها.

وصل فلوريان إلى الحافلة الصغيرة، وصوّب فوهة البندقية على نافذتها.

"افتحوا الباب!"

لم يحدث شيء.

أطلق فلوريان طلقات عدة نحو الحافلة، وألقى قبلة مسيّلة للدموع في داخلها من خلال الفجوة التي أحدثها. امتلأت العربة بسحابة رمادية اللون.

وضع فلوريان القناع الواقى من الغاز الذي كان معلقاً على رقبتة، وتحرك نحو الباب الانزلاقي للحافلة الصغيرة، وحيث ظهر فرنسوا ديلفو وهو يسعل بشدة بينما سالت الدموع من عينيه.

صرخ سياستيان على الحراس الشخصيين الموجودين في سيارة البسي. أم. ديليو، بالرغم من أن الغاز قد شل حركتهم: "ابقوا حيث أنتم، وإلا سوف تستقر رصاصة في جبهة أحد هؤلاء الأشقياء"

دفع فلوريان ديلفو إلى المنطقة المخصصة للبضائع في العربة المقفلة بينما أمسك آرنو غوسينز الذي كان يندفع مذعوراً إلى خارج الحافلة الصغيرة. خرج وراءه الرجل الإيطالي السمين ورجل أميركي أكبر سناً. قفز كارل وآرنو، اللذان كانا في الخلف، إلى الحافلة، وتركا الدراجة النارية إلى جانب الطريق.

انتهى كل شيء في غضون ثوانٍ قليلة. لاحظ فلوريان بعد ذلك أحد الحراس الشخصيين على الأرض وهو يصوب مسدساً نحوه، فما كان منه إلا أن أسرع نحو الحافلة الصغيرة، لكنه شاهد سياستيان وهو يلتفت نحو الرجل، ويُطلق عليه رشقة رصاص من بندقيته. هوى الحارس الشخصي بوجهه إلى الأرض.

قفز فلوريان خلف عجلة القيادة في الشاحنة المقفلة بينما أخذ سياستيان مكانه إلى جواره. شعر فلوريان بموجة من الارتجاف تجتاحه فضغط على دواسة الوقود وهو يشتم مغتاضاً. جرى كل شيء بحسب الخطة الموضوعية حتى آخر لحظة.

قال سياستيان بصوتٍ أجشٍ وغازب: "اضطرت إلى إطلاق النار. كان من الممكن أن يقتلك!"

نزع فلوريان قناع الغاز الذي كان يضعه على وجهه، ونظر في مرآة الرؤية الخلفية، وراح يصلي كي يرى بعض الحركة الصادرة عن الرجل الذي أرداه سياستيان. هل أصبحوا قتلة.

حسم هذا الوضع أمر واحد: كان لا بد من أخذ هذه العملية إلى نهايتها المريرة، كما أن فلوريان، أو أي عضو آخر في مجموعته، لن يوضع في السجن بسبب جريمة قتلٍ فقط.

دُهِشَ الشرطي المناوب في مركز قيادة الطوارئ في الشرطة البلجيكية،
وتساءل هل يسمع ما سمعه فعلاً؟ بدأ صوت المتصل مخنوقاً ومرتباً.
"أيمكنك أن تعطيني اسمك مجدداً..."

قال صاحب الصوت القلق: "تيري رومر، من أمن مفوضية الاتحاد
الأوروبي"

"قلت إن بعض قادة الاتحاد الأوروبي تعرّضوا للخطف في جينفال؟"

"صحيح. الرمز 337. أريدك أن تُعلم رئيسك بكل هذا"

"هل تريد سيارة إسعاف؟"

"أبلغ رئيسك على الفور، وهو سيرف ما ينبغي فعله"

ضغط الشرطي المناوب على زرّ يصله مع قائد مركز قيادة الطوارئ، وأبلغه
ما حدث وذكر له الرمز 337.

فُتِحَ باب القائد على الفور، وتقدّم نحو الشرطي المناوب، ثم تناول
السماعات، وتبادل كلماتٍ قليلة مع المتصل. نزع السماعات بعد ذلك، والتفت
إلى الشرطي المناوب.

"أرسِل الوحدة ألفا مع سيارة إسعاف. أريد تعتيماً كاملاً مع كل وسائل
الإعلام، وكذلك تصاريح موقعة من عمال الطوارئ بعدم إفشاء أي شيء"
بدأ الشرطي المناوب إدراك مدى خصوصية الوضع الذي يواجهونه. كانت
الوحدة ألفا هي وحدة التدخل السريع في الشرطة البلجيكية. وجب إبقاء هذه
القضية بعيداً عن أعين الرأي العام.

مارتن كريمل

أصغى دافيد إلى رنة الهاتف، وانتظر أن تقوم إيريكا بالرد.

قال ريختر: "قلت لها لا تردي"

"لماذا؟ ماذا حدث بينكما؟"

"يمكنك أن تتصور أن ردّ فعلي كان فقط بعض الشيء. كان ذلك خيانة وقحة، وحمقاء إلى حدّ كبير"

رغب دافيد أن يقول بأن عدم ضبطه لأعصابه هو الحمق بعينه، لأن إيريكا كانت الشخص الوحيد الذي يعرف مكان فلوريان.

كان بالإمكان منع الكارثة، لكن إذا نفذ فلوريان خطة الخطف التي وضعها وألقى القبض عليه، فإن تسجيلات الاجتماع قد تُفقد إلى الأبد، وسيكون بالإمكان تنفيذ اتفاق التمويل السري الذي أبرم في الفندق، وسوف يتم إنقاذ كريديتو ناسيونالي. وهكذا سيتكبّد دافيد خسائر بعشرات ملايين الدولارات بسبب صفقة مسموحات الانبعاثات الكارثية، وكذلك المشتقات المالية المصرفية، هذا إذا لم نذكر شيئاً عن الثأر من القاتل المأجور.

تعيّن عليه السيطرة على الوضع قبل وصوله إلى الاختطاف، لأن أيّ تحقيقاتٍ قد تجري ستكشف كل شيء قام به.

جفل دافيد عندما ردّ أحدهم على الهاتف أخيراً.

سألت إيريكا بنبرة باردة وآلية عبر الهاتف: "ماذا تريد؟"

"أخبرني مارتن عن خطة فلوريان"

"لم يكن من المجدي أبداً محاولة منع فلوريان من تنفيذ خطته. إنه يعرف ماذا يفعل"

"أريد أن أتحدث معك..."

"لا يوجد أي شيء لتحدث عنه. سأهني المكالمة"

قال دافيد حازماً وبعد انتقاء كلماته التالية بعناية: "لا. ألا تريد أن تتوقف الشركات الكبرى عن إملاء كل شيء، والعودة إلى الديمقراطية وسلطة الشعب... أنا أريد الأمر ذاته. إذا خطف فلوريان قادة الاتحاد الأوروبي، فلن يجد الشعب إلى جانبه، بل على العكس من ذلك، لأن التعاطف سوف يتجه نحو الضحايا. يُضاف إلى ذلك أن الإرهاب والعنف لا يحققان أي شيء"

انتظر دافيد قليلاً، لكنه لم يسمع أي كلمة من الجانب الآخر من الخط.

تابع دافيد كلامه: "إننا في سيارة اللاند روفر المتوقفة في موقف سيارات الفندق. آمل أن تعودني لتحدث. تعرفين مدى أهمية هذا الموضوع"

خيم الصمت على الطرف الآخر من الخط، ثم انتهت المكالمة.

قال دافيد لريختر: "لا نستطيع أن نفعل شيئاً غير الانتظار. لا يمكننا أن ندع هذا المعتوه يذيع بيانه على وسائل الإعلام"

قالت كاتي من مكافها في المقعد الخلفي، وكانت تحمل الأياد الخاص بأينو في يدها: "دافيد" لاحظ دافيد من ملامحها أن شيئاً ما لا يسير على ما يرام.

ناولت كاتي الجهاز إلى دافيد، وقالت: "تصفحْتُ صوراً إضافية... انظر إلى هذه. لكن أسرع لأن البطارية على وشك النفاد في أي لحظة"

حدّق دافيد إلى الصورة المعروضة على الشاشة. ظهر رجلٌ مبتسماً للكاميرا، وكان واقفاً أمام قناة مزينة بالأزهار، وربما كانت هذه القناة في بروجيس.

حدّق دافيد إلى وجه الرجل، وعجز عن تصديق ما يراه. لم يكن الرجل غير فلوريان.

همس دافيد بصوتٍ أجش: "لا أصلح"

مدت كاتي يدها لتستعيد الآياد: "سأعود إلى الوثيقة، وربما نحصل على تفسير في وقت لاحق"
شرد دافيد قليلاً، وعجز عن تصوّر أيّ تفسيرٍ منطقي للسبب الذي يدفع آينو إلى الاحتفاظ بصورة لفلوريان.
قالت كاتي متذمّرة: "يا لسوء الحظ لأهما ماتت!"
تنهّد دافيد، ورفع نظره إلى المدخل الأمامي للفندق وتمعّن بكل قوة أن تخرج إيريكاً منه.

ظهرت من بين أغصان الأشجار سيارة سيتروين مقلّعة حمراء اللون، وكانت مركونة فوق طريقٍ ترابي منعل. قاد فلوريان سيارة الرينو نحو السيتروين.
دار فلوريان حول العربة وفتح الأبواب الخلفية فظهر فيها المشاركون الأربعة في الاجتماع، وحراسهم الشخصيون، وكارل وآرنو اللذان قفرا من السيارة.
أصدر فلوريان أمره إلى الرجال: "هيا، اخرجوا. ادخلوا إلى السيارة الأخرى بسرعة!"

كان غوسينز، وهو رئيس اليورو غروب، وأصغر المختطفين سنّاً، أول الخارجين من السيارة، وما لبث الآخرون أن تبعوه.
قال ديلفو لفلوريان بلهجة تحدّ: "أؤكد لك بأنك لن تنفذ بفعلتك هذه"
بقي فلوريان صامتاً. فتح آرنو الأبواب الخلفية لعربة السيتروين وتقدم المخطوفون إليها.

أغلق فلوريان الأبواب الخلفية بقوة، وأسرع للجلوس على مقعد القيادة، وجلس سيباستيان في المقعد الجاور. قاد فلوريان السيارة إلى الخلف نحو الطريق، لكنه سرعان ما لاحظ حركةً بين الأشجار.

"اللعنة، يوجد شخصٌ ما هناك!"

سأل سيباستيان بعد أن تناول بندقيته الرشاشة: "أين؟"

"هناك بين الأشجار"

فتح سيباستيان الباب.

قال فلوريان بعد أن أمسكه من ذراعه: "انتظر. لا يمكننا أن نمضي بقتل أي شخصٍ يرانا"
تردّد سياستيان لحظةً، ثم أغلق الباب.
نظر فلوريان إلى مرآة الرؤية الجانبية بعد أن زاد من سرعة العربة، فلاحظ حركةً إلى جانب السيارة المتروكة. خرج شخصٌ من الغابة. شتم فلوريان بينه وبين نفسه، لكنه كان مضطراً للمضي قُدماً.

قال آرنو ماييز أثناء خفض منظاره: "ما زالت اللاند روفر في موقف السيارات" كان ماييز جالساً داخل سيارته بالقرب من شاتو أنطوانيت. انتزع لاگران الذي كان جالساً في مقعد القيادة المنظر من يدي ماييز، وصوّبه نحو الفندق الذي كان يلمع مثل قلعةٍ وراء نافورة المياه. ارتعش المنظر المكبّر بين يديه. حاول لاگران ضبط أعصابه، لكنه سرعان ما عثر على اللاند روفر وركابها. "ماذا يفعلون هناك؟ لماذا عادوا؟"

قال ماييز بحمّة: "لا أعرف. قل لي"
"يخرج أحدهم الآن من السيارة"

حاول لاگران تركيز المنظر الذي يراه، فلاحظ امرأةً أتت من ناحية الفندق واقتربت من اللاند روفر. بدا أن الرجل كان بانتظارها. أعاد لاگران المنظار إلى الرجل، وما لبث أن تعرّف إليه.

"ماذا يفعل هذا الرجل هنا!"
"من؟"

"مارتن ريختر"

"هل هو الألماني أستاذ الجامعة؟ الأستاذ المعادي لليورو؟"
"لا أفهم ما يجري..."

بدأ ماييز بالتعداد بهدوء: "ريختر، كوبر، أبحاث جاكولا، أزمة هذا الاجتماع السري. ماذا يجري، بحق السماء؟"

راقب لاگران، بينما لقي ريختر الصدّ عندما حاول معانقة المرأة، ثم صعّدت إلى السيارة، وما لبث ريختر أن أغلق الباب وراءهما.

وضع لاگران المنظار في حضنه، والتفت نحو مايز الذي سيطرت عليه الأفكار السوداء.

"لا يمكنني التفكير إلا في شيء واحد، وهو الأسوأ، أي أنهم كانوا يتجسسون على الاجتماع"
"يا للسماء..."

"يمكنك أن تتصور ماذا يحدث لو أنهم قاموا بكشف ما قيل داخل الاجتماع. إن من شأن هذا تدمير كل شيء بالكامل"
رن هاتف مايز الذي ردّ بعد أن حدّق بدهشة إلى الشاشة، ثم استمع للحظة.

قال قبل أن يُنهي المكالمة: "أطلعني على آخر تطورات الوضع"
نظر لاگران إلى مايز مستفهماً.

"خُطِف غوسينز، ديلفو، غرينفيل، ولومباردي من سيارتهم فور مغادرتهم هذا المكان"

"ماذا تقول؟"

"أت هذه المكالمة من الوحدة الأمنية للمفوضية. تعرّضت مجموعة مسلّحة للموكب، وقُتل أحد الحراس الشخصيين. إننا نعرف مكان وجود الخاطفين لأن لومباردي يحمل معه رقاقة اقتفاء أثر في ثيابه خصيصاً لهذا الغرض. هناك ما هو أفضل من ذلك..."

حدّق لاگران إلى مايز الذي عكس وجهه ملامح الارتياح للمرة الأولى منذ وقتٍ طويل.

"طلبت مني الوحدة الأمنية الانضمام إلى مجموعة الأزمات التي تعالج قضية الاختطاف"

"إيريك. شكراً لك على حضورك..."

حاول دافيد ترتيب كلماته بكل عناية، بينما جلست إيريكاً مكتئفةً وهي تحدّق عبر النافذة الجانبية لسيارة اللاند روفر. كان عليهما حملها على الكلام.

قال مارتن: "آسف لما قلته لك في غرفة الفندق، لكن آمل أن تتفهمي مدى الصدمة التي شعرت بها..."

سألت كاتي بعد أن عرضت عليها الصورة في شاشة هاتفها: "هل تعرفين هذا الشخص. نظر دافيد إلى الشاشة، ورأى صورة آينو في الحفلة التي أقامتها لتدشين منزلها ليلة السبت الفائت.

"كلا. من يكون؟"

قال دافيد بصوت متوتر: "بدأ الوقت ينفد منا" لم يفهم سبب وجود صورة فلوريان على الآيباد الخاص بآينو، لكن هذا يمكن تأجيله إلى وقت لاحق. "يتعين علينا إيقاف فلوريان. متى سيحدث هذا الاختطاف وأين؟"

"حدث الاختطاف بالفعل"

لاحظ دافيد أن إيريكاجادة في ما تقوله. نظر إلى الآخرين الموجودين في السيارة، وكانوا منذهلين جميعاً.

حدّق رينخر إلى إيريكاجا: "قمت بتخريب كل شيء، وسوف ننتهي جميعنا في السجن..."

بذل دافيد جهده للتفكير بوضوح. "ينوي فلوريان نشر تسجيلات الاجتماع، وإعلان عملية الخطف أمام وسائل الإعلام في الوقت ذاته الذي يطلق فيه نداءه السياسي. أليس كذلك؟"

أومأت إيريكاجا: "سيحدث شيء من هذا"

"يتعين علينا إيقاف هذه العملية، والتأكد من سلامة الرجال المختطفين"

"لا يعتزمون إيذاء أي شخص"

"حقاً؟ لا أعرف ما إذا كنتِ سمعتِ أن فلوريان حاول قتلي في روما، وهو الذي دفعني نحو مقدمة قطار"

التفتت إيريكاجا إلى دافيد: "أنت تكذب"

"رأيت وجهه خلال سقوطي على المنصة"

ظهرت علامات الصدمة في عيني إيريكا، لكنها أشاحت ببصرها بعيداً
جاحظة العينين. رفضت تصديق ما سمعته.

تابع دافيد كلامه: "كما أن أحداً لن يتمكن من السيطرة على الوضع عندما
تحاول القوات الخاصة التابعة للشرطة تحرير الرهائن"

"لن تعثر عليهم الشرطة أبداً"

"أين هم؟"

"لا أجد سبباً لأكشف لك مكافهم"

"لا أعتزم تسليمهم للشرطة"

"هل تعني أننا عازمون على تحرير المختطفين؟ هل فقدت صوابك؟"

"أين هم؟"

"هل تعتقدون فعلاً أنني سأجيب على هذا السؤال"

أما راي، الذي كان جالساً بصمت وراء عجلة القيادة طيلة هذا الوقت،
فقد خرج فجأة من السيارة وفتح الباب الجانبي. حاولت إيريكا المقاومة
عندما أمسكها، لكن راي تغلب عليها تماماً، وثبت رسغيها وراء
ظهرها.

صرخ ريجتر: "ما هذا الذي تفعله؟"

صرخت إيريكا: "ابتعد عني"

تجاهلها راي كلياً، وعمد إلى ربط يديها وراء ظهرها بجبل ثم عاد إلى مقعد
القيادة. وجه كلامه بعد ذلك إلى دافيد: "يمكنني العثور على الرجل الألماني إذا ما
كان هاتفه مفتوحاً"

بدأت كاتي بتفتيش جيوب إيريكا من دون أن تأبه بالاعتراضات، وما لبثت
أن ناولت هاتفها إلى دافيد ما إن عثرت عليه.

أتت آخر رسالة نصية من فلوريان قبل ثلاث دقائق. كانت الرسالة النصية
باللغة الألمانية. عرض دافيد الرسالة على ريجتر.

قرأ ريجتر بصوت عالٍ: "جرت العملية بحسب الخطة الموضوعة. سنكون

هناك بعد قليل"

قال راي: "أعطني الرقم الذي وصلت منه الرسالة، وأنا سأرسله إلى صديق لي يمتلك برنامجاً يمكنه تعقب مكان الهاتف"

نظر دافيد إلى راي غير مصدق، وهذا ما فعله جميع من في السيارة. وسرعان ما أحنت إيريكا رأسها.

قاد فلوريان العربة المقفلة من خلال بوابة حديدية وسط جدارٍ حجريٍ قديمٍ، وارتفعت فوقها أحرفٌ صدئة: FONTAINE-SPITAEELS.

قال سيباستيان متذمراً: "لم يظهر أي شيء حتى الآن" استمع الركاب طوال الرحلة التي استغرقت أربعين دقيقة كاملة، وبدأت من شاتو أنطوانيت نحو تشارليروي، إلى نشرات الأخبار في محطات الإذاعة، لكن هذه النشرات لم تذكر شيئاً عن عملية الخطف التي حدثت بالقرب من بروكسل.

قال فلوريان: "كان هذا متوقّعاً" لكن هذا التعتيم الإعلامي كان مفيداً بالنسبة إليهم لأنه يعني أن رسالة الفيديو ستكون أول ما يسمع بها العالم. أما محاولة فرض التعتيم الإعلامي فمن شأنها أن تكشف الطبيعة التأميرية للاتحاد الأوروبي، وهو الأمر الذي كانت مجموعة فلوريان تتمناه.

قاد فلوريان العربة عبر طريق مرصوف، كان ذات مرة طريقاً مزدحماً، لكنه مغطى الآن بالأعشاب. ظهرت أمامهم أبنية صناعية ضخمة تبرز منها مداخن وأفران عالية.

وجّه فلوريان العربة نحو أقدم جزءٍ من المجمع الصناعي المهجور، والذي يعود تاريخه إلى القرن التاسع عشر. اختار فلوريان هذا المخبأ في والونيا التي كانت مهد الثورة الصناعية في أوروبا. وبدأت الرأسمالية في هذا المكان مسيرتها المنتصرة إلى أن بلغت ذروتها بالعولمة، وبوضع الشركات المتعددة الجنسيات يدها على السلطة مستخدمةً مؤسساتٍ مثل الاتحاد الأوروبي، والبنك الدولي، ومنظمة التجارة العالمية، لتكون غطاءً لها.

تجاوز فلوريان سلسلة من السيارات الصدئة البنية اللون، وعبرَ خط سكة

حديد، نبت أشجار القيقب بين عوارضه الخشبية المتعفنة والداكنة. مرّ الزمن على هذه المصانع التي جلبت فرص العمل والثروة، ونظّمت الحكومة البلجيكية في أوائل السبعينيات من القرن الماضي حملة إعادة إعمار ضخمة لإنقاذ الوظائف. لكن الاتحاد الأوروبي قضى على هذه الخطط المحلية، كما أن صناعة الفولاذ في هذه المنطقة أصبحت في الحضيض بفضل رئيس المفوضية للشؤون الصناعية إتيان دافينغون، ومفوض شؤون المنافسة كارل فان ماير. أدّى هذا الوضع إلى فقدان آلاف الأشخاص وظائفهم.

مرّت العربة المقفلة أمام حزام ناقل، كان يرفع فيما مضى الحديد الخام إلى فوهة فرن الصهر الذي يبلغ ارتفاعه عشرون متراً، حيث كانت تهبط إلى فرنٍ عملاق تبلغ درجة حرارته ما فوق 1000 درجة. قاد فلوريان العربة ببطء من خلال فتحة في الجدار الحجري للمصنع، ثم توقف في منطقة الصب وراء فرن الصهر، وبالقرب من المكان حيث كان الفولاذ المصهور ذات مرة يسيل إلى الخارج. ترك فلوريان المصاييح مضاءةً لتنير القاعة المعتمة.

وضع فلوريان وسياستيان قناعيهما مجدداً لتغطية وجهيهما، وسارا نحو الأبواب الخلفية.

قال سياستيان: "اللعة" تصاعدت رائحة القيء من منطقة البضائع في العربة المقفلة. ترجّل آرنو من العربة من دون أن ينزع قناعه الذي غطى رأسه الأصلع. قال كارل: "يبدو أن ضيوفنا معتادون أكثر على الجلوس في المقاعد الخلفية للسيارات الفخمة. يبدو كذلك أن طريقة قيادتك قد أزعجت السيد ديلفو. اخرجوا" خرج ديلفو مع المختطفين الآخرين من العربة بعد أن امتلأت بذلته بقيئه، وجالوا بأنظارهم في أرجاء هذا المصنع الواسع الذي تتخلله خطوط الإنتاج. تدلّت الخطاطيف من سقف هذا المصنع.

قال فلوريان آمراً: "أسرعوا إلى هناك، إلى الدرج" بدأ الرجال بالسير نحو الدرج المعدني الذي يقع في آخر القاعة الكبيرة، ويؤدي إلى غرفة التحكم الموجودة في الطبقة العلوية، وهم يتطلّعون بعضهم إلى بعض من خلال القطع المعدنية والآلات القديمة.

سأل آرنو فلوريان بصوت هامس: "هل مات الحارس الشخصي؟"

"لا نعرف. إنهم لا يقولون شيئاً في الإذاعة"

"هذا هراء. لا يُفترض أن يموت أي شخص. لا أريد التورط في أمر كهذا..."

أمسك فلوريان آرنو من ذراعه، وقال بصوت أقرب إلى الهمس: "اخرس. أنت تعرف المخاطر التي نكابدها. كما تعرف أنه إذا ما هاجمت رجالاً برفقة حراس شخصيين، وأنت تحمل مسدساً بيدك فإن شخصاً ما سوف يتأذى أو يموت. كان ذلك الحارس على وشك قتلي لو لم يُطلق سياستيان عليه النار

سبق لفلوريان أن لاحظ مدى انزعاج آرنو عندما يموت أي شخص. بدأت في هذا الوقت أصوات أقدام الرجال تتردد في أنحاء القاعة الفسيحة.

تابع فلوريان كلامه بصوت هامس بعد أن قرص ذراع آرنو الممتلئة بقوة أكبر: "لا تبدأ بالنحيب الآن. حافظ على رباطة جأشك. حاول أن تتذكر الهدف الأكبر الذي نعمل لتحقيقه الآن. إننا ننفذ مهمة سوف تؤثر على مصائر أعدادٍ من

الناس هي أكبر من مجرد حارس واحد"

أوماً آرنو الذي بدا شاحباً.

"يتعين علينا إنهاء ما بدأنا به في أسرع وقتٍ ممكن. لكن الوضع الآن أصبح

أكثر وضوحاً. أما إذا فشلنا، فإن التاريخ سوف يعتبرنا قتلةً ومجرمين"

خلص آرنو ذراعه من فلوريان من دون أن يتلفظ بأي كلمة، ومسّد ذراعه

بطريقة استعراضية. صرخ سياستيان من فوق القسم الأول من الدرج: "هل ستأتي؟"

توجّه آرنو نحو الدرج حاملاً بندقيته الرشاشة. وبقي فلوريان واقفاً في مكانه

وهو يتساءل ما إذا كان أحدٌ غيره في المجموعة قد فهم ما يفعلونه حقاً.

أوقف راي سيارة اللاند روفر التي سارت ببطء لمسافة مئاتٍ عدة من

الأمتار: "لا يمكننا الاقتراب أكثر

حدق دافيد إلى هذا الجمّع الصناعي الضخم والمهجور، والذي ظهر أمامهم

تحت السُحُب الداكنة، وهو المكان الذي وصل إليه راي بمساعدة نظام الملاحة،

وكذلك المعطيات الآتية من موقع جهاز هاتف فلوريان.

قال ريجتر بارتياح بينما كان يتفحص عناوين الأخبار الرئيسة على شاشة هاتفه: "يُحتمل أن توجّل المفوضية الإعلان عن عملية الاختطاف لأطول فترة ممكنة. إننا لا نزال نمتلك الفرصة لمنع فلوريان من الوقوف أمام وسائل الإعلام..."

قالت كاتي فجأة: "صه" كانت شفتها السفلى ما تزال متورمة وملوثة بالدماء. "ارفع مستوى الصوت!"

أسرع دافيد لرفع مستوى الصوت في جهاز الراديو.

"وقوع حادث مسلح في جينفال جنوب بروكسل..."

فهم دافيد أن هذا هو الخبر الذي ينتظره، بالرغم من فهمه القليل للغة الفرنسية.

قال دافيد بلهجة غاضبة ما إن انتهت الأخبار وموجهاً كلامه إلى كاتي: "أيمكنك ترجمة ما سمعناه للآخرين"

"وقع حادث في جينفال إلى الجنوب من بروكسل كانت نتيجته مقتل أحد الأشخاص. قالت الشرطة إن رجالاً مسلحين داخل عربة مقفلة ودراجة نارية أجزروا حافلة صغيرة على التوقف، وسرقوا ما فيها. لكن عندما حاول السائق المقاومة أطلق المسلحون النار عليه وأردوه قتيلاً"

صرخت إيريكّا التي فرّ اللون من وجهها: "يا للأكاذيب! لم يُطلق الرصاص على أحدٍ، ولم يمت أي شخص!"

سأل دافيد: "لماذا يقوم أي شخص بالكذب في مسألة كهذه. نجحوا في إخفاء الهدف، لكن أحداً لا يمتلك أي سبب للكذب بشأن الضحايا. أعتقد أن أحداً لن يشعر بالتعاطف مع الخاطفين والقَتلة"

حدّقت إيريكّا إلى البعيد، واتّسعت عيناها، ثم تمتمت: "لا بد وأن خطأ ما قد حصل. لم يكن من المفترض أن يموت أي شخص"

"هذا هو ما عنيت بالضبط. إذا كان فلوريان مستعداً لقتلي في روما، وقتل الآن حارساً شخصياً خلال هذه العملية، فقد يكون مستعداً لقتل الأشخاص الذين خطفهم. لكن، حتى لو لم تكن هذه رغبتك، إلا أن أشخاصاً آخرين قد يُقتلون إذا

ما خرج الوضع عن السيطرة. إنك الشخص الوحيد الذي يستطيع إعادة الأمور إلى نصابها، وأنت فقط"

خيم الصمت على ركاب السيارة.

تابع دافيد كلامه بهدوء: "أين يوجد المختطفون، وفي أي مبنى؟"
لعتت إيريكاً شفتها السفلى: "يوجد درج في نهاية القاعة الكبيرة، وهو يؤدي إلى الطبقة العليا. توجد هناك غرفة إدارة ومكاتب قديمة"
التفت راي إلى إيريكاً: "هل توجد كاميرات مراقبة أو حراس في الخارج؟"
هزت إيريكاً رأسها.

مكتبة الرمحي أحمد

"كم عددهم؟"

"أربعة"

"هل سبق لهم أن تلقوا تدريباً عسكرياً؟"

"كلا. لكنهم كانوا يتمرنون بمفردهم"

"هل يستخدمون أسلحة أو توماتيكية؟"

"يستخدمون بندق رشاشة على الأقل"

عاد راي بنظره إلى دافيد، وأوماً من دون أي انفعال.

وجه دافيد كلامه إلى إيريكاً: "اتصلي بفلوريان، وقولي له إنك قادمة. لا

أعتقد أنك ترغبين في أن يموت أي شخص آخر

فك دافيد الأربطة التي تربط يدي إيريكاً. أمسكت الهاتف الذي ناولها دافيد

إياه ثم بحثت عن الرقم وتنحنت.

قالت إيريكاً: "أنا قادمة يا فلوريان. أنا بالقرب من بوابات المصنع الآن..."

أصغت ثواني قليلة، ثم قالت: "كلا. لم يتبعني أحد"

قطعت إيريكاً المكالمة، ثم تشاور دافيد وراي لثوانٍ قليلة، ثم أعطى توجيهاته

إلى إيريكاً.

سارت إيريكاً نحو المبنى الحجري للمصنع، وبدت نوافذه بزجاجها المكسور وسط جدرانها. لكن إيريكاً وعدت مارتن والرجل الإنجليزي أن تحاول الحصول

على شريط الذاكرة الرقمية، ومن دون أن يلاحظها أحد وتعيده إليهم. لكن ماذا سيحصل بعد ذلك؟

شقت إيريكا طريقها بين الأنابيب المعدنية الصدئة، والقطع المعدنية الحادة، واقتربت من الفجوة القريبة من فرن الصهر. تذكرت بعد ذلك كيف أن عيني فلوريان التمتعا عندما أكد لها أن أحداً لن يموت في هذه العملية.

لكن بدا لها أن الوضع الآن يطابق تماماً ما قاله لها دافيد في السيارة: كانوا قتلًا في أعين الناس العاديين، وعصابة إجرام تلوث رسالتها بالدماء. أما التعاطف فسيتحول نحو الضحايا، وهكذا يخسرون كل شيء.

توقفت إيريكا عند الأبواب المزدوجة العالية. رأت السيتروين الحمراء حيث قال فلوريان إنها ستكون موجودة. حدثت إلى العربة بمشاعر متضاربة، وتساءلت من هو عدوها ومن هم أصدقاؤها؟

كان دافيد كوبر يعمل في المجال المصرفي، وتحديدًا كمدير لصندوق استثماري. يعني ذلك أنه يمثل الأشخاص الذين تكرههم إيريكا كثيرًا. لكن لماذا يهتم إلى هذا الحد بالحصول على تسجيلات الاجتماع؟ وما هو السبب الذي يدفع إيريكا إلى خيانة رفاقها، وتسليم التسجيلات إلى شخص يُعتبر عدوًا صريحًا للطبقة العاملة حسب التعابير والمفاهيم القديمة.

لا يُعتبر دافيد صديقها، لكن ما هو وضع مارتن بالنسبة إليها الآن؟ هل يبقى حبيبها؟ لكنها لم تتمكن من نسيان إهانته لها في غرفة الفندق، وكذلك شكوكه بشأن مشاعرها نحوه. تساءلت عن أي مستقبل ينتظرهما. قال مارتن إنه آسف لأنه فقد أعصابه معها، لكن هل ساعها بالفعل على خيانتها، أم أنه يريد استخدامها لتقودهم إلى فلوريان، أي كما فعل كوبر؟

لم تكن إيريكا متأكدة من أنها تريد خيانة فلوريان، وهو الشخص الوحيد الذي ما زال يثق بها.

تأثرت قطع الزجاج المتكسرة تحت قدمي إيريكا بينما كانت تتقدم في قاعة المصنع شبه المظلمة، ورأت الخطاطيف المتدلية من العوارض الخشبية التي برزت وسط الضوء الشاحب المتسلل من النوافذ العالية في الجدران.

"توقفي!"

لاحظت إيريكاً حركةً من فوقها، ورأت في الطرف البعيد من القاعة درجاً من الحديد المشغول، وباباً يؤدي إلى غرفة التحكّم المكسو جدارها الخارجي بالخشب. وقف رجلٌ ضخم الجثة إلى جانب مدخل الغرفة. كان ذلك الرجل آرنو الذي ما لبث أن سلّط ضوء مصباح قويٍّ نحو إيريكاً.

توقفت إيريكاً وقالت: "آرنو، هذا أنا"

"اصعدي إلى هنا، بسرعة"

زادت ضربات قلبها، ثم سارت بسرعة نحو الدرج الحديدي. لم تعد إيريكاً واثقةً ممّا يتوجّب عليها فعله.

صعدت إلى الطابق العلوي لترى آرنو منتظراً إياها بنظرةٍ غاضبةٍ ارتسمت على وجهه.

صرخت إيريكاً وهي تمر من أمامه: "لا تُقدم على أي حركةٍ معي، وأبعد مسدّسك عني" وجدت في غرفة التحكّم طاوولاتٍ وكراسيَ مكسورة، وأشياءٍ أخرى مختلطة بعضها مع بعض.

تقدمت إيريكاً نحو المكتب الذي هو على شكل حرف L في آخر غرفة التحكّم. جلس فرنسوا ديلفو قبالة الجدار الطويل الذي بدا في حالةٍ مزرية، مع ثلاثة رجالٍ آخرين، وأيديهم مكبلّة وراء ظهورهم، وقد ظهرت عليهم الكآبة، وعلى الأخص لأن أعينهم كانت معصوبة بقماشٍ أسود اللون. شاهدت إيريكاً مصابيح ملصقةً على الجدار بورقٍ لاصق، بينما ظهرت على الطاولة مصابيح تعمل على البطارية.

ظهرت لافتة إلى جانب الرهائن وقد كُتب عليها "جبهة تحرير الشعب" بدا سيباستيان أمام هذه اللافتة وهو يجهّز آلة تصوير فيديو على ثلاث قوائم. وقف كارل حاملاً بندقيةً رشاشةً بالإضافة إلى منظارٍ معلقٍ في رقبته، وقد جلس في مكانٍ يستطيع أن يرى منه الرهائن وباحة المصنع من خلال النافذة.

كان فلوريان جالساً إلى طاولة، ومنشغلاً بالنقر على لوحة مفاتيح حاسوب، لكنه ما لبث أن وقف مبتسماً بشكلٍ يوحي بالقلق، والحماسة، والفخر. شعرت إيريكاً بشوقٍ كبيرٍ إليه فور رؤيته.

قال فلوريان وهو يسير نحو إيريكيا ويعانقها بحرارة لفترةٍ طويلة: "أنا مسرور جداً لمجيئك"

بادلته إيريكيا العناق الحار، لكنها كانت مرتبكة قليلاً. كيف يُمكن لفلوريان أن يفسّر حضورها إلى هذا المصنع؟ يبدو أنه افترض أنها تريد إرسال صور الأشخاص الذين حضروا المؤتمر ثم البقاء مع مارتن بعد ذلك. لكن يبدو أن فلوريان اعتقد أن إيريكيا قد اختارت رؤية الأمور من خلال وجهة نظره سواءً عقائدياً أم شخصياً.

ابتعدت إيريكيا عنه وبدت مرتبكة، وفكرت إذا كان مارتن قد رأى شيئاً كانت غافلة عنه، أم أنه كان مفتوناً بها منذ البداية؟

سألت إيريكيا: "كيف تسير الأمور؟"

"إنها تسير بشكلٍ رائعٍ كما ترين. لم يسبق لنا أن حلّمنا أننا سوف نحصل على بعض هؤلاء الرجال"

"هل حدث إطلاق نار؟"

أبقى فلوريان نظرتَه مركزةً على عيني إيريكيا. "لم تُطلق طلقة واحدة، وسار كل شيء حسب ما هو مرسوم بالضبط"

أومأت إيريكيا: "عظيم"

لاحظت وهي تقول ذلك سياسيتان واقفاً وراء الكاميرا وهو يحدّق إليها، وما لبث أن حوّل نظره باتجاه كارل.

نظر فلوريان إلى المحتجزين المصطفيين على طول الجدار وقال: "سنكون جاهزين بعد قليل، ولن يطول الأمر قبل أن يعرف العالم بأسره ماذا كانوا يخطّطون"

عضّت إيريكيا على شفتها لأن هذا كان وضعاً جديداً، ولأن فلوريان كشف مشاعره تجاهها أمام الجميع. كان فلوريان ذكياً ومتعصباً ومتهوراً. وكان كاذباً أيضاً. لاحظت إيريكيا الحماسة والحزم ذاتهما فيه كما رأتهما في قادة حرب العصابات في أميركا اللاتينية. لاحظت كذلك القسوة والوحشية ذاتهما اللتين تسحقان كل معارضة في طريقها نحو طغيان حقيقة واحدة.

توضّح كل شيء فجأةً أمام إيريكّا. لكن لماذا لم تدرك هذه الحقيقة من قبل؟ لم يكن عالم فلوريان المبسّط عالمها. كانت تحب العدالة الحقيقية والإنسانية اللتين تميّزان رؤية مارتن للمستقبل. يُضاف إلى ذلك أنّها أحبّت مارتن.

قال فلوريان: "سيحصل كل واحد من ضيوفنا على فرصة للتحدّث أمام الكاميرا عمّا كان يفعله" خلع سترته وعلّقها على ظهر كرسيّه، ثم عاد للجلوس أمام الحاسوب. "سيكون ذلك إضافة لطيفة إلى شريط فيديو الاجتماع"

جالت إيريكّا بنظرها على الأجهزة والآلات الموجودة فوق الطاولة، لكنها لم ترَ أبداً شريط الذاكرة المؤمّنة في أي مكان. انخنت بالقرب من فلوريان، وتظاهرت أنّها تراقب عمله. تابعت البحث بطريقة سرية عن شريط الذاكرة إلى أن تذكرت الجيوب الواسعة والعميقة في سترة فلوريان.

فتحت إيريكّا، وبكل حذر طرف الجيب الأيسر، وتطلّعت فيه من دون أن تحرك رأسها. احتوى هذا الجيب على أوراق مالية من فئة خمسة يورو وعلبة من اللبان.

غيّرت إيريكّا مكائها، وطلبت من فلوريان تكبير صورة كان يحدّق إليها على الشاشة. اختلست النظر بعد ذلك إلى الجيب الأيمن حيث كان شريط الذاكرة المؤمّنة هناك ملفوفاً بمنديلٍ ورقي.

تسارعت نبضات قلب إيريكّا، وكان من السهل تفسير فقدان شريط الذاكرة المؤمّنة من جيب السترة، وكان من الممكن القول إنه سقط وسط الفوضى العامرة. يُضاف إلى ذلك أنّ الشقوق الموجودة في أرضية المكتب كانت واسعة في بعض الأماكن. بما يكفي لسقوط شيءٍ صغير مثل شريط الذاكرة المؤمّنة فيها، وهو الأمر الذي يجعل من المستحيل العثور عليه.

تطلّعت إيريكّا من حولها. تابع سيباستيان تجهيز كاميرا الفيديو، بينما كان كارل يركّز على المختطفين والباحة الخارجية. حرّكت إيريكّا يدها نحو جيب السترة بينما كان فلوريان يركّز انتباهه على حاسوبه، وما لبثت إيريكّا أن قرّبت وجهها نحوه، وانخنت أكثر.

لكن ما إن أحست إيريكّا بشريط الذاكرة المؤمّنة بين أصابعها حتى التفت فلوريان نحوها، وهكذا تواجهها سوياً.

ابتسم فلوريان، وقال هامساً: "كنت أعلم أنك سوف تأتين"
ابتسمت إيريكاً بدورها بينما تجمّدت يدها داخل جيب السترة.
قال فلوريان وهو يُعدُّ كرسيه قليلاً: "أصبح كل شيء جاهزاً للحدث
الكبير، ولم يبقَ سوى..." أفلتت إيريكاً قبضتها عن شريط الذاكرة قبل أن ينطلق
بكلمة "هذا..."

وضع فلوريان يده في جيب سترته، وأخرج منها شريط الذاكرة المؤمنة.
خسرت إيريكاً فرصتها، لكن الخيار الوحيد المتاح أمامها الآن كان سرقة
الحاسوب. كان الحراس منتشرين في مخرجي الغرفة: كان آرنو على الباب الذي
يؤدي إلى أرض المصنع، وكان كارل يراقب النوافذ في الذراع الطويلة من الغرفة
التي هي على شكل حرف L. كانت النافذة الخارجية تطل على الباحة الخارجية،
بينما تطل النافذة الداخلية على قاعة المصنع. لاحظت إيريكاً سلماً خارج النافذة
الداخلية.

نهضت إيريكاً تاركةً فلوريان أمام حاسوبه، وتوجّهت نحو غرفة التحكم
حيث كان آرنو الذي بدا متوتراً.

[@ktabpdf](#) تيليجرام

سألته إيريكاً: "ما رأيك؟"

"رأيي بماذا؟"

"رأيك في كل ما يجري هنا"

هزّ آرنو رأسه: "لم يكن من المفترض أن يموت أحد في هذه العملية"
ردّت إيريكاً متظاهرةً بأنها فوجئت: "هل مات أحد؟" أحسّت بأنها سوف
تنهار أرضاً، وتمتّت لو أنها تتمكّن من الهرب. "مَن مات؟"

"اضطر سيباستيان إلى قتل أحد الحراس"

تأكدت إيريكاً الآن أن فلوريان كذب عليها. كان قتل الحارس تأكيداً على
أن فلوريان وسيباستيان يريدان أخذ العملية حتى نهايتها المريعة وبأي ثمن. لم يعد
لديهما ما يخسرانه بعد الآن. تمثّل خيارها الوحيد في إقناع آرنو، ولربما كارل
كذلك، بالتحالف معها. حاولت إيريكاً أن تتخيّل انتزاع شريط الذاكرة المؤمنة
من الحاسوب، والهرب بمساعدة آرنو لها.

قالت إيريكاً همدوء: "أعتقد أنك تعلم الآن أن هذه العملية قد تحولت إلى شيء مختلفٍ بالكامل عما خُطِّط لها في البداية. سيتعرَّض كل شخصٍ شارك فيها إلى الملاحقة بتهمة القتل، ولن تنتهي هذه الملاحقة أبداً. إن أفضل فرصة لدينا الآن هي إيقاف هذا الجنون"

التمعت أحاسيس الخوف في عينيَّ آرنو وأصغى بكل انتباه. أدركت إيريكاً أنها أصابت أرضاً خصبة بكلامها هذا.

"لا تتحدث وسائل الإعلام عن عملية الخطف، ولا أحد يعرف عنها شيئاً حتى الآن. يُحتمل ألا تتحدث وسائل الإعلام عنها إلا إذا أعلنتها بأنفسنا للعالم أجمع"

حدقت إيريكاً إلى عينيَّ آرنو مباشرة كي تتأكد من أنه فهم كلامها.

"يتعين علينا منع انتشار شريط الفيديو. هذه هي الطريقة الوحيدة لخلاصنا من هذه الورطة"

رفع آرنو بصره فجأةً، وما لبثت تعابير وجهه أن عكست رعباً خالصاً.

سمعت صوتاً من خلفها: "ماذا تحاولين أن تفعلي يا إيريكاً؟"

التفتت لترى عينيَّ فلوريان اللتين توهجان غضباً.

قالت إيريكاً: "كذبت عليّ"

"أردتُ حمايتكِ فقط، وها أنتِ الآن تهمسين بأنك تودين تخريب عمليتنا.

هل تحاولين تأليب كل واحدٍ منا على الآخر؟"

"قلتُ لي يا فلوريان إن أحداً لن يموت نتيجة هذه العملية"

لم تتغيّر نظرة فلوريان، وما لبثت أن أمسك ذراع إيريكاً بعنف، وجرّها عائداً

بها إلى المكتب. "تعالٍ معي يا آرنو"

دفع فلوريان إيريكاً إلى وسط الغرفة. نظر جميع الحاضرين إلى ما يجري.

قال فلوريان بصوتٍ عالٍ: "سيباستيان. قُلْ للجميع ما حدث عند إطلاق

الرصاص

تطلّع سيباستيان من حوله وما لبث أن تطلّع بارتباكٍ بين فلوريان وإيريكاً.

"صوّب الحارس الشخصي مسدسه نحو فلوريان، وكان سيقتله لو لم أسرع

بإطلاق النار أولاً"

سأل فلوريان إيريكاً بلهجةٍ غاضبة: "هل تدعين أن سياستيان قاتل؟ ماذا فعل؟ تصرف الرجل غريزياً رداً على تهديدٍ لأحد رفاقه، وهذه العملية. فعل ذلك لأنه مخلصٌ لنا، ولأنه يفهم تماماً الأهمية الحقيقية لما نفعله"

جال فلوريان في أنحاء الغرفة التي وقف فيها الرجال صامتين. كانت إيريكاً تعرف أن هذه الكلمات موجّهةً بالتحديد إلى آرنو و كارل. "أعتقد أنكم لا تعتبرون هذا مجرد لعبة. أليس كذلك؟"

سار فلوريان نحو الطاولة، وتناول مسدسه الذي كان بالقرب من الحاسوب، وما لبث أن تقدّم نحو المختطفين. قرّب فوهة المسدس بعد ذلك من صدغ فرنسوا ديلفو.

"هل تريدني أن أبرهن لك أن هذا مميت؟"
ساد الارتباك لجميع الحاضرين في الغرفة، وتطلّع كل شخصٍ إلى رفيقه بنظرة مصدومة.

قالت إيريكاً بسرعة، وبصوتٍ مرتعش: "لا يتعيّن عليك أن تبرهن أي شيء"
حدّق فلوريان إليها وقال: "إنني مستعدّ لتصفية هؤلاء المحتجزين بيديّ الاثنتين إذا ما تطلّبت العملية ذلك. إن نجاح هذا المشروع هو الأهم، كما أن أي خائن لا يساوي إفشال هذا المشروع"

لم تعرف إيريكاً ما إذا كان عمل فلوريان هذا هو مجرد استعراض أم لا، لكنها كانت متأكّدة من أمرٍ واحدٍ وهو خسارتها لهذه الجولة. يُحتمل أن يؤدي حديث فلوريان أمام الحاضرين إلى إخافتهم وإلى إطاعته، أو أنه سوف يقنعك نهائياً بأنه مجرد مهووس متهور.

قال فلوريان بعد أن تقدم نحو إيريكاً حاملاً مسدسه: "دعونا نتحرك الآن لنهني ما أتينا إلى هنا من أجله. يمكنك أن تعودني إلى ريختر عندما ينتهي الأمر لتشاهدي معه مشدوهين ما فعلناه. لم يكن بوسع ريختر أن يفعل هذا بمفرده"

أدركت إيريكاً أنه لا توجد سوى طريقة واحدة لإنقاذ الموقف. يتعيّن عليها أخذ مخاطرة، وعليها أن تتخذ قرارها الآن.

"يمكنك أن تقول هذا لريختر بنفسك. إنه ينتظر في السيارة المكونة خارج

البوابات"

جفل فلوريان قبل أن يرد: "ماذا تقولين؟"

زاد التوتُّر السائد في الغرفة، وبدأ أن غضب فلوريان يزداد كثيراً.

قال كارل وكأنه يزجر: "يبدو أن الأمور تزداد سوءاً. ما كان علينا الوثوق

بهذه المرأة أبداً. يتعيّن علينا الخروج من هذا المكان بأقصى سرعة"

قال فلوريان: "اهدأ. لن نذهب إلى أي مكان، بل على العكس تماماً. يُحتمل

أن يتمكن السيد ريجتر من مساعدتنا. استدعِه إلى هنا"

"يوجد معه دافيد كوبر، الرجل الإنكليزي، وهو الرجل الذي حاولت أن

تدفعه أمام القطار في روما، وكذلك زوجته"

قال كارل وكأنه لا يصدّق ما يسمعه: "ما هذا، بحق السماء..."

قال فلوريان مبتسماً بدهاء: "ممتاز. قل لهم أن يأتوا جميعاً. إننا بحاجة إلى

مشاهدين!"

"هل أنت جادٌّ في هذا؟"

رفع فلوريان يده، وما لبث كارل أن التزم الصمت.

سأل فلوريان إيريكاً: "حسناً، لماذا لا تُخرج هاتفك؟"

ترددت إيريكاً قليلاً قبل أن تخرج هاتفها من جيبتها. لكن ما إن بدأت بالنقر

على رقم مارتن حتى أمسكها فلوريان من رسغها. "أرسلني له رسالة نصيَّة"

انتزع فلوريان هاتف إيريكاً، وبدأ بالنقر ثم قرأ بصوتٍ عالٍ: "عزيزي..."

كل شيء على ما يرام... يمكنك أن تأتي إلى الداخل..."

قهقه كارل بتوتُّر ظاهر.

قال فلوريان: "بالقرب من فرن الصهر في غرفة التحكّم... حسناً أرسلت

الرسالة. لكن لا يمكننا الاكتفاء بالانتظار هنا. حان الوقت لضيوفنا الأجلّاء للإدلاء

بتصريحاتهم. هل الكاميرا جاهزة؟"

أوماً سيباستيان.

"كارل. راقب الواصلين الجدد فور ظهورهم في الباحة ثم أبلغني"

شعرت إيريكاً بالرعب. جالت في ذهنها صورة فلوريان مصوباً مسدسه نحو

رأس ديلفو ومتبجحاً بأنه مستعدٌّ لفعل أي شيء لإنجاح العملية.

"غريب..."

جلس مارتن في الظلّمة المخيّمّة على السيارة، وحدّق متشككاً إلى الرسالة النصّية الظاهرة على شاشة هاتفه.

سأل دافيد كوبر بنفاد صير: "ما هو الغريب في هذا؟"
 "لا تناديني إيريكا بوصف (عزيزي) أبداً. إنها تكره أوصافاً كهذه"
 نظر الإنكليزي إلى زوجته الجالسة بقربه، لكنه رأى في المرأة رجلاً أسود
 بدت عليه ملامح الجدية وقد أمسك بندقية صيد من فوق رجله.

تابع مارتن كلامه: "إنني متأكد من أنكم لاحظتم أننا لم نفترق وسط أجواء
 حميمة عندما غادرت السيارة. أعتقد أنّ من المستغرب أن تستخدم تعبيراً
 كهذا"

سارع دافيد إلى القول: "اتّصل بها"

كان مارتن يفكّر في الوضع الجديد، ومدى أهميته طوال الجولة بالسيارة. ماذا
 سيعني نجاح عملية الاختطاف بالنسبة إلى عمليته؟ كيف سيتفاعل المواطنون عندما
 توزّع وسائل الإعلام التسجيلات المأخوذة عن اجتماع سري، وفوق ذلك كله
 عندما يسمعون اعترافات قادة الاتحاد الأوروبي؟

اعتبر مارتن أن هذه النتيجة هي في صالحه. لم يسبق لبافل أن حدّد الطريقة
 التي سيتمكن مارتن بواسطتها من إضعاف اليورو، والتسبب بأزمةٍ داخلية. كانت
 النتائج هي التي تم.

كان بإمكان مارتن أن يُخبر بافل عن مشروع فلوريان، لكن التسجيلات
 والاعترافات من شأنها أن تزيد من الفوضى التي سوف تحدث.

أما الجانب السلبي من الموضوع فهو أنه أصبح بالإمكان ربط اسمه بمنظمة إرهابية، وهو الأمر الذي يمكن من خلاله كشف الرابط بموسكو، على الأقل نظرياً. لكن ينبغي عليه التأكد من أن فلوريان وإيريك لا يُلقى القبض عليهما. كان ذلك أهم هدفٍ عنده.

ضغط مارتن على الزر، ثم رفع الهاتف إلى مستوى أذنه وانتظر.

"ما من رد"

قال الكونغولي: "إنها مصيدة"

قال دافيد: "دعونا نجر تحليلاً سريعاً للمخاطر. ماذا يمكن أن يحدث إذا دخلنا إلى ذلك المكان؟ وماذا يُمكن أن يحدث إذا لم ندخل؟"

قالت كاتي: "دعونا نتصور الوضع في الداخل. حاولت إيريك سرقه الذاكرة المؤمنة، لكنها لا تنجح. كيف سيتصرف فلوريان في هذه الحالة؟"

ردّ دافيد: "إنه مهووس. هذا ما تبين لنا بوضوح في روما"

سأل مارتن محدّقاً إلى شاشة هاتفه: "لكن لماذا ترافقت الرسالة مع هذه اللهجة الساخرة"

قالت كاتي بهدوء: "لا بد أن شيئاً ما يجري الآن"

سأل دافيد: "إذاً، المسألة الآن هي في ما يُمكن لنا أن نفعله، فالوقت ينفد منا وبسرعة. يمكنهم إرسال بيّانهم إلى العالم في أي لحظة الآن، وهكذا سوف يعرف الجميع وقوع عملية الخطف، بينما نجلس نحن في السيارة لتأمل في لهجة رسالة نصية واحدة"

التفت مارتن إلى دافيد وقال: "توضّح لديّ أمران الآن: يتعيّن علينا منع وصول الفيديو إلى وسائل الإعلام، وكذلك لا يمكنني ترك إيريك تحت رحمة فلوريان. أعتزم الدخول إلى المبنى. أما أنتم فيمكنكم البقاء هنا، وترك المسألة على عاتقي"

قال الكونغولي: "إنهم مسلّحون بأسلحة ثقيلة"

"دعوهم يطلقون النار عليّ إذاً" فتح مارتن باب السيارة، وبدأ السير نحو البوابة التي علاها الصداً.

قال دافيد: "أنا ذاهبٌ مع رينختر

فتح راي بندقية الصيد ثم أدخل خرطوشتين في الماسورة، ثم تناول عدة طلقاتٍ أخرى ووضعها في جيوبه.

تابع دافيد كلامه: "لم أعد أتق بأحدٍ غيري بعد الآن"

خرج راي من السيارة من دون أن ينطق بكلمة، وبدأ بالسير نحو مباني المصنع.

قالت كاتي: "إذا كنتَ ستذهب فسوف آتي معك"

"قطعاً لا..."

"لا تضيعِ الوقت. أنا لن أبقى هنا وحدي من دونك. عشنا معاً طيلة هذا الوقت، وأريد أن نبقى كذلك"

وضعت كاتي يديها فوق يدي دافيد: "إذا سنحت لي الفرصة فسوف أتحدث مع ديلفو. يُحتمل أن يصارحنا في وضعه هذا"

هزّ دافيد رأسه أثناء تحديقه إلى راي الذي اختفى بين الأشجار. انتقل بعد ذلك إلى مقعد القيادة، وقاد السيارة ببطء إلى أن وصل إلى رينختر.

قال دافيد: "اصعد"

"كلا. عودوا أدراجكم. إنها قضيتي أنا"

"سنعالجها سوياً. اصعد"

بدا رينختر وكأنه سوف يبدأ بالاحتجاج، لكنه أيقن أن دافيد لن يتراجع. صعد إلى المقعد الخلفي من السيارة، وما لبث دافيد أن زاد من سرعتها. "تمسكوا جيداً. سننطلق الآن!"

ترنّحت اللاند روفر إلى الوراى وإلى الأمام بين القطع الحديدية المتناثرة، وارتجّت بعنف بينما كانت تجتاز المعبر القلدم الذي قامت من جهتيه العربسات المخصّصة لنقل الحديد الخام.

تابع دافيد القيادة بسرعة بينما كان يقترب من مبنى مصنع الفولاذ القلدم، ولم يرغب في عرض هدف سهلٍ أمام القناص الذي يُحتمل أن ينهمك بالمراقبة في هذا الوقت من نافذة الطابق العلوي.

وقف شرطي يرتدي بذلته الرسمية السوداء اللون، ودرعه الواقية من الرصاص، أمام سيارة آرنو مايز المرسيديس الرياضية ذات اللون الأسود. حمل الشرطي بندقيّة رشاشة. بماسورة قصيرة ووضعها بمستوى صدره. أنزل مايز زجاج النافذة الجانبية. كان يعرف أن هذا الشرطي ينتمي إلى القوات الخاصة في الشرطة البلجيكية. تلقت هذه الوحدات تدريباتٍ خاصة للتدخل السريع، وهي تأسّست بهدف التعامل مع الهجمات الإرهابية، وعمليات الخطف، وحالات العنف الأخرى.

"الدخول غير مسموح إلى هذه المنطقة"

أبرز مايز بطاقة التعريف الخاصة به التي يعلّقها حول رقبته كي يراها الشرطي. "أنا من الوحدة الأمنية لمفوضية الاتحاد الأوروبي. ينتظرنني القائد الميداني في الشرطة"

قال الشرطي قبل أن يتصل بمركز القيادة: "دقيقة من فضلك"

أعطى الشرطي إشارة السماح إلى لاگران بالمرور بعد أن تبادل بضع كلمات مع رئيسه.

بدأ الرجلان رؤية عربات القوات الخاصة في الشرطة، وتجهيزاتٍ أخرى من خلال الأشجار. رأى الرجلان بعد ذلك وادياً محاطاً بالأشجار ترتفع فيه أبنية ضخمة كما ظهرت مداخن عالية.

قال لاگران: "دعنا نأمل بأنهم هناك في الأسفل"

"إنهم هناك"

تبع مايز ولاگران سيارة اللاند روفر نحو شارليروي، لكنهما حرصا على البقاء بعيداً عنها بمسافة آمنة. كان هذا الاتجاه متوافقاً مع المعلومات التي أعطتها الشرطة عن موقع رقاقة اقتفاء الأثر. لكن أخبار الحارس المقتول التي تلقيها في الطريق هزّت ثقتهم بنفسيهما.

سأل لاگران: "ماذا تنوي الشرطة أن تفعل؟"

"سيكون التنصّت هو المرحلة الأولى، وستقوم بتركيب كاميرات مراقبة وميكروفونات في المبنى كي تعرف ما يدور في الداخل. لكن الخاطفين لن يعرفوا بأن الشرطة توجد هنا، وهذا يُفسح في المجال أمام شنّ هجومٍ مباغت"

قال لاغران بتوثر: "ممتاز"

ركن ماييز سيارته الرياضية بالقرب من عربة قائد الشرطة، والتي كانت عبارة عن حافلة صغيرة بلون رمادي داكن. خرج بوفيه، وهو كبير المفتشين وقائد العملية، من الحافلة وكان ماييز قد التقاه من قبل عندما كان في مهمة أمنية للاتحاد الأوروبي.

قال بوفيه وهو يمسّد شاربه: "سمعت أنك تمتلك معلومات أولية عن المشتبه

بهم"

أجاب ماييز: "صحيح. أحسنا أن شيئاً من هذا قد يحدث. كان ذلك سبب تواجدي في شاتو أنطوانيت للمراقبة. إننا نتعامل مع عمل إرهابي خطير موجّه ضد الاتحاد. لكن الخاطفين خطرون جداً، ولا يمكن توقّع ما قد يُقدمون عليه. يتعيّن علينا القضاء عليهم في أسرع وقتٍ ممكن"

فتح دافيد باب سيارة اللاند روفر وقفز منها مع كاتي وريختر إلى أرضية قاعة المصنع ذي الإضاءة الخفيفة. شاهد دافيد السيتروين الحمراء المقفلة التي كاد أن يصطدم بها. وشاهد في آخر القاعة غرفة التحكم، والدرج الحديدي المؤدي إليها. نظر بعد ذلك إلى ريختر وكاتي. لم ينطق أحد بكلمة بل انطلق الجميع عبر القاعة. "توقفوا!" جاءت هذه الصيحة من الطابق العلوي ما إن وصلوا إلى منتصف الطريق. "ضعوا أيديكم فوق رؤوسكم! تعالوا إلى غرفة التحكم. اصعدوا الدرج، وضعوا أيديكم بحيث يمكنني رؤيتها"

لكن ما إن وصلوا إلى الطابق الأعلى، حتى وجدوا شاباً متوتراً الملامح أصلع الرأس حاملاً معه بندقية رشاشة، كما شاهدوا فلوريان الذي كان يحمل مسدساً. سأل فلوريان: "ماذا تفعلون هنا، بحق السماء؟"

قال دافيد بينما كان الرجل الذي يحمل البندقية الرشاشة يرمقهم بنظرات قاسية: "لم نرغب بتفويت هذا العرض

"حسناً. تفضّلوا لأنكم أصررتم على مشاهدة العرض

تقدّمهم فلوريان عبر غرفة التحكم إلى غرفة المكتب القديم. جلس ديلفو والإيطالي مدير المصرف أمام أحد الجدران وأيديهم مربوطة وراء ظهورهم، والعصائب التي تغطي أعينهم. وقف إلى جانبهم رجلٌ مسلحٌ آخر وكان ملتجئاً.

جلس غوسينز أمامهم وإلى يمينهم. بدا متعباً أمام الكاميرا وكان مقيد اليدين وراء ظهره. برزت لافتة معلقة في رقبتة كتب عليها: "أكبر مجرم في أوروبا" وقف إلى جانبه شابٌ يرتدي معطفاً رياضياً، ويحمل آلة تصويرٍ بإحدى يديه، ويضع

نظارات، بينما التفّ شالٌ حول عنقه. أما في طرف طاولة الاجتماعات الكبيرة فقد جلست إيريكّا بعيدة عن الآخرين، وبدت معذّبةً ومنسحقة الفؤاد.

بدا دافيد مرتاحاً في هذا الوقت لأن شيئاً لم يتسرّب إلى وسائل الإعلام كما يبدو، ثم نظر عن كُتب إلى رفاق فلوريان. بدا جميع الحاضرين في نحو الخامسة والعشرين من أعمارهم ما عدا الرجل الملتحي، كما بدوا وكأنهم طلاب جامعة منحرفون أكثر من كونهم مجرمين متمرّسين. لكن فلوريان كان شأناً آخر، ومن المستحيل إقناعه عن طريق الجدال.

أراد دافيد كسب الوقت أولاً فسأل فلوريان بعد أن أوماً نحو الكاميرا: "ألا تكفي تسجيلات الاجتماع؟"

"ستكون ثرثرة مجموعة من المسنين الذين يرتدون بذلات، وستضيع وسط ضجيج وسائل الإعلام. أما الاختطاف وشريط الفيديو هذا فيضمنان الحصول على انتباه العالم بأسره، وذلك بالتركيز على جرائم الشركات، وقادة الاتحاد الأوروبي في حق شعوب أوروبا. يُضاف إلى ذلك أننا تمكّنا من احتجاز رجلٍ أميركي وكان ذلك هديةً إضافية. إنني متأكد تماماً من أن دافعي الضرائب في أوروبا سيشكرون السيد غرينفيل على مساعدته اليونان الدخول إلى منطقة اليورو بطريقة خادعة. يمكنك أن تحدّد لي المبلغ الذي كسبه مصرفك نتيجة هذه الصفقة؟"

أجاب الأميركي من دون تردد: "إن عبارة خداع هي مضلّلة هنا. أما الصفقة التي تتحدث عنها فكانت اتفاقية تبادل عادية..."

اتّجه فلوريان نحو غرينفيل شاهراً سلاحه: "إياك أن تتذاكي نظر دافيد إلى إيريكّا التي بادلتها النظرات، وكان من الواضح أنّها كانت مضطربة.

"أيّ دور تلعبه الآن في هذه المهمة الإيطالية؟"

رفع فلوريان فوهة مسدسه نحو جبهة غرينفيل: "دعنا يا سياسيتان نقوم بتسجيل اعترافاته الآن"

تنحّج دافيد وقال: "عندما يرى الناس رجالاً تحت تهديد السلاح فإن تعاطفهم يتحوّل إلى الرهائن، وهكذا تضع رسالتك وسط هذه المعمة"

التفت فلوريان إليه: "هذا هو ما تتمناه أن يحدث" قال فلوريان بنبرة عدائية وهو يسير مقرباً من دافيد قبل أن يتابع كلامه: "وذلك لأنك مثلهم" أوماً فلوريان نحو الرهائن، ثم توقّف أمام دافيد.

"ينبغي أن نربط يديك وراء ظهرك ونضمك إليهم، لأنك محتالٌ مثلهم. إنك تحاول جني أكبر قدرٍ من الأرباح. إن العالم يعاني بسبب المحتالين المحترفين من أمثالك، وهكذا تضيع مئات مليارات اليورو في هذه الأزمة المالية، لكن الناس العاديين هم الذين يتحمّلون أعباء هذه الخسائر. إن اهتمامك بالتسجيلات لا يتعلق بالكفاح من أجل العدالة، وإنقاذ الناس من البؤس

وقف دافيد بصمت لأن فلوريان كان على حق. كانت مهمته هي كسب أكبر قدرٍ ممكن من المال، وهو يحتاج إلى شريط التسجيلات لإنقاذ نفسه وزوجته من الإفلاس المالي.

اقتربت كاتي من فلوريان: "أتريد أن تقول إنك مستعد لارتكاب هذه الجرائم الخطيرة، وأخذ كل هذه المخاطر نتيجة عملية الخطف فقط لجذب الانتباه إلى شريط الفيديو الذي بموزتك؟"

"لا بالتأكيد، لكن عندما يدرك الناس أي جرائم تُرتكب بحقهم، والمؤامرة التي تهيئها بحقهم النخبة الاقتصادية والمالية العالمية التي تتحكّم فيهم وتستغلهم، فإنهم لن يكتفوا بالإسراع إلى المصارف لسحب أرصدهم، بل سيتجمعون في الشوارع للمطالبة بحقوقهم وبالممارسة الديمقراطية الحقيقية"

لاحظ دافيد أن فلوريان ينظر إلى إيريك.

حوّل فلوريان حديثه في هذا الوقت إلى ريختر: "كانت خطتك مجرد مسخٍ ميتٍ للبيروقراطية الكرتونية. كنت مجرد أداة مساعدةٍ بالنسبة لي. إنني أمتلك خطة من شأنها تغيير تاريخ أوروبا بطريقة حاسمة، كما أنني أمتلك الجرأة لتنفيذها"

قال ريختر: "إذا ألقى القبض عليك، فإن كل ذلك سيتلاشى. افعل ما يتعيّن عليك فعله، لكن افعله بسرعة كي تتمكن من الخروج من هنا"

راقبت إيريكاً فلوريان، ولاحظت نظراته المختلطة إليها خلال النقاش الدائر، وتذكرت رد فعله عندما دخلت إلى الغرفة وجلست أمام حاسوبه في وقت لاحق. تذكرت في هذه اللحظة ذاتها بعض ملامح فلوريان في بعض الأوقات على مدى الأشهر القليلة الماضية، وعلى الأخص عندما كانت تتحدث بإعجاب عن مارتن ورؤيته للأوضاع.

بدأت إيريكاً تفهم أمراً في غاية الأهمية. لم يقتصر تبجح فلوريان على مستقبل أوروبا، بل كان يهدف إلى ترك انطباع معين على المرأة التي أحبها. حدث كل شيء بطريقة تدريجية، وهما اللذان تكون لديهما حماسة تجاه أفكار مارتن وباشرا بالتعاون الوثيق لتنفيذ خطة استثنائية. أمضى الاثنان ساعات وأياماً طويلة أمام الحاسوب بهدف رسم رؤية مفرحة لمجتمع أكثر عدالة، وضحكاً معاً حالماً يجنون. كان يعرف أحدهما الآخر أكثر كلما ازدادا قرباً. وكان لا بد لذلك أن يحدث في مرحلة ما، أي أن يقع فلوريان في حبها، أما مارتن أستاذهما فقد أصبح تهديداً لهما وعدواً في الوقت ذاته.

ترددت الأصوات في أذني إيريكاً وكأنها تحدث في نفق، ولاحظت فلوريان وهو يأمر مارتن والزوجين كوبر بالجلوس إلى الطاولة. ظهر حاسوبٌ محمول فوق طاولة الاجتماعات بحيث يرى الجميع ما هو معروضٌ على شاشته. كان غوسينز لا يزال جالساً أمام الكاميرا لكن الرعب بدا على وجهه، بالرغم من محاولته إخفاءه.

فجأة، رأت إيريكاً فلوريان من زاوية جديدة. وقف أمامها شاب مجرد من سلاحه وقناعه الحربي، وهو شاب ذهب به خياله، بكل بساطة، إلى مساراتٍ أخرى. رآته وهو يضرب صدره بيديه ويتمسك برؤى عظيمة، ورغبةٍ مريرةٍ لا ترحم للحصول على انتباه الآخرين، تحجب قدرته على اتخاذ قرارات سليمة. كان من الصعب جداً التغلب على فلوريان. لكن المنطق لا يجدي نفعاً معه لأن مشاعر قوية تسيّره. شعرت إيريكاً مراراً بهذه الاتهامات داخل نفسها. لكن كان عليها أن تدرك منذ زمن إلى أين ستؤدي بها كل هذه الأمور. شعرت أنها هي سبب هذه المأساة.

قال فلوريان: "تابع" وضع قناعه على وجهه، وتقدّم نحو غوسينز ثم وقف أمامه، وكان ما زال جالساً أمام الكاميرا مع اللافتة المعلقة في عنقه. همست إيريكاً لريختر ودافيد: "إنه لن يتراجع من تلقاء نفسه، ولا يريد أن يشعر بالخجل أمامي..."

صاح فلوريان: "هدوء. هدوء. إننا نصور!"

وقف بصلافة بعد أن شدّ قبضتي يديه ووضعهما فوق صدره. تطلع سياستيان في عدسة الكاميرا، وخلع نظارته ثم وضع قناعه. تراجع إلى الخلف بعد ذلك، ووقف إلى يسار غوسينز بالقرب من فلوريان. تراجع كارل كذلك خلف الكاميرا حاملاً بندقيته الرشاشة فوق صدره.

نظرت إيريكاً إلى الصورة المعروضة على شاشة الحاسوب. تسارعت ضربات قلبها. فكّرت بأنها إذا كانت السبب في هذه الكارثة فلربما تتمكن من إنهاؤها، لكنها أيقنت الآن أنها خسرت تلك الفرصة.

أسرع شرطيان من القوات الخاصة التابعة للشرطة البلجيكية الخطى فوق سقف المصنع، من دون إحداث أي صوت. كان الشرطيان مجهزين بجوِّذ معدنية، وسترات واقية من الرصاص. أما القناعان اللذان وضعاهما على وجهيهما فلم يتركا منهما فسحةً غير المنطقة المحيطة بالعينين والشم. توقفا بعد ذلك أمام أنبوب تهوئة ثم ركعا. كانت القوة الرئيسة محجوبة وراء أغصان الأشجار الكثيفة، بينما كانت حافلة القيادة، والعربات والتجهيزات الأخرى، موجودة على بُعد أربعمئة متر.

اختبأ القناصون وجنود التدخل في المنطقة المحيطة بالمبنى، وكانوا جاهزين في حال أمرهم القائد الميداني بشن هجوم فوري لإنقاذ الرهائن. لكن ذلك يبقى أسوأ الخيارات المتاحة، وهذا ما جعل عملية التنصُّت على الهدف جارية بالفعل.

لكن شروط التأمين ضد الاختطاف لرئيس كريديتو ناسيونالي تضمنت رقاقة اقتفاء أثر تابعة لنظام تحديد المواقع العالمي جي. بي. أس، كما أن كاميرات التصوير الحرارية، والميكروفونات العاملة على الليزر والمصوِّبة نحو النوافذ، قد أكدت كلها أن المخطوفين موجودون في منطقة المكتب الواقع في القسم القديم من المجمع الصناعي المهجور.

أمسك شرطي آخر من المتخصِّصين لفةً من الأسلاك، وبدأ بإنزال كاميرا من الألياف البصرية من خلال نظام التهوئة. راقب رجل آخر البث الآتي من الكاميرا من خلال فسحة في الشاشة الصغيرة.

رفع الشرطي نظره بعد ذلك. أظهرت زاوية الرؤية البالغة 180 درجة غرفة مليئة بالناس، وكانت هذه الصورة ذاتها منقولةً إلى مركز قيادة الحوادث الطارئة.

"ماذا يفعلون..."

جلس جان لاگران في مركز قيادة الشرطة ذات الإضاءة الخافتة، وكان محاطاً بالتجهيزات الإلكترونية، وما لبث أن حدّق مصدوماً إلى المنظر الآتي من المصنع المهجور.

جلس برونو غوسينز، وهو رئيس يوروغروب، مقيداً ومحشوراً بين مجرمين مقتنعين وكانا يحدّقان إلى كاميرا. وجلس بالقرب منه فرنسوا ديلفو. تذكّر لاگران في هذا الوقت مناقشاته مع ديلفو التي دارت حول خطة بالغة السرية لإنقاذ اليورو. حدّق لاگران إلى الصورة، ولم يتمكن من التفكير بأنهم سوف يضطرون إلى كشف الخطة قبل أوانها وتحت الضغط. جلس الزوجان كوبر، وريختر إلى طاولة في الجهة الأخرى من الغرفة.

قال القائد الميداني للقوات الخاصة في الشرطة، وهو كبير المفتشين بوفيه: "إنهم يذيعون شيئاً يشبه البيان"

سأل بوفيه لاگران: "هل تعرّفت إلى الخاطفين؟"

نظر لاگران إلى ماييز الذي كان جالساً بالقرب منه بوجه جامد.

ردّ ماييز بحزم: "أجل، برفيسور ريختر من بينهم، وهو ناقد ألماني شهير لليورو. يبرهن هذا شيئاً كئنا نخشاه منذ زمن بعيد. تحوّلت جماعة ريختر إلى التطرف، وهي جماعة تشتمل على الزوجين الجالسين معه على الطاولة. لكن عملية القتل التي ترافقت مع عملية الاختطاف تبرهن أن هذه الجماعة جاهزة للحوء إلى إجراءات ترافق مع العنف. يتعيّن علينا القضاء على هذه الجماعة بأسرع وقتٍ ممكن إذا أردنا إنقاذ المحتجزين"

بدأ صوت الخاطف الواقف بالقرب من غوسينز يُسمع من خلال مكبرات الصوت. وضع القائد الميداني السماعات على أذنيه في هذه اللحظة.

"إننا نعتزم كشف الطبيعة الحقيقية للاتحاد الأوروبي، وكذلك هوية القوى التي تتحكّم فيه، وهوية المنتفعين من أموال دافعي الضرائب من مواطنينا..."

رفع بوفيه مستوى الصوت، كما تمكن التقني الذي يجلس أمام أجهزة اللاسلكي من التخلص من التشويش.

"يقع الناس العاديون ضحايا التقشّف بسبب الأخطاء التي ترتكبها قلة صغيرة من النخبة. وتقع المصارف في مركز هذه النخبة. إن ما نراه هو عملية تحوّل تاريخي للثروة من دافعي الضرائب في أوروبا إلى المصارف، وهي الجهة التي تسببت بالأزمة المالية بسبب جشعها. إن هذه المصارف لا تتحمل عواقب أخطائها، بل تتسلم الملايين مكافأة لها. تتلقى المصارف دعماً من الاتحاد الأوروبي نظراً للتداخل الوثيق القائم بينهما، كان الدليل الدامغ على هذا التداخل مفقوداً، لكننا الآن نمتلك ما يكفي من ذلك الدليل، إننا نمتلك تسجيلاً يبرهن مدى استعداد الاتحاد الأوروبي لإنقاذ مصرفٍ إيطاليّ تعرّض للانهايار، وهو مصرف بانكا كريديتو ناسيونالي..."

وجد لاگران صعوبةً في تصديق ما يسمعه، لكنه نظر إلى ماييز بذهول، وأدرك ما كان يفعله الزوجان كوبر، وريختر في شاتو أنطوانيت، وتذكّر أن ديلفو ذكر اسمه في الاجتماع بوصفه العقل المدبّر لخطة الإنقاذ الطارئة.

"تعالوا إلى هنا" قال الرجل المقنّع أمراً المحتجزين الآخرين بالتقدم نحو الكاميرا قرب غوسينز. "انتظروا هناك. قمنا بتنقيح شريط تسجيلات هذا الاجتماع بحيث نجمع الأجزاء المهمة معاً والتي تتعلق بموضوع واحد"

سدّد ماييز نظرة جانبية ذات مغزى إلى لاگران الذي شعر برعب يعتصر كيانه، لأن الخاطفين توصلوا إلى أشياء مهمة بسرعة.

قال لاگران وهو يتنحج: "يبدو أن الوضع شديد الخطورة، وهناك أمور ذات أهمية عظيمة في الميزان. يتعيّن عليّ الاتصال برئيس المفوضية الأوروبية..."

ردّ ماييز قبل أن يترجّل من الحافلة الصغيرة: "يتعيّن عليّ الاتصال بمدير الوحدة الأمنية في بروكسل"

لم يكن لدى ماييز أي نيةٍ لإجراء اتصالٍ ببروكسل، بل سار نحو عربة تابعة للوحدات الخاصة تضم أسلحة هذه الوحدات والمتفجرات التي تستخدمها. سبق له أن لاحظ عربة فولس فاغن مقللة رمادية اللون عندما كانت فرقة التدخل تستعد لتوجيه ضربتها.

كان الضابط المسؤول عن الأسلحة يتحدث بالهاتف أمام العربية. أدرك ماييز بأنه يتعين عليه التحرك بسرعة، فتوقف أمام الأبواب الخلفية واقترب من أول صف من البنادق الهجومية والبنادق الرشاشة. شاهد ماييز وراء هذا الصف قنابل دخانية موضوعة في صناديق معدنية. كما شاهد مواد متفجرة وكان بعضها معداً للتفجير، أما ما تبقى فكان مصفوفاً بكل ترتيب بحيث يُمكن الوصول إليه بسرعة في حالة الطوارئ. اقترب ماييز من أحد الصناديق وتناول بعض المتفجرات من نوع HMX، وهي من النوع ذاته الذي يفضلّه جنود الناتو. كان هذا الإصبع صغيراً ورفيعاً، لكن سرعة تفجيره كانت تقارب عشرة كيلومترات في الثانية الواحدة. تناول باليد الأخرى صاعقاً طويلاً ودسّه في جيب سترته. أما المتفجرات فقد وضعها تحت حزامه في منطقة الظهر.

سمع ماييز الرجل وهو يقترب منه، فأسرع إلى الانتقال إلى الجهة الأخرى من العربية المقفلة. تابع الشرطي حديثه بعد أن وقف خلف العربية، ولم يكن بوسعه أن يلاحظ فقدان أي شيء من صندوق المتفجرات إلا إذا دقق النظر في الصندوق لسبب ما.

تابع ماييز تحضيراته للتحدي التالي من وراء حافلة صغيرة باللون الرمادي الداكن، وكان يعرف أن هذا التحدي سوف يكون أكبر بكثير من التحديات السابقة التي واجهته.

وجّه لاگران كلامه إلى بوفيه بعد أن لاحظ صعود ماييز إلى القسم الخلفي من الحافلة: "تحدّثت لتوي مع رئيس المفوضية. تعتبر بروكسل أن إبقاء تسجيلات الاجتماع سرية يحمل أهمية قصوى"

قال بوفيه: "أنفهم تماماً رغبة بروكسل، لكن هذا هو عمل الشرطة، وسوف يجري على هذا الأساس"

"حسناً. تعرف أن هؤلاء الخاطفين هم إرهابيون يتميّزون بالشراسة، وقد قتلوا شخصاً. لا أريدك أن تتراجع لأن هذا الوضع يستدعي إجراءات صارمة. يتمثل خيارنا الوحيد في القضاء عليهم بهجوم مفاجئ"

"سبق لي أن قلت إن الأمر من مسؤولية الشرطة، أي أنك لست في موقع إصدار أي توجيهات هنا"

حدّق لاگران إلى وجهه بوفيه الذي يخلو من المشاعر، لكنه شعر بموجة من الغضب واليأس تهبّ من أعماقه.

قال ماييز مقاطعاً: "عذراً. أود تبادل كلمات قليلة مع نائب المدير العام لاگران"

تبع لاگران ماييز إلى خارج العربة، وما أن ابتعدا مسافة كافية عن الحافلة الصغيرة حتى توقّف لاگران واستدار، ثم قال: "أترى؟ يتعيّن علينا إزاحة أمر الشرطة ذاك عن إدارة العملية"

"لا يفيدنا ذلك بشيء. إنه مسؤول عن العملية، والأمر سوف يبقى على هذه الحال. يُحتمل أن يقوموا بهجوم، لكن ذلك لن يفيدنا بالضرورة. يُمكن للخاطفين أن يستسلموا من دون إطلاق رصاصة واحدة، لذلك يجب أن نفكّر في شيء آخر"

سأل لاگران بيأس: "ماذا بعد؟"

خفض ماييز صوته أكثر، وقال: "بموزتي كمية مدمرة من المتفجرات، وصاعقٌ طويل. يمكننا إيصاله إلى مكان ما من المنطقة التي يستخدمها الخاطفون، أو بالقرب من الجدار الخارجي. سيعطينا هذا مجالاً للدخول عندما تبدأ فرقة الهجوم باستخدام الغاز"

"لا يمكننا تعريض سلامة الرهائن للخطر"

"سنفعل كل ما بوسعنا لتفادي ذلك. لكن الزوجين كوبر موجودان في الداخل، وهما يعرفان حقيقتنا. يُضاف إلى ذلك أنهما يمتلكان تسجيلات الاجتماع. إنهم يريدون تدميرنا وشلّ الاتحاد، لكن الوقت قصيرٌ أمامنا، كما يمكنهم إرسال الشريط إلى العالم في أي لحظة. يجب علينا التأكيد من وجود انفجار، ورجال إطفاء يتمكّنون من قتل جميع الخاطفين، وعلى الأخص الزوجان كوبر"

"لكن كيف يمكننا إدخال المتفجرات إلى المبنى؟"

"ستأخذها أنت"

حدّق لاغران إلى وجه ماييز: "هل جنتت؟ لماذا أنا؟"

"يتمثّل هدفنا في إدخال المتفجرات إلى المنطقة التي يستخدمها الخاطفون، أو إلى مكانٍ قريبٍ منها. يمتلك الخاطفون سبباً قوياً لإبقائك على قيد الحياة، وذلك لأنك تمتلك معلوماتٍ عن اتفاقيةٍ تتعلق بالاتحاد الأوروبي قد همّمهم. أما إذا دخلتُ أنا فإنهم سوف يطلقون النار عليّ من دون تردّد"

شعر لاغران بارتخاء في ركبتيه لأنه سوف يعرّض حياته للخطر. كان يفهم منطق ماييز، لكن الفكرة أزعجته، ولذلك جهد كثيراً كي يفكّر بصفاء.

"متى يُفترض بي أن أفجّر القنبلة؟"

"سيكون الصاعق بحوزتي، وسأفجرها في اللحظة المناسبة"

"كلا. سيكون الصاعق معي"

"لا يمكن أن يكون معك. سيعثرون عليه عندما يقومون بتفتيشك. جان،

يجب أن تثق بي. سأراقب من خلال الكاميرا الوقت المناسب لتفجير القنبلة"

هزّ لاغران رأسه وتمتم: "اللعة. كلا، لا يمكن أن يحدث ذلك..."

"ستقوم بهجومٍ مباغتٍ بدورك. سيكون ذلك المرحلة الأولى من هجوم القوات الخاصة، فمن وجهة نظر الشرطة أنت الوحيد الذي يمكنه الاتصال بالإرهابيين من دون أن يشكّوا بأنهم محاصرون. سنضطر إلى عرض الجزء المنظور من خطتنا على بوفييه. لكن يجب علينا الإسراع في اتخاذ أي قرارات سنضطر إلى اتخاذها"

شعر لاغران بأن قواه قد خارت بعد إعلان الشرطة المحيطة به بدء العملية.

حدّق دافيد إلى فلوريان بينما كان هذا الأخير يعمل على حاسوبه، وكان يريد الإسراع في تنقيح تسجيلات الاجتماع وتحويلها إلى شيء يُمكن للجمهور استيعابه. أمر فلوريان الجميع بالتزام الهدوء إلى حين انتهاء العمل. خرج الشاب الذي يضع نظارات إلى غرفة التحكم لمراقبة الطابق الأرضي. بينما كانت مهمة الشاب الآخر الضخم والأصلع، حراسة إيريكّا، وكاتي، ودافيد. أما الرجل الملتحي فقد أخذ على عاتقه مهمة مراقبة الرهائن.

قالت إيريكّا كاسرةً جدار الصمت المخيم: "فلوريان، لا تفعل ذلك... أطلب منك هذا لأجلّي أنا"

توقفت أصابع فلوريان عن الحركة فوق لوحة المفاتيح.

قالت إيريكّا: "لن يعرف أحد بهذا الاختطاف، إلا إذا قلنا له ذلك في سياق شريط الفيديو هذا. ما زال بإمكاننا تجنّب الملاحقة القانونية. سأذهب معك إلى أي مكان"

التفت فلوريان إلى إيريكّا، وكان متجهّم الوجه: "هل صحيح ما أسمع؟ هل أنا مضطر للاختيار بينك وبين إتمام المشروع؟"
"كلا. لم أقصد ذلك..."

"أنتِ تحقيريني، لكنكِ مستعدة للتضحية بنفسك من أجل الآخرين"
هزّت إيريكّا رأسها بعد أن شعرت بمزيدٍ من الرعب: "كلا، كلا..."
"هل تفهمين كم هذا مؤلم؟ أي أن أسمعكِ وأنتِ تقولين شيئاً كهذا أمام كل هؤلاء الناس"

شعر دافيد أن الوضع يتطور نحو اتجاهٍ خطر، وأن فلوريان قد يبدأ المحوم في أي لحظة.

أحسّ في هذه اللحظة بالذات بارتجاج هاتفه في جيبه، لكنه دُهِش عندما تعرّف إلى الرقم.

صرخ به فلوريان: "ضعه جانباً" نهض بعد ذلك من مكانه، وأمسك بندقيةً كانت على الطاولة ووجهها نحو دافيد. "آرنو، لماذا لم تأخذ هواتفهم؟ اجمع كل الهواتف الآن. اللعنة!"

قال دافيد: "انتظر قليلاً. لاگران هو الذي يتصل بي، وهو الذي يظهر في شريط الفيديو عن الاجتماع"
"ماذا يريد؟"

رفع دافيد الهاتف حتى مستوى أذنه.
"أود التحدث إليك يا دافيد. أنا خارج المصنع الآن. تبعت سيارتك حتى هذا المكان من شاتو أنطوانيت"

شكّل هذا التطور صدمةً لدافيد، لكنه سرعان ما أدرك مغزى كل ذلك. هل يعني ذلك أن مائيز قريب من هذا المكان، وأن لاگران يقدم لهم فرصةً أخرى لكسب مزيدٍ من الوقت.

ضغط دافيد بإيمانه على زر ميكروفون الهاتف: "تبعنا لاگران إلى هنا، وهو يريد التحدث معي"

تقدّم فلوريان من دافيد، ووجهه بندقية إلى رأسه: "اللعنة. ما الأمر. أي لعبة تريد أن تلعبها معي؟"

"يُعتبر لاگران لاعباً مركزياً في خطة المصارف هذه، أي كما سمعت. قصدتُ جرّه إلى هنا بعد أن أخبرتنا إيريكا عن مكانك. يمكننا ابتزازه الآن للإدلاء باعترافٍ مصورٍ على شريط فيديو"

بدا أن وجه فلوريان يغلي غضباً، وهو يقرب بندقية الرشاشة من دافيد.
مرّت اللحظات ببطء شديد.

"هل تعتقد أنني لا أجرؤ على إطلاق الرصاص؟ سبق لنا أن قتلنا رجلاً بالفعل"

عرف دافيد أن فلوريان لم يعد يمتلك أي شيء ليخسره بعد الآن.

"لماذا لا ننتزع اعترافاً من لاگران كذلك، وهو الذي كان المهندس الرئيس لخطتهم"

بدا أن اقتراح دافيد أغضب فلوريان بقدر ما أغراه. هزّ رأسه، وما لبث أن خفض بندقيته.

قال فلوريان: "قل له كي يأتي إلى هنا. آرنو، راقبهم جيداً. سأجمع ما تبقى من شريط الاجتماع. ما زلت بحاجة إلى إزالة بعض أصوات التشويش. سنقوم بعد ذلك بتسجيل الاعترافات وجمعها مع البقية"

شعر دافيد بوخزٍ في أعماقه. إن المراهنة على كسب الوقت لم تنجح. أما إذا نجح فلوريان في إرسال شريط الفيديو إلى وسائل الإعلام فسوف تكون الخسارة شاملة. ستربط تسجيلات الاجتماع بعملية الاختطاف، وسوف تُثار مسألة الصفقة التي أجراها بناءً على معلوماتٍ مسرّبة من الداخل في التحقيقات. سيؤدي هذا الأمر إلى تدمير مستقبل كاتي كذلك.

نظر دافيد إلى الرجلين اللذين يحملان بندقيتين رشاشيتين، وهما كانا يتطلعان بتشككٍ أحدهما إلى الآخر طوال الوقت. بدا أنهما غير مستعدين لقتل أي شخص. تمكّن من الاستنتاج من ملاحظتهما أن الوضع قد تعدّى حدوده بالنسبة إليهما. حدّق دافيد إلى عيني كاتي وفكّر بأنها توصلت إلى الاستنتاج ذاته بشأن المختطفين. كان دافيد على ثقة بأن كاتي فهمت تماماً ما يرمي إليه.

قال دافيد للاگران في الهاتف: "اصعد إلى هنا. إننا في غرفة التحكم في المبنى الكبير للمصنع، وفي القسم القديم من المجمع.

أنزل لاگران هاتفه، وحاول الحفاظ على هدوئه بأقصى ما أوتي من قوة. حمل حقيبة يده وكانت تحتوي على حاسوب وشحنة مخبأة في داخله، وكانت مهمته هي إشعالها. أما المادة المخدرة التي تحتويها هذه الشحنة فكانت كفيلاً بشلّ قدرة كل شخص موجود داخل الغرفة عن الحركة. كان قائد الشرطة متشككاً في اقتراح ماييز، لكن لاگران أكّد له أنه سيشارك من كل قلبه، وأنهما لا يمتلكان أي خيارات أفضل.

دخل لاگران إلى المصنع ذي الإضاءة الخافتة، وما لبث أن تقدم ببطء نحو السلم المعدني الذي يحاذي الجدار الأيمن، والذي يؤدي إلى الطابق الأعلى. كانت المتفجرة مخبأة في كيس بلاستيكي عادي داخل حقيبته وهو الأمر الذي جعله متوتراً. كان ينوي تركها في أقرب مسافة ممكنة من الغرفة التي يستخدمها الخاطفون.

سمع لاگران، فجأةً، ضجيجاً خلفه. استدار خلفه وظن أنه رأى شخصاً يتحرك بين الظلال. حبس أنفاسه كي يسمع بصورة أفضل، لكن كان كل ما سمعه هو دندنة الصمت. لم يكن قادراً على العودة الآن، بل عليه أن يمضي قدماً. وصل لاگران إلى السلم الحديدي، وأمسك بالدرابزين ثم بدأ الصعود.

قال فلوريان من الحاسوب: "جاهزون لبث ملخص الاجتماع. حان الوقت ليعلم به العالم كله"

أنصت دافيد وهو يشعر بالرعب، لكنه أدرك بأنه يتعين عليه أن يتحرك. نهض بسرعة ودفع الرجل الذي يُدعى آرنو، وبأقصى ما امتلكه من قوة، نحو الجدار ثم انطلق مسرعاً نحو فلوريان الذي هرع إلى الطاولة ليتناول سلاحه. أمسك دافيد فلوريان في آخر لحظة، وأبعده عن بندقيته وحاسوبه. انطلقت كاتي في اللحظة نفسها نحو الحاسوب، بينما توجهت إيريكاً نحو الأسرى.

تمكّن دافيد بعد ذلك من تقييد ذراعي فلوريان وراء ظهره، بينما أمسكت كاتي الحاسوب وشريط الذاكرة المؤمنة بداخله.

صرخ فلوريان برفاقه: "افعلوا شيئاً، بحق السماء!"

وقف آرنو عند الزاوية وأحاط رأسه بيديه بينما تدلت البندقية الرشاشة بتكاسل فوق بطنه. صوّب الرجل الملتحي بندقيته نحو إيريكاً.

حدّق الرجلان كلٌّ إلى الآخر من دون أن يعرفا ما يجب عليهما عمله، لكن إيريكاً صرخت بهما: "اخرجا من هنا يا آرنو وكارل، فهذه هي فرصتكما. تجاهلتهما إيريكاً وانصرفت إلى العمل على قطع الحبال التي تقيّد الأسرى. "ألا تدركان أن فلوريان يقودكما إلى الهلاك؟"

صرخ فلوريان بأخر رفيق بقي له في الغرفة التالية: "سيباستيان"
أسرع على الفور واضعاً كل ثقله على الباب الثقيل، وأحكم إغلاق المزلاج.
سُمتت الطرقات القوية على الجهة الأخرى من الباب، لكن الباب صمد.
حرّرت إيريكّا يديّ غوسينز، ثم لاحظت أن كارل ما زال يصوب بندقيته
الرشاشة نحوها.

قال فلوريان أمراً: "أطلق النار عليها"
التفت كارل إلى فلوريان: "هل تريدني حقاً أن أطلق النار على إيريكّا"
"إنها خائنة"

قال صوت جاء من خلف فلوريان ودافيد: "يتعيّن عليك أن تقتلني أولاً"
استدار دافيد ورأى السلاح الذي كان على الطاولة في يد رينختر الذي صوّبه
إلى كارل.

دفع سيباستيان الباب بقوة أكبر، وما لبثت الطرقات أن تحولت إلى أصوات
ارتطامٍ مدوية.
قالت إيريكّا: "لا يمكننا السماح لسيباستيان بالدخول إلى هنا. إنه رجل
خطير، وسبق له أن أُردي أحد الحراس..."

صرخ دافيد بعد أن أشار إلى القسم الخلفي من الغرفة: "حرّري المحتطفين
بسرعة. ستجدين سلماً تحت نافذة الزاوية الداخلية يؤدي إلى المصنع. يمكنك أن
تقدميهم إلى الطابق السفلي من هناك"

سمع لاغران صراخاً وفوضى في الطابق العلوي فتوقف وسط السلم المعدني.
بدأ بالتراجع بحركة غريزية، لكنه أدرك في هذا الوقت ماذا تعني نهاية أزمة الرهائن
بالنسبة إليه.

رأى لاغران بعد ذلك غوسينز فوق سلمٍ مثبتٍ بالجدار ويؤدي إلى الطابق
الثاني.

صرخ غوسينز بلاغران وهو يهبط السلم: "اخرج من هنا، وبسرعة"
"ماذا يجري هناك في الداخل"

"انقلب الخاطفون بعضهم ضد بعض. اخرج من هنا. الآن!"

ظهر في هذا الوقت لومباردي، وهو رئيس كريديتو ناسيونالي، في أعلى السلم. قرّر لاگران استغلال هذه الفوضى لصالحه، والتحرك قبل تمكّن الزوجين كوبر من الخروج من الغرفة. أسرع بصعود السلم المعدني، ثم حدّق إلى داخل غرفة التحكّم حيث رأى رجلاً يدفع بثقله على باب وسط جدار بعيدٍ عنه. لم يلاحظ الرجل لاگران الذي وضع الكيس البلاستيكي الذي يحتوي على المتفجرات إلى جانب الجدار، وما لبث أن أسرع عائداً إلى السلم المعدني. سيتمكن مايز بهذه الطريقة من تفجير العبوة بواسطة محوّل للتحكّم عن بُعد، وذلك فور خروجه من المبنى.

نزل لاگران عن السلم وتوجه نحو الأبواب الخارجية، وما لبث أن توقف فجأة. رأى أمامه رجلاً ضخماً أسود البشرة.

قال راي بعد أن أمسك لاگران من ذراعه، وبدأ بجرّه إلى أعلى السلم: "لن تذهبَ إلى أي مكان"

حدّق مايز من مكان اختبائه وراء شجرة، بينما بدأ غوسينز بالركض خارج المصنع مع غرينفيل، وكان الرجل الإيطالي وراءهما. لكن ديلفو لم يكن معهما. لاحظ بعد ذلك فرقة الهجوم التابعة للشرطة وهي تطبق على المبنى من عدة اتجاهات.

ضغط مايز على جهاز التفجير عن بُعد الذي يمسكه بيده، لكنه عجز عن رؤية لاگران حتى الآن، ولم يعرف أي شيء عن مكان وجود المتفجرات. أدرك مايز أن الخطة التي وضعها قد فشلت لأن الرهائن بدأوا بالهرب، كما أن الشرطة نفّذت هجومها، ومن المحتمل أن يستسلم الخاطفون من دون مواجهة. يعني ذلك بأنه يتعيّن عليه التحرك قبل فوات الأوان.

بدأ بالسير مترنحاً نحو المصنع وهو يحمل جهاز التفجير عن بُعد بإحدى يديه، وبندقيته باليد الأخرى. ثم بدأ يسمع الصرخات التي تردّد داخله.

حاول دافيد في هذه الأثناء الضغط بركبتيه على فلوريان لإبقائه أرضاً وأمسكه بيديه من منطقة الرسغين.

قالت كاتي أثناء انهماكها بفكّ رباط ديلفو: "انزل على السلم المعدني" أما لومباردي فقد اختفى على الفور بعد نزوله.

ابتعد ديلفو مترئحاً، ربما بسبب سته. تناول بعد مروره قرب الطاولة حاسوب فلوريان ثم أرجع يديه إلى الوراء بشكل قوس كبير تحضيراً لرميه خارج النافذة إلى المصنع. راقب دافيد ما يجري مندهشاً، لكنه لم يتمكن من إفلات قبضته عن فلوريان. وقف ريجنر في أقرب مسافة من ديلفو، فصرخ به بعد أن صوّب سلاحه نحوه: "توقف!"

سُمع في هذه اللحظة بالذات صوت الباب الذي انفتح بقوة نتيجة الضغط الشديد الذي تعرضت له المفصلات.

صرخ الخاطف الذي يُدعى سيباستيان من مكانه بالقرب من الباب وهو يحمل بندقيته الرشاشة بيديه: "قفوا حيث أنتم. جميعاً"
قال الرجل الذي يُدعى كارل: "كلا. فات الأوان لهذا. علينا أن نخرج من هنا..."

صرخ آرنو بأعلى ما أوتي من قوة: "هيا بنا نخرج الآن"
التفت ديلفو نحو ريجنر وهو يحمل الحاسوب بكلتا يديه.
سأل ديلفو بعد أن اقترب أكثر من النافذة، وأبعد الحاسوب عنه أكثر تمهيداً لرميه: "هل ستطلق النار عليّ"

لكن ريجنر، وبدلاً من إطلاق النار، وثب إلى الأمام، وتمكّن من الإمساك بالحاسوب محاولاً إبعاده. لم يقلت ديلفو الحاسوب واشتبك مع ريجنر، الأمر الذي أدى إلى وقوع الحاسوب على الأرض.

حاول فلوريان التخلص من قبضة دافيد الذي ضغط عليه بركبته، لكن دافيد رفع مرفق فلوريان إلى الأعلى بشدة فصرخ من شدة الألم.

لاحظ دافيد فجأة حركة بالقرب من الباب، ثم دخل راي وهو يدفع لاغران أمامه بينما حمل بندقية بيده الأخرى.

صرخ راي: "وضع هذا الرجل عبوةً ناسفةً في غرفة التحكّم. إنها في الخارج الآن، لكن قد يحدث أي شيء. لا يمكننا الوثوق بأي شخص الآن، وليس حتى بالشرطة التي تحاصر المبنى!"

صرخ ريختر: "الشرطة؟ ماذا يجري هنا، بحق السماء؟"

صرخ آرنو مرتعباً: "حان الوقت لنخرج من هنا. هيا بنا!"

لمح دافيد في هذه اللحظة أحد المهاجمين من رجال الشرطة من خلال باب غرفة التحكّم المفتوح، ثم رأى رجلاً ثانياً، ورجلاً ثالثاً...

اندفع فلوريان فجأة من تحت دافيد، وحرّر ذراعيه وما لبث أن هاجم صدره بمرفقه، وهو الأمر الذي أفقد دافيد قدرته على التنفس بحرية. بدأ دافيد باللهاث، ثم رأى الشرطي المهاجم في الخارج وهو يتقدم بيندقيته الرشاشة، بينما أسرع فلوريان إلى التقاط المسدس والحاسوب المرمي على الأرض.

صاح الشرطي المهاجم: "اتركوا سلاحكم. انبطحوا أرضاً!"

خفض اثنان من الخاطفين سلاحهما، لكن سياستيان اندفع نحو الزاوية قبل وصوله إلى الطرف الآخر من الغرفة، أي حيث النافذة التي هرب الرهائن منها.

وصل فلوريان إلى حيث كان مسدسه مرمياً، وأطلق منه رصاصة نحو الشرطي الذي احتبأ بدوره وراء الجدار. أطلق فلوريان مسدسه مجدداً، واندفع نحو ديلفو ثم أمسكه ليكون درعاً بشرياً له. سحب فلوريان في هذا الوقت الحاسوب الذي كان مفتوحاً قليلاً نحوه مستعيناً بساقه.

صرخ فلوريان وهو يضغط بماسورة مسدسه على صدغ الرجل: "ابقوا حيث أنتم جميعاً وإلا سأطلق النار على ديلفو. رفع الحاسوب بيده الأخرى ووضعها على الطاولة، ثم حرّك يده على لوحة المفاتيح وقال: "سيرى العالم شريط الفيديو هذا، ولو كان ذلك آخر شيء أقوم به..."

حاول دافيد التقاط أنفاسه بينما كان راكعاً على الأرض ثم حدّق إلى ما يدور من حوله. رأى المؤشّر على الشاشة يتحرك نحو زر الإرسال، بينما كان فلوريان مستعداً للضغط عليه.

استجمع دافيد كل ما تبقى له من قوى، واندفع مسرعاً، ثم تمكّن من رفع الطاولة الثقيلة قليلاً، لكن بما يكفي كي ينزلق الحاسوب إلى الجهة الأخرى قبل أن يسقط إلى الأرض مخفياً عن الأنظار. قفز دافيد من فوق فلوريان الذي وجّه السلاح نحوه، وأمسك بمعصمه في اللحظة ذاتها التي انطلقت فيها الرصاصة. تعارك الرجلان على الأرض بينما زحف ديلفو بعيداً. صرخ رجل الشرطة بأوامر لم يتمكن دافيد من تمييزها، بينما حاول فلوريان خنقه وبدأ يشعر بالدوار.

انطلقت رصاصة بعد ذلك، ثم ظهرت فجوة حمراء في جبهة فلوريان وما لبث أن تهاوى فوق دافيد. جهد دافيد لاهتاً في دفع جسد فلوريان عنه، ثم اقترب منه شرطيان، لكنه تمكّن من رؤية شخص جديد وراءهما: آرنو مايز.

شهر مايز سلاحه في وجه دافيد مباشرة، لكنه كان يعلم أن مايز يريد القضاء عليه، وذلك لأنه الشاهد الرئيس على جريمته.

انطلقت بعد ذلك رصاصة أخرى محدثةً دويماً أعلى من سابقتها، وما لبثت الدماء أن انسابت غزيرةً من صدر مايز، لكنه بقي واقفاً للحظة من الزمن قبل أن يتهاوى على الأرض.

رأى دافيد اثنان من مهاجمي الشرطة وهما يشهران سلاحيهما نحو دافيد الذي وقف بالقرب من الجدار رافعاً يديه فوق رأسه. لكنه كان ممسكاً ببندقيته التي أطلق النار منها على مايز. صرخ الشرطي بأمر حازم على راي الذي أمسك بطاقة تعريف شخصية بإحدى يديه.

صرخ راي عارضاً بطاقته للشرطة: "توقفوا عن إطلاق النار. أنا من الاستخبارات البريطانية! أراد مايز قتل هذا الرجل، وهو مواطن إنكليزي. إنه زوجته شاهدان رئيسان في قضية فساد مهمة في الاتحاد الأوروبي..."

خفض راي ببندقيته ووضعها على الأرض أثناء كلامه. أسرع رجال الشرطة نحوه ودفعاه أرضاً.

تابع راي كلامه: "أم. آي. 6 [الاستخبارات السرية البريطانية] كانت تحقق بالتعاون مع وكالة مكافحة الفساد الوطنية البريطانية... لأن هيئات المراقبة في

الاتحاد الأوروبي تورّطت في هذه المخالفات. يُضاف إلى ذلك أن نائب المدير العام لاغران متهم بارتكاب جرائم خطيرة"
تلقّف دافيد كلمات راي بكل اهتمام، لأنها تفسّر، وعلى الفور، أموراً كثيرة كانت غامضةً حول هذا الرجل.

شاهد دافيد زوجته كاتي من تحت الطاولة وهي تسحب الحاسوب الذي وقع على الأرض نحوها، وما لبثت أن انتزعت شريط الذاكرة المؤمنة ثم دسّته في جيبتها. بدأت بعد ذلك بالنقر على لوحة مفاتيح الحاسوب وسط كل هذه الفوضى العارمة.

ضغطت كاتي على آخر زرٍ في لوحة المفاتيح في الحاسوب في لحظة وصول الشرطة لمساعدة دافيد على النهوض. قالت كاتي لزوجها: "محوت التسجيلات"
ارتسمت ابتسامةٌ على شفّتي دافيد.

انعطفت شاحنة مقفلة بيضاء من نوع فيات دوكاتو من شارع فيا كريتوفورو كولومبو إلى الباحة الداخلية للمبنى التجاري الضخم الواقع في حي EUR في روما. ركزت كاميرات المراقبة الأمنية في مبنى الإدارة العامة لمصرف بانكا كريديتو ناسيونالي على الباب الذي يُطوى مثل الأكورديون، وهو الأمر الذي يسمح لشاحنة تصليحات أنظمة التهوية بالدخول إلى المنحدر الذي يؤدي إلى الطابق السفلي من المبنى. سارت خلف هذه الشاحنة المقفلة سيارة نيسان مورانو "سبور" بنوافذها الجانبية المظلمة، وكذلك شاحنتنا صيانة أخريان. كانت هذه العربات مرئية عند دخولها، ومن زوايا عديدة في شاشات المراقبة التي ترصد أمن هذا المبنى.

قال رئيس أمن المصرف عند دخوله مكتب الحارس المسن الذي أصلح من جلسته على كرسيه: "مساء الخير حوليو"

تابع رئيس الأمن كلامه: "إنه يوم الصيانة" تقدّم بعد ذلك، وضغط على لوحة أزرار التحكم في الدخول. ظهر على شاشات المراقبة موكب عربات التصليحات عند اقترابه من الباب D في الطابق السفلي الأول المخصّص للسيارات والصيانة والمضاء بمصابيح الفلوريسنت. لكن الصورة اختفت فجأة عن الشاشة.

قال رئيس الأمن قبل خروجه من الباب وتوجّه نحو الباب D: "جوليسو، بإمكانك المغادرة باكراً هذا اليوم. إننا مضطرون إلى تحديث برنامج نظام المراقبة. سأبقى هنا حتى يبدأ فريق المناوبة التالي"

كان هذا الباب مخصّصاً في العادة للعربات المصفحة التي تنقل شحنات من

النقد.

عند وصول رئيس الأمن إلى الباب سارت نحوه مجموعة من الرجال الذين يرتدون أثواباً فضفاضة هي الأزياء الرسمية لشركة نقل أموال بالعربات المصفحة، وكان الرجال يحملون مستوعبات من الأموال النقدية في كل يد. لم يعرف رئيس الأمن حقيقة ما يجري، لكنه عرف أن المصرف يواجه بعض الصعوبات التي لا تسمح له باستقبال بعض الأموال الاحتياطية. تلقت دائرة الأمن في المصرف خلال النهار تعليمات استثنائية من الإدارة العليا، والتي يجب تطبيقها في حال اضطرت الإدارة إلى إبقاء أبواب المصرف مغلقة في الصباح بسبب نفاذ السيولة المالية.

تطلع رئيس الأمن بارتياح بينما كان مزيداً من الرزم المالية يتكدس في رفوف المصرف. لم يسبق لهذا الرئيس أن رأى هذه الكمية من الأموال النقدية في المستودع. كانت سيارة مصفحة واحدة تأتي في المرة الواحدة محملة بأموال كهذه، لكنه رأى الآن عربةً ثالثة ورابعة تابعة لشركة الصيانة وهي تنزل على المنحدر.

وقفت امرأة أمام مستشفى سانت لوك في وولوي في بروكسل، وكانت تدخن بينما لفت بطانية حول رداء المرضى الذي ترتديه في المستشفى، كي تقي نفسها برد المساء.

تقدّم دافيد كاتي خلال دخولهما إلى ردهة المستشفى الذي كانت تفوح منه الرائحة المألوفة في باقي المستشفيات. أتى الزوجان مباشرة من مبنى الشرطة الذي يقع في وسط بروكسل حيث خضعا لاستجواب مطوّل. قال الطبيب الذي فحص جروح كاتي هناك إنها ليست خطيرة، كما أكدّ رأي أوبوندي على براءتهما بوصفهما شاهدين، وليسا مشتبهاً بهما.

فهم الزوجان بسرعة أن جميع المعنيين يريدون عدم كشف مسألة الاختطاف، كما أن وسائل الإعلام لم تذكر شيئاً عن مجريات الأحداث في جينفال. أعطى هذا الأمر مجالاً لدافيد للمناورة، وهو الذي كان يخشى ممّا سيحدث ما إن تعرف ماجدا نويسكي والهولندي بمقتل ماييز. لكن بالرغم من ذلك كانا يتوقعان المكافأة التي وعدهما بها، كما أن دافيد رغب في ترتيب الأمر بطريقة أو بأخرى. كان آخر ما يهمله هو القلق بشأن الأجرة غير المدفوعة لقاتلين ماجورين.

لكن ما إن بدءا بمغادرة مبنى الشرطة حتى تسلّما مظروفاً كبيراً. تضمّن المظروف بطاقة زيارة فرنسوا ديلفو مرفقةً بورقّة مكتوبةً بخط اليد، والتي توحى بالثقة الطبيعية بالنفس: "آمل منكم الانضمام إلّي لتناول الشاي في منزلي في واترلو اليوم عند الساعة 16:00"

خرج دافيد من مصعد المستشفى إلى المرمر، وسار خلف كاتي، ثم توجّه نحو الغرفة التي أشارت إليها الممرضة. شاهد الزوجان هناك والد كاتي مستلقياً شاحب الوجه، وشبه مستيقظ.

قرب دافيد كرسيين من السرير، لكن كاتي بقيت واقفة.
"كاتي..."

أجبرت كاتي نفسها على الجلوس، لكن دافيد شعر بالمشاعر المتناقضة التي تعصف بزوجته.

رطب آرتو شفثيه وجهه للقول: "سبق لي أن وعدت نفسي بالآ أقول لك هذا الأمر أبداً... لكنني أدركت الآن بأنني لا أستطيع اتخاذ هذا القرار، كما أنني لا أملك الحق في تغيير الماضي. يتعين عليك أن تعرفي الحقيقة".

لاحظ دافيد أن كاتي أغمضت عينيها، وكأنها تتوقع سماع ما يشبه الصدمة.

"قلت لك سابقاً إنني تلاعبت بالبيانات المالية العائدة لآخر أيام شركتنا. أدى ذلك إلى نشوء مزيد من الفوضى... و... فعلت أمك أخيراً ما فعلته... تحول صوت آرتو الذي كان هادئاً في السابق إلى ما يشبه الهمس.
وقفت كاتي وكأنها تمثال.

تحركت شفثا آرتو الخاليتان من اللون والجافتان بصعوبة: "كذبتُ عليك. كانت ميرجا هي التي اقترحت التلاعب. قاومتها إلى النهاية، لكنها غيرت الأرقام، إلا أنني تحمّلت الملامة وحدي. لم أرغب أن تقوم... توقف آرتو عن الكلام هنا، وأخذ نفساً كي يتابع الكلام، لكن ذلك بدا صعباً عليه.

تحركت كاتي مقتربة أكثر من حافة السرير، ثم أمسكت يد والدها. تابع آرتو كلامه: "أردت... أن تكون ذكرياتك عن والدتك... نقيّة..."
مسدت كاتي ظاهر يد والدها.

حرق الصوت الذي يدل على وصول رسالة نصية، والذي انطلق من هاتف دافيد الصمت المخيم على الغرفة.. حفل دافيد عند رؤيته هوية المتصل.
لورنزو كاسانو.

فتح دافيد الرسالة النصية بأصابع مرتعشة بينما تسارعت نبضات قلبه. بدأت كاتي تقترب منه. مسحت الدموع من عينيها ثم وقفت بالقرب منه كي تقرأ الرسالة على شاشة الهاتف.

فكر دافيد بالابتعاد، لكنه اقتنع في آخر لحظة بضرورة البقاء حيث هو. لم يعد بوسعه، كما لا حاجة به، للأسرار بعد الآن.

"تعال في غضون ساعة من الزمن إلى المكان الذي زعمت في أول مرة التقينا فيها في لندن أنه أجمل أماكن بروكسل. لكن الضمادة في خدي سوف تجعل من عملية التعرف عليّ أكثر صعوبة. أريد أن أثيرك شيئاً وأنا متأكد من أنه سوف يهملك. سأنتقل الآن إلى طريقة حياة جديدة. حياتي القديمة انتهت"

همست كاتي: "لن تذهب، أليس كذلك؟"

فكر دافيد في ما عساه يقول، وعلى الأخص لأن لديه وقتاً كافياً لمقابلة لورنزو قبل الاجتماع بديلفو.

"بمّر لورنزو بوقتٍ صعب، كما أنه ليس لديه ما يخسره، ولذلك قد يمتلك فعلاً شيئاً مهماً ليقوله لي، وقد يكون شيئاً قد نستفيد منه. دعينا نذهب إلى واترلو مروراً بمتنزه بيتيت سابلون. هذا هو المكان الذي عناه لورنزو. تحدّثت معه عن هذا المكان عندما سألتني عن أفضل مكان يمكن الذهاب إليه في بروكسل"

انتصبت تمائيل برونزية فوق أعمدة في ساحة متنزه بيتيت سابلون وهو أشبه ما يكون بحديقة، ويقع في وسط بروكسل، كما خفت أصوات السيارات المارة في الشوارع المحيطة.

نظر دافيد إلى لورنزو نظرة ملؤها الشفقة والاهتمام، وهو الذي كان واقفاً بالقرب من سيارة الأودي المركونة في طرف الساحة. شاهد دافيد ضمادة بلون الجلد وهي تغطي خده الأيسر. صبغ الرجل شعره وقصره، كما ارتدى بنطالاً من الجينز وكنزة. كان من الصعب التعرف على الرجل لو أنه رآه في الشارع.

قال لورنزو بصوتٍ أجش: "أدهشتني يا دافيد"

"لم أكن أعرف ما يحتويه حاسوبك"

تقدّم دافيد أكثر نحو السيارة، لكن كاتي انتظرتة على بُعد مئة مترٍ داخل سيارة اللاند روفر التي أعادها راي. قال راي إن رؤسائه في لندن لم يعجبهم أخذه مكافأة إضافية مقابل قيامه بوظيفته.

تابع لورنزو كلامه: "إنني منحرف المزاج قليلاً"
"أعرف ذلك"

توقف دافيد فجأة بعد أن لاحظ أن شخصاً ما يجلس في المقعد الخلفي للسيارة.

"ألست وحدك؟.."

"لا تقلق. إنها خطيبي جينا، وهي التي ساعدتني على الخروج من مأزقي مع رجلين آخرين في أحد أقبية باليرمو"

نظر دافيد بتشككٍ إلى المقعد الخلفي للسيارة، بينما كان يهيم بالصعود إلى المقعد بجوار السائق. كانت المرأة في نحو الخامسة والثلاثين من عمرها، وهي ذات شعرٍ داكن اللون.

قالت المرأة بعد أن أنزلت نظاراتها الشمسية للحظة: "مرحباً" لكن تلك النظرة في عينيها البنيتين أوحى بشكٍ كبير تجاه دافيد.

قال لورنزو: "جينا، زميلتي، وهي درست الاقتصاد في جامعة بوكوني في ميلانو، وحصلت بعد ذلك على درجة الدكتوراه. عملت جينا بعد ذلك في كريديتو ناسيونالي وسيطة"

شعر دافيد بفضول شديد.

"سأقول لك شيئاً الآن لا يعرفه إلا ستة أشخاص آخرين فقط"

تأكد دافيد من صوت لورنزو الأجهش والحازم بأنه لا يبالغ.

"كانت جينا هي التي أجرت تجارة العقود الآجلة التي تبين أنها خاسرة، والتي كادت أن تطيح كريديتو ناسيونالي. لكنها لم تجر هذه العقود من تلقاء نفسها بل بناءً على أوامر تلقتها من المصرف، لكن المافيا هي التي دفعت لها لإجراء هذه العقود.

شعر دافيد بدوار، بينما كانت كلمات لورنزو تتغلغل في وعيه.

"دفعت المافيا عمولات جينا، وكانت المافيا تدفع لها أكثر كلما تسببت بخسائر أكبر لكريديتو ناسيونالي. تعلم كذلك أن قيمة هذه العقود كانت كبيرة جداً"

أغمض دافيد عينيه. كانت هذه الاستراتيجية مذهلة وعبقرية في بساطتها: يعمد أحد موظفي كريديتو ناسيونالي، يعمل لدى المافيا إلى التسبب عمداً بخسائر هائلة نتيجة تجارة المشتقات المالية، وهو الأمر الذي تسبب في دفع المصرف نحو الهاوية. لم يكن ذلك بالأمر الجديد في عالم المصارف - وعلى سبيل المثال مصرف بايرنغز في إنكلترا - أن ينهار مصرفاً ما بسبب الخسائر الناتجة عن تجارة العقود الآجلة، وهي الخسائر التي قد تصل إلى مبالغ خيالية في لحظة واحدة.

كانت المافيا تعلم أن الاتحاد الأوروبي لن يسمح باهتزاز كريديتو ناسيونالي مهما كان الثمن، وهكذا عرضت على بروكسل خطة الإنقاذ عن طريق لاغران. لكن لاغران، أو أي شخص آخر في بروكسل، لم يكن يعلم أن المافيا هي التي رتبت أمر هذه الخسائر لمصرف كريديتو ناسيونالي، وذلك بهدف الحصول على فرصة "إنقاذ" المصرف بمبالغ الضخمة التي تنتظر غسلها.

كانت النتيجة النهائية لهذا الوضع هي أن المافيا تمكنت، وبعمليةٍ وحيدة، من غسل مبالغ غير مسبوقه من الأموال، كما تمكنت في الوقت ذاته من إحكام قبضتها على مؤسسات الاتحاد الأوروبي.

نظر دافيد إلى لورنزو وخطيبته.

"لمذا تقول لي كل هذا؟"

"أقول لك هذا لأن حياتنا في أوروبا قد انتهت. تغادر طائرنا مطار زافينتينم في وقت متأخر من هذه الليلة. سنسافر إلى أبعد نقطة ممكنة ثم ستقلنا طائرة أخرى إلى مكان أبعد. لكننا نحتاج إلى شخص في الخارج كي يساعدنا إذا ما احتجنا إلى مساعدة، أو إذا ما تعرّضنا إلى حادث. أنت الشخص الوحيد الذي يعرف طبيعة المعلومات التي كانت على حاسوبي

مدّ لورنزو يده.

"وداعاً يا دافيد. أتمنى لك كل الخير"

قال دافيد مصافحاً جينا بدورها: "أنا كذلك" ألقى دافيد نظرة أخيرة على لورنزو، قبل أن يخرج من سيارته التي ما لبثت أن ابتعدت مسرعة. وقف دافيد في الشارع مشدوهاً.

اقتربت كاتي من دافيد بعربة اللاند روفر، وتوقفت إلى جانبه. صعد دافيد إلى السيارة من دون أن يتلفظ بأي كلمة.

سألت كاتي وهي تضغط على دواسة الوقود: "حسناً؟"

اعتبر دافيد في البداية أنه من الأفضل له أن يلتزم الصمت بشأن ما سمعه كي يحمي كاتي، لكنه أدرك بعد ذلك أنه لا يستطيع تحمّل المسؤولية وحده في كل مرة. أبلغها دافيد بكل ما سمعه من لورنزو.

قالت كاتي: "يعني ذلك أن المافيا خدعت لاغران والاتحاد الأوروبي؟"
"أجل"

كان دافيد يود لو يتوقف في أقرب مطعم لكي ينشّط قوة تفكيره، ويستعيد تركيزه، بجرعة من الشراب البلجيكي، لولا اقتراب موعد لقائه بديلفو.

أضفت الشمس الغاربة ضوءاً ذهبياً على جذوع أشجار النخيل، في الحديقة التي تذكّر المرء بالجنان. كان قوس رذاذ الماء المنطلق من نافورة مضبوطاً بشكل لا يترك على العشب سوى قطرات لامعة، لكنه يترك ممر الحصى المسحوق جافاً، بينما كان دافيد وكاتي يسيران فوقه.

تبع الزوجان رجلاً يرتدي بذلة داكنة، وهو الرجل ذاته الذي استقبلهما في موقف السيارات المعبد بالإسفلت، وهو نفسه الذي قدّم لهما بطاقة الدعوة في وقت سابق من اليوم عند مغادرتهما مركز الشرطة.

بدا المنزل الفخم أكثر روعةً عند رؤيته تماماً وصفته كاتي. أما سيارة البنتلي المركونة بالقرب من المدخل الأمامي فقد عزّزت من فخامة المنظر. دُعي الزوجان للدخول إلى هُو فخم، وبعد ذلك إلى غرفة مكتب تتوسطها طاولة مغطاة بقماش، وانتشرت فوقها أطباق البورسيلان، وأدوات الشاي الفضية.

دخل فرنسوا ديلفو الغرفة وصافحهما، لكن عطر ما بعد الحلاقة فاح من حوله.

تصرّف ديلفو وكأن شيئاً غريباً لم يحدث في اليوم السابق. لكن الضمادة اللاصقة فوق ياقة قميصه في مكان غير بارز، وخدشاً صغيراً في ظاهر يده، كانا الدليلين الوحيدين على ما حدث.

وجّه ديلفو كلامه إلى كاتي: "لا بدّ أنك تعرّفتِ الآن إلى هذا المكان جيداً" توقف أحد الندلاء بالقرب من ديلفو الذي سأل: "أتريدان شرب الشاي أم القهوة؟"

"شكراً لك. تناولنا الطعام قبل قليل. جئنا لنعرف ما تريد أن تقول لنا"

لم تُظهر ملامح وجه ديلفو أي ردّ فعلٍ على كلمات دافيد.

"حسناً. سأدخل في صلب الموضوع مباشرة. دعونا ندخل لنجلس إذاً"

فتح ديلفو نصف فتحة الباب المزدوج الذي يؤدي إلى غرفة المكتبة والتي تحتوي على القطع الأثرية العائدة لمونيه، والتي سبق أن تحدثت عنها كاتي. جلس الثلاثة في مقاعد وثيرة قبالة الموقد.

"عثرنا بالفعل على جهاز تنصّتٍ لاسلكيٍّ مع فيديو في غرفة فندق شاتو أنطوانيت. تعرفان أن هذا النوع من التنصّت يُعتبر جريمةً بحسب القانون البلجيكي. لكننا لا نعزم إثارة الموضوع أكثر من ذلك إذا قمتما بتسليمنا التسجيلات مع التعهّد بتدمير أي نسخٍ"

جلس دافيد صامتاً وهو يتذكّر سلوك ديلفو الهائج داخل مبنى المصنع، بعد الهجوم الذي قامت به الشرطة. لم يكن التأكيد من تحطيم شريط فيديو الاختطاف كافياً بالنسبة إليه، وأصرّ أن تقوم الشرطة بالتفتيش عن شريط الذاكرة المؤمنة الذي يحتوي على تسجيلٍ كاملٍ للاجتماع، كما زعم أن دافيد وكاتي ينتميان إلى جماعة إرهابية، ولهذا السبب تم تفتيشهما بدقة. لكنه بدا مهتاجاً عندما لم يظهر أي أثر لشريط التسجيل.

كان سلوك ديلفو في هذا الوقت منضبطاً بعناية وعملياً.

قال دافيد: "سأتكبّد خسائر مالية رهيبة وفورية إذا تم تنفيذ خطة إنقاذ كريديتو ناسيونالي التي تظهر في شريط الفيديو، وإذا نفّذت كما هو مقرر أطرق ديلفو لحظة ثم قال: "ما هو المبلغ الذي تتحدث عنه؟"

"تسعون مليون يورو إذا أخذنا بالاعتبار تأثيرات هذه الخطة على العقود التي أجريناها"

جمع دافيد خسائره الناتجة عن تجارة مسموحات الانبعاثات، والصفقات المصرفية المكشوفة، بالإضافة إلى أحور نويسكي والرجل الهولندي.

لم يُظهر ديلفو أي رد فعلٍ محدّد لدى سماعه هذا الرقم. صمتَ برهةً ثم تابع: "لا أعتقد أن الدخلاء الذين لا حظّ لهم بالكسب سيقدرّون على فهم المسائل الخطيرة التي عاجلناها في ذلك الاجتماع. فتحت جميع المصارف في إيطاليا أبوابها

هذا اليوم، وسوف تستمر الحياة كالمعتاد، لحسن الحظ. كانت إحدى أهم المراحل في تطور أوروبا هي إنشاء السوق المشتركة. عملنا منذ ذلك الوقت على إبرام اتفاقية التجارة الحرة بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة. إن إبرام هذه الاتفاقية أصبح أقرب الآن مما كان عليه الأمر في أي وقت مضى، لكن التقدم في هذا المجال لن يضع أي قيد على القطاع المصرفي، أو يضع أي ضغوط على اليورو"

لم تُظهر ملامح ديلفو أي شيء خاص. "يمكنني القول الآن بأننا سنغطي خسائرنا بشرط تدمير شريط تسجيل الاجتماع. سيقوم مصرفي بترتيب الأمر وضع دافيد يده في جيبه وتناول شريط الذاكرة المؤمنة الصغير، والذي سبق أن خبأته كاتي في شق صغير في الجدار الحجري من المصنع وذلك قبل وقت قصير من تفتيشها. تمكنت بعد ذلك من استعادته قبل مغادرتهم المكان، ومن دون أن يلاحظها أحد.

مدّ ديلفو يده، وما لبث دافيد أن أسقط فيها الشريط صغير الحجم. أدخل ديلفو بعد ذلك الشريط في الفتحة المخصصة في جانب الحاسوب، وضغط على أزرار عدة.

ظهرت على الشاشة غرفة الاجتماعات في شاتو أنطوانيت. سُمع من مكبرات الصوت صوت ترافق مع بعض التشويش: "أيها السادة. تمت الدعوة لهذا الاجتماع بسرعة كبيرة لمعالجة وضع خطير..."

ضغط ديلفو على زر، وما لبثت الصورة أن اختفت. "هل أخذت نسخاً عنها؟"

"كلا. هذه هي النسخة الوحيدة الموجودة"

"سيقوم خبير التقنية عندنا بالتأكد من ذلك بناءً على التسجيل. سيُلغى اتفاقنا على الفور إذا ما تبين لنا وجود نسخ أخرى"

تناول ديلفو قلماً وورقة من طاولة صغيرة ثم كتب شيئاً ما على الورقة.

"سأعطي تعليماتي إلى المسيو جرمان. ستذهب لرؤيته على الفور في جادة لويزا. اذهب الآن وعلى الفور. لا أريد إجراء مكالمات هاتفية ولا رسائل بريد إلكتروني"

نزع ديلفو الورقة وناولها إلى دافيد ثم نهض. "شكراً لزيارتكما. أتمنى لكما النجاح"

نهض دافيد وكاتي من بعده، لكن دافيد تلكأ قليلاً. "أعتقد أن المبلغ التسعين مليوناً لن يأتي من جيوب دافعي الضرائب الأوروبيين، أليس كذلك؟"
حدق ديلفو إلى دافيد مندهشاً، ثم قال ضاحكاً: "لا تقلق. إنها أموال خاصة، وهي أرباح الاستثمارات التي يربتها مصرفيون مثلك تماماً"
أوماً دافيد واستدار ليغادر، لكنه لاحظ عندها كاتي وهي تشير إلى صورة جان مونية المعلقة على الجدار.

قالت كاتي: "خطط المسيو مونية للعملة الموحدة، لكنه بالكاد تمكن من تصور إلى أي مدى ستذهب بروكسل لإنقاذ هذه العملة"
تحولت نظرة ديلفو إلى الحدة للمرة الأولى في هذا اللقاء: "على العكس من ذلك يا مدام كوبر. يحتاج الناس إلى الرخاء أكثر من أي شيء آخر، ولهذا أسس مونية الاتحاد الأوروبي من أجل زيادة رخاء الشعوب. إذا ساد الرخاء ستندعم الحاجة إلى الحروب وتزدهر المجتمعات. لا تستطيع العقائد إضاءة شمعة في طريق الثروة، لا الشيوعية، ولا الاشتراكية، ولا الرأسمالية، ولا حتى الديمقراطية. لا توجد ديمقراطية في الصين، ولا حرية التعبير عن الرأي هناك، لكنهم يمتلكون حرية الاستهلاك. كان الأمر ذاته ينطبق على روسيا قبل عقوباتنا الاقتصادية عليها. لكن حرية الاستهلاك تتطلب حرية انتقال الأموال والأسواق. أما إذا كانت أحوال المرء المالية على ما يُرام فإنه لن يكثرث بهوية الشخص الذي يدير هذه الأموال. يعني ذلك أن رجال المصارف أكثر عقلانية من السياسيين، لكنهم يحتاجون إلى السياسيين كغطاء لهم بطبيعة الحال"

أصغى دافيد مصدوماً. سار ديلفو نحو الباب وفتحها لهما واضعاً يده على المقبض المزخرف للباب. "كان مونية، وبصفته مصرفياً، يعرف أن رخاء الشعب يعني ازدهار المصارف. أما إذا كانت المصارف تشكو من الضعف فإن الناس سيكونون في حالة ضعف. يعني ذلك، ومع الأسف، أن مصلحة المصارف تأتي قبل مصلحة الناس... وداعاً مدام ومسيو. سيرافقكما بيار إلى الخارج"

قالت كاتي بنبرة مفاجئة جعلت دافيد يشعر بالقشعريرة: "قتلت صديقتنا آينو جاكولا بعد اكتشافها مدى فساد نائب المدير العام لاگران. هل ستخضع أعمال لاگران للتحقيق الآن؟ هل سيواجه المحاكمة؟"

"بطبيعة الحال سيواجه المحاكمة. إذا كنتِ تمتلكين معلوماتٍ بهذا الخصوص يمكنك أن ترسلها مباشرة إلى مكتب مكافحة الفساد في الاتحاد. سيقوم OLAF بإجراء تحقيقٍ معمقٍ في هذه القضية"

سار دافيد وكاتي وراء خادِم ديلفو عبر الحدائق الرائعة والألوان الزاهية. تابع الزوجان طريقهما نحو السيارة بصمتٍ يسوده التوتر، ثم جلسا في مقعديهما. قالت كاتي بعد أن أغلقت الباب: "نعرف الآن أن مصلحة المصارف تأتي قبل مصلحة الناس

شغل دافيد محرك السيارة، وقال: "في كل مرة يمضي الناس فيها أوقاتاً أكثر في بروجهم العاجية يبدأون بخسارة ارتباطهم مع الحياة الحقيقية"

"ألا تعتقد أن هذا ما يحدث للسياسيين الذين يحكموننا؟"

"اعتقدت ذلك قبل وقتٍ قصير، وعلى الأقل جزئياً" استدار دافيد بالسيارة، وتوجّه نحو البوابة. "لكن على مدى الأيام القليلة الماضية أدركت مدى هشاشة البنيان الذي يستند إليه نفوذ النخبة، متى يقرر الناس البدء باستخدام سلطاتهم"

"لم أكن أعلم أن فيلسوفاً اجتماعياً يختبئ في داخلك"

"شكراً لك"

التفت كاتي نحوه بعد أن رسمت ابتسامةً على شفيتها. "أتعرف يا دافيد أنني كنتُ أهكّم"

حاول مارتن الحفاظ على هدوء أعصابه في المعهد الموسيقي، وتطلّع إلى أنوار المساء الذهبية التي تنعكس على وادي الراين، والذي ينساب فيه النهر متلوياً من خلال التلال المغطاة بالأشجار.

قال بافل آنوسوف: "فشل المشروع. إنها حقيقة لا جدال فيها"

لم يتمكّن مارتن من الاعتراض، ولم يعد هناك من طريقة لاستغلال تسجيلات الاجتماع بعد الآن.

أما إذا شاعت التسجيلات بين الناس فسوف يواجه اتهاماً بتأسيس جماعة إرهابية والمساعدة على الاختطاف والتحريض عليه، وكذلك القتل. يُضاف إلى ذلك ضياع عنصر المفاجأة الآن مع علم الوحدة الأمنية في مفوضية الاتحاد الأوروبي بوجود تلك التسجيلات. يعني ذلك أن بروكسل سوف تكون حاضرة لتفنيد وإنكار كل شيء يظهر في الفيديو. ثالثاً، والأهم من ذلك كله عدم وجود أي مخاطر في انكشاف علاقتهم مع موسكو.

قال بافل: "بذلت ما بوسعك يا مارتن. لم ننجح هذه المرة، لكن كل شيء بقي جاهزاً للمحاولة التالية"

"أريد كذلك أن أعرفك إلى شخص أريد ضمّه إلى جماعتنا"

أشار مارتن بيده نحو إيريك التي ظهرت عند الباب.

سارت إيريك نحو مرتديّة قميصاً من الموهير رمليّ اللون مثل ذلك الذي يرتديه لاعبو البولو. قال مارتن: "إيريك، هذا هو بافل آنوسوف. إنه واحد من أبرز الأعضاء المنتقدين للاتحاد الأوروبي في جماعتنا"

ألقت إيريك التحية على بافل بهدوء وجدية. لاحظ مارتن نظرات بافل التي توحى بالمفاجأة والاهتمام.

"تعرف إيريك الجماعات المعارضة للاتحاد الأوروبي ليس في ألمانيا فقط، بل في معظم أنحاء أوروبا الغربية. يُضاف إلى ذلك امتلاكها بعض الأفكار لتوحيد قوى هذه الجماعات"

قال بافل ملتفتاً إلى إيريك: "يبدو ذلك مثيراً للاهتمام. أيمكنك أن تعرضي عليّ خطتك؟"

أحاط نور الشمس المسائي بكتلة ضخمة من السُّحُب الجاثمة فوق الأشجار. وقف دافيد في حديقة منزله في تيرفورين، للمرة الأولى منذ المحنة التي مرَّ فيها. نظر إلى البرك الصغيرة التي تكونت نتيجة هطول الأمطار قبل فترة قصيرة، وإلى الأعشاب التي تلمع بفعل قطرات الماء الصغيرة.

وقفت كاتي إلى جانبه، وحدَّق الزوجان إلى المبنى القديم بنوافذه السود، وبلاط سقفه التي زادت قتامةً بفعل الأمطار، فبدأ المنظر حزيناً. لاحظ دافيد بقعاً داكنة بالقرب من الباب. فحوَّل نظره بعيداً كي لا تلاحظ كاتي بقع الدماء.

تقاطرت المياه من أنبوب التصريف فشكَّلت بركة كبيرة. استرعى انتباه دافيد بعد أن تناول المفاتيح من جيبه أن كاتي لاحظت بقع الدماء. كانت كل أشياء المنزل مقلوبةً رأساً على عقب. انصرف الزوجان لتسوية السجّاد وإعادة قطع الأثاث إلى مكانها من دون أن يتبادلا أي كلمة. بدأت كاتي بشحن الآبياد الصغير مستخدمةً جهاز الشحن الجديد الذي اشترياه في طريقيهما إلى المنزل.

جلس دافيد وزوجته على الأريكة، وما لبثت كاتي أن فتحت جهاز الآبياد على ملف الصور الخاص بآينو، وهو الملف الذي لم يشاهدا منه سوى نصف عدد الصور التي يحتويها عندما كانا في السيارة بالقرب من شاتو أنطوانيت. تركّزت عينا دافيد على صورة فلوريان. ظهر فلوريان وآينو في الصورة التالية جالسين جنباً إلى جنب على مقعد أحد المتنزّهات.

قالت كاتي بعد أن فتحت ملف أحد النصوص: "غير معقول"

عندما أدركت أن جان لاغران متورط في بعض المخالفات، حرت في ما يجب عليّ عمله. تركت الأمور لتهدأ معه قليلاً، وحاولت أن أنسحب من دون الكشف عن شكوكي، بالرغم من أنه كان يريد تعميق علاقتنا قليلاً. كنت أحتاج إلى رجل أتقاسم معه بعض القيم، وكان من الواضح أن جان ليس ذلك الرجل. ركزت على عملي وحاولت نسيان جان.

مضت أسابيع عدة بعد ذلك، ثم التقيت في يوم سبت ربيعي مشمس مع رجل أحلامي. كان مواطناً ألمانياً يصغري بسنوات عدة، واسمه فلوريان زيغلر.

حدّث دافيد إلى هذه الكلمات، ثم تابع القراءة مع زوجته.

أمضيت أسعد أسابيع في حياتي بعد أن التقيت فلوريان. جاء فلوريان من برلين إلى بروكسل بموجب منحة إيراسموس ليكون متدرّباً مقيماً في الاتحاد الأوروبي. وقعت في غرامه من كل قلبي، فهو يمتلك شخصيةً أخاذةً ومتألّقة، وطلّته ساحرة.

أخذ دافيد نفساً عميقاً قبل أن يتمكن من متابعة القراءة.

لم يملّ فلوريان من معرفة كل شيء عن الاتحاد الأوروبي الذي كان ينتقده، ثم فتح سجل الاتحاد الأوروبي أمامي من زاويةٍ مختلفةٍ كلياً، وهكذا تحطّمت نظرتي الوردية إلى الاتحاد. امتلك فلوريان معلوماتٍ جديدةً عن الأبحاث الجارية عن مشكلات التغيّر المناخي. بحث كثيراً عن السبب الذي يدعوا الهيئة الدولية للتغيّر المناخي IPCC إلى التمسك بشكلٍ أعمى بوجهة نظرها المتحيزة. أجريت بعض الأبحاث، ودُهشت عندما اكتشفت أن مزاعم فلوريان كانت دقيقة تماماً. كانت هيئة المناخ مجرد أداةٍ تهدف إلى تكوين كيانٍ أممي لصنع القرارات. تلّقت الهيئة مساندة من دعاة العولمة في الأمم المتحدة، ومن النخبة في أنحاء العالم، الذين أرادوا تحويل السلطة والنفوذ من الدول القومية إلى مؤسسات متعددة الجنسيات. عمد هؤلاء إلى المبالغة في التهديدات التي تواجه العالم: مكافحة

الاحتباس الحراري العالمي، والأزمة المالية، اللذين يتطلبان تعاوناً وتنسيقاً دولياً مستمراً. كان القصد من مؤتمر كوبنهاغن للمناخ هو تكوين أول كيان يكون فوق الدول القومية، وهو الكيان الذي سيكون بمنزلة الخطوة الأولى في الطريق إلى الحكومة العالمية.

امتلك فلوريان نصوصاً تُظهر أن اللاعبين الأساسيين في تكوين هذه الحكومة العالمية التي هي فوق الدول القومية هم على الشكل التالي: دافيد روكفلر، هنري كيسنجر، ستروب تالبوت، جو بايدن، ومعظم أعضاء اللجنة الثلاثية لمجموعة بيلدبيرغ، وفوق هؤلاء جميعاً مجلس العلاقات الخارجية المدعوم من مؤسسة روكفلر، وهو المجلس الذي يتضمن جدول أعماله المصالح الأميركية في مجموعة العشرين وفي المنابر الدولية الأخرى.

تبيّن لي أن حديث فلوريان عن نظام عالمي جديد، والذي اعتبرته في البداية مجرد نظريات مؤامرة خيالية، هو في الواقع موجود في موقع نشرة فورين بوليسي [السياسة الخارجية] والذي دخلته عندما نقرت الكلمات المفتاح، "نظام عالمي جديد" يبدو لي أن عبارة الحكومة العالمية تعني الأمر ذاته.

أما نحن، الناس العاديين، والمنظمات غير الحكومية، الذين نريد إنقاذ العالم، فإننا نريد حكومة مركزية عقلانية تكون قادرة على حل المشكلات الكبيرة. لكننا لا ندرك أن الآخرين الذين يدعمون فكرة الحكومة العالمية الواحدة هم الشركات الكبيرة المتعددة الجنسيات، والتي تضع أرباح المساهمين فوق البيئة، وهي تفعل ذلك على الدوام. أظهر لي فلوريان كذلك، والآن وراء أبواب مغلقة، أن المصارف والشركات تحضّر للخطوات التالية نحو تكوين حكومة عالمية، وهي الخطوات المتمثلة باتفاقية التجارة الحرة لدول المحيط الأطلسي TAFTA بين الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة.

أدركت أن الوضع داخل هيكلية الاتحاد الأوروبي هي ذاتها. أما أنا، ومثل الآخرين الذين يعملون لصالح الاتحاد الأوروبي، فإننا نؤمن، وبإخلاص، في أسس الحضارة الغربية التي استند إليها تأسيس الاتحاد الأوروبي. لكن، كان هناك أشخاص، والذين سوف يستمرون في التواجد، يترّبعون على قمة الاتحاد

الأوروبي، من الذين يعملون من وراء الستار الذين يعتبرون أن الاتحاد الأوروبي ليس إلا أداة للاستحواذ على السلطة والأرباح من دون أي تبصّر. لكن سواء كنا ساذجين أو غير مكثرئين، فإننا ندعم هؤلاء الأشخاص من دون أن نعرف ذلك. إننا لا نرى، أو إننا لا نود أن نرى، سلوكيات الفساد والسلوكيات التي تتناقض مع الديمقراطية داخل أجهزة الاتحاد...

كان جيداً أن تدرك آينو على الأقل أنها كانت ساذجة، لكن دافيد استمر في التفكير. قفزت إلى ذهنه ملامح فلوريان بينما كان يدفعه نحو مقدمة القطار في روما.

كان دافيد على وشك متابعة القراءة، وكان يخشى ألا تكون آينو علمت الحقيقة عن فلوريان.

سألت كاتي همدوء: "هل هذا كله صحيح؟"
"لا أشك أن هناك أشخاصاً يحاولون إقامة حكومة عالمية. لكن السؤال هو ما يعنيه كل ذلك"

مسّد دافيد شعر زوجته أثناء كلامه. "إنني لا أوافق على تفسير أشخاص مثل فلوريان هذا الأمر. لا أعتقد أن أي شخص يحاول بجدية إنشاء مجتمع أوروبي يتبنّى فيه الجميع حقيقةً واحدة. أعتقد أن الأمر يتعلق بمحاولة إصلاح كل هذه المؤسسات الدولية مثل الأمم المتحدة، وبمجموعة العشرين. وأعتقد أن ذلك منطقي تماماً ما دامت هذه العملية مفتوحة وشفافة. لكن ما إن يبدأ الجيل التالي الذي نشأ على وسائل التواصل الاجتماعي، والمعلومات المجانية، في الحلول مكان أولئك الأشقياء المغرورين الذين يتهامون في الغرف الجانبية، حتى نقف على أسس أكثر متانة. دعينا الآن نر ما لدى آينو أيضاً"
أمالت كاتي الآياد قليلاً كي يتمكنّا من متابعة القراءة.

أبلغت فلوريان، وبكل حذر، عن "مسؤول رفيع معيّن في الاتحاد الأوروبي" يحتفظ بممتلكات ضخمة في الخارج. أبلغني فلوريان عن نظريته بشأن

الفساد، وسألني لماذا لا أتعتمّق بالبحث فيها. أيقنت بعد ذلك أن رؤيته كانت أشد صوابية بشأن ما يجب علينا عمله. وأدركت أن تردّدي بالتدخل، في ما كان جان يفعل، هو أمر غير أخلاقي.

أدركت صوابية ما أقوم به عندما تمكنت من ترتيب موعدٍ مع جان نتيجة تشجيع فلوريان. كان مسروراً عندما اتصلت به، وبدأنا نتواعد مجدداً. لكن توتّر فلوريان زاد مع زيادة معرفتنا بالأمر المشكوك فيها، التي كان يقوم بها جان، وكذلك أنشطة الاتحاد الأوروبي. أخبرتني فلوريان في النهاية أنه انضمّ بالفعل، ومنذ بعض الوقت إلى جماعةٍ رأت أن صناعة القرار في الاتحاد الأوروبي كانت تحت سيطرة عصابةٍ صغيرة مدعومةٍ من الشركات الكبيرة.

شعرت بالغضب من فلوريان لأنه لم يخبرني من قبل أنه متورّط في أمر كهذا. لكن تعصّبه زاد بعد أن أخبرته بذلك. يبدو أن هدف جماعته كان توعية الناس بحيث يتمكّنون من تحطّي الحجاب الكثيف الذي تفرضه الدعاية، كما أن الجماعة مستعدة للقيام بعملٍ عنيفٍ لتحقيق هذا الهدف. أدركت بعد ذلك كم أخطأت في فهم فلوريان بسبب افتتاني به، وشعرت بالخوف. تبين لي أنه من النوع السذي يصعب توقّع ما يقوم به. شعرت بالرعب لكنني، بطبيعة الحال، لم أتمكّن من إبلاغ جان أي شيء عن هذا الموضوع.

شعر دافيد بموجةٍ من الارتياح، كذلك كان شعور كاتي لأنها تمتمت: "يا

إلهي...

شعرت بدوار، وقطعت علاقتي بفلوريان، وتأسفت لأنني أخبرته أي شيء عن جان. انتزعتُ جهاز التنصّت الذي وضعته في مكتب جان في المنزل، وابتعدتُ عنه.

أغرقني فلوريان بالرسائل حتى بعد عودته إلى برلين، واستمر في ذلك إلى أن هدّدته بإبلاغ الشرطة عنه بسبب الإزعاج الذي يسببه لي، وما لبث أن توقف عن محاولة الاتصال بي.

شعرت بالإحباط، وتمنيت لو أنني أتمكن من نسيان جان، وكل ما يتعلق بالفوضى المحيطة بالاتحاد الأوروبي، لكن ذلك كان أمراً مستحيلًا. قررت فضح الفساد الذي تورط به جان، لأنني أدركت أن الاتحاد الأوروبي بأكمله غارق بالفساد، ومليء بالأشخاص الذي يمتلكون روابط وثيقة مع المصارف التي لا تتضمن أهدافها خير المواطنين.

كان أحد هؤلاء الأشخاص فرنسوا ديلفو، وكان أحد داعمي جان. تشارك الرجلان بأمرٍ سري يتعلق بالقطاع المصرفي، وكان ذلك بشأن صفقة سرية قام جان لأجلها بزياراتٍ عدّة إلى إيطاليا.

لكن الأسوأ من ذلك كله هو أن الفساد المستشري في الاتحاد الأوروبي وجد طريقه إلى الناس بأساليب عمل تتصف بالحمق. أدت هذه الأساليب بالصيادين والمزارعين الصادقين إلى الكذب، كما دفعت بأصحاب المتاجر إلى إرسال شاحنات فارغة عبر الحدود. يُضاف إلى ذلك أن المنظمات غير الحكومية العادية عمدت إلى طلب الحصول على هباتٍ بذرائع زائفة.

لكن ماذا يتعين عليّ أن أفعل؟ ماذا يفعل المرء إذا أصيب محرك سيارته بعطلٍ ما، ألا يتعين عليه إصلاحه كي لا ينتهي به الأمر إلى خردة. يصدق الأمر ذاته على الاتحاد الأوروبي. تبين لي أننا نحتاج الأمر ذاته، لكن ذلك يحتاج إلى إجراء عملية إصلاح بهدف التمكن من القيام بالواجبات الأساسية، أي خدمة شعب أوروبا.

أردت إبلاغ السلطات بالمعلومات التي أعرفها، لكن أي سلطاتٍ هذه؟ على الأقل لا أستطيع إبلاغ مكتب مكافحة الفساد الأوروبي، وهو مكتب خاضعٌ مباشرةً للاتحاد الأوروبي، ويُمكن أن يُقال عنه أي شيء ما عدا أنه مستقل. يصدق الأمر ذاته على الشرطة البلجيكية، وهي التي فعلت كل شيء يمكنها فعله لمنع المنتقدين أثناء المزايدة على استضافة مقر الاتحاد الأوروبي، ووصل الأمر إلى حد الإغارة على منزل أحد المراسلين الصحفيين.

التحآت، بعد غربلة كل الخيارات المفتوحة أمامي بكل عناية، إلى المكان الوحيد الذي يمكنه معالجة المعلومات المتعلقة بالاتحاد الأوروبي بشكلٍ محايد: هيئة الاستخبارات الوطنية الإنكليزية لمكافحة الاحتيال NFIB.

فوجئت بالسرعة التي تمت فيها دعوتي لزيارة لندن لإجراء مقابلة. حملت معي عند ذهابي كل الدلائل الراسخة التي عثرتُ عليها. أخذوا كلامي بكل جدية، وكان من الواضح بالنسبة لي أن بريطانيا كانت تريد القضاء على كل مظاهر الفساد التي تتغاضى عنها بروكسل. لم أذكر اسم فلوريان لأنني كنت محرجةً جداً.

لكن بعد سلسلة من المقابلات التفصيلية خطر في ذهني أن البريطانيين بدأوا بنوع من أنواع التحقيقات بشأن المخالفات المالية الجارية في الاتحاد الأوروبي، وأن معلوماتي التي قَدَمتها لهم تعطيلهم مستوى من الدقة التي كانوا يحتاجونها بشدة.

في هذا الوقت جرى تعيين راي للعمل معي، وهو رجل يتحدث الفرنسية، ومن أصول أفريقية، ثم تبين لي أنه يعمل مع الاستخبارات البريطانية MI6. ساعدني راي على نقل أثاث منزلي وطلاء الجدران، وأمور مشابهة، وهي الأعمال التي كانت تغطية لعمله الحقيقي. كان الهدف هو تمكينه من التواصل مع جان. عثرت على الفرصة المناسبة عندما أردت ترتيب رحلة استجمام مع جان إلى باريس في نهاية الأسبوع. عرّفت جان إلى راي، وقلت له إنه رجلٌ يمكن الاعتماد عليه وأنه يمتلك مهاراتٍ كثيرةً.

أبدى جان حذراً في البداية، لكنني كذبت عليه، وقلت له إن راي كان يساعدني على مدى سنوات. بدأ جان، تدريجاً، في الاستفادة من خدمات راي. ولاحظ بعد وقتٍ قصير وجود بعض الثغرات في عمل راي، وعلى الأخص عندما يتعلّق الأمر بالقانون، كما لاحظ أن مهمات راي توسعت إلى نقل البريد في ساعات غير معتادة من الليل.

زاد قلق جان في الفترة الأخيرة، لأن راي امتلك متسعاً من الوقت والاهتمام لمساعدة الذين يحتاجون إلى مساعدة، وهي صفة جعلت إعجابي به يزداد أكثر فأكثر. أخبرني جان منذ وقتٍ قصير عن أرملة بولندية بحاجة ماسة إلى العمل في تنظيف المنازل. اعتقد أنني سأسمح لماجدة بالمجيء لتنظيف شقتي، بالرغم من أنها في الواقع لا تحتاج إلى التنظيف.

إنني أكتب هذا في حال لم أتمكن من تمييز وجوه الذين يلاحقونني في طريق عودتي إلى المنزل.

كان ذلك آخر نص كتبه آينو.

وضعت كاتي الجهاز على الطاولة، واغرورت عيناها بالدموع، لكنها حبست مزيداً منها، إلا أن دافيد سارع إلى إحاطتها بذراعيه.

تمكنت كاتي من القول أخيراً: "هذا هو الأمر الذي يزيد غضبي من بين كل الأمور الأخرى. كانت آينو جريئة جداً، وكشفت أسراراً كثيرة، لكن ذلك لم يغيّر شيئاً. دأب النافذون على استغلال الاتحاد لمصالحهم الخاصة، منذ تأسيسه، لكن أحداً لم يفعل أي شيء. يقوم الاتحاد الأوروبي بخرق القواعد التي وضعها، وتكسر المصارف القواعد المتعارف عليها، لكن أحداً لا يكثرث. تتمكن عصابة صغيرة من الناس بإدارة كل شيء بالطريقة التي تناسبها"
"أعرف ذلك..."

تناولت كاتي الآيباد، وقالت: "بقي هناك مقطعاً فيديو"

انحني دافيد ليرى مقطع الفيديو الذي فتحته كاتي.

"كُتب على الشريط هيرمان فون رومبوي، 19.11.2009. سبق أن رأيت رسالة أرسلها إليه ديلفو"

ظهرت على الشاشة نافذة تعرض رئيس المجلس الأوروبي جالساً أمام ستارة بلون الاتحاد الأوروبي الأزرق خلال أحد مؤتمراته الصحفية. كان رجلاً ذا مظاهر بريئة، أشيب الشعر، وأصلع قمة الرأس، ويضع نظارات.

"إننا نمرّ بأوقات استثنائية بالغة الصعوبة: الأزمة المالية وتأثيرها المأساوي على مستوى العمالة، وأزمة المناخ التي تهدد وجودنا ذاته. إننا نمرّ بفترة من القلق، والشك، وانعدام الثقة. لكننا قادرون على التغلب على هذه المشكلات إذا ما تضافرت جهود بلادنا. كان العام 2009 هو أول عام للحكومة العالمية، مع تأسيس مجموعة العشرين وسط الأزمة المالية التي كانت تعصف بالعالم. يُضاف إلى ذلك أن مؤتمر المناخ العالمي يُعتبر خطوة أخرى نحو تحقيق الإدارة العالمية لكوكبنا..."

تنهدت كاتي من فرط دهشتها: "هذا ما كتبت عنه آينو تماماً. يعني ذلك أنها كانت على المسار الصحيح"

كان مقطع الفيديو من ضمن مقالة مأخوذة من صحيفة الغارديان، جاء فيها أن رومبوي التقى، قبل أن يعقد أول مؤتمر صحفي له، وسراً وراء أبواب مغلقة، مجموعة من الرجال، كان من بينهم هنري كيسنجر، وإيتان دافيغنون، ونافزون آخرون يعملون من وراء الستار، وهم أنفسهم الأعضاء في مجموعة بيلدربرغ.

قالت كاتي أثناء فتحها شريط الفيديو الثاني: "ماذا يحتوي هذا المقطع" ظهر أحد المراسلين على الشاشة أثناء إجرائه مقابلةً مع رجلٍ مسنٍ ذي شعرٍ أجعد ويضع نظارات، وكان واقفاً بين الحشود. تذكر دافيد هنري كيسنجر الذي عرفه منذ أيام طفولته.

قال كيسنجر: "أرى أن مهمة أوباما ستمثل في تطوير استراتيجية شاملة لأميركا في هذه الفترة، أي عندما يكون بالإمكان تأسيس "نظامٍ عالميٍّ جديد. إنها فرصة عظيمة"

تنهدت كاتي وهي تسترخي على أريكتها. "لا أعرف بماذا أفكر إزاء كل هذه الأمور. ما رأيك؟"

قال دافيد بهدوء بينما كان يمسّد كتف كاتي: "دعينا نفترض أننا عثرنا على كوكبين صالحين للحياة في الفضاء الخارجي، وأنه توجد في أحدهما قبائل تتقاتل في ما بينها، ويتآمر بعضها ضد بعض، وتتنافس في صنع أكثر الأسلحة فتكاً. ويوجد في الكوكب الثاني شعبٌ يتعامل مع كل الأمور بالتوافق، ويتعاطى التجارة بعضه مع بعض في قرية عالمية كبيرة واحدة. أي الكوكبين يُعتبر أكثر ذكاءً؟ تنطبق الفكرة ذاتها على أوروبا، وإن كان ذلك بمقياس أصغر بطبيعة الحال"

أومأت كاتي: "لكنك ستجد في كل كوكب أشخاصاً يعتقدون أنهم أذكى من الآخرين. هل يُعتبر هذا نوعاً من أنواع القانون العالمي؟"

خاتمة

صفت رباح الخريف وجه دافيد عندما كان في طريق عودته من مكتب البريد إلى المنزل، وتناثرت الأوراق الصفراء التي أسقطتها الأشجار على أرض الحديقة المبلّلة. حمل دافيد رسالتين بيده بينما كان يمرّ من أمام عربة يد، وفوقها رفشٌ بارزٌ من حمولتها من التراب.

ركّز دافيد بعد استقالته من وظيفته في لندن على زراعة الخُضْر في بقعةٍ من الأرض التي أسّس فيها ما يشبه مزرعةً محميةً صغيرةً في إحدى زوايا أرضه. سبق له أن زرع عشرين نبتة، بما فيها شجرة توليب من النوع النادر.

زرع دافيد حذاءه الثقيل الموحل، ومعطفه الواقي من المطر، ثم مرّ من أمام غرفة النوم الصغيرة، وهي الغرفة التي أفرغاً منها كل الأغراض التي كانت مودعةً فيها. كانت نيران الموقد متوهجةً وسط غرفة المعيشة. حدّق بعد ذلك إلى الصورة المؤطرة والموضوعة فوق خزانة من الأدراج. ظهر في الصورة ولدان واقفان لوّحت الشمس بشرتيهما وقد ارتديا ثياباً وانتعلا أحذيةً رياضية. ظهر من ورائهما حقلٌ من القمح يلمع تحت أشعة الشمس الذهبية. كان دافيد هو الأكبر في الصورة، وجورج هو الأصغر، وقد ارتسمت البسمات على وجهيهما بينما كان يضع كل ولدٍ ذراعه على عنق الآخر. استقرّت هذه الصورة على مدى سنواتٍ عدّة داخل كرتونة، وكانت الكرتونة تحت صناديق أخرى لم يعمد إلى فتحها كل هذه المدة. زار دافيد منزل عائلته في الأسبوع السابق، وتحدث مع والدته للمرة الأولى عن حادثة غرق جورج.

كانت كاتي جالسةً في مقعدها الوثير بالرغم من الرشح الشديد الذي أصيبت به، وقد وضعت الكتاب الذي كانت تحمله على طرف الطاولة. قال لها دافيد: "هذه رسالة من مكتب مكافحة الاحتيال الأوروبي"

وقف دافيد أمام الطاولة التي ظهرت من فوقها رزمة أوراق، وأقلام رصاص، وآلة حاسبة، وانشغل بعد ذلك في المهمة التي أمضى سنوات ما بعد المراهقة وهو يحلم بها: كتابة أطروحته حول الرياضيات الحيوية.

فتح دافيد المظروف الذي وصله من وكالة مكافحة الفساد في الاتحاد الأوروبي، وانتزع الرسالة. اقتربت كاتي ونظرت من فوق كتفه.

"أجرينا تحقيقات في الادعاءات التي قدّمتموها، والمتعلقة بنائب المدير العام جان لاگران. لم تسفر تحقيقتنا عن أي شيء يستلزم إجراءات إضافية..."

قال دافيد مستنكراً: "كما توقعنا تماماً" أسرع بعد ذلك إلى تمزيق الرسالة إرباً إرباً، وألقاها في النار.

توجّه دافيد بعد ذلك إلى غرفة النوم ليفتح الرسالة الأخرى. أمضى دافيد عدة أيام في حذر شديد، وكان خائفاً حتى من فتح رسائل البريد الإلكتروني. بقي بانكا كريديتو ناسيونالي عائماً، لكن من دون أن تذكر وسائل الإعلام أي شيء عن مشكلاته الحقيقية - لكن دافيد تمكن تغطية وضعه في كريديتو ناسيونالي، وكذلك خسائره الناتجة عن تجارة مسموحات الانبعاثات، بعد أن قبض المبلغ الذي أعطاه إياه ديلفو. تمكن في الوقت ذاته من دفع المبالغ التي يدين بها إلى نويسكي والرجل الهولندي.

قرأ دافيد الرسالة، ثم عاد إلى غرفة المعيشة التي عادت إليها كاتي وجلست في كرسيها مجدداً.

"تسلّمتُ رسالة أخرى"

"من أين جاءت؟"

"من مصرف الأرض Earth Bank"

وضعت كاتي كتابها في حضنها: "ما هو هذا المصرف؟"

"يُحتمل أن تذكرني روبرت. إنه زميلي الذي تبرّع بأرباح صندوقه الاستثماري للأعمال الخيرية. أسّس الرجل مصرفاً مع أندريا، وهو زميلٌ آخر لي، لكنهما طلبا مني الانضمام إليهما. سيكون مكتسبي في هذا الوقت في فندقٍ مخصّص للمكاتب في بروكسل، أي أنني سوف أعمل بدوامٍ جزئي بينما أكتب أطروحتي"

حدّثت كاتي فيه وقالت: "عمّ تتحدث؟"

"سأتمكن، على الأقل، بهذه الطريقة من تحقيق حلمي. لكنني لن أقبل العرض إذا اعتبرت الأمر غير منطقي"

تنهّدت كاتي وقالت: "كلا، لا أعني ذلك. يُحتمل أن تكون هذه خطوة ذكية"

سُمت طرفقة على الباب. فهض دافيد بسرعة من مكانه وتوجه نحو القاعة.

سألت كاتي بلهجة متوتّرة: "من الطارق"

قال دافيد بسرور: "راي" تصافح الرجلان وقال دافيد: "أدخل!"

حيّت كاتي راي بحرارة فور دخوله إلى غرفة المعيشة.

سألت كاتي: "كيف حالك؟"

"تركت عملي في خدمة صاحبة الجلالة [الاستخبارات البريطانية]"

"لماذا، بحق السماء؟"

تنهّدت راي وقال: "كنت أفكر في الأمر منذ مدة. إنني رجلٌ بسيط، ولا أحب الألاعيب" زادت جدية راي وهو يمضي في حديثه.

سأل دافيد بحذر: "عن أي ألاعيب تتحدث؟"

"سيعرف الجميع بعد وقتٍ قصيرٍ أن صديقنا جان لاگران سيغادر منصبه كنائب الأمين العام للشؤون الاقتصادية والمالية"

"هذا حسن"

"سيبدأ عمله في شهر كانون الأول/ديسمبر كأمين عام الشؤون الاقتصادية والمالية. يعني ذلك أنه تلقى ترقية"

حدّث دافيد وكاتي أحدهما بالآخر.

سألت كاتي بدهشة: "أليست بريطانيا مهمة بما يحدث هنا؟"

"ما زلتُ مجبراً على التزام السرية. لكن ربما لاحظت في نشرات الأخبار حديثاً بأن الاتحاد الأوروبي قرّر دعم المملكة المتحدة في نزاعها مع إسبانيا حول

جبل طارق"

تنهّد دافيد قبل أن يقول: "إذاً هذا هو نوع الألاعيب الذي كنت تتحدث عنه... أفهم قرارك. أنت تراهن بحياتك، وهم يتبادلون الخدمات"
تخلّى راي عن الجدية، وأشار نحو الجدار: "دافيد، قلتَ لي إنك ستقوم بتركيب سياج لكنني لا أراه الآن. سيتوفّر معي وقت في الأسبوع القادم. لكن ألا يبدو أن خمسة عشر يورو في الساعة أجرةٌ جيدة؟"
نظر دافيد إلى راي الذي كان يتنسم بارتياح لفترةٍ ثوانٍ قليلة، وتساءل ما إذا كان جاداً في ما يقوله.
قال أخيراً: "حسناً، أليس من الأفضل لي التركيز على الأعمال الخارجية، لكن يجب عليك مساعدتي في حفر الأساسات"

للمزيد والجديد من الكتب والروايات زوروا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

@ktabpdf تيليجرام

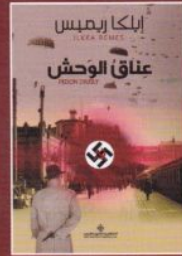
أغرقت المصارف دافعي الضرائب بالمليارات، وجرى تخطي القدرة الألمانية الراديكالية على التحمل. ما هي الأسلحة التي اعتمدها جماعة «بادر ماينهوف» في محاربة الرأسمالية؟ ينجرف تيومو وريكا آيلند في العملية التي ستفجر انتباه كل العالم. ويتعرضان لخطر حقيقي يهدد حياتهما عندما يدركان أنه يمكن العثور على راديكاليين أكثر خطورة في بروكسل. ويزداد الوضع سوءاً عندما تتضح لهما الوسائل التي تستخدمها السلطة من أجل الدفاع عن الأرواح والممتلكات الأوروبية.

إيلكا ريميس (المولود 13 ديسمبر 1962) كاتب فنلندي للروايات البوليسية والأدبية الخاصة بالشباب. ولد ريميس في لوماكي باسم بيترى بيكالا. يقول إنه يستخدم اسماً مستعاراً؛ إذ لا يريد اعتباره مؤلفاً للروايات البوليسية حصراً، وإنما يريد أن يتمكن من تأليف أنواع أخرى من الكتب في المستقبل.



يعيش ريميس في بلجيكا مع زوجته وولديه. وقد نال جائزة آداب كالفيفي جانتي عام 1997، وجائزة العام من جمعية الروايات البوليسية الفنلندية عام 1999، وجائزة الآداب من مؤسسة أولفي عام 1999.

صدر للكاتب:



facebook.com/ASPArabic

twitter.com/ASPArabic

ISBN 978-614-01-1605-4



9 786140 116054



الدار العربية للعلوم ناشرون
جائزة النشر والتقنيات الثقافية
2015



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.asppbooks.com

